



إدارة المناهج والكتب المدرسية

العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية



المستويات الأولى والثاني والثالث والرابع
المرحلة الثانوية / الفرع الأدبي

العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية

المستويات ١+٢+٣+٤

المرحلة الثانوية / الفرع الأدبي

١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م

ISBN : 978-9957-84-203-1

"789957"842031" 9

المطبعة
الوطنية



إدارة المناهج والكتب المدرسية

العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية

المستويات الأولى والثاني والثالث والرابع

المرحلة الثانوية / الفرع الأدبي

تأليف

د. إبراهيم طه القيسي
د. سعيد محمد الرقب
د. علي محمد الصوا
د. محمد رakan الدغمي
د. محمد علي الهواري
ممدوح توفيق العقيل (مقرراً)

د. حسين إسماعيل العدم
د. شرف محمد القضاة
د. محمد أحمد الخطيب
د. محمد عثمان أشبير
د. محمد نبيل طاهر
محمود عيسى ابوسمور

الناشر

وزارة التربية والتعليم

إدارة المناهج والكتب المدرسية

يسر إدارة المناهج والكتب المدرسية استقبال ملاحظتكم وآرائكم على هذا الكتاب على العناوين الآتية:
هاتف: ٨ - ٤١٧٣٠٤١٥ فاكس: ٤٦٤٥٨٨٨ . ٤٦٣٧٥٦٩ ص.ب: (١٩٣٠) الرمز البريدي: ١١١١٨
أو على البريد الإلكتروني: Humanities.Division@moe.gov.jo

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس هذا الكتاب في جميع مدارس المملكة الأردنية الهاشمية بموجب قرار مجلس التربية والتعليم رقم (٩٥/٤٢) في جلسته رقم (٩٥/٨) تاريخ (١٩٩٥/٣/٢٢) اعتباراً من العام الدراسي ١٩٩٥/١٩٩٦.

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس هذا الكتاب في جميع مدارس المملكة الأردنية الهاشمية بموجب قرار مجلس التربية والتعليم رقم ٩٦/٤٣ تاريخ ١٠/٤/١٩٩٦م. اعتباراً من العام الدراسي ١٩٩٦/١٩٩٧. وقرار رقم ٩٩/٤٨ تاريخ ٣١/٥/١٩٩٩م. وقرار رقم ٢٠٠١/١٧ تاريخ ٧/٥/٢٠٠١م.

جميع الحقوق محفوظة لوزارة التربية والتعليم

ص. ب (١٩٣٠) عمّان - الأردن

لجنة التوجيه والإشراف على التأليف

أ.د. عبد السلام داود العبادي	الشيخ عز الدين الخطيب التميمي
أ.د. محمود علي السرطاوي	د. عزت محمد جرادات
ص. صادق علي ملاحم	أ.د. كايد يوسف قرعوش
د. صالح زياب هندي	د. محمد هاشم الريان
حسين إسماعيل العدم	د. خالد يوسف الخوالدة

التحرير العلمي : حسين إسماعيل العدم
د. خالد يوسف الخوالدة
محمود عيسى أبو سمور

التحرير اللغوي : زيد أبو الحاج
محمد سلام جميعان

التحرير الفني : محمد سلام جميعان
نداء فؤاد أبو شنب

التصميم : أريج عبدالله العمري
الإننتاج : سليمان أحمد الخلايلة

دقق الطباعة وراجعها : د. سمر محمد أبو يحيى

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١١ / ٣ / ٩٨٦)

ISBN : 978-9957-84-203-1

٢٠٠٤هـ / ٢٠٠٤م

٢٠٠٨ - ٢٠١٥م

الطبعة الأولى

أعيدت طباعته





قائمة المحتويات

الموضوع

الصفحة

المقدمة

المستوى الأول

الوحدة الأولى: التربية الإسلامية والشخصية

- ١٥ : الدرس الأول : الشخصية الإسلامية
- ١٩ : الدرس الثاني : من خصائص الشخصية الإسلامية (ارتباطها بالعقيدة وتوازنها)
- ٢٢ : الدرس الثالث : من خصائص الشخصية الإسلامية (الإيجابية)
- ٢٥ : الدرس الرابع : شخصية النبي ﷺ أسوة لكل المسلمين
- ٢٨ : الدرس الخامس : مواقف عسكرية من شخصية النبي ﷺ فتح مكة « دخولها سالماً »
- ٣١ : الدرس السادس : مواقف عسكرية من شخصية النبي ﷺ فتح مكة « العفو العام والخاص »
- ٣٣ : الدرس السابع : مواقف عسكرية من شخصية النبي ﷺ ثبات النبي ﷺ في حنين
- ٣٧ : الدرس الثامن : مواقف أخلاقية من حلم النبي ﷺ
- ٤٠ : الدرس التاسع : مواقف أخلاقية من تواضع النبي ﷺ
- ٤٣ : الدرس العاشر : مواقف اجتماعية من سيرة النبي ﷺ

الوحدة الثانية: التربية الإسلامية والعقيدة

- ٤٧ : الدرس الأول : العقيدة الإسلامية
- ٥٠ : الدرس الثاني : أركان العقيدة الإسلامية
- ٥٤ : الدرس الثالث : من خصائص العقيدة الإسلامية (الهيئة)
- ٥٧ : الدرس الرابع : من خصائص العقيدة الإسلامية (ثابتة)
- ٦٠ : الدرس الخامس : من خصائص العقيدة الإسلامية (شاملة)
- ٦٢ : الدرس السادس : من خصائص العقيدة الإسلامية (اتفاقها مع العقل والفطرة)
- ٦٥ : الدرس السابع : دور العقيدة الإسلامية في تربية الفرد (١)
- ٦٩ : الدرس الثامن : دور العقيدة الإسلامية في تربية الفرد (٢)
- ٧٢ : الدرس التاسع : دور العقيدة الإسلامية في بناء المجتمع
- ٧٥ : الدرس العاشر : تحقيق التوازن بين الجوانب الروحية والجوانب المادية في حياة الإنسان

الوحدة الثالثة: التربية الإسلامية والعبادة

- ٨١ : الدرس الأول : العبادة
- ٨٤ : الدرس الثاني : أهمية الإخلاص في العبادة
- ٨٨ : الدرس الثالث : من خصائص العبادة في الإسلام (توقيفية)
- ٩١ : الدرس الرابع : من خصائص العبادة في الإسلام (شاملة)
- ٩٥ : الدرس الخامس : من خصائص العبادة في الإسلام (معتدلة متوازنة)
- ٩٨ : الدرس السادس : منهج الرسول ﷺ في العبادة
- ١٠١ : الدرس السابع : الآثار التربوية للعبادة في الفرد (١)
- ١٠٣ : الدرس الثامن : الآثار التربوية للعبادة في الفرد (٢)
- ١٠٦ : الدرس التاسع : الآثار التربوية للعبادة في المجتمع

المستوى الثاني

الوحدة الرابعة: التربية الإسلامية والأخلاق

١١٣	الدرس الأول : الأخلاق في الديانات الإلهية
١١٧	الدرس الثاني : من خصائص الأخلاق في الإسلام (١)
١٢٠	الدرس الثالث : من خصائص الأخلاق في الإسلام (٢)
١٢٤	الدرس الرابع : التربية الخلقية ووسائلها
١٢٨	الدرس الخامس: من وسائل التربية الخلقية (التعليم المباشر)
١٣٢	الدرس السادس : من وسائل التربية الخلقية (الممارسة العملية)
١٣٥	الدرس السابع : من وسائل التربية الخلقية (الترغيب والترهيب)

الوحدة الخامسة: التربية الإسلامية والعلم

١٤١	الدرس الأول : العلم في الإسلام
١٤٥	الدرس الثاني : اهتمام الإسلام بالعلم
١٤٨	الدرس الثالث : الرحلة في طلب العلم
١٥٢	الدرس الرابع : آداب المعلم والمتعلم
١٥٥	الدرس الخامس: الاهتمام بالمؤسسات التعليمية
١٦٠	الدرس السادس : التجريب
١٦٤	الدرس السابع : التوثيق
١٦٩	الدرس الثامن : مواقف من سير العلماء المسلمين

الوحدة السادسة: التربية الإسلامية والعمل

١٧٥	الدرس الأول : العمل في الإسلام
١٧٩	الدرس الثاني : أنواع العمل في الإسلام
١٨٣	الدرس الثالث : العمل الحرفي وأهميته في الإسلام
١٨٧	الدرس الرابع : العامل الصالح
١٩٠	الدرس الخامس: أخلاق العامل المسلم
١٩٢	الدرس السادس : حقوق العامل
١٩٥	الدرس السابع : تدريب العامل وتأهيله وتثقيفه
١٩٩	الدرس الثامن : واجبات العامل

الوحدة السابعة: التربية الإسلامية والشباب

٢٠٥	الدرس الأول : الشباب في الإسلام
٢٠٩	الدرس الثاني : توجيه طاقات الشباب
٢١٣	الدرس الثالث : المشكلات النفسية وعلاج الإسلام لها

قائمة المحتويات

الموضوع

الصفحة

٢١٩	الدرس الرابع : المشكلات السلوكية وعلاج الإسلام لها
٢٢٣	الدرس الخامس: المشكلات الاجتماعية وعلاج الإسلام لها
٢٢٨	الدرس السادس : المشاركة في الأعمال التطوعية
٢٣٢	الدرس السابع : معاذ بن جبل (رضي الله عنه)
٢٣٥	الدرس الثامن : عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)
٢٣٩	الدرس التاسع : أسامة بن زيد (رضي الله عنهما)
٢٤٣	الدرس العاشر : محمد بن القاسم (رحمه الله تعالى)
٢٤٦	الدرس الحادي عشر: أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)
٢٤٩	الدرس الثاني عشر : الربيع بنت معوذ (رضي الله عنها)

المستوى الثالث

الوحدة الثامنة: مدخل إلى دراسة العلوم الإسلامية

٢٥٧	الدرس الأول : طلب العلم
٢٦١	الدرس الثاني : أقسام العلوم عند المسلمين
٢٦٣	الدرس الثالث : مناهج البحث عند المسلمين (المفهوم والخصائص)

الوحدة التاسعة: علم التوحيد (العقيدة الإسلامية)

٢٦٧	الدرس الأول : توحيد الله تعالى
٢٦٩	الدرس الثاني : العقيدة الإسلامية: (مفهومها، منهج القرآن الكريم في بنائها)
٢٧٢	الدرس الثالث : التقليد في العقيدة
٢٧٤	الدرس الرابع : الأدلة على وجود الله تعالى (١) (دليل الفطرة ودليل السببية)
٢٧٧	الدرس الخامس: الأدلة على وجود الله تعالى (٢) (دليل الإتيان)
٢٨٠	الدرس السادس : ارتكاب الكبائر
٢٨٢	الدرس السابع : عصمة الأنبياء
٢٨٥	الدرس الثامن : عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وختمها للرسالات
٢٨٨	الدرس التاسع : دعاء الأحياء للأموات وقبول الصدقات عنهم

الوحدة العاشرة: علوم القرآن الكريم

٢٩٣	الدرس الأول : علم التفسير
٢٩٨	الدرس الثاني : ترجمة معاني القرآن الكريم
٣٠٠	الدرس الثالث : أقسام التفسير
٣٠٤	الدرس الرابع : نماذج من كتب التفسير
٣٠٨	الدرس الخامس: إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز البياني)
٣١٢	الدرس السادس : إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز التشريعي)
٣١٥	الدرس السابع : إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز العلمي)
٣١٨	الدرس الثامن : إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز بالإخبار عن الغيب)

قائمة المحتويات

الموضوع

الصفحة

الوحدة الحادية عشرة: علم الفقه

٣٢٣	الدرس الأول : علم الفقه (تعريفه، موضوعه، أهميته)
٣٢٦	الدرس الثاني : نشأة المذاهب الفقهية
٣٢٩	الدرس الثالث : المذاهب الفقهية
٣٣٥	الدرس الرابع : تفهيم الفقه الإسلامي
٣٣٩	الدرس الخامس : التأمين
٣٤٣	الدرس السادس : الذنوب
٣٤٦	الدرس السابع : الكفارات
٣٤٩	الدرس الثامن : التسعير
٣٥٢	الدرس التاسع : بيع التقييط
٣٥٥	الدرس العاشر : التبرع بالأعضاء
٣٥٨	الدرس الحادي عشر : طفل الأنابيب
٣٦١	الدرس الثاني عشر : الضرورة الشرعية

المستوى الرابع

الوحدة الثانية عشرة: علوم الحديث النبوي الشريف

٣٦٧	الدرس الأول : الحديث النبوي الشريف (مفهومه، أهميته والرحلة في طلبه)
٣٧١	الدرس الثاني : علم الحديث (مفهومه، أنواعه، أهدافه)
٣٧٥	الدرس الثالث : جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (١) (المنهج العلمي في تدوين الحديث)
٣٧٩	الدرس الرابع : جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٢) (التأليف في علم مصطلح الحديث)
٣٨٢	الدرس الخامس : جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٣) (تتبع أحوال الرواة)
٣٨٥	الدرس السادس : جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٤) (قواعد الجرح والتعديل)
٣٨٨	الدرس السابع : جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٥) (قواعد الحكم على الحديث)
٣٩٠	الدرس الثامن : جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٦) (محاكمة الوضع في الحديث الشريف)
٣٩٤	الدرس التاسع : أقسام الحديث حسب قائله
٣٩٩	الدرس العاشر : أقسام الحديث حسب عدد الرواة
٤٠٣	الدرس الحادي عشر : أقسام الحديث حسب القبول والرد

الوحدة الثالثة عشرة: علم أصول الفقه

٤١١	الدرس الأول : علم أصول الفقه
٤١٥	الدرس الثاني : الحكم الشرعي التكليفي والوضعي (معناه وأقسامه)
٤١٩	الدرس الثالث : مصادر التشريع الإسلامي (١) (القرآن الكريم)
٤٢٣	الدرس الرابع : مصادر التشريع الإسلامي (٢) (السنة النبوية)
٤٢٧	الدرس الخامس : مصادر التشريع الإسلامي (٣) (الإجماع والقياس)
٤٣٠	الدرس السادس : الاجتهاد (١)
٤٣٣	الدرس السابع : الاجتهاد (٢)

الوحدة الرابعة عشرة: علم السيرة النبوية

٤٤١	الدرس الأول : السيرة النبوية (تعريفها، أهميتها، فوائدها، وخصائصها)
٤٤٦	الدرس الثاني : مصادر السيرة النبوية
٤٥١	الدرس الثالث : تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (١) (رابطة الإسلام هي الأساس في بناء المجتمع)
٤٥٤	الدرس الرابع : تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٢) (التكافل والتعاون من سمات المجتمع المسلم)
٤٥٧	الدرس الخامس : تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٣) (المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق العامة والواجبات)
٤٦٠	الدرس السادس : تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٤) (وجوب التعاون في حماية الدولة من العدو الخارجي)
٤٦٢	الدرس السابع : تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (١) (من مقاصد الإسلام حماية الأنفس والأعراض والأموال)
٤٦٦	الدرس الثامن : تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٢) (تحريم الربا)
٤٦٩	الدرس التاسع : تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٣) (التوصية بالنساء خيرا وبيان حقوقهن وواجباتهن)
٤٧٢	الدرس العاشر : تحليل خطبة النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (٤) (طاعة ولاة الأمور وقيودها)
٤٧٥	الدرس الحادي عشر : تحليل كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم
٤٧٨	الدرس الثاني عشر : طبيعة العلاقة بين اليهود والمسلمين زمن النبي ﷺ
٤٨٣	الدرس الثالث عشر : التعريف بأبرز كتب السيرة النبوية
٤٨٧	قائمة المراجع والمصادر

الحمد لله رب العالمين الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد:
فهذا كتاب العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية/ الفرع الأدبي لمرحلة التعليم الثانوي الشامل، وفق منهاج التربية الإسلامية، نضعه بين أيدي الطلبة ونأمل أن يحقق الأهداف التي وضع من أجلها وقد اشتمل الكتاب على وحدات وزعت على النحو الآتي:

- أولاً : وحدة التربية الإسلامية والشخصية
- ثانياً : وحدة التربية الإسلامية والعقيدة
- ثالثاً : وحدة التربية الإسلامية والعبادة
- رابعاً : وحدة التربية الإسلامية والأخلاق
- خامساً : وحدة التربية الإسلامية والعلم
- سادساً : وحدة التربية الإسلامية والعمل
- سابعاً : وحدة التربية الإسلامية والشباب
- ثامناً : مدخل إلى دراسة العلوم الإسلامية
- تاسعاً : علم التوحيد (العقيدة الإسلامية)
- عاشراً : علوم القرآن الكريم
- حادي عشر : علم الفقه
- ثاني عشر : علوم الحديث النبوي الشريف
- ثالث عشر : علم أصول الفقه
- رابع عشر : علم السيرة النبوية

وقد جاءت ألفاظ الكتاب ميسورة، يسهل على الطالب تناولها والإفادة منها، وتضمن الكتاب مفاهيم جديدة تسهم في زيادة حصيلة الطالب اللغوية، وأنشطة مختلفة بنائية وختامية تراعي الفروق الفردية بين الطلبة، وتنوعت أسئلة العرض والتقويم بما يتفق وذات الهدف .
وقد حرص المؤلفون على التكامل بين وحدات الكتاب المختلفة، بحيث تؤدي بمجملها إلى بناء شخصية الطالب بصورة متكاملة متوازنة تعمق إيمانه بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة.
وختاماً فإننا ندعو أبناءنا الطلبة إلى المزيد من المعرفة التي لا تستقي من الكتاب وحده، ليصنعوا غدهم المشرق، المليء بالأمل، وليكونوا بناة الأمة، وصانعي تاريخها العظيم، مثل ما كان سلفهم بإذن الله تعالى، سائلين المولى أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المتعلمين، وأن يجعله في ميزان أعمالنا يوم العرض عليه إنه سميع مجيب .
والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الوحدة الأولى

التربية الإسلامية والشخصية

وتشتمل هذه الوحدة على:

- الشخصية الإسلامية
- من خصائص الشخصية الإسلامية (ارتباطها بالعتيدة وتوازنها)
- من خصائص الشخصية الإسلامية (الإيجابية)
- شخصية النبي ﷺ أسوة لكل المسلمين
- مواقف عسكرية من شخصية النبي ﷺ فتح مكة «دخولها سالماً»
- مواقف عسكرية من شخصية النبي ﷺ فتح مكة «العفو العام والخاص»
- مواقف عسكرية من شخصية النبي ﷺ ثبات النبي ﷺ في حنين
- مواقف أخلاقية من حلم النبي ﷺ
- مواقف أخلاقية من تواضع النبي ﷺ
- مواقف اجتماعية من سيرة النبي ﷺ

الشخصية الإسلامية

تهدف التربية الإسلامية إلى تنمية الفرد بصورة شاملة من جميع جوانب شخصيته الجسمية والعقلية والروحية والانفعالية والاجتماعية، لتكوّن منه شخصية إسلامية مميزة في إطار المفاهيم الأساسية الإسلامية. فما المقصود بالشخصية الإسلامية؟ وما مكوناتها؟

مفهوم الشخصية الإسلامية

لقد تعدد تعريف العلماء لمفهوم الشخصية، فمنهم من يُعرّفها بأنها التنظيم العقلي للإنسان عند مرحلة معينة من مراحل نموه. ومنهم من يعرّفها بأنها مجموعة الاستعدادات التي تقوم عليها عادات الفرد. ويعرّفها آخرون بأنها ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبياً، التي تعدّ مميّزاً خاصاً للفرد، ويتحدد بمقتضاها أسلوبه الخاص في التكيف مع البيئة المادية والاجتماعية.

مما سبق يظهر أن بعض التعريفات ركزت على الجانب العقلي في الشخصية، وبعضها ركز على الجوانب النفسية والاستعدادات، وبعضها ركز على الجوانب التي تتكون منها الشخصية، كالجوانب النفسية والعقلية والجسمية.

ومن هذه التعريفات لمفهوم الشخصية، يمكن أن نحدد المقصود بالشخصية الإسلامية بأنها: مجموعة السمات التي تطبع بها التربية الإسلامية الفرد المسلم في شتى مجالاته العقلية والجسمية والانفعالية والروحية والاجتماعية، بناء على المرتكزات العقدية المنبثقة من الدين الإسلامي.

مكونات الشخصية الإسلامية

يتبين لك أن مكونات الشخصية هي: الفكر والمشاعر والسلوك، وهي التي تحدد هويتها وسلوكها وطريقة تعاملها. ومن الأهمية بمكان أن نحدد عناصر كل مكون من هذه المكونات التي تميز الشخصية الإسلامية من غيرها من الشخصيات، وتحميها من التبعية لغيرها، قال عليه السلام: « لا تكونوا إمّعة تقولون إن أحسن الناس أحسناً وإن ظلموا ظلموا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»^(١). ومكونات

(١) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو.

الشخصية الإسلامية التي تُستمد من العقيدة الإسلامية، وتعمل على تحديد معالم الشخصية وسلوكها وطريقة تعاملها هي: الفكر والسلوك والمشاعر. وفيما يأتي تفصيل لهذه المكونات:

١- الفكر: إن العقيدة الإسلامية تشكل القاعدة الأساسية للشخصية الإسلامية، لأن الأصل أن كل ما يصدر عنها من قول أو فعل إنما يكون نابعاً من هذه العقيدة، فالمسلم يقيم كل أعماله وتصرفاته ومواقفه وعلاقاته على أساس الإيمان بالله تعالى، والاستجابة لأمره وحب التقرب إليه بالطاعات، والإخلاص له بالعبادات، لأن الدنيا الفانية طريق إلى الآخرة التي هي دار الخلود، ولذلك فهو يوجه كل أنشطته وسلوكه وأعماله نحو الآخرة، فتنبطج كل حياته بهذا الطابع المميز لشخصية المسلم في هدفه وأسلوب حياته.

وبهذا يتميز الفكر الذي يسهم في تكوين الشخصية الإسلامية بالعنصرين الأساسيين الآتيين:

أ - العقيدة: فالعقيدة الإسلامية تسهم مساهمة فاعلة في بناء الشخصية الإسلامية، لأنها تكون الأساس لتصور الإنسان للمواقف والسلوك وفهم العلاقات، ومنطلقاً للتقييم وإصدار الأحكام.
ب - طريقة التفكير: إذ إن طريقة التفكير هي المنهج والأسلوب التي يمارس بها المسلم أنشطته، ويوجه جهوده، وبالطريقة العقلية في التفكير يصل الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى، ويدرك وجود القيم الروحية والأخلاقية التي تعمل على تحرير الإنسان من سيطرة الحياة المادية.

٢- السلوك: ومن أهم مكونات الشخصية الإسلامية التي تميزها عن غيرها، السلوك المنبثق عن العقيدة الإسلامية والمنسجم معها، إذ إن الشخصية الإسلامية تملك مقياساً واضحاً وثابتاً للسلوك المقبول أو المرفوض، فما كان متفقاً مع مبادئ الدين فهو المقبول، وما كان غير متفق مع مبادئ الدين فهو المرفوض، قال ﷺ: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا»^(١).

فالمسلم الملتزم لا يسلك سلوكاً عشوائياً غير موزون، بل يضع كل قول أو فعل أو موقف أمام أحكام الشريعة قبل أن يقدم عليه، فإن وجده عملاً فيه مرضاة الله تعالى، متسقاً مع منهج الإسلام، أجاز لنفسه الإقدام عليه والشروع في تنفيذه، وإن وجده شاذاً متعارضاً مع هذا المنهج، بعيداً عن رضى الله تعالى غير متطابق مع مبادئ الإسلام ابتعد عنه وأعلن رفضه له.

وهذا يتطلب أن يتوفر في الشخصية الإسلامية، إرادة قوية قادرة على الاختيار متمكنة من القبول أو الرفض، وفق مقاييس الإسلام وأحكامه الواضحة، وبهذا يسير المسلم الملتزم وفق منهج الله تعالى، فيتمثل أحكام الإسلام وأدابه في القول والعمل حيث يقول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم»^(٢).

(١) رواد مسلم، كتاب الفضائل باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم.

(٢) رواد البخاري كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

استمتج عاملين تقوى بهما إرادة المسلم في التزامه بمنهج الله تعالى .

٣- المشاعر: وتتصل المشاعر بالجوانب النفسية التي تظهر في انفعالات الإنسان من حيث: حبه وكرهه، رضاه وسخطه، طمأنينته واضطرابه، قبوله ورفضه، إلى غير ذلك من الانفعالات التي تترجم في واقع الحياة إلى اتجاهات توجهها قيم الإسلام ومبادئه . وتتميز هذه المشاعر الإسلامية بأنها نبيلة تتسم بالنقاء والسلامة من الانحراف والميل والعدوان، وتنشق من فكرة الإيمان بالله تعالى وتوحيده .

فالمسلم يرتبط بالله تعالى، وبالناس، وبالعالم من حوله على أساس واضح، وحسب مقياس ثابت، قال الله

تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

فهو يحب الله تعالى، ويبنى على أساس هذا الحب كل عواطفه وميوله النفسية من الحب والكراهية . فيحب الخير والجمال، ويحب الناس والأشياء التي يرتبط بها، وتتفاعل أحاسيسه ومشاعره معها، ويكره الظلم ويعطف على المظلوم، وكذلك يشارك بإحساسه الوجداني الإنسان المتألم، ويشاطر الآخرين الفرح والسرور، فيتألم إذا رأى جائعاً أو مريضاً أو إنساناً أُلْمِت به محنة، ويسر إذا رأى السرور يملأ قلوب الآخرين، ويفرح إذا رأى غيره يعمل الخير ويتمتع بالنعم، ويمتلىء قلبه سروراً إذا شاهد شيئاً جميلاً . قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٢) . ويحزن إذا رأى منكراً أو معصية أو كفراً بواحاً، ويسر إذا رأى معروفاً وخيراً، لأن في هذه المواقف حباً لما يحبه الله تعالى وكرهاً لما يكره . قال الله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٣)

لذا فالمسلم الملتزم يتعامل مع كل شيء يسمعه أو يشاهده أو يحسه بعاطفة إسلامية تقوم على أساس العلاقة بالله، فهو يحب أو يكره الله تعالى، ويقترّب من الآخرين، أو يبتعد عنهم بحسب علاقتهم بالله تعالى، لذلك فإن المشاعر الإسلامية تتميز بأنها مشاعر إنسانية نبيلة تقوم على أساس العقيدة والاستقامة عليها والانفعال المتزن من خلالها . قال الله تعالى:

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْأَعْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٤)

(١) سورة التوبة، الآية (٢٤) .

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

(٣) سورة البقرة، الآية (١٦٥) .

(٤) سورة الحجرات، الآية (٧) .

الأسئلة

- ١- بَيِّن مفهوم الشخصية الإسلامية.
- ٢- يُعَد الفكر أحد مكونات الشخصية الإسلامية، وضح ذلك.
- ٣- استنتج أهم ما تتميز به الشخصية الإسلامية في مجال السلوك.
- ٤- تتطلب الشخصية الإسلامية قوة الإرادة. وضح أهمية ذلك في مجال السلوك من حيث:
عناصر قوتها، عوامل ضعفها، أثرها في الالتزام.
- ٥- استنتج أهم ما يميز المشاعر الإسلامية في الشخصية الإسلامية.
- ٦- قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

استنتج مبدئين إسلاميين من الآية الكريمة السابقة تنضبط بهما المشاعر الإسلامية.

من خصائص الشخصية الإسلامية (ارتباطها بالعبودية وتوازنها)

إن المبادئ الإسلامية بمفاهيمها الأساسية العقيدية والفكرية، ومنهاجها التربوية، تصنع شخصية متميزة، لها سماتها، وتوجهاتها، وأهدافها الخاصة، التي تميزها بوضوح تام عن غيرها من الشخصيات الأخرى ومن أهم ما تتميز به الشخصية الإسلامية أنها مرتبطة بالله عز وجل ومتوازنة، فما المقصود بارتباطها بالله تعالى؟ وكيف تحافظ على هذه السمة؟ وما المقصود بتوازنها وما أثر ذلك فيها؟

ارتباط الشخصية الإسلامية بالعبودية الإسلامية

إن الشخصية الإسلامية تنطلق من عقيدة ربانية، موحى بها من عند الله تعالى، لا يخالطها شيء من وضع البشر، فلم ينشئها العقل البشري، بل إنه يتلقاها ويدركها وتدعوه إلى التفكير والنظر والتأمل، وهي تستمد تصوراتها عن الحياة والكون والإنسان والحياة، من العقيدة الإسلامية، وتبناها لتكوّن فكرة يقينية شاملة عن الكون والإنسان والحياة، وليجيب عن كل التساؤلات التي يطرحها العقل البشري عن حقيقة الكون، من خلقه؟ وما غايته؟ وعن بدء الحياة ونهايتها.

ولما كانت الشخصية الإسلامية مرتبطة بالله تعالى، فإنها تحرص على إرضاء الله عز وجل والحصول على ثوابه وأجره في الحياتين الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) لذلك استخلف الله تعالى الإنسان في الأرض، ليقوم بواجب العبودية فيها، وارتبطت أعماله بما جاء به الإسلام من أحكامه، وقامت سلوكياته على أساس هذه الأحكام والاعتقادات، فتميز الإنسان المسلم بصفات وسلوكيات لم تتوفر في غيره. قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۗ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ لِرَبِّهِمْ مَجْدًا وَرِئَاسًا ۗ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۗ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۗ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۗ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۗ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۗ ﴾^(٢)

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٢) سورة الفرقان، الآيات (٦٣-٦٨).

ويمكن للشخصية الإسلامية أن تحافظ على ارتباطها بالعقيدة الإسلامية من خلال:

- ١- فهم الإسلام والتفقه بالدين: ويكون بمعرفة الإسلام معرفة حقيقية، وذلك بأن ترجع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لتستمد منهما أحكامها وتعاليمها ومبادئها، خاصة أن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة هما أهم مصادر التشريع الإسلامي.
- ٢- إحكام الصلة بالله تعالى، ويكون ذلك بعبادة الله - عز وجل - وطاعته، والابتعاد عن معصيته ومخالفة أمره.
- ٣- توثيق الصلة بالمؤمنين، بأن يحب المسلم أخاه المسلم، ويقدم له المساعدة التي يحتاج إليها ويؤدي له حقوقه. قال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١) وقال ﷺ: «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»^(٢).

توازن الشخصية الإسلامية

ومن مظاهر توازن الشخصية الإسلامية:

- ١- أنها متزنة ولا يطغى على مواقفها الانفعال، ولا يسيطر عليها التفكير المادي ولا الانحراف الفكري، كما أنه لا يطغى جانب من جوانبها على بقية الجوانب.
- ومن أبرز مظاهر التوازن في الشخصية أن الله - عز وجل - خلق الإنسان من ثلاثة مكونات مهمة هي: العقل والجسم والروح. ولكل مكون منها حاجاته ومتطلباته. فكان التوازن في إشباع تلك الحاجات والمتطلبات، فقد لبث الحاجات الفطرية، ونظمت غرائز الإنسان وميوله.
- ٢- كما أنها وازنت بين القيم الروحية والقيم المادية، فكان الإنسان المسلم يطلب الدنيا ويسعى للآخرة، يستمتع بنعم الدنيا المشروعة، ويستعد للجزاء في اليوم الآخر. فلا يفصل بين الدنيا والآخرة، بل يربط بين أبعادهما معاً، قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٣)

- ٣- الشخصية الإسلامية تشبع كل جانب من جوانب الحياة، وتعطي كل شيء حقه، لا تفرط في شيء ولا تتعدى الحد المعقول في استعمال أو إشباع أي جانب فيها، فإذا أحب الإنسان المسلم أحب معتدلاً، وإذا أبغض أو غضب، كان بغضه وغضبه باتزان واعتدال، وإذا أكل أو شرب أو أنفق أو زهد أو تكلم كان معتدلاً. قال الله تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤)

- وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٥)

(١) رواه البخاري، كتاب الايمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(٢) رواه الدار قطني في سننه.

(٣) سورة القصص الآية (٧٧).

(٤) سورة الاعراف الآية (٣١).

(٥) سورة الفرقان الآية (٦٧).

٤- عدم المغالاة والمبالغة فإذا عبد الإنسان المسلم ربه فإنه يعبد به بقدر استطاعته من غير تقصير أو تشدد، قال ﷺ: «ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا»^(١) وقال ﷺ: «أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٢).
 ونتيجة لذلك كان الإنسان المسلم في المجتمع الإسلامي، إنساناً صالحاً معتدلاً في سلوكه وتطلعاته وعبادته ومشاعره وانفعالاته، فحفظ بذلك المجتمع من الغلو والصراع والتصادم والاختلال.

نشاط

استنتج فائدة أخرى لتوازن الشخصية الإسلامية.

الأسئلة

- ١- وضح المقصود بارتباط الشخصية الإسلامية بالعمق الإسلامية.
- ٢- استنتج أهم الصفات التي تميزت بها الشخصية الإسلامية نتيجة كونها مرتبطة بالعمق الإسلامية.
- ٣- بين كيف تحافظ الشخصية الإسلامية على ارتباطها بالعمق الإسلامية.
- ٤- ما المقصود بتوازن الشخصية الإسلامية؟
- ٥- وضح مظاهر توازن الشخصية الإسلامية.
- ٦- استنتج ثلاث فوائد تعود على الفرد أو المجتمع نتيجة توازن الشخصية الإسلامية.

(١) روم مسلم كتاب صفات المنافقين باب لن يدخل أحد الجنة بعماله

(٢) روم مسلم في كتاب التكاح باب استحباب التكاح .

من خصائص الشخصية الإسلامية (الإيجابية)

الدرس الثالث

عرفت في الدرس السابق بعض خصائص الشخصية الإسلامية، فقد بيَّنا معنى ارتباط الشخصية الإسلامية بالعبقيدة الإسلامية، وكيف تحافظ على ذلك، وتناولنا أيضاً التوازن في الشخصية وبعض مظاهره . وفي هذا الدرس سنتناول خاصيةً أخرى من خصائص الشخصية الإسلامية وهي الإيجابية، فما معنى إيجابية الشخصية الإسلامية؟ وما أهم مظاهرها؟

مفهوم إيجابية الشخصية الإسلامية

معنى الإيجابية: التفاعل مع الأحداث والتأثير فيها وتوجيهها بما فيه رضى الله تعالى ومصلحة المجتمع، وإن المسلم لا يرضى بالسلوك الانهزامي الذي يتهرب فيه من أنشطة الحياة، ويبتعد عن مواجهة الصعاب، لأن الإسلام بتعاليمه يبني في الإنسان المسلم الروح الإيجابية التي تؤهله للعطاء، وينمي فيه القدرة على الإنتاج والإبداع، ليعده إنساناً ناضجاً يستطيع أن يعيش حياته بالطريقة التي يرسمها الإسلام، إذ أن الحياة في نظره عمل وبناء وعطاء وتنافس في الخيرات، قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾^(١)

مظاهر إيجابية الشخصية الإسلامية

في ضوء المعنى السابق للإيجابية، تعد الشخصية الإسلامية إيجابية بمقارنتها بالشخصيات الأخرى، ومن المظاهر الدالة على إيجابيتها:

١- الأمن والطمأنينة في داخلها: فلا قلق ولا خوف ولا تشاؤم، لأنها آمنت بالله عز وجل، فعرفت حقيقة نفسها وعلاقتها بالخالق، فقد أجابت العقيدة الإسلامية عن كل التساؤلات والمخاوف التي واجهت الإنسان في بداية الحياة وسببت له القلق والخوف .

٢- الإقبال على الحياة وإعمار الكون: ذلك أن المسلم يعلم أن الله لم يخلقه عبثاً وإنما جعله خليفة في الأرض، قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٢)

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٨) .

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠) .

فالكون وما فيه مسخر للإنسان، ليقوم بإعمارهِ واستثمار خصائصه وخيراته، وإحساسه بأن هذا الإعمار عبادة لله، كل ذلك يدفعه لأن يُقبلَ على الحياة بهمة ونشاط، ويأخذ دوره فيها ليقوم بالخلافة في الأرض وإعمار الكون.

٣- **الجديّة في العمل:** ومن مظاهر إيجابية الشخصية الإسلامية كذلك جديتها في العمل، وتفاعلها مع أنشطة الحياة المختلفة بكل حماس ونشاط من غير تكاسل أو فتور، فيبذل المسلم كل طاقاته وجهوده وإمكاناته، متجاوزاً كل الموانع التي تقتل حماسه أو تضعف إرادته، ليبقى طاقةً حيّةً وقوةً بناءً تسهم في تجسيد مضامين الخير في واقع الحياة، وتشارك في العطاء والعمل في كل الظروف والأحوال.

٤- **تحمل المسؤولية:** ومن مظاهر إيجابية الشخصية الإسلامية تحملها المسؤولية برغبة وإقبال في أي موقع كانت، فالمسلم يتحمل المسؤولية الواقعة عليه، سواء أكان أباً أم زوجاً أو ابناً، ويتحمل مسؤوليته كذلك مهما اختلف عمله في الحياة، طبيباً أم معلماً أم محامياً أم جندياً أم غير ذلك، فيؤدي مسؤوليته على أتم وجه من غير تقصير أو تهرب، ويتحمل المسؤولية كذلك تجاه مجتمعه، بإقباله على فعل الخير ودفع الشر عنه، بكل رغبة وعزة، مقدماً جهده وماله ووقته، ومضحياً بمنافعه الشخصية في سبيل المصلحة العامة.

٥- **الصبر وعدم اليأس:** في أثناء إقبال المسلم على العمل وإعمار الكون، وتحمل مسؤوليته تجاه نفسه وتجاه الآخرين، وتطوعه بماله ووقته وجهده، قد تعترضه بعض الصعوبات والمشكلات والمعوقات، لكن الشخصية الإسلامية تواجه كل ذلك بالصبر على ما يعترضها من صعوبات ومعوقات، وثبات على تخطيها وتجاوزها، ولا تسمح لليأس والقنوط أن يدخل إلى نفسها. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١)

٦- **التوكل وعدم التواكل:** ومن مظاهر إيجابية الشخصية الإسلامية، أنها تتوكل على الله تعالى في كل الشؤون والأعمال، لأنها تؤمن بالله تعالى وتثق به، وتعتمد عليه وتفوض أمرها إليه، وتستعين في كل شأن أو عمل. قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَائِتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾^(٢) وتفهم التوكل فهماً صحيحاً فتربط بين الأسباب والنتائج، فتأخذ بالأسباب وتتوكل على الله لتحصل على النتائج، ولا تركز إلى الراحة والكسل. قال ﷺ: «اعقلها وتوكل»^(٣).

٧- **المحافظة على المصالح العامة ومصالح الآخرين:** وتظهر إيجابية الشخصية الإسلامية في حرصها على المحافظة على المصلحة العامة ومصالح الآخرين وعدم التقصير فيها، أو الاعتداء عليها أو إهمالها، ويظهر ذلك جلياً فيما يأتي:

أ - التعاون والتكافل في المسؤولية لإقامة دين الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٤)

ب - التناصح والتأزر بين المسلمين.

ج - الإخلاص وإتقان العمل.

(١) سورة البقرة، الآية (١٥٣).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (١٢).

(٣) رواه الترمذي كتاب الزهد، باب (٣٤، ٣٣).

(٤) سورة الحج، الآية (٤١).

د- التعاون مع الآخرين لإنجاز الأعمال المناطة به وإتمامها وتقديم الخدمة للآخرين، أو جلب المنافع لهم، أو دفع الضرر عنهم دونما إهمال أو تقصير.

نشاط

اذكر موقفا من حياتك كنت فيه حريصاً على مصالح الآخرين.

الأسئلة

- ١- وضح معنى إيجابية الشخصية الإسلامية.
- ٢- اذكر مظاهر إيجابية الشخصية الإسلامية.
- ٣- وضح جوانب إيجابية الشخصية الإسلامية في تحملها للمسؤولية.
- ٤- وضح جوانب الإيجابية في مظهر «التوكل وعدم التواكل».
- ٥- استنتج فائدتين للمحرص على مصالح الآخرين وشؤونهم.
- ٦- استنتج أسلوبيين آخرين للمحافظة على المصالح العامة.

الدرس الرابع

شخصية النبي ﷺ أسوة لكل المسلمين

بلغت شخصية النبي ﷺ، أعلى درجات الكمال الإنساني في جميع جوانب الحياة العقديّة والعباديّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة والسياسيّة وغيرها، فقد كان النبي ﷺ رئيس الدولة وقائد الجيوش والأب والزوج والقاضي والمربي والمعلم والعباد والزاهد والصابر والرحيم إلى آخر الصفات التي استوعبت كل جوانب الحياة، فكان النبي ﷺ بذلك الصورة الواقعيّة لتعاليم الإسلام وحقائقه، ولذا فقد فرض الله تعالى، على المسلمين على اختلاف مستوياتهم، وتعدد مواقف حياتهم أن يكون الرسول ﷺ قدوتهم، ومثلهم الأعلى في جميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم. قال الله تعالى:

﴿ أَفَدَكَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١)

الحاجة إلى القدوة

الناس بطبيعتهم يحتاجون في حياتهم إلى مثل أعلى يكون لهم القدوة الحسنّة التي تنير طريقهم، وتوقظ ضمائرهم، وتعينهم على التزام الفضائل، وتغرس في نفوسهم أفضل الصفات، ولذلك وجدنا القرآن الكريم يوجب على المسلمين الاقتداء بالرسول ﷺ، الذي جاءت شخصيته شاملة لجوانب الحياة الإنسانيّة على اختلافها وتنوعها، حتى يستقيم أمرهم، ويكونوا خير أمة أخرجت للناس.

جوانب من شخصية الرسول (ﷺ)

إن شخصية الرسول ﷺ المتعددة الجوانب تجعل الإحاطة بها أمراً شاقاً، ولذلك فالحديث في هذا الدرس سيكون عن بعض نماذج شخصيته الدالة على عظّمته، ومنها:

١- الأخلاق الحميدة: التي تعد أبرز سمة في شخصية الرسول ﷺ فقد جمع محاسن الأخلاق، وكريم الخصال،

وخصه الله تعالى بالثناء، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢)

ووصفت السيدة عائشة - رضي الله عنها - خلق النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» (٣) ومن الأخلاق

التي اتصف بها النبي ﷺ الصبر، والرحمة والحلم والتواضع وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- الصبر: تعددت نماذج صبر النبي ﷺ فقد صبر على التعذيب، والتجويع، والاتهامات الباطلة بالجنون

(١) سورة الأحزاب الآية (٢١).

(٢) سورة القلم الآية (٤).

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده ١٦٤.٩١/٦.٥

والكذب والسحر، ليلبغ دعوة الله، تعالى، إلى الناس، وصبر في مواطن القتال، وأبرز المواقف في ذلك صبره يوم غزوة أحد، حين هُزِمَ المسلمون ولم يبق منهم إلا فئة قليلة، وظل النبي ﷺ صابراً يدير المعركة، متحملاً ما أصابه من أذى، من كسر أنفه ورباعيته، وشج وجهه، ولم يشنه كل ذلك عن البقاء في المعركة حتى توقفت قريش عن قتاله. وفي يوم الخندق لما حوصرت المدينة، وتآلبت الأحزاب على المسلمين، وصاروا في وضع شاق صوره القرآن الكريم، فقال الله تعالى:

﴿ إِذْ جَاءَ وَكُرْمٍ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠١﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلِيلًا شَدِيدًا ﴿١٠٢﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (١)

في مثل هذا الموقف العصيب لم يفقد النبي ﷺ صبره، بل كان يبث الأمل في النفوس، ويشد العزائم، ويرفع المعنويات، ويبشر أصحابه بنصر الله تعالى.

ب- الرحمة: والنبي ﷺ مع ما اتصف به من الشجاعة والقوة والصبر، اتصف بالرحمة، فلم تطف تلك الصفات على صفة الرحمة، فقد كان ﷺ - وهو يدعو قومه إلى الإسلام - يُؤذَى وَيُضْرَبُ فيقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (٢) ويوم فتح مكة المكرمة عفا عن أهلها رحمة بهم وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (٣). ومن صور الرحمة كذلك رحمته ﷺ بالأطفال وأمهاتهم، فقد روي عنه ﷺ قوله «إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه» (٤) إنها رحمة النبوة التي تفيض حتى تعم الناس، دون أن تطف على الصفات الأخرى.

ج- الحلم: كان النبي ﷺ حليماً لا يغضب إلا للحق، فإذا ما انتهكت حرمان الله تعالى غضب حتى يهدم الباطل، وفيما عدا ذلك هو أحلم الناس، فقد روي أن النبي ﷺ، بينما كان يقسم قسماً أثاره رجل من بني تميم، فقال يا رسول الله: اعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ويلك من يعدل إن لم أعدل، لقد خبت وخسرت، إذا لم أعدل فمن يعدل إذن؟» فقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: «يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه»، فقال رسول الله ﷺ: «دعه».

د- التواضع: وهذه الصفة للنبي ﷺ لا تجد لها مثيلاً على مر الأجيال، فقد كانت أعماله تصدر طبيعياً لا تصنع فيها ولا تكلف، فقد كان مرة في سفر مع صحبه فأرادوا أن يهيئوا لهم طعاماً فقسّموا العمل بينهم، فأرادوا أن يكفوه عن ذلك فأبى لأن الله، تعالى، يبغض الرجل المتعالي على رفاقه. وقال لرجل وقف أمامه: «هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة» (٥) ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يبدأ الناس بالسلام، وأذا أقبل جلس حيث ينتهي به المجلس، وإذا صافحه أحد لم يسحب يده حتى يكون المصافح هو الذي يسحبها.

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (١١٠، ١١٠).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على اليبلاء.

(٣) عبد السلام هارون، مختصر سيرة ابن هشام، ص (٢٣٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب بدأ الأذان.

(٥) رواه ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب القديد.

نشاط

اذكر سلوكاً ترفض أن تسلكه لخلوه من التواضع .

٢- القيادة العسكرية: كان النبي ﷺ قائداً عسكرياً فذاً، وسيرته العسكرية تثبت ذلك، فهو يتحكم في أعصابه في أحلك المواقف، ويتحمل قراراته الحازمة في أخطر الظروف، ويتمسك بأسباب النصر، ويطبق مبادئ الحرب المعروفة في معاركه. وقد كانت هذه العوامل وغيرها سبباً في تفوقه ﷺ على أعدائه في ميدان المعارك. تقول المصادر العسكرية الحديثة عن ميزات القائد الناجح: «ينحصر أهم واجب للقائد في إصدار القرارات، وكي تكون قراراته صحيحة لا تكفيه الشجاعة الشخصية، ولا الإرادة القوية الثابتة، ولا تحمل المسؤولية بلا تردد، بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفاً وقوفاً تماماً على مبادئ الحرب، وقادراً على إبداء الحكم السريع الواضح... لا تأخذه نشوة الفوز، ولا تثبط عزيمته كارثة الخيبة، وأن يكون سابراً غوراً الطبع البشري».

إن هذه الصفات هي بعض ما اتصف به الرسول ﷺ. وعليه فهو القائد المتميز الذي لا مثيل له وهو الشخصية المحنكة الحكيمة التي تمتاز ببعده النظر والحصافة والقرارات الصائبة.

نشاط

اذكر موقفاً عسكرياً للرسول ﷺ يدل على ثباته في المعركة.

الأسئلة

- ١- بلغت شخصية النبي ﷺ أعلى درجات الكمال الإنساني، بين ذلك.
- ٢- لماذا يحتاج الناس الى القدوة؟
- ٣- من الأخلاق التي اتصف بها النبي ﷺ خلقا الصبر والرحمة، وضح ذلك.
- ٤- امتاز النبي ﷺ بكونه قائداً عسكرياً فذاً. بين ذلك.
- ٥- هات موقفاً يدل على تواضع الرسول ﷺ.

الدروس الخامس

مواقف عسكرية من شخصية النبي ﷺ فتح مكة (دخولها سلماً)

امتاز النبي ﷺ بأنه قائد عسكري لا مثيل له، وتشهد له مواقفه الجهادية في غزواته التي خاضها مع الأعداء أنه كان يتخذ أسباب النصر قبل الإقدام على قتال أعدائه، فيحسن التخطيط، ويعد العدة، ويجمع المعلومات التي تعينه على وضع التصور المسبق للمعركة لتحقيق أهدافه، وغير ذلك من مزايا القائد الناجح. ومن مواقفه الجهادية الدالة على ذلك فتح مكة، فكيف تم للنبي ﷺ فتح مكة؟ وما أهم مواقفه؟

حسن التخطيط

إن التخطيط الدقيق السابق لأي عمل غالباً ما يحقق النتائج المرجوة، لذلك كان النبي ﷺ يخطط لكل غزوة يحارب الأعداء فيها بوضع التصورات المسبقة لما يمكن أن يحدث فيها، وجمع المعلومات المتعلقة بالأعداء، واستخدام الطرق العسكرية المناسبة لتحقيق النصر. وفي فتح مكة، أراد النبي ﷺ دخول مكة سلماً دون سفك دماء، فأمر الصحابة بالتجهز للمقتال دون أن يخبرهم في بادئ الأمر عن وجهته، فقد حرص ﷺ على كتمان الجهة التي يريد التحرك إليها ليصل إلى الهدف المنشود، وهو دخول مكة دون قتل، وللمحافظة على سرية الهدف قام النبي ﷺ بإجراءات عدة منها:

- أ - إقفال جميع الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة، والمؤدية إلى الجنوب، ومنع السفر كلياً، فقد أمر النبي ﷺ الحرس بمنع الناس من السفر.
- ب - إرسال سرية عسكرية ناحية «نجد» لإيهام الناس أن الحشد الذي يجري في المدينة المنورة مقصده منطقة «نجد» وليس مكة المكرمة.
- ج - سلوكه طريقاً غير الطرق المعتادة إلى مكة المكرمة.

نشاط

استنتج فائدة واحدة لخطة الكتمان التي انتهجها الرسول ﷺ في فتح مكة المكرمة.

الإعداد المادي والتعبئة المعنوية

إن الإعداد المادي والتعبئة المعنوية من العوامل الرئيسة للنجاح والنصر، ولقد دعا القرآن الكريم المؤمنين لذلك، فقد قال الله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ أَيْدِيهِمْ وَرِجْلَيْهِمْ بِعَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ ﴾ (١)

وقد طبق الرسول ﷺ هذا الأمر بصورة متكاملة، فقد جهز الجيش بعدد لم تعهده الجزيرة العربية من قبل، إذ شمل الأنصار والمهاجرين ومسلمي القبائل العربية التي تسكن على الطريق إلى مكة، وبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، ومع كثرة الجيش إلا أن حركته كانت سرية وسريعة، فلم تعرف قريش عنه شيئاً. حتى داهمها في عقر دارها. وقد صاحب هذا الإعداد المادي الجيد، المعنويات العالية للجنود، لوجود الرسول ﷺ معهم قائداً للجيش، إضافةً للثقة المتبادلة بين القائد وأفراد جيشه.

دخول مكة المكرمة سلماً

حرص النبي ﷺ على دخول مكة المكرمة سلماً حفاظاً على حرمتها أن تراق فيها الدماء، واتخذ عدداً من الإجراءات الكفيلة بذلك منها:

أ - أمر النبي ﷺ أصحابه بالتجهيز للمقاتل دون أن يعلمهم عن وجهته، حتى لا تعلم قريش بذلك، فيحدث قتال بينهم.

ب - سلك طريقاً غير الطريق المعتاد إلى مكة المكرمة.

ج - أمر جيش المسلمين بإيقاد النار حتى ترى قريش ضخامة الجيش دون أن تعرف هويته، فيؤثر ذلك في معنوياتها وتستسلم للمسلمين دون قتال.

د - أوصى العباس بن عبد المطلب احتجاجاً أبي سفيان في مضيق الوادي، حتى يستعرض الجيش الزاحف كله فلا تبقى في نفسه أية فكرة للمقاومة، ويكون أبو سفيان نذيراً لقريش يحذرهما من مقاتلة النبي ﷺ.

هـ - أخذ الراية من سعد بن عباد لما قال: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة) ودفعها إلى ابنه قيس لأنه أهدأ أعصاباً من أبيه، وأكثر سيطرة على نفسه حتى يحول بين سعد والقتال.

و - أمر قادة الجيش بالدخول إلى مكة المكرمة من أربع جهات، بغية تفويت فرصة القتال على قريش إن أرادوا ذلك، إذ يضطرون إلى تشتيت جماعاتهم وتبديد قواهم، فتضعف لديهم أسباب المقاومة والقدرة على القتال، كما أنه أمر أصحابه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، ولم يحدث قتال إلا من جهة خالد بن الوليد - رضي الله عنه - الذي فرقهم فتركوا مواقعهم.

ز - أصدر العفو العام عن قريش وقال لهم: «أذهبوا فأنتم الطلقاء».

(١) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

هيئة النبي ﷺ عند دخول مكة المكرمة

إن السيطرة على الأعصاب في حالتي النصر والهزيمة من الصفات الجيدة التي يجب توفرها في القائد المتميز فلا يغتر في حالة النصر، ولا تضعف عزيمته عند الهزيمة. وفي غزوة الفتح التي انتصر فيها المسلمون، جعل النصر النبي ﷺ يزيد في تواضعه لله، فقد دخل مكة ﷺ وقد انحنى رأسه على رحله، حتى كادت لحيته تمس واسطة رحله تواضعاً لله وشكراً، فأين هذا الموقف من مواقف الجبروت التي يبيدها القادة الذين ينتصرون في معارك أقل أهمية من فتح مكة، إنه تواضع الرسول ﷺ الذي يعد درساً عملياً لكل قائد منتصر.

الأسئلة

- ١- حسن التخطيط من مزايا شخصية القائد الناجح. فكيف ظهر ذلك في شخصية النبي ﷺ عندما فتح مكة؟
- ٢- الإعداد المادي والتعبئة المعنوية من الأسس المهمة في الحروب. وضح كيف طبق النبي ﷺ هذا المبدأ في فتح مكة؟
- ٣- حرص النبي ﷺ على دخول مكة مسلماً، اكتب ثلاثاً من الوسائل التي اتخذها النبي ﷺ لتحقيق ذلك.
- ٤- بين هيئة النبي ﷺ عند دخول مكة، وعلام يدل ذلك؟

الدرس السادس

مواقف عسكرية من شخصية النبي ﷺ (الغفو العام والخاص)

عرفت في الدرس السابق حرص النبي ﷺ على عدم إراقة الدماء عند دخوله مكة المكرمة، انطلاقاً من احترام الإسلام للنفس الإنسانية. وتأكيداً لهذا المعنى، فقد نهى الرسول ﷺ عن الاعتداء على من لم يقاتل المسلمين من النساء والأطفال والشيوخ، ونهى عن التمثيل في القتلى، وأمر المسلمين بالصفح والسماح عند الانتصار، ومعاملة المنهزمين معاملة حسنة لفتح عقولهم وقلوبهم للإسلام، وقد تمثلت هذه القيم في أعمال الرسول ﷺ بعد فتح مكة، ويظهر ذلك فيما يأتي:

الغفو العام

بعد أن أتم الله تعالى لنبيه ﷺ فتح مكة، جلس في المسجد الحرام والناس حوله ينظرون ما يفعل بمشركي قريش الذين أخرجوه من بلاده وقاتلوه، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده... يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١).

أي خالق كريم هذا، وأي إنسانية عظيمة تفيض حلماً ورحمة، إنه خلُق الرسول ﷺ الذي قال فيه الله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢)

إنها إنسانية النبي ﷺ الذي قال الله تعالى عنه:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٣)

الغفو الخاص

كانت جماعة من المشركين اقترفت جرائم منكرة في حق الرسول ﷺ وفي حق المسلمين قبل الهجرة وبعدها، ولم يراعوا حرمان المسلمين، منهم: صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وهند بنت عتبة، فماذا صنع كل واحد منهم؟ وكيف قابله النبي ﷺ بعد فتح مكة المكرمة؟

١- صفوان بن أمية: كان من أشد أعداء الإسلام، مبعوضاً للنبي ﷺ حتى أنه أرسل بعد غزوة بدر رجلاً لقتل الرسول ﷺ، وعند فتح مكة أراد الهرب من مكة خوفاً من النبي ﷺ، فكيف قابل النبي ﷺ ذلك كله؟

(١) سيرة ابن هشام، (٥٥/٤).

(٢) سورة القلم، الآية (٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

لقد جاء عمير بن وهب الجمحي إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، قد خرج هارباً منك ليقتل نفسه في البحر، فقال رسول الله: هو آمن، فقال: يا رسول الله أعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامة التي دخل بها مكة، فأدركه عمير بن وهب وهو عند البحر، فقال: يا صفوان: الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله قد جئت بك به، قال: ويحك اغرب عني ولا تكلمني، قال: أي صفوان، فذاك أبي وأمي، أفضل الناس، وأعز الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، ومملكه ملكك، قال إني أخاف على نفسي، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم، فرجع معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتني، قال: صدق، قال: فاجعل لي فيه بالخيار شهرين. قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر. أي رحمة هذه وأي حلم؟ قائد منتصر يعفو عمن أساء إليه وإلى المسلمين.

٢- عكرمة بن أبي جهل: كان معادياً للإسلام ولرسول الله ﷺ في كل المواطن والأوقات، حتى أنه حارب المسلمين يوم فتح مكة، وعندما أدرك أن لا فائدة ترجى من مقاتلة المسلمين هرب، فلحقت به زوجته وكانت مسلمة وقد أخذت له أماناً من الرسول ﷺ ولحقت به قبل أن يركب البحر، وقالت له: جئت من عند أبر الناس وخيرهم، لتهلك نفسك، وإني قد استأمنتك لك، فرجع، فلما رآه النبي ﷺ قال له: مرحباً بمن جاءنا حراً مسلماً. ثم أسلم رضي الله عنه، وطلب إلى النبي أن يستغفر له كل عداوة عاداه إياها، فاستغفر له الرسول ﷺ.

٣- هند بنت عتبة: كانت من المعادين للإسلام وللرسول ﷺ والمسلمين، حرضت وحشياً على قتل حمزة رضي الله عنه، ولما قتل حمزة بن عبد المطلب لاكت كبده ثم لفظتها، ويوم فتح مكة حرضت قريشاً على قتل أبي سفيان لما دعاهم إلى عدم محاربة المسلمين، وحرضتهم على قتال المسلمين، وبعد الفتح جاءت إلى النبي ﷺ فعفا عنها، وأعلنت إسلامها، رضي الله عنها.

وبعد، فهذه بعض أخلاق النبي ﷺ القائد المظفر، فهل يتعظ الفاتحون والمنتصرون؟

الأسئلة

- ١- احترام النفس الإنسانية من قواعد الإسلام. بين كيف حقق الرسول ﷺ ذلك.
- ٢- بين موقف النبي ﷺ من أهل مكة المكرمة بعد فتحها.
- ٣- بين موقف كل من الآتية أسماؤهم من الإسلام والمسلمين قبل إسلامهم، وكيف قابل الرسول ﷺ ذلك بعد فتح مكة؟
 - أ- صفوان بن أمية.
 - ب- عكرمة بن أبي جهل.
 - ج- هند بنت عتبة.
- ٤- علام يدل عفو النبي ﷺ عمن أساء إليه؟

نشاط

ارجع إلى أحد كتب فقه السيرة. واكتب تقريراً عما فعله الرسول ﷺ مع هبار بن الأسود.

قصة غزوة حنين

عرفت أن هوازن وثقيفاً وقبائل أخرى سمعت بما فتح الله على رسوله ﷺ، فخافت على نفسها من هذا الخطر، فقررت غزو المسلمين وتوجيه ضربة قاسية وقاضية لهم، فاجتمعت هذه القبائل تحت قيادة مالك بن عوف الأشجعي، سيد هوازن، وكان شاباً في الثلاثين من عمره، قوي الإرادة، شجاعاً، فحشدت هوازن وثقيف ومن معهم من بني سعد قواتها ومعهم النساء والأموال والأطفال.

نشاط

استنتج الحكمة من حشد النساء والأطفال وخروجهم مع هوازن وثقيف في غزوة حنين.

فلما بلغ الرسول ﷺ أن هوازن وثقيفاً قد أعدت العدة لمهاجمة المسلمين أرسل عبد الله بن أبي حذرر الأسلمي رضي الله عنه، وأمره أن يذهب إلى منطقة حشد المشركين للتأكد من صحة الأخبار، فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب الرسول الكريم، فعاد عبد الله الأسلمي فأخبر النبي ﷺ أن قبائل هوازن وثقيف أنجزت حشدها وتنوي مهاجمة المسلمين.

وفي المقابل أنجز المسلمون استعداداتهم وتحركوا إلى حنين، وسار الجيش بقيادة الرسول ﷺ، وكانت مقدمة الجيش مؤلفة من قبيلة سليم بقيادة خالد بن الوليد، رضي الله عنه، وأمامها القطعات من الفرسان، وكان القسم الأكبر مؤلفاً من القبائل الأخرى، وأمام كل قبيلة رايتها، وفيها الكتيبة الخضراء المؤلفة من المهاجرين والأنصار، بقيادة الرسول الكريم، وصل الجيش فجراً وادي حنين وقد بلغ عدده اثني عشر ألفاً، ألفان منهم ممن دخل الإسلام بعد فتح مكة المكرمة، ولم يجتمع للمسلمين مثل هذه العدد من قبل حتى قال بعضهم: «لن تغلب اليوم من قلة».

خطة المشركين

كان مالك بن عوف قد وضع خطة عسكرية محكمة لمواجهة هذا العدد الكبير من المسلمين، إذ كانت استراتيجية تتلخص في احتلال الهضاب والجبال المشرفة على وادي حنين، وتوزيع الرماة على امتداد الوادي، ووضع الخيالة في المنعطفات والشعاب والمضايق، وأعطى أوامره للجيش بأن لا يبدأ الهجوم حتى يصبح الجيش المسلم في منتصف الوادي، فالتزموا أماكنهم وتقيدوا بالأوامر بانتظار المسلمين لمباغتتهم.

استنتج عناصر القوة في هذه الخطة العسكرية.

ثبات النبي ﷺ والمؤمنين

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شِيعًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ ﴾

دخلت قوات المسلمين وادي حنين مغتررة بقوتها وعددها، فلما وصلت منتصفه، رماها المشركون بوابل من السهام والحجارة الكبيرة، وأهالوا عليهم القلاع وشدوا عليها شدة رجل واحد، فانهمزم المسلمون في بداية المعركة. إلا أن النبي ﷺ ثبت ومعه عشرة من الصحابة، من بينهم عمه العباس، فأخذ الرسول ﷺ ينادي ويقول: إلي أيها الناس، هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. وأمر عمه العباس أن ينادي: يا معشر الأنصار! يا أصحاب البيعة يوم الحديبية! وكرر العباس النداء حتى رجع كثير من الصحابة، واجتمعوا حول الرسول القائد، وهم يهتفون: لبيك فصمدوا في مواقعهم، فأنزل الله تعالى عليهم سكينته، وثبتهم بملائكته، وأيدهم بنصره، فانهمزم المشركون، وألحق المسلمون بهم الخسائر، مما أدى إلى انهيار معنوياتهم، تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين.

عناصر الثبات والقوة

الثبات في المعركة من الأمور المهمة التي لفت القرآن الكريم المسلمين إليها. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ ﴾

فالعناصر الثبات والقوة في المعركة هي:

أ - ذكر الله تعالى في ساحة المعركة: يوجه الإسلام المجاهدين إلى ذكر الله تعالى في ساحة المعركة بالإضافة إلى الإعداد المادي، فقد توجه الرسول الكريم بالدعاء إلى الله تعالى في غزوة بدر طالباً إليه تعالى النصر،

(١) سورة براءة، الآية (٢٦، ٢٥).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٤٥).

فأخذ الرسول الكريم ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد! » وأبو بكر، رضي الله عنه، يقول: « يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك وعدك ».

ب- الصبر في ميدان القتال: المعارك دوما مليئة بالصعوبات والمشاق، والقائد المحنك هو الذي يبث في نفوس أصحابه وجنوده الصبر والتحمل في المعركة، فالرسول الكريم كان خير قائد، فقد تحمل الصبر في ميدان القتال، فعلم أصحابه كيف يكون الصبر، فقد صبر ﷺ في غزوة أحد على الرغم مما أصابه من جراح وكسور، لما كسرت رباعيته اليمنى السفلى، وجرحت شفته السفلى، وشجت جبهته، ودخلت حلقتا المغفر في وجنته، ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون. ومع ذلك فقد صبر في المعركة وفي ميدان القتال.

ج- الشجاعة في المعركة: لقد تميزت شخصية الرسول الكريم بالشجاعة في كل المواقف، فعلم بذلك أصحابه أن الشجاعة من ميزات الجندي المسلم، فهو شجاع قوي مقدام لا يجبن. فقد كان الصحابة يحتمون بالرسول الكريم عندما يشتد وطيس المعركة، لأن النبي ﷺ - وهو يدرك أن التولي في المعركة من الكبائر - يتحلى بالشجاعة والصبر. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

د- الحذر واليقظة: لقد كان النبي ﷺ حذراً يقظاً وتمثل ذلك في كثير من غزواته ومنها فتح مكة المكرمة؛ إذ أخذ التدابير اللازمة لضمان سرية التحركات العسكرية نحو مكة، فدل ذلك على حذره ويقظته، وقد لفت القرآن الكريم أنظار أتباعه المسلمين إلى ذلك، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (٢)

وفي غزوة حنين، أرسل الرسول ﷺ عبد الله الأسلمي للتأكد من صحة الأخبار، حتى يعدّ العدة ويعمل الترتيبات اللازمة لمواجهة العدو. وغير ذلك من المواقف، إذ إن الجيش الحذر اليقظ يصعب على عدوه مهاجمته ومباغته.

أثر الثبات في المعركة

كانت شخصية الرسول الكريم حاسمة في تحديد النصر، فثبات الرسول ﷺ في غزوة حنين كان السبب المباشر في النصر وكسب المعركة، فالثبات في المعركة له أثر كبير في تحديد نتيجتها. وقد حث القرآن الكريم عليه ووعد الثابتين بالإثابة، وفي المقابل فقد ذم القرآن الكريم الفرار والهرب من المعركة، وتوعد فاعله بالعذاب الأليم وعده من الكبائر.

(١) سورة الأنفال، الآية (١٦، ١٥).

(٢) سورة النساء، الآية (٧١).

استنتج العوامل التي أدت إلى انتصار المسلمين في غزوة حنين، وما ترتب على كل عامل؟

الأسئلة

- ١- ما السبب المباشر لغزوة حنين؟
- ٢- ما الحكمة من إرسال عبد الله الأسلمي لقبيلتي هوازن وثقيف؟
- ٣- بين خطة مالك بن عوف في غزوة حنين.
- ٤- من عناصر الثبات: «الشجاعة». وضح ذلك من خلال شخصية الرسول الكريم ﷺ.
- ٥- وضح أثر الثبات في كسب النصر في معارك المسلمين.
- ٦- علل سبب تراجع المسلمين في بداية غزوة حنين.

كانت حياة الرسول الكريم تعبيراً صادقاً عن الإسلام الذي جاء به، فالمسلم عندما يقرأ سيرة الرسول الكريم ﷺ العملية، يجد في جوانب حياته الكريمة الكثير من المواقف التي يجب أن نقتدي بها، لأنها وحي يجب اتباعه. قال تعالى:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ (١)

وقد أثنى الله تعالى على خلق النبي ﷺ في القرآن الكريم، فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢)

قالت عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي ﷺ: «كان خلقه القرآن» (٣). وفي هذا الدرس سنتناول مفهوم الحلم ومواقف من حمله ﷺ، وأثر حمله في تكوين الشخصية الإسلامية.

نشاط

ماذا تستنتج من قول عائشة، رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»؟

الحلم

كثيراً ما تسمع كلمة «الحلم» أو يتناهى إلى سمعك أن شخصاً ما حلیم، أو تقرأ وصف الله تعالى لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴾ (٤)

فما المقصود بالحلم؟ وكيف طبق الرسول الكريم الحلم؟ وما أثر ذلك في شخصية المسلم؟
الحلم: هو الأناة والتثبت في الأمر، وما يلزم لذلك من ضبط للنفس عند الغضب، وكظم للغيط وعفو عن المسيء.

(١) سورة النجم، الآيتان (٤،٣).

(٢) سورة القلم، الآية (٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده، (١٦٣، ٩١/٦).

(٤) سورة هود، الآية (٧٥).

فالحليم لا يستفزه الغضب إذا واجه ما يغضبه، ولا يتسرع بالعقوبة، بل يكون قوي النفس، ضابطاً لمشاعره وأحاسيسه، متحكماً في إرادته وتصرفاته، وحكمه، قال تعالى :

﴿ وَالْكٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَٰفِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ (١) ﴾

وقال عليه السلام: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٢).

والحلم له مواضعه، إذا كان الأمر متعلقاً بشخص الإنسان، ولكن إذا كان الأمر يتعلق بحرمة من حرمت الله تعالى فلا بد من الغضب لله تعالى.

مواقف من حلمه ﷺ: لقد ضرب رسول الله ﷺ أمثلة عظيمة في الحلم منها:

١- حلمه مع البدوي: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله: مه، مه فقال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه دعوه» قال أنس: فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله دعاه، فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن»، قال أنس: «وأمر رجلاً القوم فجاء بدلو من ماء فصبه عليه»^(٣). ويتضح لنا من هذا الحديث مدى حكمة الرسول الكريم التربوية بتوجيه الأعرابي وتعليمه آداب المساجد، ومدى حلمه وحسن سياسته وتصرفه، مما كان له الأثر الطيب في نفوس أصحابه وأتباعه من بعده. وعلينا أن نقتدي بخلق النبي الكريم، وأن نمارس هذا الخلق العظيم ونتصف به.

نشاط

ما أهم درس يمكن أن تتعلمه من حلمه ﷺ من الموقف السابق؟

٢- حلمه مع الأعداء: من حلم الرسول الكريم عدم دعائه على خصومه، على الرغم مما تعرض له من تعذيب، فقد شجوا وجهه وكسروا ربايته حتى سال الدم على وجهه الكريم وأدموا قدميه، فطلب أصحابه منه أن يدعو على المشركين فقال: «إني لم أبعث لعاناً، ولكنني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون»^(٤).

نشاط

استنتج الحكمة من عدم دعاء الرسول الكريم على المشركين على الرغم من وجود مثيرات الغضب.

٣- أثر حلم النبي ﷺ في تكوين الشخصية الإسلامية: إن حلم الرسول ﷺ وحسن تصرفه وكظم غيظه،

(١) سورة آل عمران، الآية (١٣٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يهلك نفسه عند الغضب ويأى شيء يذهب الغضب.

(٣) رواه النسائي في سننه، كتاب الطهارة، باب ترك التوقيت في الماء.

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء.

يُعَدُّ تربية عملية للمسلمين للتحلي بهذا الخلق العظيم، وغرسه في نفوسهم والتحلي به عملياً في حياتهم العامة والخاصة، وينعكس هذا الخلق على شخصية المسلم، خاصة أن المسلم داعية، وهو معرض في أي وقت للنقد الشديد. فعليه أن يكون متزناً وكاظماً غيظه، إذ إن التحلي بهذا الخلق الكريم عبادة لله تعالى .

الأسئلة

- ١- ما المقصود بالحلم اصطلاحاً؟
- ٢- قارن بين الحلم والصبر من حيث العلاقة بينهما.
- ٣- بيّن أثر الحلم في تكوين الشخصية الإسلامية.
- ٤- هات دليلاً من القرآن الكريم، وآخر من السنة النبوية في الحث على خلق الحلم.
- ٥- بيّن الأثر الطيب الذي تركه تصرف النبي ﷺ في حمله مع البدوي في نفوس:
أ - الصحابة رضي الله عنهم.
ب - البدوي.

نشاط

اكتب موقفاً آخر من حلم الرسول الكريم ﷺ.

أشرنا فيما مضى إلى أن حياة الرسول ﷺ كانت كلها نماذج أخلاقية متميزة، فهو القدوة للمسلمين جميعاً. ومن هذه النماذج خلق التواضع، فما حقيقة التواضع؟ وكيف كان اتصاف الرسول الكريم به؟ وما أثر هذا الخلق في بناء شخصية المسلم؟

مفهوم التواضع

التواضع: تذلل النفس البشرية لله تعالى وبعدها عن الكبر والغرور والتعالي على الناس، لقوة إيمانها بالله، وشعورها بجلال عظمته، إذ التواضع هو ثمرة المعرفة بالله وبالنفس الإنسانية فلا يمكن أن يتكبر إنسان عرف ربه وعرف قدر نفسه. ومن مظاهر التواضع: ألا يترفع غني على فقير، ولا كبير على صغير، ولا صاحب جاه على أحد من الناس. قال ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد»^(١) وإذا كان التواضع للناس جميعاً، فهو للمؤمنين أولى من غيرهم لتوثيق روابط الأخوة بينهم، فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بأن يخفض جناحه للمؤمنين. قال تعالى:

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)

ومن أفضل مظاهر التواضع: خضوع المسلم لله تعالى في السجود، ليعلم عن كمال العبودية له، فمن تواضع لله رفعه، ومن تواضع لعباد الله وضع له القبول فيهم. فالتواضع يحقق المساواة والإيثار والسماحة والمشاركة في المشاعر بين أفراد المجتمع الواحد. وفي المقابل فإن الكبر نقيض التواضع، لأنه يزين للمتكبر أنه أعظم قدراً وأجل شأنًا من سواه، وقد ذم القرآن الكريم رذيلة الكبر، فقال تعالى:

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾^(٣)

وقال تعالى:

﴿ سَاءَ صَرْفُ عَنَّا آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٤)

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار.

(٢) سورة الشعراء، الآية (٢١٥).

(٣) سورة غافر، الآية (٣٥).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٤٦).

أمثلة من تواضعه ﷺ

لقد كان الرسول الكريم متواضعاً، وظهر تواضعه في تعامله مع الناس، فكان القدوة والأسوة لنا التزاماً بأوامر الله تعالى، فسيرته العطرة مليئة بالمواقف التي تدل على ذلك.

لقد جسّد الرسول الكريم هذا الخلق عملياً في أثناء دخوله مكة منتصراً، إذ دخل ﷺ متواضعاً حانياً رأسه على راحته، حتى كادت لحيته تمس قتب بعيره خشوعاً وتواضعاً لله تعالى، وقد ترققت عيناه من الدمع تواضعاً وشكراً لله تعالى. وكان الداخل على جماعة المسلمين ممن لا يعرف النبي ﷺ يسأل أيكم محمد؟ وفي المقابل هناك نماذج بشرية في التاريخ تصور أفعالها أو انتصاراتها البسيطة فتحاً عظيماً، وتعالى وتتكبر على أفراد شعبها، هذا كله نتيجة ضعف إيمانها وحبها للعالم.

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يجالس الفقراء والمساكين، قال أبو سعيد الخدري: «جلست في جماعة من ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستر بعضاً من العُري، فجالس الرسول ﷺ وسطنا يعدل بنفسه فينا».

أثر تواضع النبي ﷺ في تكوين شخصية المسلم

كان لتواضع الرسول الكريم أثر واضح في تكوين شخصيات صحابته، فقد ضربوا الأمثلة في حياتهم العملية، فهذا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أمير المؤمنين اشترى لحماً فجعله في ملحفته^(١)، ف قيل له: «يُحْمَلُ عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»، فقال: «لا، أبو العيال أحق أن يَحْمَلَ».

فالمسلم الذي يتصف بخلق التواضع يكون ذا شخصية محبوبة في نفوس الناس، وأقرب إلى قلوبهم، يخفض جناحه لإخوانه هيناً ليناً سمحاً، يرفع الحواجز النفسية بينه وبين غيره تواضعاً ورحمةً لا مذلة فيها ولا مهانة، وإنما هي صدق الأخوة والحب في الله تعالى.

نشاط

اذكر أثر التواضع على حياة الفرد والجماعة.

أما مع الأعداء فإن المؤمن يكون عزيزاً، فلا تكبر ولا استعلاء في الأرض، ولكنها العزة بالعبادة، والاستعلاء على الباطل، فالمؤمنون هم الأعلون دائماً. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)

(١) الملحقة: قطعة من القماش توضع بها حاجات المسافر.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٣٩).

الأسئلة

- ١- ما مفهوم التواضع في الإسلام؟
- ٢- حث الإسلام على التواضع . هات دليلاً من القرآن الكريم يبين ذلك.
- ٣- هات مثلاً من سيرته ﷺ يدل على تواضعه.
- ٤- بيّن أثر التواضع في تكوين الشخصية الإسلامية.
- ٥- الاستعلاء في المعركة، أمام الأعداء، ليس من التكبر الذي ذمه الإسلام . وضح ذلك.

نشاط

ارجع إلى أحد كتب الحديث النبوي الشريف واستخرج حديثاً يدل على تواضع الرسول ﷺ وآخر يدل على تواضع صحابته، رضي الله عنهم.

ضرب النبي ﷺ للمسلمين مثلاً في حياته الخاصة والعامّة، فكان لنا في تعامله القدوة التي نقتدي بها، ونسير على دربها في حياتنا الاجتماعية من خلال معاملته لأهل بيته وعنايته بأسر الشهداء ومشاركة أصحابه في العمل. فكيف كان ذلك؟

معاملة الرسول ﷺ لأهل بيته

كان ﷺ القدوة في تعامله مع زوجاته، فقد أوصى بالنساء خيراً فقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خُلِقَتْ من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فأستوصوا بالنساء»^(١).

لقد عامل الرسول الكريم زوجاته بسماحة ولطف وقلب كبير، فكان ﷺ يحسن معاملتهن، يدخل السرور إلى قلوبهن بمداعبته وممازحته لهن، وكان يقوم ﷺ بخدمة أهله، وكان يخصف نعله ويحلب شاته ويخدم نفسه، وكان الرسول الكريم يحمل أطفاله ويداعبهم، قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»^(٢). فما أجدر الرجال اليوم بمثل هذه المعاملة الحسنة لأهل بيوتهم، وأن يقوموا في خدمتهم إذا وجدوا فراغاً، فيساعدون أهليهم أسوة برسول الله ﷺ.

عنايته بأسر الشهداء

إن الرسول الكريم لا يكتفي بتوجيه أصحابه توجيهاً نظرياً، بل ينقل الفكرة إلى حيز التطبيق العملي، فعندما استشهد ابن عم الرسول الكريم جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة، تروي لنا زوجة جعفر نفسها هذا الموقف، وهي تتحدث عن دخول الرسول إلى بيته وقد غسلت بنيتها ونظفتهم فتقول: فقال رسول الله ﷺ: ائمني ببني جعفر. قالت: فأتيته بهم، فتشممهم وذرفت عيناه. فقلت: ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم أصيبوا هذا اليوم. قالت: فقمتم أصيح، واجتمعت إلي النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم.

وأمام هذا الموقف المؤثر الذي قام به الرسول الكريم في العناية بأسر الشهداء، علينا نحن أن نقتدي بهذا الرسول الكريم، وأن نمارس ذلك عملياً، حتى نشعر المجاهد الذي يخرج دفاعاً عن وطنه أن زوجته وأبناءه وأهل بيته من ورائه في أمان وطمأنينة. فلا يقلق عليهم.

(١) رواه البخاري، كتاب النساء، باب رقم (١)، ومسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء.

نشاط

بين مدى اهتمام الدولة الأردنية بأسر الشهداء.

المشاركة في العمل

كان الرسول الكريم ﷺ يدعو أصحابه إلى العمل ويحثهم عليه، ثم يشاركونهم فيه، وكان يحرص أن يكون القدوة لأصحابه في كل ما يدعوهم إليه، والصور الآتية تبين لنا تطبيقاً عملياً لمشاركة النبي ﷺ لأصحابه في العمل.

١- قصة بناء المسجد النبوي: أقام الرسول الكريم ﷺ مسجده على أرض لثلاثين يتيمين اشتراها منهما: بعد أن بركت ناقته فيها، ليقيم عليها مسجده، وأمر النبي ﷺ أصحابه بإقامة المسجد عليها، وشاركهم ﷺ في العمل ورغبهم فيه مما ضاعف حماس أصحابه في العمل، فقال أحدهم: لئن قعدنا والنبي ﷺ يعمل فإن ذلك من العمل المضلل، واندفعوا يعملون في همة عالية وجد عظيم.

٢- قصة حفر الخندق: أمر الرسول ﷺ أصحابه في معركة الأحزاب بحفر خندق حول المدينة المنورة، وقد انخرط معهم ﷺ في العمل كأبي واحد منهم، فأخذ يحفر بيده ويحمل الأتربة والأحجار على عاتقه، حتى علا الغبار جسمه، فما تفرقه عن أي عامل من أصحابه، حتى أنهم إذا ما صعب عليهم شيء، جاؤوا النبي ﷺ يطلبون منه أن يساعدهم على ذلك، لما اعترضتهم صخرة في أثناء حفرهم الخندق وعجزوا عن تحطيمها، قال ﷺ: أنا نازل لها، وأخذ المعول فضربها به حتى صارت حطاماً.

نشاط

ما أهمية القدوة في إنجاز العمل وإتقانه؟

الأسئلة

- ١- ما أثر القدوة الحسنة في شخصية المسلم؟
- ٢- الزواج في الإسلام سكن وراحة للنفس، بين أثر ذلك في الزوجين والأبناء.
- ٣- حمل أثر تعامل الرسول ﷺ مع زوجاته في بناء الأسرة.
- ٤- ما العبرة المستفادة من معاملة الرسول ﷺ لأهل جعفر، رضي الله عنه؟
- ٥- ما العبرة المستفادة من قصة حفر الخندق؟

نشاط

ارجع إلى كتاب السيرة النبوية لابن هشام، واكتب تقريراً وافياً عن قصة حفر الخندق وبين فيه:

- ١- دور الرسول ﷺ في مشاركة أصحابه العمل.
- ٢- أثر تلك المشاركة في أصحابه وفي إنجاز العمل.

الوحدة الثانية

التربية الإسلامية والعقيدة

وتشتمل هذه الوحدة على:

- العقيدة الإسلامية
- أركان العقيدة الإسلامية
- من خصائص العقيدة الإسلامية (إلهية)
- من خصائص العقيدة الإسلامية (ثابتة)
- من خصائص العقيدة الإسلامية (شاملة)
- من خصائص العقيدة الإسلامية (اتفاقها مع العقل والفطرة)
- دور العقيدة الإسلامية في تربية الفرد (١)
- دور العقيدة الإسلامية في تربية الفرد (٢)
- دور العقيدة الإسلامية في بناء المجتمع
- تحقيق التوازن بين الجوانب الروحية والجوانب المادية في حياة الإنسان

مفهوم العقيدة

ميز الله تعالى الإنسان بأن جعله مخلوقاً مفكراً، وطلب منه أن يستعمل عقله بالتأمل في هذا الكون والنظر في ملكوته، وفي جميع مظاهره، بل في جميع ما خلق، إلا أن هذا التأمل لم يكن عبثاً، بل طلباً لغاية سامية، وهدف عال، هو أن يكون إيمان الإنسان يقينياً لا تقليدياً، وثابتاً لا قلقاً ومضطرباً، لينعكس ذلك على حياته راحة جسدية، واطمئناناً نفسياً، وسعادة في الدنيا، وفوزاً في الآخرة.

وقد وردت أركان العقيدة الرئيسة في قول الرسول ﷺ عندما سئل عن الإيمان:

«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

ومن الملاحظ أن هذه الأركان منها ما يقوم الدليل العقلي عليه، كالإيمان بالله تعالى وبنبوة محمد ﷺ وبالقرآن الكريم، ومنها ما لا يخضع لمقاييس عقلية بشرية، بل هي غيبية، ولا يمكن للعقل البشري إدراكها أو تصورها بشكل مباشر، وهي الإيمان بالملائكة وبقية الكتب الإلهية والرسول واليوم الآخر والقدر، ولكننا نتوصل إليها عن طريق القرآن الكريم الذي أخبرنا بها، والذي قام الدليل العقلي على أنه كلام الله تعالى المعجز، الذي تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وثبت عجزهم عن ذلك.

ويمكن أن يُحدد مفهوم العقيدة بأنها الأمور الاعتقادية والمبادئ المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، التي يجب أن يؤمن بها الإنسان إيماناً يقينياً لا يقبل الشك، ولا يتطرق إليه الاحتمال أو تؤثر فيه شبهة. وقد عرّف العلماء حقيقتها، بأنها: ما وقر في القلب ونطق به اللسان وظهر عملاً على الجوارح، كما عرّفوها بأنها التصديق العازم المطابق للمواقع عن دليل.

نشاط

في ضوء تحديد مفهوم العقيدة الإسلامية استخرج عناصر مفهوم العقيدة الإسلامية.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان.

أركان الإيمان المكوّنة لعقيدة المسلم ستة، وردت في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف. أما في القرآن الكريم، فيقول الله عز وجل:

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾

ويقول سبحانه:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿٢﴾

أما في الحديث النبوي الشريف، فيقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فأجابه عن الإيمان بقوله: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

وهذه الأركان الستة، هي الأصول العامة الأساسية التي لا بد من توافرها جميعها في قلب الإنسان بصورة جازمة ليكون مؤمناً، وهي الأصول التي بعث الله تعالى أنبياءه بها إلى الخلق، وجاءت بها الكتب الإلهية، فمن جحدتها أو آمن ببعضها دون بعض أو أولها بما يتنافى مع حقيقتها المرادة لا يُعَدُّ مؤمناً، ولا ينطبق عليه وصف الإسلام. والإيمان بهذه الأركان يجب أن يكون تفصيلاً فيما ورد مفصلاً، وإجمالاً فيما ورد مجملاً، فنؤمن مثلاً بالكتب الإلهية حسب ما وردت في القرآن الكريم، لا نزيد عليها ولا ننقص منها، إذ ذكرت في القرآن الكريم بصورة إجمالية دون تفصيل، أما القرآن الكريم فالإيمان به إجمالي وتفصيلي، ومثل ذلك الإيمان بالملائكة واليوم الآخر. فيكون الإيمان بهما إجمالياً وتفصيلاً من خلال ما ورد عنهما في الكتاب والسنة.

والإيمان بهذه الأركان، هو أساس قبول أي عمل تعبدية يقوم به الإنسان، وعدم الإيمان بها أو بأحدها لا ينفع معه القيام بأعمال تعبدية، لأنها لا تكون مقبولة عند الله عز وجل، إذا أحل صاحبها بالإيمان بأي ركن منها.

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان.

مررت بمفهوم العبادة في الإسلام في دروس سابقة، استنتج العلاقة بين العبادة والعقيدة في الإسلام.

الأسئلة

- ١- وضح مفهوم العقيدة الإسلامية.
- ٢- وضح الفرق بين العقيدة الإسلامية والعقائد غير الإسلامية.
- ٣- أي العبارات الآتية هي الصحيحة؟
 - أ - لا يمكن للعقل السليم أن يعطي تصوراً مباشراً للملائكة.
 - ب - القرآن الكريم والسنة النبوية، أعطيا تفصيلات اليوم الآخر بصورة واضحة.
 - ج - من قام بالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج، وغيرها من العبادات الكثيرة، فهو مسلم وعباداته مقبولة عند الله، مع أنه ينكر وجود الجنة والنار.
 - د - يُعدُّ مؤمناً كل من صدّق بأركان الإيمان، ولكنه يقول بأن الطواف حول البيت في الحج نوع من الوثنية.
- ٤- عدد أركان الإيمان واربط الأمور الآتية بالركن المناسب منها:

عدم وجود شريك لله تعالى، الصراط، التبليغ، الجنة والنار.
- ٥- يجب الإيمان بالقرآن الكريم جملة وتفصيلاً، بينما يجب الإيمان بالكتب الإلهية الأخرى إجمالاً فقط. اشرح هذه العبارة.

أركان العقيدة الإسلامية

الدرس الثاني

مر بك في الدرس السابق، أن أركان الإيمان ستة هي: «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» فما المقصود بهذه الأركان؟

الإيمان بالله تعالى

لا شك أن أول ما يجب على الإنسان أو يؤمن به، هو الاعتقاد بوجود الله تعالى، الخالق لكل شيء، الرازق لكل حي، المنعم على جميع العباد، وأنه رب كل شيء، المستحق بالتفرد بالعبادة، وأنه واحد لا شريك له، ولا ولد، ولا يحده زمان ولا مكان، وهو متصف بصفات الكمال، ولا تشبه صفاته صفات المخلوقات، فلا يجوز أن نقيس صفاتنا على صفاته، فإذا قلنا مثلاً: «أن صفة الرحمة البشرية التي وصفنا بها فلاناً من الناس ليست كرحمة الله تعالى التي نجدها في قوله سبحانه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

فإن رحمة الله عامة وشاملة وغير محدودة، نعم جميع العباد، بينما رحمة البشر محدودة ومقصورة على بعض الناس.

وهكذا في جميع الصفات، فقدرتة سبحانه وتعالى، ليست كقدرتنا، وعلمه ليس كعلمنا، وحياته ليست كحياتنا، ومشيتته ليست كمشيئتنا قال تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٢)

نشاط

اذكر ثلاث صفات أخرى تجب لله تعالى.

(١) سورة الحج، الآية (٦٥).

(٢) سورة الشورى، الآية (١١).

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة أن نعتقد اعتقاداً جازماً بوجود مخلوقات غير مرئية للبشر، سماها الله سبحانه وتعالى «ملائكة»، أمرنا بالإيمان بها، وحصر المعلومات عنها في النصوص الواردة في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة. والملائكة ليست أجساماً مادية تدرك بالحواس كالبشر، بل أجسام لطيفة مخلوقة من نور، لا تأكل ولا تشرب، ولا تنام، ولا تتزوج، وهي منزهة عن كل شهوة وإثم. ولها وظائف متعددة وكلها الله بها فهي مفضولة على الطاعة، لا تعصي الله، بل تنفذ ما يأمرها به، ولا تملك ضراً ولا نفعاً لأحد، ولا تتصرف في هذا الكون إلا بأمر الله تعالى، قال تعالى:

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(١)

الإيمان بالكتب الإلهية

ويعني ذلك أن نعتقد أن الله - سبحانه وتعالى - قد أرسل رسلاً لخلقهم يدعوهم إلى الإيمان به، وأنزل عليهم كتباً فيها الهدى للناس، وفيها بيان للحلال والحرام وما ينفع العباد، ومن هذه الكتب ما أعلمنا الله به، ومنها ما لم يعلمنا به، وكل واحد منها كان لأمة معينة في زمان معين، وبتشريع خاص لتلك الأمة.

أما القرآن الكريم رسالة محمد ﷺ فقد أنزله الله تعالى ليكون للناس كافة في كل زمان ومكان، وقد تكفل الله بحفظه فقال سبحانه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٢)

وقد قام الدليل العقلي على أن القرآن الكريم معجز، لم يستطع أحد أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة واحدة. ولا يزال موجوداً كما نزل يتحدى الإنس والجن، وسيبقى كذلك إلى يوم القيامة. وأما الكتب السماوية السابقة، فمصدر الإيمان بها الخبر اليقيني الذي ورد بشأنها في القرآن الكريم، ولذلك فنحن نؤمن بالتواتر والإنجيل والزبور والصحف كما ذكرها القرآن الكريم، أما تفصيلاً فلا يمكن الإيمان إلا بالقرآن الكريم لأنه جاء للناس كافة ولكل العصور والأمكنة.

الإيمان بالأنبياء والرسل

وذلك بأن نعتقد بأن الله - سبحانه وتعالى - رحمة منه بعباده، أرسل إليهم رسلاً وأنبياء يخبرونهم بأوامر الله ونواهيه وتشريعاته، وأن هؤلاء الأنبياء والرسل منهم من ذكر في القرآن الكريم، ومنهم من لم يذكر، وقد بلغ عدد الذين ذكروا منهم في القرآن الكريم (خمسة وعشرين)، ولا يُعدُّ الواحد منا مسلماً إلا إذا آمن بجميع هؤلاء الأنبياء، وإن أنكر نبوة أي واحد منهم فقد كفر ولم يعد من المسلمين.

(١) سورة التحريم، الآية (٦).

(٢) سورة الحجر، الآية (٨).

والإيمان بالأنبياء يقتضي منا أن نؤمن بأنهم أكمل الناس خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأقوالهم حجة، وأوفرهم عقلاً، وأشدهم ذكاء، وأنهم مع ذلك كلهم بشر، تجري عليهم الأعراض البشرية من أكل وشرب وموت، وتعرض للأذى والتعذيب .

كما ينبغي الإيمان بأن الأنبياء معصومون عن الكذب في تبليغ رسالاتهم، أو كتمان جزء منها، كما أنهم معصومون عن الكبائر والصغائر.

الإيمان باليوم الآخر

وذلك بأن نعتقد بأن هذه الحياة الدنيا لها نهاية، ويأتي بعدها حياة أخرى تبدأ باليوم الآخر، ونعتقد بما يجري في هذا اليوم، من بعث وحشر وسؤال وحساب وميزان وحوض وصراط وشفاعة وجنة ونار، وما في الجنة من نعيم وما في النار من أهوال .

ولا بد من أن يكون إيماننا بهذه جميعها وفق ما وضحه القرآن الكريم والسنة النبوية، فلا نتصور اليوم الآخر وما فيه حسب ما ندركه من أحوال الدنيا، وما نحسه فيها، فليست ثمار الجنة كثمار الدنيا، ولا نار الآخرة كنار الدنيا، فالأمثلة الواردة في الكتاب والسنة إنما هي لتقريب الأمور إلى الأذهان فقط، والمساعدة على تصور اليوم الآخر . ولا يجوز أن يكون العقل هو المفسر لهذه الحقائق أو الحكم فيها، لقصوره عن ذلك، لأنها من عالم الغيب الذي لا يخضع للعقل البشري ولذلك لا يجوز أن ننكر البعث أو الحشر بناء على أن الأجساد قد بليت في القبور، أو احترقت، أو أكلتها الوحوش . فكيف تعود إلى الحياة مرة ثانية؟ فالله تعالى قادر على إعادتها كما أنشأها أول مرة، يقول سبحانه:

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾^(١)

الإيمان بالقدر خيره وشره

وذلك بأن نعتقد أن كل شيء يحصل في الدنيا إنما هو بقدر الله، سواء أكان خيراً أم شراً، وأن علم الله قد سبق به وتعلقت به إرادته، وأن مشيئة العباد لا تنفذ إلا إذا شاء الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولكن هذا لا يعني أن الإنسان ليس له تعلق بإيقاع الفعل، بل إن الله خالق في الإنسان قدرة على مباشرة الفعل، وخلق لأجل ذلك الأسباب التي يترتب عليها وقوع الأفعال التي يستحق صاحبها الثواب أو العقاب، وبهذا يمكن ربط مشيئة الإنسان بمشيئة الله، إذ قدرة العبد مؤثرة في الفعل بالإعانة والإذن والتمكين من الله سبحانه.

(١) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٤) .

كيف تربط عقيدة القدر بحادث تصادم سيارتين، أدى إلى مقتل شخص نتيجة سرعة إحدى السيارتين؟

الأسئلة

١- قال الله تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^ج (١)

ما المقصود بالفساد المشار إليه في الآية الكريمة؟ وما سببه؟

٢- أي العبارات الآتية هي الصحيحة؟

أ - الملائكة والناس مخلوقات تتفق في بعض الصفات وتختلف في بعضها الآخر.

ب - الملائكة والناس مخلوقات تتفق في جميع الصفات.

ج - الملائكة والناس مخلوقات لا تتفق في أي صفة.

٣- «الإيمان بالأنبياء يقتضي منا أن نؤمن بأنهم معصومون من الكذب في تبليغ رسالتهم أو كتمانها أو خيانتها»، وضح هذا المبدأ.

٤- ضع كلمة (صح) أمام العبارة الصحيحة، وكلمة (خطأ) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

أ - تتشابه صفات الله وصفات المخلوقات، فيمكن قياس رحمة الله على ما يظهر من المخلوقات من رحمة وإنسانية.

ب - تفهم العلاقة بين مشيئة الإنسان ومشية الله بأن الله خالق في الإنسان قدرة على إيجاد الفعل، إذ يمكن للإنسان إيقاعها بالمعونة والإذن والتمكين من الله سبحانه.

٥- بين كيف يكون الإيمان بكل من الملائكة، والكتب الإلهية، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).

من خصائص العقيدة الإسلامية ١- إلهية

تمتاز العقيدة الإسلامية من غيرها من العقائد بخصائص عدة، فهي عقيدة إلهية ويظهر ذلك من خلال واقعيتها وكمالها وتأثيرها النفسي والاجتماعي ويمكن تفصيل ذلك فيما يأتي:

عقيدة إلهية

قال الله تعالى:

﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِرُمَّةٍ أَمْ تُبْرَأُ مِنْ رَبِّكَ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ (١)﴾

إن العقيدة الإسلامية بجميع أركانها وحقائقها نزلت من عند الله - سبحانه وتعالى - على نبيه محمد ﷺ بوساطة الوحي، موضحة كل ما يمكن أن يخطر ببال البشر من تساؤلات عن الله تعالى، أو عن أي أمر يتعلق بعالم الغيب من ملائكة ورسول وكتب سماوية واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وقد بلغ الرسول ﷺ ما أوحى الله تعالى به إليه كما طالب منه، فلم يزد على ما أنزل الله إليه شيئاً، ولم ينقص منه شيئاً، واقتصر دوره ﷺ على تبليغ العقيدة وبيانها، ولذلك لم يكن لأحد من البشر أن يتدخل في كلماتها أو في جزئياتها تغييراً في اللفظ أو المعنى، أو تعديلاً فيها سواء بالإضافة أو بالحذف، أو بالفهم حسب ما يراه عقل الإنسان أو هواه. قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَنِيمُ ۝ (٢)﴾

وبهذا المعنى يظهر الفرق الجوهرية بينها وبين العقائد البشرية الوضعية، ذلك أن كل ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على لسان النبي ﷺ إنما هو من الله تعالى، وليس للنبي في ذلك إلا التبليغ والبيان، أما الشرائع الوضعية فمصدرها الإنسان نفسه، المتغير بفكره وثقافته ومفاهيمه من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى آخر، ومن بيئة إلى بيئة.

نشاط

استنتج أثرين مترتبين على العقيدة الوضعية البشرية، التي يتوصل إليها الإنسان حسب عقله وهواه على اختلاف الزمان والمكان.

(١) سورة يونس، الآية (١٥).

(٢) سورة الروم، الآية (٣٠).

من آثار خصيصة الإلهية في العقيدة الإسلامية

يترتب على كون العقيدة الإسلامية إلهية أمور عدة من أهمها:

١- **ثبوتها بالدليل القطعي:** إن العقيدة الإسلامية يقينية تثبت بالدليل الذي لا يتطرق إليه الشك أو الاحتمال، بل هي بأركانها وحقائقها مستمدة من القرآن الكريم، ومن الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة المتواترة، ولو تطرق إليها الشك، لأصبحت خاضعة للفكر البشري وتساوت مع العقائد الأخرى. أو لأصبحت نسبية حسب مدى اقتناع كل إنسان بالأدلة القائمة عليها. ولهذا أجمع علماء الأمة على أن عقيدة المسلمين لا تثبت بدليل ظني بل بدليل قطعي.

٢- **واقعيته:** إن العقيدة الإسلامية واقعية، فهي ليست مجرد نظريات فكرية بعيدة عن الفهم والتصور، وهي ليست خيالية يستحيل تطبيقها، بل هي بسيطة يسهل فهمها واعتقادها وتصورها بحسب المعلومات التي أوحى بها من عند الله سبحانه وتعالى، إذ إنها جاءت ملبية لفطرة الإنسان ومجيبة بشكل شافٍ عن أسئلته المحيرة، وإذا استقرت في النفس البشرية تصبح الموجهة لها، والمسيرة لشؤون الحياة كلها بدقة ونظام، وعدل وثبات، وتظهر آثارها على الإنسان في واقعه، سلوكاً وأخلاقاً وعبادة ونظام حياة.

٣- **كمالها:** أن العقيدة الإسلامية عقيدة كاملة وخالية من النقص، لأنها من عند الله تعالى الذي يتصف بالكمال، ويتنزه عن النقص، فالله سبحانه متصف بالكمال في ذاته وصفاته وأفعاله ويتنزه عن ضده وهو النقص. ويظهر كمال هذه العقيدة فيما تقدم من إجابات شافية لكل تساؤلات الإنسان عن هذا الوجود، عن أصله ومآله، عن الإنسان ومراحل خلقه، وعن نهايته، عن الدار الآخرة وما يجري فيها، عن الجنة وأهلها، وعن النار وأهلها... الخ.

٤- **تأثيرها النفسي والاجتماعي:** حين تتمكن العقيدة الإسلامية من قلب الإنسان وعقله، تظهر بمظهر الإنسان السامي الذي يرتفع عن كل الدنيايا، وعن أسباب القلق والاضطراب، ولهذا فإننا نلاحظ أن أكثر المجتمعات سعادة وهدوءاً وأمناً، وأقلها اضطراباً ومعاناة المجتمعات التي تطبق الإسلام تطبيقاً عملياً، فإنها تربي أفرادها على الالتزام بشرع الله تعالى، والابتعاد عن أسباب القلق والاضطراب وتبعدهم عن كل ما يحل بأمتهم، وتغرس في نفوسهم معاني المحبة والألفة والعدل وغيرها من الفضائل، التي من شأنها أن تنشئ مجتمعات فاضلاً، لأن الإنسان المسلم يعتقد جازماً بأن الله تعالى يراقبه في سلوكه وتصرفاته، فينعكس ذلك إيجابياً على صفاته إخلاصاً وأمانة وأخلاقاً فاضلة، وابتعاداً عن المعاصي والمنكرات والآثام والشور.

نشاط

استنتج اثرًا آخر يترتب على كون العقيدة الإسلامية إلهية.

- ١- قارن بين العقيدة الإسلامية والعقائد الوضعية البشرية من حيث: الاستقرار، والعموم والشمول.
- ٢- بين أخطار جعل العقل البشري مصدراً للعقيدة.
- ٣- بين أهمية استناد حقائق العقيدة الإسلامية على الوحي الإلهي.
- ٤- ضع كلمة (صح) أمام العبارة الصحيحة وكلمة (خطأ) أما العبارة الخاطئة فيما يأتي:
 - أ - يؤدي مفهوم الكمال في العقيدة الإسلامية، إلى إيجاد مجتمع آمن مطمئن وسليم من الشوائب.
 - ب - يؤدي مفهوم الكمال في العقيدة الإسلامية، إلى ارتقاء الإنسان بفكره وسلوكه إلى مستوى الكمال.
 - ج - معنى اليقين في العقيدة الإسلامية أن الأدلة التي تثبت بها العقيدة الإسلامية لا يمكن أن تكون ظنية.

عرفت في الدرس السابق أن حقائق العقيدة الإسلامية موحى بها من عند الله تعالى، فكانت كاملة لا تحتاج إلى تكميل، وصائبة لا تحتاج إلى تصويب، وهي بالإضافة إلى ذلك عقيدة ثابتة، فما معنى ثبات العقيدة الإسلامية؟ وما أهمية ثباتها؟

معنى الثبات

تمتاز العقيدة الإسلامية بأنها حقائق يقينية ذات مفاهيم ثابتة لا تقبل التغيير، ولا تتغير قواعدها بتغير الأحوال والأهواء والأزمان، فهي تمثل المحور الذي تتحرك حياة الإنسان حوله. فحقيقة وجود الله - سبحانه - وصفاته ورسله، واليوم الآخر والكتب السماوية والملائكة والقدر، كلها حقائق ثابتة لا تقبل تعديلاً أو تغييراً. ويعني الثبات في أركان العقيدة الإسلامية أيضاً ما يترتب عليها من قضايا وأحكام ثابتة لا تتغير، إلا في بعض الاستثناءات العامة التي تجعل عند المسلم بعض المرونة في التطبيق، فمن العقيدة مثلاً أن لا يتألف المؤمن بأي كلام يؤدي إلى الكفر بالله تعالى، ولا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله، ولكن عندما يضطر الفرد المسلم لدفع أذى الكافر، يجد أن في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يسعفه، ففي القرآن الكريم نجد قواعد عامة في هذه القضية كقوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ (١)

وأما في السنة فواضح في قصة عمار بن ياسر رضي الله عنه حينما عذبه الكفار، وطلبوا منه أن يذكر آلهتهم بخير، وعندما فعل ذلك عاد إلى الرسول ﷺ باكياً، وشرح له ما حصل معه، فطمأنه الرسول ﷺ وقال له: «إن عادوا فعد» أي إن أجبروك على الكفر فافعل، وذلك للتخلص من أذاهم ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان.

وسبب ثبات العقيدة أنها من الله تعالى العالم بحقائقها وكلياتها وجزئياتها على مدى الزمان، ولذلك لا تحتاج إلى التغيير أو التعديل أو الزيادة، فالله تعالى الواحد لا يمكن أن يتغير في ذاته أو صفاته، وما يتعلق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر لا يخضع للتغيير والتبديل، لأن حقائقها من الله تعالى العالم بكل شيء، ولذلك جاءت حقائقها ثابتة مع جميع الأنبياء في مختلف الأزمان والعصور، ولم تتغير من نبي إلى آخر أو من زمان إلى زمان. قال تعالى:

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ

وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفَرِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢)

(١) سورة النحل، الآية (١٠٦).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٣٦).

إن هذا الثبات في حقائق العقيدة الإسلامية عامل إيجابي في حياة الإنسان، يعرف به الحق من الباطل، والخير من الشر، إذ أنها حقائق ثابتة وليست نظريات خاضعة لتصور العقل البشري، ولا واقعة تحت تجاربه المتغيرة، وهي بالتالي لا تقبل تعديلاً ولا تطويراً.

وفي نطاق حقائق الإسلام الثابتة، يستطيع الإنسان أن يتحرك ويرقى ويطور من وسائل معيشتة، ومن فضل الله تعالى على عباده أن وضع لهم منهاجاً مرناً واسعاً يتسع لجميع مظاهر النشاط الإنساني في كل زمان ومكان، فما جعله الله تعالى ثابتاً من الدين وضع له قواعد وقوانين ثابتة، وبين تفصيلاته كالعقيدة والقيم والأخلاق، وقوانين الإرث والحدود، وما جعله غير ثابت وضع له الأصول العامة والأطر الثابتة، وترك للعلماء حرية الاجتهاد في الجزئيات بما لا يتعارض مع تلك الأصول.

أهمية الثبات

لثبات العقيدة الإسلامية أهمية كبيرة تظهر آثارها في الفرد والمجتمع من أهمها:

- 1- يترتب على ثبات العقيدة الإسلامية استقرار النفس واطمئنان العقل، لأنها بحقائقها وأركانها تكون قد أجابت عن كل التساؤلات التي تدور في ذهن البشري.
- 2- يترتب على ثبات حقائق العقيدة الإسلامية تماسك المجتمع على مدى السنين. على الرغم من بعض الهزات، فقد ظلت العقيدة الإسلامية صمام أمان ضد تسرب مفاصد الشعوب الأخرى، وعلى ضوئها يقيس المسلمون كل جديد، ويعرضون ما فيه من مصلحة فإن كان خيراً أخذوه، وإن كان شراً تركوه، وإن تفكك المجتمع الإسلامي اليوم لم يبدأ إلا منذ أن ضعف تأثير العقيدة الإسلامية في نفوس أهلها، فالعقيدة هي التي حفظت للمسلمين وحدتهم وكيانهم المستقل، وحررتهم من الأفكار والتيارات الوافدة الدخيلة، ومنعت المجتمع من التقلبات السياسية والأهواء المتمكنة، والتطورات الاجتماعية المتغيرة من وقت إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، وهي بالتالي تحافظ على شخصية المسلم من الضياع، وعلى الشخصية العامة للمسلمين من الذوبان.
- 3- يحفظ ثبات حقائق العقيدة الإسلامية الأمة الإسلامية من الانحراف، فإنه يستحيل على هذه الأمة إذا تمسكت بالعقيدة الإسلامية التي لا تتغير بتغير الزمان، ولا تتأثر بتأثير الأشخاص أو الهوى أن تنحرف في مسارها أو أن يستشري الفساد أو الطغيان في كيانها، لأن هذه العقيدة تكون خير حافظ للأمة من الانحراف أو الانحلال، أو الذوبان في الأمم الأخرى.

نشاط

استنتج أثراً آخر لثبات العقيدة واكتبه في دفترك.

- ١ - بين المقصود بثبات العقيدة الإسلامية.
- ٢ - بين أسباب ثبات العقيدة الإسلامية.
- ٣ - كيف توفق بين ثبات العقيدة الإسلامية وتطور الحياة؟
- ٤ - بين جانبين من جوانب أهمية الثبات في العقيدة الإسلامية.
- ٥ - أي العبارات الآتية صحيحة:
 أ - الأصل في العقيدة الإسلامية الثبات والاستثناء طارئ عليها.
 ب - ثبات العقيدة الإسلامية لا يعني بدهة استقرار المجتمع ، ومنعه من الانهيار والذوبان في المجتمعات الأخرى.
 ج - من مفاهيم الثبات في العقيدة، أن الحقائق الغيبية ليست نظريات خاضعة لتصور العقل، ولا واقعة تحت تجاربه المتغيرة، وبالتالي فهي لا تقبل التعديل.
 د - يرتبط مفهوم الثبات في العقيدة الإسلامية بالله تعالى الذي لا يتغير في ذاته ولا في صفاته من حين إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى.

تناولنا في الدرسين السابقين خاصيتين من خصائص العقيدة الإسلامية، هي الإلهية والثبات، وستتناول في هذا الدرس خصيصة الشمول.

نعني بشمول العقيدة، أنها لم تترك أمراً يهم الإنسان في تنظيم علاقاته المتعددة، إلا وضعت له قواعد ومبادئ تصدر عنها معاملاته وأخلاقه وتصرفاته، ومن مظاهر هذا الشمول ما يلي:

١- أنها عامة للمخلوق جميعاً، مهما كان موطنهم أو جنسهم أو لغتهم، فهي لا تختص بإنسان دون آخر، أو بمجتمع دون مجتمع، كما لا يستثنى منها ما يميز قوماً دون قوم آخرين أو زماناً دون زمان، فهي عامة للبشر، ومطلوبة من البشر كلهم في كل زمان وبيئة.

٢- أنها عقيدة لا تتجزأ، ولا بد من أخذها كاملة دون انتقاص منها، أو شك في بعضها. فمن آمن بأغلبها وكفر بجزئية منها لا يعدُّ مؤمناً، ولا يقبل في جماعة المسلمين، لأنه أنكر جزءاً من عقيدة المسلمين وأخل بمفهوم الشمولية.

٣- أنها شاملة لجميع الجوانب الاعتقادية، بما ينظم علاقة الإنسان بخالقه بصورة واضحة تشمل عالم الشهادة وعالم الغيب. فهذه العقيدة عرّفت الإنسان بخالقه تعريفاً كاملاً شاملاً، فعرّفته بما يجب له وما يستحيل عليه، وأزالت الخيالات التي نسجها الإنسان عن هذا الإله، وبينت صفاته التي ينبغي للمسلم أن يؤمن بها. وإذا ما أراد الإنسان أن يتعرف أي حقيقة كونية أو غيبية، فإنه سيجد في العقيدة الإسلامية أجوبة عن جميع التساؤلات التي يتساءلها، والتصورات التي يطلبها دون اختلال في المفهوم أو اختلاف في التصور.

٤- ومن معاني الشمول أيضاً، أنها بينت ووضحت أصل الإنسان ومآله، وربطت حياته بآخرته، فنظرت العقيدة الإسلامية إلى الإنسان نظرة شملت جسده وروحه وعقله وعرفته بحقيقة نفسه تعريفاً كاملاً شاملاً، مصدره وطبيعته وخصائصه، ومركزه في الوجود وغاية وجوده، والنعم التي أنعمها الله عليه. لتذكره به دائماً، والميزات التي ميزته عن الحيوانات، وأنه مُستخلف في الأرض، عليه أن يعمرها، ويكون سيّداً فيها، وصالحاً لأن يعين على استمرارها، ولذا فإنه - لا شك - مطالب بالبحث عن أسرارها، والتفتيش عن مصادر إعمارها ليستطيع القيام بمتطلبات الخلافة فيها.

وقد بينت له العقيدة الشاملة هذا الكون الذي يعيش فيه، وطبيعته وخصائصه، وقوانين الحياة فيه، والهدف من خلقه، وحثته على الحرص على استكشاف قوانينه الثابتة والمتحولة، ليكون مصدر أمن وسعادة للإنسان، لا مصدر قلق وشقاء، بالإضافة إلى عنصر التجديد الذي طلبه الله سبحانه من البشر.

٥- أن العقيدة الإسلامية شاملة في نظرتها للوجود، فقد وضحت نظرة الإسلام إلى الكون والإنسان والحياة، فقد عرّفت العقيدة الإسلامية الإنسان بالآخرة (عالم الغيب) تعريفاً كاملاً، فبدأ كل شيء فيه حقيقة ماثلة للمعاني، ابتداءً من لحظة النزع وانتهاءً بالجنة والنار، ومروراً بالقبر وما فيه حقيقة ماثلة للمعاني، وما فيه من بلاء وفتن، ثم البعث والحشر والسؤال والحساب والميزان والكتب، والحوض والصراط ثم الجنة والنار

وقد وصف لنا رسول الله ﷺ كل هذا بوضوح شامل كامل، لا يسمح لأحد أن يحتج على الله سبحانه في الآخرة بقوله: لم أعرف ذلك، أو لم أسمع به، أو لم يوضحه الرسول ﷺ لي فقد قال تعالى:

﴿ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (١)

كما وضح القرآن والسنة النبوية العوامل المؤدية إلى الجنة أو إلى النار وضوحاً تاماً، ليس فيه عذر لمعتذر أو حجة لمحتج.

وإذا قدمت العقيدة الإسلامية للإنسان مجموعة الحقائق بصورة كاملة وشاملة، وتفسيراً جامعاً مفصلاً لا يحتاج معه إلى إضافة أي معلومات من مصدر آخر، فإنها ترفض كل عنصر غريب عليها يؤدي إلى تشويهاها أو العبث في حقائقها، ويسابها أهم خصائصها الإلهية، فهي مرتبطة بآله واحد، بتناسق بديع رائع، وترابط متقن محكم، وهذا يعطي النفس الإنسانية الراحة والطمأنينة، ويجعل الإنسان لا يتجه لغير الله سبحانه في أي أمر من الأمور، ولا يقبل أي سيطرة للمخلوقات عليه في أي جانب من جوانب معتقداته، بل لا يستقي إلا من الوحي الإلهي في القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة.

الأسئلة

- ١- وضح مفهوم شمول العقيدة الإسلامية.
- ٢- أي العبارات الآتية صحيحة:
نقصد بشمول العقيدة الإسلامية:
أ - أنها اقتصر على تعريف الإنسان، بما يجب اعتقاده فيما يتعلق بالذات الإلهية واليوم الآخر.
ب - أنها لم تترك أمراً يهم الإنسان في تكوين معتقداته عن مختلف الحقائق الدنيوية والأخروية، إلا بيّنته ووضحته توضيحاً شاملاً وكاملاً.
ج - أنها وضحت للإنسان توضيحاً شاملاً ما يجب أن يعرفه عن الحياة الدنيا فقط من أجل إعمارها واستحقاق الخلافة فيها.
- ٣- اذكر أثرين من آثار مفهوم شمول العقيدة في الإنسان.
- ٤- ضع كلمة (صح) أمام العبارة الصحيحة، وكلمة (خطأ) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:
أ - من قال: أو من بالله وبما وصف به نفسه، ولكنني لا أعتقد بحقيقة من حقائق اليوم الآخر تسمى "الميزان" فهو مؤمن.
ب - من خصائص الشمولية في العقيدة أنها بيّنت للإنسان حقائق الكون الذي جعله الله مستخلفاً فيه، وحثه على الحرص على استكشاف قوانينه لتدوم الحياة.
ج - نعني بالشمول أن العقيدة الإسلامية ركزت على جوانب الإنسان الثلاثة: الجسد والعقل والروح، وربطتها بمبادئ ثابتة وعامة في الدنيا والآخرة، تكون نتيجتها الجنة إن التزمنا بها والنار إن لم نلتزم.
٥- بيّن جوانب الشمول التي تتمثل في العقيدة الإسلامية.

(١) سورة النساء، الآية (١٦٥).

اتفاتها مع العقل

العقل البشري من أهم مكونات الكيان الإنساني، ومن أعظم النعم التي أنعمها الله على الإنسان، وبغيره يتساوى الإنسان والحيوان في الفعل، وبغيره لا تتطور الحياة ولا تتقدم الحضارة. فالعقل هو القوة المدركة للحقائق، والأداة التي تصل بالإنسان إلى مراحل متقدمة في التفكير والاختراع والإبداع في شتى العلوم، والاستفادة منها. وقد يصل العقل في استكشافه الحقائق إلى نتائج محسوسة وملموسة، غير أن بعض الحقائق لا يمكن للعقل أن يتوصل إليها، لكنه يدركها بما تركه من آثار تبدو ظاهرة وواضحة في هذا الكون، فحين نشعل النار بعود الثقاب مثلاً ندرك خاصية الاحتراق في الكبريت، رغم أننا لم نر تلك الطاقة ولا هذه الخاصية.

والعقيدة الإسلامية مجموعة حقائق هي في أغلبها حقائق غير خاضعة للحواس، ولا هي من نتاج العقل، لكن العقل بما حباه الله من قدرة على الإدراك يستطيع أن يدرك الحقيقة الكبرى، وهي وجود الله تعالى، ويفهمها عن طريق التدبر والتفكير في هذا الكون، وما فيه من صنع متقن ونظام محكم، واتساق وتناغم وتوافق عجيب، فيرى بهذا كله أن الإتقان والإحكام والاتساق في هذا الكون لا يكون صدفة، بل هو أثر لقدرة واحدة، ليس في خلقه عبث ولا خلل، فيؤمن العقل عن طريق الأثر بوجود إله عظيم، دعا الإنسان إلى استعمال عقله بالنظر والتدبر في الآيات المبهوثة في الكون، للوصول إلى اليقين بوجوده وعظمته وقدرته، فإذا وصل الإنسان إلى اليقين من هذه الحقيقة والاقتران بوجودها، سهل عليه بعد ذلك أن يجد البراهين والدلائل على صدق ما جاء على لسان النبي ﷺ، من معلومات تكون مادة العقيدة وأركانها.

قال سبحانه:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١)

ومن المؤكد أن جميع ما جاءت به الرسل من العقائد من عند الله، لا يتعارض مع العقول السليمة ولكن للعقول حداً لا تتعداه.

فالعقل البشري لا يستطيع تقديم صورة كاملة وواضحة عن عناصر العقيدة السليمة، دون اللجوء إلى الوحي الإلهي، لأن العقل يقود صاحبه في هذا المجال إلى إجابات غير واضحة، وغير شاملة أو دقيقة عن قضايا العقيدة، وبخاصة الجانب الغيبي منها. فقد يصل العقل البشري إلى ضرورة الإيمان باليوم الآخر، ولكن لا يستطيع أن يقدم تصوراً صحيحاً له ولما يجري فيه، لأنه ليس من الأمور المحسوسة التي هي مجال بحث العقل الإنساني.

(١) سورة آل عمران . الآية (١٩٠).

ولقد ضلت بعض العقول عندما حاولت أن تصل إلى الحقائق الغيبية التي أثبتتها القرآن الكريم دون الرجوع إليه، ففسرت هذه الحقائق تفسيرات خرجت بها عما هي موضوعة له، فتاهت فيها العقول، وأدى ذلك إلى عدم الاستقرار النفسي، فضلاً عن عدم الاستقرار العقلي والروحي.

نشاط

اذكر أمرين اتفق فيهما العقل مع الدين من أمور العقيدة.

اتفاقها مع الفطرة

تقوم العقيدة في أساسها على الإيمان بوجود الله، ومعرفة صفاته التي بنيت عليها بقية أركان العقيدة. والإنسان مخلوق محدود القدرات، يخاف من المجهول، ولذا فهو يسعى دائماً للبحث عما وراء هذا العالم، ويبقى قلقاً ومضطرباً إذا لم يصل إلى حقائق يقينية تُريح نفسه، وتطمئن قلبه، وترضي عقله. والمتأمل في العقيدة الإسلامية يجد أنها قد أجابت عن كل غموض يتعلق بما بعد الموت، وبينته بوضوح لا يدع بعده مجالاً لأي سؤال أو شبهة، وليس ذلك فحسب، بل إن هذه الإجابات لم تترك أثراً للمللق النفسي أو الشكوك العقلية.

وإذا كانت العقيدة قد أجابت عن كل ما يمكن أن يثور في عقل الإنسان من تساؤلات، فإن هذه الإجابة تلقاها الإنسان براحة وطمأنينة، لما فيها من موافقة لمعطيات العقل السليمة، والفطرة النقية الصافية، ولذا فقد أمرنا الله - سبحانه وتعالى - أن نقيم الدين عن هذه الفطرة بقوله:

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ومن هنا، فإن كل الحقائق التي أثبتتها العقيدة، قد تلقتها الفطرة البشرية بالقبول والإذعان، لما لمست فيها وفي الآثار المترتبة عليها من تحقيق لمصالح الإنسان في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة.

ومن فضل الله ورحمته، وهو الخبير بأحوال الناس، وما يصلح لهم في الدنيا والآخرة، أنه خلقهم وجعل في فطرتهم القابلية الكافية للإيمان به والاستسلام لتشريعاته، يقول الرسول ﷺ: « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو نصرانه أو يمجسانه » (٢).

فهذه الفطرة إذن مهياة منذ خلقها الله تعالى للإيمان به، وما يترتب على هذا الإيمان من أركان أخرى، وإذا ما انحرفت عنها قليلاً، يتغشاها القلق والاضطراب، ويسودها الشقاء والبلاء.

(١) سورة الروم، الآية (٣٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة.

من خلال إيمانك بالقدر، بين كيف يتفق مفهوم القدر مع الفطرة السليمة؟.

ومن دلائل اتفاق العقيدة مع الفطرة، أنها راعت جميع جوانب الإنسان، فلبت مطالب الجسد ونظمته، وجعلتها أساساً في حياة هائلة سعيدة مستقرة، ولبت مطالب العقل فلم تنكر عليه قدراته، بل أطلقتها للنظر في هذا الكون دون حدود لأعمارهِ واستمراريته، فجاءت الابتكارات والاختراعات والتجديدات. أما فيما يتعلق بما لا يستطيع العقل الوصول فيه إلى أحكام صحيحة، فقد أراحته من عناء البحث والنظر فيه، لأنه لا يمكن أن يصل فيه إلى يقين، وأما الروح فلم تهملها العقيدة بل لبث لها مطالبها، وأعطتها من الإمكانيات ما يتلاءم مع طبيعتها، كل ذلك في توازن شامل متناسق، فلم يطغ جانب على آخر، ولا أهمل جانباً في مقابل التركيز على جانب آخر، فالجسد والعقل والروح ينبغي أن ينظر إليها نظرة متوازنة، وإلا حصل الخلل، واختل توازن الفطرة السليمة، وبدت مظاهر القلق والاضطراب واضحة كما نرى اليوم.

الأسئلة

- ١- كيف يمكن للعقل أن يهتدي إلى معرفة الله تعالى؟.
- ٢- للإنسان جوانب ثلاثة، بين كيف وازنت العقيدة الإسلامية بينها؟.
- ٣- ضع كلمة (صح) أمام العبارة الصحيحة، وكلمة (خطأ) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:
 - أ - تتفق العقيدة مع العقل في أن كلاهما يستطيع توضيح الحقائق الغيبية توضيحاً شمولياً ثابتاً.
 - ب - من عوامل موافقة الفطرة للعقيدة، أن العقيدة اهتمت بالجانب الروحي في الإنسان أكثر من اهتمامها بالجانبين، الجسدي والعقلي.
 - ج - من أسباب انحراف الإنسان في علاقته بالله سبحانه وتعالى ونظرته إلى الحقائق الغيبية، تدخل العقل في تصور هذه الحقائق دون الرجوع إلى ما وضحته مصادر العقيدة.
 - د - من دلائل اتفاق العقيدة مع الفطرة، أنها قد أجابت عن كل التساؤلات التي يمكن إثارتها، وقد تلقت الفطرة هذه الإجابات براحة وطمأنينة.
 - هـ - العقيدة الإسلامية مجموعة حقائق أغلبيتها خاضعة للحواس، وليست من نتاج العقل.
 - و - إن كل الحقائق التي أثبتتها العقيدة تلقتها الفطرة بالقبول والإذعان، لما فيها من تحقيق لمصالح الإنسان في الحياة الدنيا، وتطمين في الحياة الآخرة.
- ٤- اذكر فائدتين من الفوائد التي تظهر على الإنسان المسلم من إيمانه العميق بالله سبحانه، مبيناً مدى توافقه مع الفطرة والعقل.

دور العقيدة الإسلامية في تربية

الفرد (١)

الدرس السابع

تقديم التصور المتكامل للكون والإنسان والحياة

أشرنا فيما مضى إلى أن شمولية العقيدة تعني أنها تقدم مفاهيم شاملة وواضحة عن الكون والإنسان والحياة، وأشرنا إلى أن الإنسان هو سيد الأرض ومستخلف فيها، ومطلوب منه أن يتعرف هذا الوجود من كون وإنسان وحياة.

أولاً: النظرة إلى الكون

من يقرأ القرآن الكريم بإنعام يجد أن الله سبحانه وتعالى جعل الكون كله كتاباً مفتوحاً، يقرأ كل إنسان منه ما يستطيع، ويستنتج كل إنسان منه عظمة الخالق وكماله، وصدق الحقائق التي وضعها الله تعالى في هذا الكون، والتي تشير إلى إتقان الصنع ودقة الأحكام وتناسق الأجزاء، وقد بين القرآن الكريم طبيعة الكون ومكوناته وخصائصه، وبيّن بعض قوانينه، والهدف من خلقه وأصل نشأته ونهايته قال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١)

وقوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾^(٢)

وعن غاية خلق الكون قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ نُجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٣)

(١) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٢) سورة الرعد، الآية (٢).

(٣) سورة النحل، الآيات (١٠-١١).

وقوله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَنُحِلُّ لِمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفْلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وعن سر الحياة في هذا الكون يقول سبحانه:

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٢﴾ ﴾

وفي هذا كله إشارة إلى أن العقيدة الإسلامية أجابت عن كل ما يخطر ببال الإنسان. وعلى هذا الفهم يمكن أن يرى الفرد المسلم تربية إسلامية عقائدية تؤدي إلى ارتباطه بخالقه، وسعيه إلى تحقيق الهدف الأسمى من الحياة، وهو عبادة الله تعالى. وتربيته على الجدية، فالكون كله أقيم على أساس العبادة، ووجد لهدف معين، وإلى أجل مسمى عند الله تعالى، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿٣﴾ ﴾

وهذا يدعو الإنسان إلى البحث عن غاية كل ظاهرة من ظواهر الكون، وأن ينأى بتفكيره عن اللهو والعبث، وأن يكون تأمله في هذا الكون تأملاً منطقياً علمياً.

وقد نبه القرآن الكريم العقل إلى مبدئين طبيعيين هما:

١- تكرار حوادث الكون حسب سنن ثابتة سننها الله تعالى، وهو سبحانه وحده يملك أن يغيرها إذا شاء، وعلى هذا المبدأ الثابت قامت جميع القوانين العلمية التي يؤدي اكتشافها إلى التقدم في الحياة والإبداع في مظاهر الحضارة الإنسانية.

٢- إن سعة هذا الكون وجميع حوادثه وظواهره، وكائناته من أصغر ذرة إلى أكبر جرم، قد خلقها الله تعالى، بقدر معلوم، لا يزيد ولا ينقص ولا يتعدى حدوده، كما لا يخترق حواجز غيره إلا بسنن ثابتة، وأدى ذلك إلى تربية العقل على الدقة ليأخذ كل شيء بمقياس معين ومقدار محدد. ومن جانب آخر نجد في ذلك تنبيهاً للإنسان على أن يستخدم كل ما سخر الله له بأمر الله تعالى، وبحدود شرعه، وأن يستثمره لخدمة الإنسانية دونما ظلم أو اعتداء، وأن يحرص على التراحم والتكافل والتعاون بين الناس.

ثانياً: النظرة إلى الإنسان

وكما أجابت العقيدة الإسلامية عن كل التساؤلات التي يمكن أن تنشأ في العقل البشري عن الكون، فقد أجابت كذلك عن كل التساؤلات التي يمكن أن تثار عن حقيقة الإنسان ونشأته وأصله والغاية من خلقه، قال تعالى:

(١) سورة النحل، الآيات (١٦-١٧).

(٢) سورة الحج، الآية (٥).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٦).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴿١٨﴾ فَلَئِنَّا لَعَلَّةٌ مُضْغَةٌ: فَلَئِنَّا لَمُضْغَةٌ عِظَامًا فَكُسُونًا الْعِظَامَ ﴿١٩﴾ لِحَمَاقٍ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١)

وعن غاية خلق الإنسان قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)

وبين القرآن الكريم علاقة الإنسان بما حوله، وأن الكون بكل ما فيه مسخر للإنسان. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِيرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٣)

كما بين الله تعالى في آيات كثيرة أنه فضل الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات، وميزه عليها، فجعله قادراً على التمييز بين الخير وبين الشر، ووهبه القدرة على التعلم والمعرفة قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (٤)

وقال تعالى:

﴿ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿١﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٢﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٥)

وهذه النظرة إلى الإنسان تربي فيه الإحساس بالمسؤولية على تحمل المهمة العظيمة التي أناطها الله به بكرامة وعزة نفس، وإخلاص في العبادة، وجد في السعي والعمل، وبهذا يعرف الإنسان قيمته في الحياة، ودوره في إعمارها، ومسؤوليته في استخلافه فيها، وبهذا أيضاً تتقدم الحياة، وتزداد المعارف وتُسخر الحياة لسعادة الإنسان وأمنه واستقراره.

ثالثاً: النظرة إلى الحياة

وقد نظرت العقيدة الإسلامية إلى الحياة بالاهتمام الذي أعطته إلى الكون والإنسان، ولكن ميزت بين الحياة الدنيا والآخرة، بأن جعلت الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ومحطة تزود بالأعمال الصالحة للحياة الآخرة، التي هي في نظر المسلم دار الجزاء والحساب، فالحياة الدنيا متاع مؤقت يستعين به الإنسان لحياة أخرى، وليس له أن يجعلها هدفاً وغاية له، وينسى الهدف الذي خلق من أجله.

وقد بينت العقيدة الإسلامية كذلك مصدر الحياة وطبيعة الخلق، فقال سبحانه:

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى

أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦)

(١) سورة المؤمنون، الآيات (١٢-١٤).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٣) سورة لقمان، الآية (٢٠).

(٤) سورة الإبراء، الآية (٧٠).

(٥) سورة العلق، الآيات (٣-٥).

(٦) سورة النور، الآية (٤٥).

وأجاب العقيدة عن التساؤلات التي أثارتها بعض العقول المضطربة، والنفوس الحائرة بشأن الحياة مرة أخرى بعد الموت، وبيتها بوضوح مقنع، فقال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (١)

وهذه النظرة إلى الحياة تُربي المسلم على أن لا يفتخر بالحياة الدنيا، ولا يغفل عن الهدف الذي وجد من أجله، بل يحاسب نفسه، ويبقى جاداً ويقظاً وصبوراً، على أن لا يحرم نفسه من خيرات الدنيا، بل يتمتع بها وفق أوامر الله وتشريعاته، وعلى أن يحقق بهذا التمتع عبوديته لله تعالى.

ومن جانب آخر، تُربي المسلم على أن يستثمر كل طاقاته وإمكاناته بما يوضح مكانته ومنزلته في الحياة الآخرة، فيعمل لها، ويجاهد نفسه في الحياة الدنيا، ويتحمل الصبر والبلاء والمصائب ولا ييأس ولا يتذمر من مشقة العمل من أجل الوصول إلى المنزلة الرفيعة التي يستحقها في الحياة الآخرة، لأنها غالية، ولا يصل إليها الإنسان إلا إذا دفع ما تستحقه.

نشاط

استنتج أمراً آخر تُربي العقيدة الإسلامية فيه المسلم، بنظرتها إلى الحياة الآخرة.

الأسئلة

- ١- وضح جوانب نظرة العقيدة الإسلامية إلى الكون.
- ٢- استنتج أمرين تُربي العقيدة الإسلامية المسلم فيهما بنظرتها إلى الكون.
- ٣- بين نظرة العقيدة الإسلامية إلى الإنسان، وأثر هذه النظرة في الإنسان المسلم.
- ٤- وضح نظرة العقيدة الإسلامية إلى الحياة.
- ٥- وضح أهم أثر تربوي يظهر في حياة المسلم عن طريق نظرة العقيدة إلى الحياة.

(١) سورة الروم، الآية (٢٧).

دور العقيدة الإسلامية في تربية

الفرد (٢)

الدرس الثامن

بيننا فيما سبق عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وكمال صنعه، وبديع خلقه، وأن هذا الخلق الذي يشمل الإنسان والكون والحياة الدنيا والآخرة، إنما هو مجال الإنسان للإبداع والاختراع والحكم والسيادة، ثم نيل المكافأة في الآخرة على أعمال الدنيا. وقد عرفنا في درس سابق أن الله سبحانه أراد أن يكون الإنسان سيداً في هذه الحياة، والمخلوقات جميعها مهياً لخدمته والعناية به. وإذا وعى الإنسان هذه الحقيقة وعياً سليماً، فإنه لا شك سيشعر بحقيقتين هما موضوع درسنا هذا :

الحقيقة الأولى: أن العقيدة الإسلامية تحقق الأمن النفسي والطمأنينة للفرد، ذلك أنها بما أظهرت من حقائق مترابطة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، ارتضاها العقل، وقبلتها الفطرة، وأحس بها الوجدان دون إنكار أو اعتراض. وكان ذلك شاملاً للناس كافة، فإن ذلك يؤدي إلى راحة نفسية وطمأنينة قلبية وشعور بالاستقرار والسعادة.

- فإذا علم الإنسان أنه سيد هذا الكون، وأن الكون كله تحت تصرفه، ومهياً لخدمته والعناية به، شعر بأمن نفسي وسعادة غامرة، بل يؤدي به هذا الشعور إلى مزيد من الاهتمام بسيادته وسيطرته واستمرار بقائه.

- وإذا علم الإنسان أنه والناس جميعاً سواء في الحقوق والواجبات، مع تساويهم في الخلق، وأن الأفضلية تكون في القدرة على إعمار هذا الكون، شعر براحة نفسية واطمئنان قلبي في أنه وأمثاله سواء، وما عليه إلا أنه يبذل وسعه في التفوق المشروع على أقرانه بأفضلية إعمار هذا الكون والسيادة عليه حسب شرع الله تعالى.

- وإذا علم الإنسان أن أخاه الإنسان قد ظلمه أو سلبه حقه، أو اعتدى عليه دون حق، ولم يقتصر له منه، وعلم أن هناك حياة أخرى يقضي فيها إله عادل فيجازي على الإحسان ويعاقب على الإساءة، يشعر براحة نفسية وطمأنينة قلبية في أن العدل لا بد أن يتحقق إما في الدنيا وإما في الآخرة، وبذل جهده لأن يكون مستقيماً عادلاً مخلصاً.

- وإذا علم الإنسان أن الله سبحانه قد جعل هذه الحياة مختبراً، ودار فتنة وابتلاء، وأن الدار الآخرة هي الدار الحقيقية، بذل جهده في التزود من هذه الدار بالأعمال الصالحة، كإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، وحفظ أسرار الآخرين، وزيارة المرضى، وإكرام الضيف، والمحافظة على الجار، وعدم إيذاء الناس، لأنه يعرف أن الله تعالى مطلع على كل أعماله، وسيجازيه عليها يوم القيامة، فيعمل هذه الأعمال وهو يشعر برضا نفسي وسعادة غامرة.

وكذلك فإنه يمتنع عن فعل المنكرات والآثام، لأنه يشعر أنه يمثل لعقيدة سامية تعده لغاية سامية

أيضاً، فميتعد عن الشرور والآثام، وكل ما يسيء إلى الإنسان أو المجتمع، ويشعر بالتالي برضا نفسي وطمأنينة داخلية، لا يحس معها بقلق ولا بتأنيب ضمير، فلا يغش ولا يسرق ولا يغضب، ولا ينقص الكيل أو يطفف الميزان...

نشاط

اذكر خمسة من الأمور، تشعر إذا عملتها براحة نفسية وسعادة داخلية، واربطها بالعميدة.

الحقيقة الثانية: إن هذه العميدة إذا التزمها الإنسان، فإنه سيجد فيها وازعاً داخلياً للالتزام بالأحكام الشرعية، لأن الاعتقاد بوجود إله خالق رازق محي مميت، متصرف في هذا الكون لأنه مالكه، والشعور بضعف الإنسان أمام هذا الخالق يدعو إلى الاستسلام له، والتقييد بأوامره ونواهيه. فالإنسان إذا أحس بنعم الله الكثيرة عليه، وقدرها كل التقدير بأوامره ونواهيه. فالإنسان إذا أحس بنعم الله الكثيرة عليه، وقدرها كل التقدير، فإن تقيده بالأوامر والنواهي يكون بمحبة ورضا وطواعية، لا عن كره وسخط.

وإذا ما أحب الإنسان ربه، حاول أن يرضيه بالالتزام الدقيق بما أمر به ونهى عنه، بل وزاد في ذلك بالتقرب إليه بفعل كل ما يقربه إليه من أفعال، والابتعاد عن كل ما يبعده عنه، وذلك ما يسمى «التقوى» أو «الوازع الديني» الذي يحرك الإنسان نحو حب الله، وحب عباد الله، ونحو الخير والمعروف، ويبعده عن كل ما ليس خيراً، فضلاً عن التمسك بكل الأحكام الشرعية التي فرضها الله.

ولذا فإننا نرى أن أكثر الناس سكينه وأمناً وطمأنينة في الحياة الدنيا، هم المتمسكون بشرع الله، والمنفذون له بدقة وإحكام وإخلاص، وأنهم أقل الناس إضراراً بالناس أو بالحياة، بل يكاد ضررهم يندم، وتكثر أفعالهم الخيرة، ويعيشون دائماً لفعل الخير، مضحين بأنفسهم في سبيله، كل ذلك أنهم أحبوا الله وأطاعوه، وتقيدوا بأوامره ونواهيه، ولأنهم استشعروا نعمه عليهم، وأقروا بعظمته وجلاله وسلطانه، وأحسوا بعدله وكرمه وإحكام تدييره، وأن هناك يوماً آخر يجازون فيه على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

نشاط

اذكر ثلاثة أمور يلتزم الإنسان فيها بأعمال الخير انطلاقاً من أوامر الله سبحانه، واربطها بالعميدة.

- ١- بين كيف يشعر الإنسان براحة نفسية إذا تقيّد بمفاهيم العقيدة.
 ٢- وضّح أثر التمسك بالعقيدة في الالتزام بالأحكام الشرعية.
 ٣- نستطيع أن نميز بين المؤمن الحق، والمنافق من خلال أعمالهما، اذكر ثلاثة أمور رئيسة في الفرق بينهما.

- ٤- علّل كثرة الأمراض النفسية في المجتمعات غير الإسلامية.
 ٥- أي العبارات الآتية صحيحة؟

أ- التقوى المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ وَتَزُودُوا فَيَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾^(١) تعني:

١. مجموعة مواد غذائية لا بد للمسلم من أن يتزود بها.
 ٢. الوازع الديني الذي يحرك الإنسان نحو فعل الخير، ويبعده عن كل ما ليس خيراً، ويلزمه بالتقيّد بالأحكام الشرعية التي فرضها الله تعالى.
 ٣. مجموعة القوانين والأنظمة الوضعية، التي تضبط أعمال الإنسان بشكل جيد، وتلزمه بتنفيذ الأوامر الصادرة إليه، وتعاقبه على ما لم ينفذه منها.
 ب- المسلم أكثر الناس سكيناً وطمأنينة، وأبعدهم عن القلق والاضطراب والأمراض النفسية، والسبب في ذلك:

١. أن العقيدة الإسلامية غرست فيه الأمن النفسي والطمأنينة بما تضمنته من مبادئ سامية، وأصول عادلة وأحكام عامة وشاملة.
 ٢. أن العقيدة الإسلامية غرست فيه الخوف والتجبن من الناس، وعدم القدرة على مواجهتهم أو صدهم.
 ٣. أن العقيدة الإسلامية عقيدة ضعيفة، واتباعها والتقيّد بها يؤدي إلى الضعف، الذي يؤدي إلى اعتزال الناس والابتعاد عنهم.

٦- اذكر ثلاثة آثار يحسُّ بها المسلم لتمسكه بعقيدته تمسكاً جيداً.

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٧).

دور العقيدة الإسلامية في بناء المجتمع

تبين لك في الدرس الماضي آثار العقيدة في حياة الفرد إن تمسك بها تمسكاً صادقاً، فهو حريص على أداء الطاعات والتقرب إلى الله تعالى، وبالدرجة نفسها حريص على الابتعاد عن المنهيات والمحظورات، وعن كل أمر يبعده عن الله تعالى، فيبذل أقصى ما في وسعه ليكون مقبولاً من الله ومن الناس دون انتظار مكافأة من أحد. والمجتمع ما هو إلا أفراد اجتمعوا واتحدوا على عقيدة واحدة، وعادات واحدة، وأفكار واحدة، ومشاعر واحدة، فإذا ما كانت عقيدة هذا المجتمع سليمة، فإنها ستترك فيه مجموعة من الآثار أهمها:

تحقيق وحدة الأفكار والمشاعر والسلوك بين أفراد المجتمع

فالعقيدة الواحدة، وما يترتب عليها من أحكام ثابتة، يؤدي التمسك بها إلى تكوين مجتمع تنتظمه أخلاق واحدة، وأفكار واحدة، وعادات واحدة، وصفات وسمات واحدة، فإذا تصورنا مجتمعاً تسود فيه الأحكام المنبثقة عن العقيدة الإسلامية، فسنجد مجتمعاً فاضلاً، ذا أخلاق سامية، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعمل الخير ويحصر عليه، وسيبتعد عن الشر وكل ما يؤدي إليه، كل فرد من أفراد حريص على الآخرين بنفس حرص الآخرين عليه، يطبقون قول الله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١)

وقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٢) فالكل يسعى إلى هدف واحد وبأمر واحد، والأحكام واحدة، والناس سواء، لا فرق بين شخص وآخر، ولا يمتاز أحد على أحد إلا بمقدار ما يقدم لربه ولمجتمعه. فالتفاضل بينهم يكون بالتقوى.

وإذا شعر أفراد المجتمع بالعدل يسودهم، وبالأحكام الثابتة تطبق عليهم دون تمييز والثواب والعقاب على الأعمال لا يطبقان على أحد دون آخر. فإن شعوراً عاماً سيسيطر عليهم هو شعور «الأخوة» بما تعنيه من تضحية وإيثار، وحب وإخلاص ووفاء، والذي يخرج على هذه المفاهيم، يكون شاذاً عنهم، غير مرغوب فيه بينهم، ولا قيمة له عندهم. وقد ضرب لنا القرآن الكريم والسنة النبوية أمثلة على ذلك، كقصة الثلاثة الذي تخلفوا عن غزوة تبوك، إذ وصفهم الله سبحانه بقوله:

(١) سورة المائدة، الآية (٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان.

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ فَلَقُوا حَقَّقَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١)

بل إن أمثال هؤلاء في مجتمع تسود فيه أحكام العقيدة، لا مكان لهم فيه إلا أن يرجعوا إلى جادة الحق، فإن تابوا وأصلحوا عادوا في المجتمع أفراداً أسوياء، لهم ما لبقية أفراد المجتمع وعليهم ما عليه. وقد وصف الرسول ﷺ هذا المجتمع بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» (٢).

نشاط

اذكر خمس صفات تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات.

حماية الفرد والمجتمع من الانحراف الفكري والسلوكي

وإذا كانت العقيدة الإسلامية تعمل لصالح الفرد والمجتمع، لتجعلهما مثلاً للإنسان الكامل، والمجتمع الراقى الذي يخلو من الشرور والآثام، فإنها بما فيها من مبادئ وتشريعات وأنظمة عادلة، تجعل مجتمعنا نظيفاً، سليماً من الآفات، معافى في جسده وعقله وروحه.

فحد السرقة مثلاً نظر الناس إليه على أنه يؤدي إلى مجتمع عاجز، لا يمكن أن يرقى إلى مستوى متقدم في الحضارة، أو أنه بما فيه من قسوة مخالف لطبيعة الإنسان الصحية، والواقع أن الأمر ليس كذلك، فقد أثبتت الوقائع أن هذا الحد قد منع انتشار السرقة في الدول التي طبقتها، على الرغم من عدم تطبيق الإسلام بشكل شمولي فيها، بينما تدل الدلائل المحسوسة على أن عدم تطبيقه يزيد من انتشار السرقة والسارقين بكثرة متسارعة، نتيجة الظروف الاقتصادية السائدة. وكذلك حد الجلد أو الرجم للزناة، وإن بدت فيه الشدة، إلا أن الدلائل تشير إلى أنه عقوبة رادعة للإنسان في الدنيا، تمنعه من الوقوع في هذه الجريمة، وتطهير له من هذه العقوبة في الآخرة. لأن انتشار الفساد عن طريق الزنا جريمة كبيرة، ولا بد أن يكون الجزاء عليها كبيراً مثلها، وهي في الوقت نفسه درس تعليمي تحول بين الناس والوقوع في هذه الجريمة، وقد قال الله تعالى منبهاً إلى هذه القضية:

﴿ وَلَكُرْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٣)

إن تشريع الزواج، وجعله الطريق الوحيد لتنظيم العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى يشكل حماية للفرد وللمجتمع من أن ينحرفا، إذ يؤدي به الانحراف إلى إهدار القيم والأخلاق، وتبديد طاقات المجتمع، وبالتالي

(١) ،سورة التوبة، الآية (١١٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

(٣) ،سورة البقرة، الآية (١٧٩).

سيادة الفوضى وإشاعة القلق، وانتشار الأمراض والأوبئة والمصائب .

وإذا كان من وظائف العقيدة حماية السلوك الإنساني، فإن من وظيفتها أيضاً حماية الفكر من الانحراف، والعقل من التشتت، الأفكار التي زود بها العقل لحمايته من الضلال، تحميه من الانحراف لأنه لا يمكن أن يبقى على هدايته لو سمح له بالانطلاق في جميع الاتجاهات دون ضوابط فقد منع الرسول ﷺ صحابته من التفكير في ذات الله مثلاً لأنه يعلم أنهم لن يصلوا إلى حقيقته على الإطلاق، وبين لهم أنه لا داعي للبحث فيما لا طائل وراءه، وعندما منعهم من البحث في القدر، والجدال في الدين، والبحث عن ماهية الروح، وغير ذلك مما كان من قبيل بيان حدود العقل في التفكير، حتى لا يضل صاحبه ولا يشقى .

والعقيدة على حق في ذلك، فإن الإنسان مأمور بالتفكير في مظاهر الحياة لإعمارها، أما ما وراءها فلا يمكنه الوصول إلى حقيقته وكنهه، وإن أتعب عقله في البحث فلن يصل إلا إلى حيرة وتيه وضلال . والتقيد بالعقيدة الإسلامية في مثل هذه الحالة يؤدي إلى احترام العقل، وصرفه إلى ما هو مفيد للإنسان في حياته وآخرته، وأهم ما يجنيه الإنسان من ذلك سلامة التفكير وراحة النفس وهدوء الوجدان .

نشاط

اذكر فائدتين يمكن استخلاصهما من تطبيق حد الجلد على شارب الخمر .

الأسئلة

- ١ - «يظن بعض الناس أن العقوبات في الإسلام غير ملائمة للمتقدم الحضاري، بينما هي في الحقيقة حماية الفرد والمجتمع من الانحراف السلوكي». اشرح هذه القضية شرحاً وافياً.
- ٢ - أي العبارات الآتية صحيحة؟
 - أ - من مظاهر المجتمع المتحضر، انعدام الأحكام القاسية التي قد يؤدي تطبيقها إلى ظهور أشخاص ذوي عاهات كقطع أيديهم أو أرجلهم.
 - ب - من معاني التوازن في حياة المسلم، الاستعداد لحياة أخرى، فلا بد من القيام بمظاهر هذا الاستعداد لكونه مرضياً من الله تعالى .
 - ج - لا يمكن أن يظهر في المجتمع الإسلامي الذي تحكمه العقيدة الإسلامية أي سلبية، بل يسوده الخير بجميع أشكاله، وينتفي عنه الشر بجميع صورته .
- ٣ - اذكر أثرين من آثار صيانة العقيدة لفكر المجتمع وسلوكه .
- ٤ - قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» . استنتج أثرين لهذا الحديث النبوي الشريف في المجتمع الإسلامي .
- ٥ - بين وجهة نظرك في آثار تطبيق حد السرقة في المجتمع الإسلامي .
- ٦ - بين كيف عملت العقيدة الإسلامية على حماية الفرد والمجتمع من الانحراف الفكري السلوكي منها خلال تحريم الخمر والمخدرات .

تحقيق التوازن بين الجوانب الروحية والجوانب المادية في حياة الإنسان

عرفت في درس سابق أن الإنسان له ثلاثة جوانب تكوّن إنسانيته، الجسد والروح والعقل، وأن العقيدة الإسلامية قد ركزت على الإنسان بجوانبه الثلاثة دون تمييز جانب على آخر، لأن إعطاء جانب أهمية خاصة دون الجانبين الآخرين يولد خللاً في حياة الفرد، ويؤثر هذا الخلل في حياة المجتمع وأمنه واستقراره .
وقد انقسمت الفلسفات والاتجاهات الفكرية الأخرى في نظرتها إلى الإنسان، إلى تيارات مختلفة أهمها مذهبان عامان هما:

- ١- المذاهب المادية كالشيوعية والرأسمالية، وهذه تهدف إلى إشباع الجانب المادي في حياة الفرد والمجتمع ، دون التفات إلى الجوانب الأخرى، وهذا التماهي في هذه النزعة يولد الترف والطغيان، والتكالب على متاع الدنيا، والغرور والاستكبار والظلم، وظهور الغش والخداع والنفاق، وكل مساوئ المجتمع المادي الذي ينقسم الناس فيه إلى سادة ومَسُودين، فهذا التقسيم لا يعتمد على مبادئ أخلاقية إطلاقاً، وإنما يعتمد على قوة المادة.
- ٢- المذاهب الصوفية التي تزهد في الجوانب المادية، وتركز على الجوانب الروحية، فتنظر إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، وتُحرّم على نفسها كل طيبات الدنيا وزينتها، وتعطل نفسها عن عمارة الدنيا، وتنزوي بعيداً عن الناس اعتكافاً ورهابية، فلا يشارك أتباعها الناس في تطوير الحياة وتنميتها، واكتشاف ما أودعه الله تعالى فيها لاستمرار الحياة.

ويظن هذا الصنف من الناس، أن التدين هو الانقطاع عن الحياة، والتفرغ للعبادة فقط، ويعتقدون أن المتدين هو الذي يتفرغ لربه فلا يعمل، ولا يخالط الناس فلا يتزوج، ويكفيه من الدنيا أقل القليل من المؤونة واللباس والمنام .

وقد رفض الرسول ﷺ هذا النوع من العبادة، كما روى عنه أحد الصحابة قال: «جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! فقال أحدهم، أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: «أنا أصوم النهار أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء النبي ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

إن العقيدة الإسلامية لم تنظر إلى الإنسان من إحدى زاويتيهِ، بل نظرت إليه من زواياه كلها، فهو وإن كان قبضة من طين، إلا أنه نفخة من روح الله، ففيه عنصران، أرضي مادي تتمثل فيه كل نوازع الدنيا من شهوات

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن طاقت نفسه إليه.

ورغبات ومتاع، وسماوي روحي، تتمثل فيه نوازع العروج إلى العلا والتطلع إلى عالم أرقى من هذا العالم، وحياة أسمى من هذه الحياة وأبقى وأدوم.

وإذا كانت وظيفة الإنسان في هذا العالم هي الاستخلاف في الأرض، فعليه إذن أن يقوم بواجب هذا الاستخلاف، وأن يسخر كل ما أعطاه الله تعالى له من قوة وقدرة لهذه الغاية، على أن يبقى سيداً في الأرض، لا عبداً لشهواته وأهوائه.

كما أن على الإنسان واجباً في هذه الدنيا، وذلك بالاستعداد للمثول في الآخرة أمام ربه، والإجابة عن أسئلته، وهذا الاستعداد هو بما تهيأ في الإنسان من عبوديته لله، وامتنال لأوامره واجتناب لنواهيه، وفعل الخيرات والابتعاد عن المعاصي، كل هذا في خطين متوازيين بين إعمار الحياة الدنيا، والاستعداد للحياة الآخرة، فأعمار الدنيا مطلوب وحثت عليه العقيدة، والاستعداد للآخرة واجب حثت عليه العقيدة.

ولقد فهم المسلمون الأوائل هذه القضية فهماً جيداً، فلم يجعلوا الحياة الدنيا الغاية التي لا نهاية وراءها، بل الوسيلة الموصلة إلى الحياة الأبدية التي لا حياة بعدها فكان شعارهم: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». وقد اوزنت العقيدة الإسلامية بين هذين المطلبين في آيات كثيرة، وأحاديث متنوعة، فقد قال الله تعالى :

﴿ وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۚ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۚ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ (١)

وأنكر الرسول ﷺ في الحديث الشريف السابق الرهبانية التي فرضها ثلاثة من صحابته على أنفسهم، بل عدَّ عملهم هذا خروجاً على سنته التي يجب على المسلم اتباعها والالتزام بها.

نشاط

اذكر حالتين من واقع حياتنا المعاصرة، تدلان على عدم التوازن في حياة المسلمين المادية والروحية، وكيف يمكن معالجتهما.

(١) سورة القصص، الآية (٧٧).

- ١- وضح مواقف كل من الشيوعية والصوفية في مسألة التوازن بين الجوانب المادية والروحية عند الإنسان.
- ٢- بين كيف عالج الإسلام موضوع ترجيح أحد جوانب الإنسان على الجانبين الآخرين، واضرب لذلك مثلاً.
- ٣- «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» قول مشهور يدل على أهمية التوازن في حياة المسلم، وضح هذه القضية.
- ٤- قارن بين مواقف العقيدة الإسلامية والشيوعية والصوفية في الموضوعين الآتيين:
 - أ - حقيقة وظيفة الإنسان في هذه الحياة وعلاقته بمن حوله.
 - ب - النظرة إلى الحياة وما فيها من طيبات وشهوات ومتع.
- ٥- اذكر سلبيتين من سلبيات المذاهب المادية والصوفية في تعاملهما مع الحياة.

الوحدة الثالثة

التربية الإسلامية والعبادة

وتشتمل هذه الوحدة على:

- العبادة
- أهمية الإخلاص في العبادة
- من خصائص العبادة في الإسلام (توقيفية)
- من خصائص العبادة في الإسلام (شاملة)
- من خصائص العبادة في الإسلام (معتدلة متوازنة)
- منهج الرسول ﷺ في العبادة
- الآثار التربوية للعبادة في الفرد (١)
- الآثار التربوية للعبادة في الفرد (٢)
- الآثار التربوية للعبادة في المجتمع

إن الله عز وجل، جعل العبادة الغاية المحبوبة له، والمرضية عنده، التي خالق لها الخلق. قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١)

فهي غاية الوجود الإنساني كله. فما المقصود بها إذن؟

مفهوم العبادة في اللغة

العبادة في اللغة تعني: التذلل والخضوع والانقياد والطاعة، يقال: عبد عبادة عبودية بمعنى: انقاد وأطاع وخضع وذل. ومنه طريق مُعَبَّدٌ، إذا كان مذللاً للمسير عليه بسهولة.

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ عبادة في كثير من الآيات الكريمة منها قوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٢)

وقوله : ﴿ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾^(٣)

مفهوم العبادة في الاصطلاح

مفهوم العبادة في الإسلام مفهوم واسع شامل، وله معنيان، عام وخاص:

١- المفهوم العام للعبادة : العبادة بالمفهوم العام هي كل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال وأحاسيس، وكل ما يوجد منه من علم أو عمل أو استعداد فيه خير ومصالحة شرعية، إذا قصد بها صاحبها وجه الله تعالى ورضاه والتقرب إليه، فالعبادة في مفهومها العام تتناول حياة المسلم في شؤونها كلها، في سلوكه وعلاقاته وفق منهج الله تعالى، فهي اسم جامع لكل أبواب الخير. فذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن الكريم والدعاء، وصلة الأرحام ومساعدة الأقارب، والسعي في طلب الرزق، وطلب العلم، والمحافظة على نظافة الحي، والوفاء بالعهود، وبر الوالدين والإحسان إليهما، وغير ذلك من أفعال الخير كلها عبادة إذا قصد القائم بها وجه الله تعالى.

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٢) سورة الشعراء، الآية (٢٢).

(٣) سورة المؤمنون، الآية (٤٧).

ومن هنا يتضح لنا التصور الإسلامي لشمول العبادة، إذ يجعل من سائر أنشطة المسلم، سواء أكانت اعتقادية أم فكرية أم بدنية أم مالية، قربات ينال بها الأجر والثواب من الله تعالى .

نشاط

اكتب عملاً تمارسه يقع في دائرة العبادة في المفهوم العام.

٢- المفهوم الخاص للعبادة : العبادة في المفهوم الخاص هي مجموعة الفرائض والشعائر الدينية المحددة التي شرعها الله تعالى ، بقصد التقرب إليه بأقصى غايات الخضوع والتذلل والصدع بأمره . فالعبادة بهذا المعنى مقصورة على الشعائر التعبديّة فقط كالصلاة والصوم والزكاة والحج والدعاء ونحوها، فلا تزيد فيها ولا تنقص، ونقف عند النص الشرعي في تحديد موابقتها وكيفياتها ومقاديرها، ولا يُعمَلُ فيها برأي أو اجتهاد، إذ لو أبيع ذلك لتضاعفت الشعائر عما هي عليه، ولانطمست معالمها الحقيقية، وحينئذ يتعذر التمييز بين الشعائر الأصلية والمبتدعة .

والعبادة بهذا المعنى هي النوع الشائع والمعروف بين الناس، ويمكن أن نعبر عنها بالعبادات المخصوصة . ومع أن للعبادة مفهومين: خاصاً وعماماً، إلا أن هناك تلازماً بينهما، فالعبادة المخصوصة تُعدُّ تهيئةً وتدريباً للعبادة العامة .

ولأجل هذه العلاقة، تُعدُّ العبادات المخصوصة هي عين الفريضة في الإسلام وهي أركان الدين التي لا يقوم بناؤه بغيرها، ولا يستقيم أمر الحياة الإسلامية بغير المحافظة عليها شكلاً ومضموناً . ولكن هل يُعدُّ كل عمل يقوم به الإنسان عبادة مقبولة عند الله تعالى ؟ إن قبول العبادة في الإسلام يتطلب توفر شروط عدة أهمها:

١- أن يكون العمل خالصاً لله تعالى ، فيتوجه المسلم بالعمل الذي يريد القيام به إلى الله تعالى راجياً قبوله . قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١) .

٢- أن يكون العمل مشروعاً، فالأعمال التي يجرمها الإسلام: كالربا وشرب الخمر والغش والكذب والإهمال في العمل واليانصيب وغيرها، لا تكون عبادة تقرب الإنسان من ربه، بل تُعدُّ من المعاصي التي تبعد العبد عن ربه، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً .

٣- أن يهدف العمل إلى نشر الخير بين الناس وإيجاد الألفة والمحبة بينهم وأن يساهم في حل مشكلاتهم وتخفيف أعباء الحياة عنهم، وأن يساعدهم في بناء حياتهم بشكل سليم وواضح .

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد: باب النية.

الأسئلة

- ١ - عرف العبادة لغة واصطلاحاً.
- ٢ - بين العلاقة بين العبادة بمفهومها العام ومفهومها الخاص
- ٣ - صنّف الأعمال الآتية في مجموعتين في ضوء مفهومي العبادة العام والخاص:
إقامة مصنع، إمطة الأذى عن الطريق، الجهاد في سبيل الله، الصدقة، العمرة، الطواف حول الكعبة المشرفة سبعة أشواط، عيادة المريض، العمل النافع، الزكاة، صلاة الظهر، قيام الليل، زراعة الأشجار والمحافظة عليها.
- ٤ - ما أثر وعي المسلم لمفهوم العبادة الشامل في سلوكه الحياتي؟.
- ٥ - اذكر شروط قبول العبادة في الإسلام.

نشاط

ارجع إلى كتاب نظام الإسلام للدكتور محمد عقلة، وفرّق بين العبادة والعبودية.

أهمية الإخلاص في العبادة

أشرنا فيما مضى إلى أن أداء العبادات وفق الكيفيات التي وردت عن المُشرِّع الحكيم، لا تكفي لتحصيل الثواب ما دامت غير مقترنة بالنية، لأن أساس قبولها النية الصادقة، والتوجه المخالص إلى الله تعالى، فإذا لم يقبل أي عمل إلا بنية، فإن الإخلاص في أي عمل أيضاً أساس لقبوله من الله سبحانه، والانتفاع به، وما دام الإخلاص له هذا الأثر في العمل، فما معناه؟ وما أهميته؟ وما أثره؟

مفهوم الإخلاص

الإخلاص: أن يقصد المسلم في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وجه الله تعالى طلباً لمرضاته، وطمعاً في الفوز بجنته والبعد عن عذابه.

وهذا يعني أن تكون العبادة لوجه الله وحده، لا يريد صاحبها بها من الناس جزاءً ولا شكوراً، وإنما يريد الثواب والأجر من عند الله تعالى.

وعلاوة الإخلاص الانفعال بالعبادة والتأثر بها وبذل أقصى الجهد في أدائها، لأن من أخلص الشيء بذل من أجله كل ما يملك من مال ووقت وجهد وفكر، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً فقال فيما رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١)، ولذا فإن المطلوب من المسلم أن يراقب نفسه في أقواله وأفعاله وعليه أن يسأل نفسه ماذا يبغي وراء تصرفاته، هل هي لنيل رضا الله أو لنيل شهرة أو جاه أو منصب أو مال؟ فإن كان الأول فعليه أن يحمد الله، وإن كان الثاني فعليه أن يصحح النية حتى يكون عمله خالصاً لله ومقبولاً.

لذا فقد دعا الإسلام المسلم إلى أن تكون عبادته خالصة لله تعالى، بقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾^(٢)

وهذا دليل على وجوب النية في العبادات والإخلاص فيها.

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد: باب التوبة.

(٢) سورة البينة، الآية (٥).

بين المعنى المراد من لفظ الإخلاص الوارد في الآيات الكريمة الآتية:

- ١- قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)
- ٢- قال الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)
- ٣- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(٣)

أهمية الإخلاص في العبادة

إن للإخلاص في العبادة أهمية كبيرة في حياة المسلم، لأن الإخلاص فيها يبرز معنى العبودية بشكل واضح. ويعمل على بناء شخصية المسلم بشكل صحيح، وحتى تكون الأعمال والأقوال التي يقوم بها المسلم خالصة لله تعالى ومقبولة عنده، فلا بد من أن يكون صاحبها قد قصد بها وجه الله تعالى، وأن يكون موافقاً لما شرعه الله تعالى وبينه الرسول الكريم في سنته.

فالعبادة لا تختص بالعمل المظهري ولا بالأداء الحركي فقط. وإنما تتعلق بالقلب وهو أساس الإيمان، قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(٤) فليست العبادة بأشكالها، وإنما العبادة بالنية والقصد فالله سبحانه يثيب الإنسان إذا نوى فعل الخير حتى وإن لم يفعله، ولا يعاقبه إذا نوى فعل الشر وتوقف وامتنع عن تنفيذه.

لذا فإن هناك من الأعمال، ما يُضربُ بها وَجْهُ صاحبها يوم القيامة لعدم توفر عنصر الإخلاص فيها، فليس كل صلاة جديرة بالقبول، إذا لم تَنْهَ صاحبها عن الفحشاء والمنكر، ولم تغرس في نفسه خشية الله تعالى ومحبته ومراقبته.

وعليه، فإنه يجب على المسلم أن يكون حذراً دائماً التفحص لنياته ومقاصده، فلا يجوز أن يشرك في نيته مع الله أحداً، لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه»^(٥).

إذا أحسن المسلم النية وكان مخلصاً في عمله، فإنه لا بد أن تظهر آثار الإخلاص في شخصيته، ومن هذه الآثار:

- ١- الشعور الدائم بمراقبة الله له في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل، لذا نجد المخلص يخاف الله تعالى ويتقيه، ويستقيم في حياته ويحاول أن تكون أقواله وأعماله لغاية واحدة وهي الفوز برضا الله سبحانه.

(١) سورة النساء، الآية (١٤٦).

(٢) سورة غافر، الآية (١٤).

(٣) سورة الزمر، الآية (٢).

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد: باب التقاة.

(٥) رواه مسلم، في كتاب الزهد، وابن ماجه، في كتاب الزهد باب الرياء والسمعة.

٢- إطفاء النفاق والرياء كما يطفىء الماء النار، فإن البعد عن الإخلاص يورث النفاق والرياء، كما يورث الغرور وحب الذات واتباع الهوى.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال: «قلت يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو». فقال: «يا عبد الله بن عمرو، إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت مرئياً مكائراً، بعثك الله مرئياً مكائراً، يا عبد الله بن عمرو، على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال»^(١).

٣- الإحسان في القول والعمل، ذلك أن الشعور بالرقابة الإلهية يدفع الإنسان إلى القيام بأحسن القول والعمل، فإن الإنسان في الدنيا إذا وجد من يُشرف على عمله فإنه يجتهد في تقديم أفضل ما لديه من جهد، فما ظنك بالمسلم الذي يعتقد أن الله تعالى مُطلع على ما يفعله وهو بكل شيء محيط، وأنه عليهم بذات الصدور.

٤- التحرر من هيمنة الآخرين على قراره واختياره، فليس للمسلم من قصد إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فلا يذله الطمع فيما عند الناس، فما عند الله خير وأبقى، ولا يجبن أمام الطواغيت المتكبرين، وهو يؤمن بأن الله أعز وأكبر، ولا يجعل رضا الناس همه، فالله تعالى أحق أن يرضيه ويتقرب إليه، ولا يجعل الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه، فهو يؤمن بالله والدار الآخرة.

نشاط

اكتب في دفترك أثراً آخر للإخلاص في العبادة.

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد.

الأسئلة

- ١ - ما المقصود بالإخلاص؟
- ٢ - بين أهمية الإخلاص في حياتك العملية.
- ٣ - استنتج الأسس التي إذا توفرت قبلت الأعمال عند الله تعالى .
- ٤ - «إتقان العمل حافز لتقدم الأسر والجماعات علمياً وثقافياً» وضح ذلك.
- ٥ - ضع في دفترك دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
 - ١ - يكون العمل مقبولاً عند الله تعالى إذا كان:
 - أ - موافقاً لشرع الله تعالى .
 - ب - خالصاً لوجه الله تعالى وموافقاً لشرعه.
 - ج - خالصاً لوجه الله تعالى .
 - د - إذا أداه المسلم بهمة ونشاط.
 - ٢ - واحد مما يأتي ليس مخلصاً في عبادته:
 - أ - طالب يؤدي الصلاة على وقتها.
 - ب - مزارع يسقي مزرعته بالمياه العادمة.
 - ج - تاجر يصدق في أيمانه.
 - د - موظف ينجز معاملات الناس في وقتها.

نشاط

بين أثر الإخلاص في أعمال كل من الآتية:

- | | |
|------------|------------|
| ١ - المعلم | ٣ - العامل |
| ٢ - التاجر | ٤ - الطبيب |

من خصائص العبادة في الإسلام

١ - توقيفية

الدرس الثالث

أعمال المسلم إما أن تكون ثابتة بنص قطعي الثبوت والدلالة، أو تكون اجتهادية، وكثير من العبادات في الإسلام - بمعناها الخاص - ضمن النوع الأول، فهي على هذا الحال غير خاضعة للاجتهاد فالصلاة والصوم والزكاة والحج من حيث أركانها وأعمالها نصية غير اجتهادية، ويمكننا أن نقول بعبارة أخرى: إنها توقيفية، فماذا نعني بذلك؟ فالعبادات بمفهومها الخاص بجميع أركانها وفرائضها وشروطها موحى بها من عند الله تعالى، فلا يجوز للمسلم أن يتعدى الحد الذي بيّنه الشرع أو الكيفية التي شرعها ونقلها الرسول ﷺ عن الوحي، وبينها لأمته، ومارسها والتزم بها في حياته وألزم المسلمين بها.

فالمسلمون يؤدون الصلاة بأركانها وواجباتها وسننها، كما كان يؤديها الرسول الكريم، قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١)، وكذلك مناسك الحج، فقد قال ﷺ: «خذوا عني مناسككم»^(٢)، فقد تعلمها المسلمون كما نقلت إليهم عن نبيهم ﷺ، وكذلك الزكاة فقد حدد الرسول الكريم أنصبتها ومقاديرها، والأموال التي تجب فيها، فلا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها.

نشاط

استخرج تعريفاً مناسباً للعبادة التوقيفية.

لذلك فإن تشريع أي عبادة خلاف العبادات المنصوص عليها، يعد بدعة مخالفة لأصول الشرع، لأنه تشريع بما ليس في كتاب الله تعالى، ولا في سنة نبيه ﷺ.

وعليه فإن الإسلام حرم الابتداع في العبادات، قال ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٣)، فلا يحق لأي إمام من أئمة المسلمين مهما علت منزلته في العلم، ولا لأي معهد، أو مؤسسة دينية أو ثقافية، ولا لجماعة من المسلمين مهما كبرت أو صغرت، أن تدخل في دين الله تعالى عبادة جديدة، أو تزيد على عبادة مفروضة، فالله تعالى هو المشرع، ونحن مكلفون بالاتباع.

وهذا هو مطلق الحب والخضوع لله تعالى، لقوله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٤)

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة الإقامة ...

(٢) رواه الترمذي . (٢٤٤/٣)، حديث رقم (٨٨٦) . كتاب الحج . باب ما جاء في الإفاضة من عرفات.

(٣) رواه ابن ماجه . المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل .

(٤) سورة آل عمران، الآية (٣١).

وفي تحريم الإسلام البدع فائدة عظيمة، فهو يحفظ للمسلمين عباداتهم، ويصونها من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان.

والبدعة في العبادة، تعني إحداث أمر فيها، سواء أكان بالزيادة أم النقصان، خلافاً لما شرعه الله تعالى، فَجَعَلَ سُنَّةَ الْعِشَاءِ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ بَدَلَ رَكَعَتَيْنِ بَدْعًا وَصَلَاةً. ولا يُعَدُّ كل جديد لم يكن في زمن الرسول ﷺ بدعة كإزالة المساجد بالكهرباء، ووجود المنبر للإمام، وبناء المآذن للمساجد، كل هذه الأمور ليست من البدع لأنها لا تخالف الشرع الذي ورد في الكتاب والسنة المطهرة.

الحكمة من كون العبادات توقيفية

١- إن العبادات في الإسلام تنظم علاقة الإنسان بخالقه عز وجل، وهي عنوان التقرب والانقياد والاستسلام لأمره عز وجل، فالله تعالى أدرى بما يحدد هذه العلاقة وينظمها، فشرع الله عز وجل العبادات لتنظيم هذه العلاقة وفق ما شرع بالصورة التي وضعها الخالق جل وعلا.

نشاط

اكتب في دفترك حكمة واحدة من عدم جعل المعاملات توقيفية.

٢- إن العبادات تعد ضرباً من الابتلاء، وتعكس مدى صدق العبد في إيمانه وخضوعه لله تعالى، فكانت العبادة توقيفية، إذ لو كانت خاضعة لحكم العقل لكان لكل إنسان عبادة خاصة به، ولعبد الإنسان ربه كما يشاء لا كما يريد الحق جل وعلا.

الأسئلة

- ١- ما المقصود بكون العبادات توقيفية؟
- ٢- استنتج الأثر المترتب على كون العبادات توقيفية.
- ٣- ما الحكمة من كون العبادات توقيفية؟
- ٤- أمامك مجموعة من العبادات، صنفها في دفترك ضمن قائمتين وفق الجدول الآتي:

عبادات غير توقيفية	عبادات توقيفية

إتقان العمل، الطواف حول الكعبة في الحج سبعة أشواط، عيادة المريض، الزكاة، الوصية، الأضحية، صدقة الفطر، التمتع في الحج، الإحرام في العمرة.

من خصائص العبادة في الإسلام

٢ - شاملة

الدروس
الرابع

عرفت أن العبادة بمفهومها العام، تعني إخلاص العبد الطاعة لله تعالى في جميع أوامره ونواهيه، أو خضوعه لله تعالى وإفراذه إياه بالمحبة والتعظيم في كل تصرف من تصرفاته، وهي بهذا المفهوم تشمل جميع شؤون حياة الإنسان، قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ السَّلَامِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)

وبذلك فالعبادة بهذا المعنى، ليست محصورة في أعمال وأقوال محدودة يؤديها الإنسان لله تعالى كالصلاة والصيام والزكاة، بل إن جميع أعمال الإنسان وأقواله وحركاته يمكن أن تكون عبادة لله تعالى، قال الله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)

فما معنى شمول العبادة إذن؟ وكيف يمكن أن تكون جميع أعمال الإنسان وأقواله عبادة لله تعالى؟

شمول العبادة

إن الله تعالى هو خالق كل شيء في هذا الوجود، من إنس وجن وملائكة وحيوان ونبات وطيور وجمادات، وهي بطبيعتها منقادة لأمر الله سبحانه، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٣)

وقد أخبرنا الله تعالى أن جميع الأشياء تسبح بحمده تعالى، ولكن بطريقة خاصة لا يفهمها الإنسان قال تعالى:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤)

وأما بالنسبة للإنس والجن، فالمؤمن منهم يسبح بحمد الله تعالى، والكافر ينكر فضل الله تعالى عليه فلا يسبحه ولا يحمده.

(١) سورة الأنعام، الآيتان (١٦٢، ١٦٣).

(٢) سورة النازيات، الآية (٥٦).

(٣) سورة الحج، الآية (١٨).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٤٤).

والعبادة أيضاً اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. مع ارتباطها بالنية الصادقة والإخلاص لله تعالى، كحسن المعاملة وبر الوالدين والوفاء بالعهد، وسائر الفضائل الإنسانية، فهي تشمل شؤون الإنسان كلها وتستوعب حياته جميعها.

العبادة تشمل تنظيم علاقات الإنسان

ومن معاني الشمول أيضاً، أن العبادة تشمل جميع علاقات الإنسان: مع ربه ومع نفسه ومع أخيه الإنسان ومع الحيوان ومع الجماد.

ففي علاقته مع ربه تكون أعماله وأقواله الظاهرة والباطنة عبادة لله تعالى وتقرب إليه إذا قصد ذلك، كحبه لله سبحانه وخشيته منه وشكره على نعمه، ورضاه بقضائه وتوكله عليه ورجائه نعيمه وخوفه من عذابه. ويظهر أثر ذلك كله في جوارحه الظاهرة وفي أعماله وكثرة التسبيح والذكر لله، وملازمة حلقات العلم والمساجد، والابتعاد عن بيوت اللهو، وملء أوقات الفراغ بكل ما هو نافع مفيد تقرباً إلى الله تعالى.

وفي علاقته مع نفسه، يمكن أن يعبد الله تعالى بحماية نفسه من الضرر وإبعادها عن الخطر، وعن الفساد والاهتمام بحسن المظهر ونظافة اللباس، والمحافظة على الصحة، وأن يوظف سمعه وبصره وجميع حواسه في أعمال الخير التي ترضي الله تعالى، وأن يكون متوازناً في رعاية مكوناته الثلاثة الجسد والروح والعقل، فلا يرعى أحدها ويهمل الآخرين، لأن ذلك سيؤدي إلى خلل في الحياة وخلل في العبادة.

وأما علاقته مع الناس، فيمكن أن تكون أعمال المسلم عبادة لله تعالى في المجالات الآتية:

في الأسرة

وذلك برعايته لأسرته والاهتمام بتربية أبنائه التربوية الإسلامية، فيكفد ويعمل من أجل توفير العيش الكريم لأفراد أسرته بطرق الكسب المشروعة، ويعامل أهله بلطف ويحترم آراءهم، ويقدر مشاعرهم ويحافظ على صحة أبدانهم ويوجه سلوكهم ويوفر لهم سبل التعليم ويهيئ لهم حياة خالية من الكدر والقلق، تطبيقاً لحديث الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

في المجتمع

للمسلم على المسلم في المجتمع الإسلامي حقوق مختلفة، كالسلام عليه وتقديم النصيحة له، وزيارته إذا مرض وتشيع جنازته. قال ﷺ «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»^(١). وله في كل ذلك أجر وثواب إذا قصد به وجه الله عز وجل.

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

ويشعر المسلم كذلك أن من العبادة والتقرب إلى الله احترامه للناس وتقديره لمشاعرهم، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وابتعاده عن التسبب في أذاهم، سواء أكان بالقول أم بالفعل أم الإشارة، وامتناعه عن التجسس عليهم أو حسدهم أو السعي بالنميمة بينهم، أو إثارة الحقد والكراهية في صفوفهم أو الاستهزاء بهم أو خداعهم أو الإفساد فيما بينهم لقوله عليه السلام: «المؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١). كذلك سعيه في إصلاح ذات البين بينهم، قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل درجة من الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين»^(٢).

وفي تعامله مع الحيوان، يمكن أن يجعل المسلم أعماله عبادة الله تعالى، وذلك بالرفق به والامتناع عن إلحاق الأذى به، وحمايته من الحر والبرد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «في كل كبد رطبة أجر»^(٣). وقال صلى الله عليه وسلم: دخلت امرأة النار في هرة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(٤). وفي تعامله مع مخلوقات الله تعالى، تكون أعماله عبادة لله تعالى، حينما يتعامل مع الأشياء بالكيفية التي ترضي الله عز وجل، وكذلك في تعامله مع الجمادات، كأن يحافظ على المقاعد التي يجلس عليها في المدرسة، ويحافظ على الحديقة العامة ووسائل النقل المختلفة، وكذلك عندما يُحسن استعمال الآلات والأجهزة العامة ويحافظ عليها، كالهواتف والمكثبات والمختبرات المدرسية، وأيضاً عندما يحافظ على البيئة من التلوث، قال صلى الله عليه وسلم: «وإماطة الأذى عن الطريق صدقة»^(٥).

نشاط

- ١- اذكر ثلاثة أعمال اجتماعية تخدم بها مجتمعك، وتكون عبادة لله تعالى .
- ٢- إذا كنت صاحب مصنع ، اكتب عمليتين يسهمان في منع التلوث وإفساد البيئة .

ومن معاني شمول العبادة أن الإسلام جعلها مطلوبة من الناس جميعاً كل بقدر استطاعته، ولم يجعلها مرهونة بمكان معين أو زمان وحدد، فبعض الأعمال يؤديها الإنسان عبادة لله تعالى في أوقات مخصصة في النهار أو الليل كالصلوات الخمس، ومنها ما يمكن تأديته في أي وقت يشاء كمساعدة الفقراء، ومنها ما لا يستطيع تأديته إلا في أماكن محددة كأداء العمرة والحج، أو في أوقات محددة كصيام شهر رمضان وصيام يوم عرفة أو يوم عاشوراء . ومن ناحية أخرى لم يجعل الإسلام العبادة مالية فحسب لينفرد بها الأغنياء، ولا بدنية فيختص بها الأقياء، ولا علمية فيتميز بها العلماء، ولكنه جعلها إنسانية عامة، يؤديها كل إنسان على قدر طاقته، فيتمكن منها الغني والفقير والقوي والضعيف، والأمي والمتعلم.

(١) رواه الطبراني والحاكم .

(٢) رواه الترمذي ، أبواب صفة القيامة .

(٣) رواه ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب فضل صدقة الماء .

(٤) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب تحريم تعذيب الحيوان الذي لا يؤذي .

(٥) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق .

في المجتمع

لشمول العبادة في الإسلام آثار مباركة في النفس والحياة، يحسها الإنسان في نفسه ويلمسها في غيره، وأبرز هذه الآثار أمران:

أولاً: صنع حياة الإنسان وأعماله بالصبغة الربانية، وجعله مشدوداً إلى الله تعالى في كل ما يؤديه، وهذا يدفعه إلى الإكثار من كل عمل نافع، وكل إنتاج فيه خير للناس.

ثانياً: تمنح المسلم وحدة الوجهة، ووحدة الغاية في حياته كلها، فهو يرضي رباً واحداً في كل ما يأتي ويدع، فلا انقسام ولا صراع ولا ازدواج في شخصيته وحياته. فيشعر بالهدوء والطمأنينة والرضا في الحياة بما قسم الله له، والسعادة الغامرة في خدمة مجتمعه ووطنه فيحس بأنه قدم شيئاً، وأن دوراً في الحياة لا بد من أن يؤديه.

الأسئلة

- ١ - وضح مفهوم شمول في العبادة في الإسلام.
- ٢ - اذكر شروط قبول العبادة في الإسلام.
- ٣ - اكتب مثلاً واحداً يمكن أن تعبد الله تعالى به في المجالات الآتية:
 - أ - في الأسرة
 - ب - في المجتمع
 - ج - في علاقتك مع نفسك
 - د - في علاقتك مع أصدقائك
 - هـ - في المدرسة
- ٤ - استنتج أثرين آخرين لشمول العبادة في الإسلام.

نشاط

من صور عبادة الله تعالى بالكلمة :	اكتب في دفترك ثلاث صور أخرى :
١- تقديم النصيحة للمسلمين.	-٣
٢- إثارة حماس الجند في المعركة.	-٤
	-٥

من خصائص العبادة في الإسلام ٣- مهتدلة متوازنة

الدرس الخامس

عرفت أن الإسلام نهى عن الانقطاع للعبادة، وحرّم العزوف عن الحياة الدنيا، فقد بيّن القرآن الكريم المنهج الصحيح في العبادة، والمتمثل في الاعتدال والتوازن قال تعالى:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
أَفْسَادًا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١)

نشاط

استنتج من الآية الكريمة السابقة مفهوم التوازن والاعتدال.

الاعتدال والتوازن في العبادة

الاعتدال والتوازن في العبادة سمة من سمات الدين الحنيف، فقد جاءت العبادة في الإسلام مراعية لحاجات الإنسان الروحية والجسدية، حريصة على أن يكون التوازن فيها سليماً معتدلاً، لا يطغى جانب على آخر. فقد وازنت بين أشواق الروح وحقوق الجسد وحاجاته فلم يطلب الإسلام من المسلم أن يكون راهباً في دير، أو عابداً في خلاوة قائماً ليله صائماً نهاره، لاحظ له في الحياة ولاحظ للحياة فيه.

إنما أراد الإسلام من الإنسان أن يكون عملياً في حياته، يقوم على إعمار الأرض وإصلاحها، وأن يطلب الرزق في جنباتها، سواء أكان عالماً أم عاملاً أم مزارعاً أم صانعاً أم تاجراً، على أن لا تصرفه الدنيا عن خالقه، وأن لا تلهيه مطالب الجسد عن مطالب الروح، وعليه أن لا ينسى ذكر الله تعالى، وأداء العبادات والحرص على الطاعات لنيل رضوان الله تعالى. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢)

(١) سورة القصص، الآية (٧٧).

(٢) سورة العنكبوت، الآية (١٨).

فالعبادات في الإسلام تأخذ بيد الإنسان ليجعل الدنيا مزرعة الآخرة، والطريق الموصل إلى الجنة، وتقوم بتزكيتها. وخير دليل على أن الإسلام وفق بين العمل الدنيوي والعمل الآخروي قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (١)

فالآية الكريمة واضحة الدلالة، في أن المسلم يعمل ويبيع، ثم يصلي ويذكر الله، فإذا قُضيت الصلاة عاد إلى العمل، يبتغي فضل الله تعالى، فالعبادة التي يريدها الإسلام لا إفراط فيها ولا تفريط. فالصلاة عبادة، والعمل عبادة، وطلب الرزق عبادة، ولكن لكل عبادة وقت، فلا يأخذ وقتها الأوقات الأخرى. وهذا هو التوازن والاعتدال.

أثر الاعتدال والتوازن في حياة المسلمين

عرفت مفهوم الاعتدال والتوازن وحقيقة كل منهما، فما أثرهما في حياة المسلمين إذن؟ إن الاعتدال والتوازن في العبادة يحققان ما يأتي:

١- عدم المغالاة في التدين، أو الانقطاع لأداء العبادات، إذ نبذ الإسلام التشدد والغلو، وعَدَّ المغالاة في العبادة زيادة على ما شرع الله تعالى في الكتاب والسنة خطراً جسيماً على صاحبه، قد يؤدي به إلى التفريط في حقوق الله وحقوق العباد، كما قال ﷺ: «إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى» (٢).

تأمل

الغُلَاةُ يَخْتَلِفُونَ مُسْتَقْبَلَ الْأُمَّةِ، فَالْأُمَّةُ الْيَوْمَ تَقْفُ بَيْنَ خَطَرَيْنِ: خَطَرُ الْغُلَاةِ وَخَطَرُ الْغَزَاةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ). رواه الإمام أحمد في مسنده. الغُلُوُّ: يعني مجاوزة الحدِّ المشروع.

٢- الالتزام بالأحكام الشرعية، لأنها جاءت لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة. وتتفق مع قدرة الإنسان فيؤديها وهو قادر على ذلك غير مكلف بما لا يطيق.

٣- تمكين الفرد من القيام بمسؤولياته الاجتماعية في نطاق الأسرة والمجتمع والأمة، فيكون فرداً منتجاً بعيداً عن الكسل والخمول والانعزال، فلا ترهقه العبادة بل تترك له وقتاً كافياً لممارسة مسؤولياته التي يستطيع من خلالها المساهمة في إعمار الدنيا كما أراد الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الجمعة، الآيتان (١٠٩).

(٢) مسند أحمد، ج ٣، ص (١٩٩).

نشاط

اكتب ما يأتي:

- ١- أثراً آخر للاعتدال والتوازن في الحياة.
- ٢- آية قرآنية تبين المغالاة عند أهل الكتاب.

الأسئلة

- ١- بيّن معنى التوازن والاعتدال في العبادات في ضوء فهمك للمدرس.
- ٢- هات دليلاً شرعياً على وجوب الاعتدال والتوازن في العبادة.
- ٣- ما أثر الاعتدال والتوازن في حياة المسلمين؟
- ٤- بيّن أثر المغالاة في التدين في حياة المسلم وفي شخصيته.
- ٥- هات مثلاً يوضح كيف يكون الاعتدال والتوازن في العبادة في حياة المسلم.

نشاط

اكتب بعض الأضرار التي تترتب على المغالاة في التدين.

في كل جانب من حياة الرسول ﷺ يجد المدارس غذاء لنفسه وحياة لروحه، ومثلاً أعلى في القدوة الصالحة للتربية القويمة، لذا فإننا نتحدث في هذا الدرس عن منهج الرسول الكريم في العبادة.

خصوصية النبي ﷺ في العبادة

لقد تميزت عبادة النبي ﷺ بخصوصية معينة، لأن الرسالة التي كلف بها ﷺ تحتاج إلى تربية خاصة، وبهذا الشأن أنزل الله تعالى قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾^(١)

فقيام الليل، وترتيل القرآن، بتدبر وإنعام هو الزاد لتحمل المسؤولية الثقيلة التي تنتظر رسول الله ﷺ، قال تعالى:

﴿ إِنَّا سُنِّقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾^(٢)

فقد قام الرسول الكريم بالليل حتى تشققت قدماه، فعن المغيرة بن شعبه: أن رسول الله ﷺ قام حتى تفتطرت قدماه، فقبل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٣). فقد كان قيام الليل فرضاً في حقه ﷺ وأما في حق المسلمين فهو سنة.

أما الصيام ففيه تربية للنفس فلقد ترك النبي عليه السلام ملذات النفس وشهواتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وكان الرسول ﷺ يتابع الصيام تطوعاً تارة، ويفطر تارة ويصوم أخرى، وما صام شهراً كاملاً سوى رمضان، وقد يواصل الصيام دون أن يفطر، وهذه خصوصية خص الله تعالى بها رسول الله ﷺ.

ولما أراد بعض الصحابة الوصال نهاهم، فقالوا: إنك تواصل، قال: «وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»^(٤). فدل ذلك على أن الوصال من خصوصياته ﷺ.

نشاط

ما المقصود بقوله ﷺ: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»؟

(١) سورة المزمل، الآيات (١-٤).

(٢) سورة المزمل، الآية (٥).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الإقامة، باب ما جاء في طول القيام في الصلوات.

(٤) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب الوصال إلى البحر.

التوسط والاعتدال في العبادة

عرفنا أن الله تعالى فرض على الناس أن يعبدوه، ويتقربوا إليه، وأن يقوموا بالواجبات المفروضة على أكمل وجه، دون غلو، وبخاصة وأن الرسول ﷺ قد بعث بالحنيفية السمحة، وأن الدين الإسلامي دين يسر ولا عسر فيه، وأنه ما شاده أحد إلا غلبه، ولذلك حرص النبي ﷺ على أن يفهم أصحابه وأمة الإسلام فهما صحيحاً مراعيًا مطالب الدنيا والآخرة.

ويتضح لنا من خلال الحديث الشريف، المنهج السليم الذي بينه ﷺ لأمة: يروي أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن رهطاً جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، ويبدو أنهم كانوا يتصورونه ﷺ راکعاً ساجداً عابداً، كل ليله قيام، وكل أيامه صيام، ليس لعينه حظ من نوم ولا لجسده حظ من راحة، ولا لنسائه حظ من قربه، فلما أخبرتهم زوجاته، ﷺ، بعبادته كأنهم تقالوها، ولم تشعب فهمهم للعبادة. فقالوا وأين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟!!

قال أحدهم: أما أنا فإنني أصلي الليل أبداً.

وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً.

وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ وقال: «أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

فالرسول ﷺ عرفهم سنة الإسلام، وهدى رسول الإسلام، فليس تقوى الله وخشيته بترك الدنيا والانقطاع للعبادة، فالرسول ﷺ أخشى الناس لله تعالى وأتقاهم له، ولكنه ﷺ لم يهدر حقه في الحياة، وحق الحياة فيه، فقال ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني».

إن النزعة التعبدية، الخارجة عن حد الاعتدال - صيام النهار وقيام الليل - تؤدي إلى انقطاع الإنسان عن طلب معاشه، وتؤثر في الفرد وعائلته ومجتمعه، ما دام الإنسان منعزلاً عن الناس في البيت أو المسجد.

نشاط

يشكل الانقطاع للعبادة خطراً على المجتمع، استنتج ثلاثة أخطار تترتب على ذلك.

هكذا وضع النبي ﷺ منهجاً واضحاً لأمة، وكما أن للآخرة متطلبات يجب مراعاتها، وبين لهم أن للحياة متطلبات يجب أن تؤدي، فإن للزوجة حقاً، وللأولاد حقاً، وللبدن حقاً.

كما أن حياة الإنسان لا تخلو من العوارض البشرية، صحة ومرضاً قوة وضعفاً، شباباً وشيخوخة، فإن استطاع

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه.

الإنسان أن يؤدي هذه الفرائض في حال قوته وصحته، فإنه يعجز عن ذلك في ضعف الشيخوخة وهزال المرض، وأمور الدين ينبغي الوقوف فيها عند شرع الله تعالى، فعظم الأجر لا يتوقف على كثرة العمل فقط، بل بقدر ما يترتب على الامتثال للشرع قال ﷺ: «أحب العمل إلى الله ما دوام عليه صاحبه وإن قل»^(١).

الأسئلة

- ١- تميزت عبادة النبي ﷺ بخصوصية معينة من حيث الإعداد الروحي فسر ذلك.
- ٢- ما حكم وصال الصوم؟
- ٣- بين المنهج الصحيح في العبادة بدراستك الحديث الشريف «أن رهطاً جاؤوا...».
- ٤- قارن بين المغالاة في التدين والتقصير فيه.

نشاط

ارجع إلى الحديث، وادرس حديث عبد الله بن عمرو بن العاص «... والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت...»، واستنتج المنهج السليم للعبادة.

(١) رواه ابن ماجه ، كتاب الزهد باب المداومة على العمل.

الآثار التربوية للعبادة فرد الفرد (١)

شرع الله تعالى العبادات لما لها من آثار تربوية في حياة الفرد والمجتمع ، لا لأنه تعالى في حاجة إليها، فالله تعالى غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة أحد ولا تضره معصية أحد، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١)

وتشمل آثار العبادة جميع أوجه الحياة سواء على الصعيد الاعتقادي الروحي، أو التربوي الأخلاقي، أو الاجتماعي، ومن هذه الآثار:

تهذيب النفس الإنسانية وترقيتها في مدارج الكمال

إن الالتزام بأوامر الله سبحانه والإخلاص في أدائها ومجاهدة النفس في الابتعاد عما نهى عنه سبحانه يقوي الجانب الروحي في الإنسان، فتزيد صلته بالله تعالى ويزداد قرباً منه، فيشعر بالسعادة والطمأنينة النفسية، بل ويشعر أن الله معه في كل أحواله، ومن يكون الله معه فإنه يحاول أن يتسامى على كل ما من شأنه أن يحط من إنسانيته، ويرتفع عن السفساف والدنيا، ويشعر أنه لا يليق به أن ينزل إلى مستوى الأخلاق الذين لا دين لهم فلا يظلم ولا يسرق ولا يكذب ولا يزني، وينقي نفسه من كل الأمراض القلبية كالحسد والحقد والمكر والخداع والاستعلاء. وبدون العبادة يكون الإنسان أشبه بالأنعام بل أضل سبيلاً. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٢)

فالعبادة في الإسلام تهذب النفس الإنسانية وتخرجها من متاعب الحياة المادية، وتنتقل بها إلى أجواء روحية تسمو بها إلى مدارج الكمال الإنساني لتعيش في سعادة وطمأنينة، فتعمل العبادة على تربية الفرد وغرس السلوك المرغوب فيه وتعديل السلوك غير المرغوب فيه، وإكساب الأفراد القيم والاتجاهات الإسلامية في مختلف مجالات حياتهم.

فالعبادة هي وسيلة للتعبير عن الشكر، فالنعم التي أمد الله تعالى بها الإنسان لا تحصى، وهي تستوجب الشكر، لأن حق المنعم الشكر والاعتراف بأفضاله، ومن حقه إظهار هذا الاعتراف بكل الوسائل التعبيرية الممكنة، سواء

(١) سورة فاطر، الآية (١٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٧٩).

بالقول أو بالفعل. والعبادات من صلاة وصيام، ودعاء، وزكاة، وصدقة، خير منهج وأسلوب للتعبير عن الشكر، ومن هنا فإن الصلاة لا تصح بغير قراءة الفاتحة التي تستهل بحمد الله رب العالمين، وتؤكد على إفراد الله تعالى بالعبودية والاستعانة به وحده، وطلب الهداية منه إلى سواء السبيل.

تقوية صلة المسلم بالله تعالى وتحريره من العبودية لسواه

إن العلاقة بين العبد وربّه، علاقة مباشرة، إذ لا وساطة فيها، فباب الخالق مفتوح للجميع. فالمسلم عندما يصلي يقف بين يدي الله تعالى دون حاجة إلى استئذان على خالقه سبحانه وتعالى، فيناجيه. قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ﴾^(١)

وبذلك فالعبادة تحرر الإنسان من كل سيطرة واستكانة لغير الله تعالى.

نشاط

كيف تقوي الصلة مع الله تعالى عن طريق صلة الرحم، وعبادة المريض؟

ومن هنا أبطل الإسلام عبادة الإنسان لغير الله تعالى، ودعا إلى عبادة الله وحده، لأن الله تعالى هو الخالق المنعم المتفضل، خالق السماوات والأرض.

وقد عملت العبادات أيضاً على تحرير الإنسان من الأوهام والخرافات، والأساطير والخضوع والتدلل لغير الله تعالى، فالمسلم لا يلجأ إلا إلى رب واحد سبحانه وتعالى.

الأسئلة

- ١- لماذا كلفنا الله تعالى بالعبادة مع أنه غني عن ذلك؟
- ٢- من آثار العبادة: «تهذيب النفس الإنسانية وترقيتها في مدارج الكمال». وضح ذلك.
- ٣- من آثار العبادة: «تقوية صلة المسلم بالله، وتحريره من العبودية لغيره». بين أثر ذلك في شخصية المسلم.
- ٤- كيف تكون العبادة وسيلة شكر؟
- ٥- كيف تحرر العبادة المسلم من الأوهام والخرافات؟

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٦).

سبق أن درست أثرين من الآثار التربوية للعبادة في الفرد، وهما تهذيب النفس الإنسانية، وتقوية صلة المسلم بالله تعالى، وفي هذا الدرس سنتناول أثرين آخرين هما:

تحمي المسلم من الوقوع في المعاصي والآثام

لقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أن العبادات تحمي المسلم من الوقوع في المعاصي والآثام. قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ ﴾ (١)

فمن كانت صلواته وصيامه وجهاده وعبادته خالصة لله تعالى، فإنه لا ينحرف ولا يقع في الحرام، ويكون بعيداً عنه، لأن العبادات إذا أُدِّيت بالشكل الصحيح والكيفية التي ارتضاها الله تعالى، كانت طريقاً إلى غرس الفضائل الحميدة والأخلاق القويمة في نفس المسلم، ودرعاً واقياً له من الوقوع في الآثام والمعاصي والشرور. فالطهارة مثلاً، كما تعمل على تنظيف المسلم في بدنه وثيابه، فهي تدعوه إلى أن يكون نظيفاً في سلوكه وخلقه كذلك. قال تعالى:

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۗ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۗ ﴾ (٢)

والصلاة إذا قام بها المسلم على أكمل وجه وأتم صورة، فإنها تبعده عن قبائح الأعمال والأقوال لما تتركه من أثر في نفس صاحبها من رسوخ للإيمان في قلبه، وبالتالي تردعه عن الوقوع في الشهوات والآثام والمعاصي. فقد ذكر لرسول الله ﷺ أن فلاناً يصلي الليل فإذا أصبح سرق، فقال ﷺ: «ستمعه صلواته» (٣) فالرسول الكريم يخبر أن الأصل في العبادات جميعها أن تمنع المسلم من الخطأ والوقوع في الآثام، وذلك لمن كان له قلب وضمير حي واع.

والصيام يبعد المسلم عن المعاصي والآثام، ويحفظه من الوقوع في المنكرات، قال ﷺ: «الصوم جنة» (٤) أي وقاية من الوقوع في المحرمات. وقال ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنني امرؤ صائم» (٥).

(١) سورة العنكبوت، الآية (٤٥).

(٢) سورة المدثر، الآيات (٤، ٥).

(٣) نظر صفوة التفاسير، تفسير سورة العنكبوت، آية رقم (٤٥).

(٤) رواه الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة.

(٥) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام.

والدعاء تربية للضمير، وذلك بتنمية الإحساس بأن الإنسان مهما حقق في حياته من نجاح أو اقتنى من مال أو ما وصل إليه من سلطان ونفوذ أو وظيفة، فهو بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى عنايته ورعايته حيث يشعره ذلك بالآخرين ممن هم دونه في الجاه أو المال أو الصفات، فيتواضع لهم ويرحمهم ويساعدهم ويواسيهم ولا يظلمهم. وهذا يوفر له جواً يشعره بالراحة والطمأنينة والسعادة، ويطلب من الله دائماً أن يعينه على الاستقامة وفعل الخير للناس وللأمة، وفي هذا تربية على الأخلاق الحميدة والسلوك القويم، وتنمية للمحب والخير في النفس والإنسانية. وهكذا تؤدي العبادات إلى تنمية نوازع الخير في نفس المسلم، وحمايته من الوقوع في المعاصي والآثام، وتحيطه بسياج منيع من الأخلاق الفاضلة.

نشاط

استنتج كيف تعمل الزكاة على حماية المسلم من الوقوع في المعاصي والآثام، من خلال سلوك شاهدته في حَيِّكَ.

تشعر المسلم بمسؤولياته تجاه مجتمعه

وكما تنمي العبادات في المسلم نوازع الخير وتحميه من الوقوع في المعاصي والآثام فإنها تشعره بالمسؤولية تجاه مجتمعه، فالعبادات هي الوسيلة الأهم لإحداث مثل هذا الوعي، لأنها تخلص المسلم من الأنانية وتعمل على بنائه ليتحمل المسؤولية تجاه مدينته وقريته ومدرسته وجامعته، وتجاه مجتمعه بشكل عام. فالصدقة مثلاً تظهر نفس صاحبها من الشح والبخل، وتشعره بالمسؤولية تجاه فقراء مجتمعه، فتظهر الروح الجماعية بشكل واضح، وهي وسيلة لتحقيق الضمان الاجتماعي لأفراد المجتمع لأن الإسلام لا يرضى أن يبقى في المجتمع من لا يجد ضروريات الحياة المعيشية، لذلك فهو يعمل بالزكاة والصدقات والكفارات والنفقات على الحد من الفقر، وتقريب المسافة بين الأغنياء والفقراء. والناظر في مصارف الزكاة، يظهر له ما فيها من معاني التعاون التي تكوّن مجتمعاً يشعر كل فرد فيه بالمسؤولية تجاه مجتمعه.

ولو تتبعنا كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لرأيناها تشعرنا بمسؤوليتنا تجاه مجتمعنا، وتجاه أمتنا ووطننا، فعندما يقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٣) نشعر أننا أمام مسؤولية عظيمة تجاه إخواننا من المسلمين، وهذا يدفعنا لتفقدتهم ومساعدتهم وزيارة المرضى منهم، وإشاعة الأمن بينهم، وهذه كلها من العبادات العامة التي يثاب فاعلها... ومن هنا يتضح لنا أن المسؤولية هي أساس العبادة والعمل، وأخص ما يتميز به الإنسان العاقل أنه مسؤول، وهذه المسؤولية متعددة الجوانب، ومنها مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه ووطنه ليكون نافعاً وذو قيمة وأهمية، لا عبئاً على وطنه وأمته.

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان.

هات أمرين شرعهما الإسلام يدلان على مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه.

الأسئلة

- ١ - كيف تحمي كل من العبادات الآتية المسلم من الوقوع في المعاصي؟
 - أ - الزكاة.
 - ب - الصلاة.
 - ج - الدعاء.
 - د - الصوم.
- ٢ - العبادات تشعر المسلم بالمسؤولية تجاه مجتمعه. بيّن ذلك مع ذكر الأمثلة.
- ٣ - المسؤولية مناط العبادة والعمل. وضح ذلك.
- ٤ - استنتج جوانب المسؤولية التي يشعر بها المسلم وهو يؤدي زكاة ماله للمسلمين الفقراء.
- ٥ - استنتج أهم ثلاثة أخلاق تغرسها العبادة في نفس المؤمن.

مرَّ بكَّ في الدرس السابق بعض آثار العبادة في حياة الفرد، وفي هذا الدرس سنتناول عدداً من آثارها في المجتمع .

تصون المجتمع من عوامل الفساد والانحلال وتنقيته من الرذائل

إن التزام الأفراد بأداء العبادات المطلوبة على أكمل وجه، تنعكس آثاره على المجتمع، فيصون المجتمع من كل عوامل الانحراف والفساد والانحلال، خاصة إذا علمت أن المسلم إذا كان عابداً لله تعالى بحق، لا يكذب ولا يخون ولا يرتكب منكراً ولا فاحشة، لأن صلاته وصيامه ينهيناه عن ذلك . قال تعالى:

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (١)

فالصيام مثلاً عبادة جماعية، يمارس فيها المسلمون حياة الاتحاد ويعيشون وحدة المشاعر، والمساواة والأخوة الحقة، فيعيش المسلمون في شهر رمضان في رحاب الود والتعاطف والإحساس الروحي المشترك، فالصيام تذكير للمصائم بجوع الجائعين، فيندفع لمساعدتهم وتقديم العون لهم.

فالمسلم عندما يعيش هذا الشهر بمشاعره وأجوائه، فإنه يلتزم بفضائل الأخلاق وترك الرذائل فينعكس هذا السلوك على المجتمع الذي يعيش فيه.

والحج هو إعداد وتربية لسلوك الفرد، فالمسلم يتعود فيه على الصبر وتحمل الصعاب، وحسن الخلق والتواضع، وحسن الكرم والتعاطف، وفيه يتعود على الألفة والتعاون، فتتمو لديه الروح الاجتماعية والجماعية، ويرتقي بمالكاته الأخلاقية عن طريق هذه العبادة.

والزكاة حق الفقراء في مال الأغنياء، وهي تولد اللحمة بينهم، وقد حذر الله تعالى المصلين الذين يمنعون العون عن المحتاجين، كما في سورة الماعون:

﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٣﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢)

فالزكاة توجد مجتمعاً فاضلاً متعاوناً مادياً ومعنوياً، ويظهر ذلك من مصارف الزكاة.

(١) سورة يوسف، الآية (٢٤).

(٢) سورة الماعون، الآيات (٤-٧).

نشاط

تعمل الزكاة على صيانة المجتمع من الحقد والكراهية. بين كيف يتم ذلك؟.

فالعبادات إذا أديت على وجهها الصحيح، كانت طريقاً إلى غرس كل فضيلة وخصلة خيرة، وسبيلاً إلى استئصال الرذائل والشور من النفس والمجتمع.

تؤدي إلى التعاون والتماسك في المجتمع

من أهداف العبادات في الإسلام أنها تعمل على ترسيخ مبادئ مهمة في حياة المسلمين، ومن أهم هذه المبادئ، توحيد قلوبهم على المحبة، وانتزاع بذور الأنانية والسلبية، وإحلال الروح الجماعية محلها، تمهيداً لبناء مجتمع إنساني متماسك متعاون مستقر.

والعبادات تعمل على تربية الوجدان عند المسلمين، هذا الوجدان الذي يجعل المسلمين موحدين في مشاعرهم، يحبون ما يحبه الله ورسوله، ويكرهون ما يكره الله ورسوله، مما يجعل منهم مجتمعاً مترابطاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

لذلك فإن العبادات ليست أداء الفرائض المطلوبة من المسلم فحسب، ثم الانعزال عن الناس وعدم مخالطتهم وإنما غايتها إيجاد مجتمع متعاون متحاب غير متباغض ولا متنازع، فهي تدعو إلى الوحدة والجماعة، قال ﷺ «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(١).

فالإسلام يدعو المسلم إلى أن يؤدي صلاته في جماعة خاصة في المسجد، لتجسيد مبدأ الأخوة والمساواة بصورة عملية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)

إذ يجتمع أهل الحي في اليوم خمس مرات فتتعارف وجوههم وتتصافح أيديهم، وهم يصلون خلف إمام واحد، يناجون رباً واحداً، فيكون ذلك أدعى إلى التماسك والوحدة بين أفراد المجتمع. قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٣).

نشاط

بين كيف يعمل الصيام على تماسك المجتمع.

(١) رواه ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء .

(٢) سورة الحجرات ، الآية (١٠).

(٣) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

- ١- بيّن كيف ينعكس التزام الفرد بالعبادة على المجتمع؟.
- ٢- الحج فريضة على كل مسلم. بيّن كيف يسهم في حفظ المجتمع من عوامل الانحلال والفساد؟.
- ٣- كيف تعمل العبادات على تربية الوجدان الديني عند المسلمين؟.
- ٤- استنتج الغايات الاجتماعية للعبادات الآتية: (الصلاة، الزكاة، الصيام).



المسرح السلاجي

الوحدة الرابعة

التربية الإسلامية والأخلاق

وتشتمل هذه الوحدة على:

- الأخلاق في الديانات الإلهية
- من خصائص الأخلاق في الإسلام (١)
- من خصائص الأخلاق في الإسلام (٢)
- التربية الخلقية ووسائلها
- من وسائل التربية الخلقية (التعليم المباشر)
- من وسائل التربية الخلقية (الممارسة العملية)
- من وسائل التربية الخلقية (الترغيب والترهيب)

الأخلاق في الديانات الإلهية

تعد الأخلاق من الأسس لبقاء المجتمعات، لما لها من تأثير كبير في سلوك الفرد والمجتمع ، ولذلك اهتمت بها الديانات الإلهية، وجاءت مؤكدة عليها، داعية إلى وجوب التزامها منهجاً وسلوكاً حتى يستقيم أمر الناس والمجتمعات، فما معنى الأخلاق؟ وما أنواعها؟ وما نظرة الأديان إليها؟

مفهوم الأخلاق

الخُلُقُ في اللغة: الطبع والسجية. وفي الاصطلاح: هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال والأقوال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية وبدون تكلف.

ومعنى أنها هيئة راسخة، أي أنها مجموعة من الصفات والمعاني المستقرة في النفس الإنسانية، فهي طبع وسجية، وفي ضوئها وميزانها تحسن الأفعال أو تقبح، ويتصرف الإنسان بعد ذلك تجاه الأفعال إقداماً أو إحجاماً. وعلى ذلك فالتصرف العارض من الإنسان لا يسمى خُلُقاً، فالذي يميل إلى التصديق مرة، ويميل إلى الادخار في ظرف آخر لا يكون كريماً. ومن ضبط نفسه، وكظم غيظه لوجود مانع قوي لا يسمى حليماً، لأن هذه الصفات ليست ثابتة في النفس البشرية ولا مستقرة فيها فلا تسمى أخلاقاً.

نوعا الأخلاق

بدهي أن الأخلاق نوعان، حسنة وسيئة، وهي في الإسلام جملة الأوامر والنواهي التي أمر بها وهي على نوعين:

- ١- محمودة: وهي التي أمر بها الإسلام كالصبر، والصدق، والحلم، والعفة والأمانة.
- ٢- غير محمودة: وهي التي نهى عنها الإسلام وحذر من الاتصاف بها كالكذب، والخيانة، والغش، ونقض العهود، وغيرها.

نظرة الإسلام للأخلاق

وقد نظر الإسلام للأخلاق المحمودة على أنها ثمرة الإيمان بالله، والالتزام بدينه الحنيف، وهي ثابتة لا تتحول

ولا تتبدل، لأنها جزء من العقيدة الإسلامية، ولأن أمر تقديرها لم يترك لأهواء الناس وأمزجتهم ومصالحهم الضيقة، بل حددته الشريعة الإسلامية.

والأخلاق الحميدة هي أخلاق الرسل عليهم السلام، والتربية الخلقية هي ركن عظيم لا قيام للمدين بدونها فقد روي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فقال الرسول ﷺ: «حسن خلق» وأمر الرسول الكريم المسلم في أي وقت وفي أي مكان أن يخالف الناس بخلق حسن. فقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالف الناس بخلق حسن»^(١)، وقد جاءت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات متوجة الصرح الأخلاقي بأكرم الأخلاق وأكملها، فقد قال، ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢)

وقد أمرت الشريعة الإسلامية المسلم بممارسة الأخلاق الحسنة في كل زمان ومكان، وفي كل الأعمال، في عبادته لله تعالى، وفي تعامله مع نفسه، وفي معاملته مع الناس جميعاً، دون النظر إلى المردود المادي المترتب على الالتزام بها، خلافاً لما عليه غير المسلمين، إذ يتعاملون بالأخلاق بالقدر الذي يعود عليهم بالمنفعة، وعلى المستوى الفردي فقط، ولذلك كانت الأخلاق غير أصيلة عندهم، لأنها ليست مستمدة من العقيدة، أما في الإسلام فالأخلاق جزء من العقيدة، لذا كانت أصيلة في النفس المؤمنة لا تفارقها في كل الظروف والأحوال، ولا يتخلى المؤمن عنها ولو أدى ذلك إلى حرمانه من بعض المنافع المادية.

وحذرت الشريعة الإسلامية من ترك الأخلاق والتهاون فيها أو مخالفتها، وجعلت العقوبة على ذلك ذنوبية إن كانت المخالفة الأخلاقية من الأعمال الظاهرة، وأخرية إن لم تكن المخالفة الأخلاقية من الأعمال الظاهرة التي يعاقب عليها في الدنيا. قال ﷺ: «إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الشرثارون، والمتشدقون والمتفهبون»^(٣).

الأخلاق في الشرائع السابقة

اهتمت الأديان الإلهية جميعاً بالأخلاق لأثرها الطيب في الفرد والجماعة، وقد سجل القرآن الكريم جانباً من هذه الأخلاق المطلوبة فقد تحدث القرآن الكريم عن لقمان وهو يعظ ابنه. قال تعالى:

﴿يٰٓبُنَيَّ اَقِمِ الصَّلٰوةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ ۗ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْاُمُوْرِ ۗ وَلَا تَصْعَقْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِ فِي الْاَرْضِ مَرَحًا ۗ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ ۗ ۝۱۸ وَاَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَاَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۗ اِنَّ اَنْكَرَ الْاَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيْرِ ۗ﴾^(٤)

(١) صحيح الجامع، تحقيق الألباني، حديث رقم (٩٧).

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ، باب حسن الخلق.

(٣) رواه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق.

(٤) سورة لقمان، الآيات (١٦-١٩).

إن هذه الوصية اشتملت على جوانب عدة من تعاليم الإسلام منها : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر في مواجهة المتاعب التي تواجه المؤمن من شدائد الدنيا، والصبر على إقامة الصلاة، والصبر على الأمر بالمعروف، والتقيّد بمكارم الأخلاق، وترك الأخلاق المذمومة كالتكبر والخيلاء والتفاخر، ورفع الأصوات دون سبب يوجب ذلك.

وتحدث القرآن أيضاً عن أخلاق مذمومة اتصف بها بعضهم زاعمين أن هذا من تعاليم دينهم، وليس هو كذلك، ومن هذه الأخلاق نقض العهود والكذب، والتلاعب بالدين، والمتاجرة به والخيانة. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِهَدْيِ اللَّهِ وَآيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١)

وقال الله تعالى :

﴿ فَأَعْقِبَهُمْ نِقَابًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(٢)

أهمية الأخلاق

للأخلاق أهمية بالغة في سعادة أي مجتمع وشقاوته، فكلما كان المجتمع متمسكاً بالأخلاق الفاضلة كان استقراره وأمنه متحققاً، وكلما ابتعد المجتمع عن الأخلاق الفاضلة وتحول إلى الأخلاق السيئة زاد شقاء المجتمع واضطرابه وعُدم استقراره، ولهذا فإن للأخلاق الفاضلة أهمية كبيرة تتجلى في:

- ١- تنمية الوازع الداخلي عند الإنسان، فالأخلاق ضرورية للأفراد والمجتمعات، ولا تغني عنها القوانين والأنظمة، لأن من لم تردعه نفسه لا تردعه القوانين.
- ٢- تدفع الإنسان إلى القيام بالأعمال على الوجه الذي يرضي الله تعالى، فيصدق في أعماله، ويحافظ على وعوده، وغير ذلك من كريم الأخلاق.
- ٣- تجعل المجتمع نقياً من أسباب المفسد والشور، ذلك أن كل فرد من أفراد المجتمع يقوم بما هو مطلوب منه على الوجه المطلوب، فلا يكون هناك مجال للنزاع والشجار.

(١) سورة آل عمران، الآية (٧٧).

(٢) سورة التوبة، الآية (٧٧).

- ١- اكتب تعريفاً للأخلاق بمفهومك الخاص.
- ٢- اذكر نوعي الأخلاق مع مثال لكل منهما.
- ٣- وضح نظرة الإسلام للأخلاق.
- ٤- لِمَ كانت الأخلاق في الإسلام ثابتة؟
- ٥- دعت الشريعة الإسلامية الأفراد إلى الالتزام بالأخلاق، وضح ذلك.
- ٦- بين القرآن الكريم أن الأنبياء عليهم السلام قد ركزوا على الأخلاق الفاضلة، وضح ذلك.
- ٧- بين أهمية الأخلاق.
- ٨- اكتب ثلاثة أخلاق تعدُّها مهمة في المجتمع وتحرص على الالتزام بها في حياتك

نشاط

ارجع إلى سورتي القصص والشعراء، واكتب آية واحدة تحدثنا عن الأخلاق عند الأمم السابقة.

من خصائص الأخلاق في الإسلام (١)

سبق لك أن درست مفهوم الأخلاق وأنواعها ونظرة الأديان إليها، وسنتناول في هذا الدرس ثلاثاً من خصائصها.

ارتباط الأخلاق بالعقيدة

العقيدة هي التي تدفع المؤمنين إلى التحلي بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن الرذائل والالتزام في حياتهم بكل سلوك حسن تدعو إليه مكارم الأخلاق، وقد وعد الله تعالى على ذلك الالتزام الفوز برضوان الله تعالى ونوال الأجر العظيم منه، ويظهر ذلك جلياً من خلال الربط بين الدين وحسن الخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فكثير من الآيات القرآنية تبين أن الأخلاق مستمدة من العقيدة، وأن الإيمان قوة عاصمة من المنكرات، دافعة إلى المكرمات، نجد أن الأمر بالخلق الحسن سبقه التذكير بالإيمان. قال تعالى :

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْتُمُوهَا اللَّهُ وَكُونُوا مَعَ ءَالِهَدِيْقِينَ﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (٣)

وقد وضح الرسول ﷺ أن الإيمان القوي يُوجد الخلق القوي، وأن انهيار الخلق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه. يقول ﷺ: «الحياء من الإيمان» (٤). ويقول ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» (٥). كما وصف الرسول ﷺ المؤمنين بصفات كثيرة، فقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (٦).

(١) سورة التوبة، الآية (١١٩).

(٢) سورة الحجرات، الآية (٦).

(٣) سورة الحجرات، الآية (١٢).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحياء شعبة من الإيمان.

(٥) رواه أحمد، ١٥٤/١٣٥/٣، والطبراني، (٢٢٠/٨).

(٦) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته.

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(١).

مما تقدم من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، يظهر أن الأخلاق تُربى في النفس بتقوية الشعور الديني وترتبط ارتباطاً وثيقاً بقوة الإيمان، تقوى بقوته وتضعف بضعفه.

غايتها إرضاء الله تعالى

إن أهم أهداف الأخلاق في الإسلام الوصول بالنفس الإنسانية إلى المرتبة التي تنال بها رضى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإن الأخلاق تعمل على إعداد الإنسان في هذه الحياة الدنيا للحياة الآخرة، فبذلك يكون رضوان الله تعالى وتنظيم الصلوة معه من أهم غايات التربية الخلقية في الإسلام. وبما أن الهدف الأساسي من الأخلاق نيل رضى الله تعالى، فإن ذلك يجعل الإنسان حريصاً على الالتزام بالأخلاق في كل حياته مهما اختلفت الظروف والأحوال فهو صادق وأمين، وفيّ وحليم، شجاع كريم، لا تتغير أخلاقه بهوى معين أو مصلحة ذاتية، لأن الإنسان المسلم الذي تربى التربية الإسلامية ارتبطت أخلاقه بعميقته، وليس بمصالحه وأهوائه، فلا تتغير كلما تغيرت المصالح أو تبدلت الأهواء، وكذلك لا تتغير الأخلاق بتغير المشاعر من كُره أو حب، أو غضب أو رضى، فلا يكون المسلم صادقاً وأميناً مع من يحب، وخائناً كاذباً مع من يكره، بل يكون صادقاً وأميناً مع كل الناس، سواء أكان يحبهم أم يكرههم، حتى مع الأعداء إلا في الحالات التي أباحها الإسلام وشرعها، كما جاء في الحديث الشريف: «الحرب خدعة»^(٢).

الأخلاق أحكام شرعية

لقد جاءت تعاليم الإسلام لتظهر أن الأخلاق الإسلامية تنتقل بالبشر إلى حياة مليئة بالفضائل والآداب، وقد عدّ الإسلام الوسائل المؤدية إلى هذا الهدف الجليل من صميم رسالته، كما عدّ الإخلال بهذه الوسائل خروجاً على الإسلام وابتعاداً عنه، وبناء على ذلك، فإن الأخلاق ليست من قبيل الترف الاجتماعي التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصل من أصول الحياة الثابتة التي يرضيها الدين ويعتبرها المتمسكين بها. وبذلك فإن الإسلام يعتبر الأخلاق توجيهاً إلهياً، يطالب المسلم بالالتزام بها في حياته، ولا يمكنه التخلي عنها أبداً، فأحكام الأخلاق جزء لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية، فهي أوامر ونواهٍ لا فرق بينها وبين الأوامر والنواهي المتعلقة بالعبادات والمعاملات، فلا فرق في نظر الإسلام بين قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٥)

(١) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب (٦)، وأبو داود، كتاب الصفة، باب (١٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب رقم (١٥٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب.

(٣) سورة آل عمران، الآية (٢٠٠).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٣٤).

(٥) سورة المزمل، الآية (٢٠).

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾^(١)

وأهم ما يترتب على هذه الخاصية أن الأخلاق إلزامية، يكون الاتصاف بها واجباً كما في قوله تعالى:

﴿ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢)

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾^(٣)

نشاط

استنتج بعض الفوائد المترتبة على اعتبار الأخلاق أحكاماً شرعية في حياة المجتمع الإسلامي.

الأسئلة

- ١- استنتج مبدأين ترتبا على ارتباط الأخلاق بالعقيدة الإسلامية.
- ٢- الأخلاق هي أحكام شرعية. وضح ذلك.
- ٣- تعدد الأخلاق أحكاماً شرعية. ماذا يترتب على ذلك؟
- ٤- بين كيف تربي الأخلاق الوازع الداخلي للإنسان.
- ٥- استنتج أمرين يترتبان على جعل غاية الأخلاق نيل رضى الله سبحانه.

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

(٢) سورة التوبة، الآية (١١٩).

(٣) سورة لقمان، الآية (١٨).

مرّ بك في الدرس السابق ثلاثة من خصائص الأخلاق في الإسلام، وهي: الارتباط بالعقيدة، وغايتها إرضاء الله تعالى، وأنها أحكام شرعية، وفي هذا الدرس سنتناول أربع خصائص أخرى وهي:

أولاً : موافقة الأخلاق للفطرة

عند النظر إلى طبيعة الإنسان، نجد أنه يتكون من جسم وعقل وروح قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِيْنٍ ﴿٧٦﴾ فَاِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِيْ فَقَعُوْا لَهٗ سٰجِدِيْنَ ﴾ (١)

ولكل من هذه المكونات حاجاتها ومطالبها، ولكل منها ضوابط وقيود تجعلها متوازنة ومتعادلة لا تطغى إحداها على الأخرى، فهذه الضوابط والقيود هي: مجموعة الأوامر والنواهي العملية التي تميز الشخصية الإسلامية عن غيرها من الشخصيات، هذه الأوامر والنواهي هي ما يمكن أن يطلق عليه الأخلاق الإسلامية، فكانت الأخلاق التي أمر الإسلام بها، ودعا إليها وحرص على تربية الأفراد عليها، ضابطة لمكونات الإنسان، موافقة لفطرته التي خلقه الله عليها.

ومن تعريف الأخلاق يتضح لنا أنها هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، وهذا يدل على أنها مستقرة في النفس بحيث لا تحس إزاءها بتردد، ولا يقع انقطاع بين الهيئة والسلوك المرافق لها، فلا يوصف الإنسان بالكرم، إلا إذا كان كرمه دائماً مستمراً راسخاً في النفس.

ومن جانب آخر فإن الأخلاق الإسلامية موافقة للفطرة، لأنها واقعية ممكنة التطبيق في حياة الناس، وبمقدور كل إنسان أن يتحلى ويلتزم بها. وبذلك فهي غير مثالية أو نظرية، بل هي منهاج عملي نظم حياة المجتمع الإسلامي وميّزه عن غيره من المجتمعات.

وبالمقابل لم تفترض في الإنسان الملائكية والتنزه عن العيب والنقص، بل عدت الخطأ والذنب والتقصير صفات ملازمة للطبيعة البشرية، حتى وإن تمثل فيها الإيمان قال تعالى :

﴿ وَالَّذِيْنَ اِذَا فَعَلُوْا فَحِيْشَةً اَوْ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوْا اللّٰهَ فَاَسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوْبِهِمْ ﴾ (٢)

(١) سورة ص، الآيتان (٧١، ٧٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٣٥).

ثانياً : شمول الأخلاق

إن الشريعة الإسلامية لم تترك صغيرة ولا كبيرة من الأخلاق الحسنة إلا واحتوتها ووضعتها في المكان المناسب من حياة البشر، فهي واسعة جداً، تشمل أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره فرداً أو جماعة أو دولة، فما من شعبة من شعب الحياة، إلا وللأخلاق فيها أثر بالغ وأهمية يُعتد بها، كبيئة الفرد، وبيئة المدرسة، ومجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع، والقانون والأدب، وميادين الجيش والشرطة، والمعسكرات، وساحات الحرب والمسلم، والمؤتمرات والأسواق.

ومن ذلك يظهر أن النظام الأخلاقي في الإسلام يحتضن في رحابه كل الفضائل الإنسانية، والأعمال الخيرة، ويدخل في نطاقه كل سلوك إرادي صادر عن إنسان راشد كما يتناول الأفعال الظاهرة والباطنة من مقاصد وتبّات. ومن نماذج شمول الأخلاق وتكاملها :

١- أخلاق النفس : مثل التقوى والهدوء، والسكينة والقناعة. قال ﷺ : «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»^(١).

٢- أخلاق الفكر : مثل الاستقامة والصراحة والوضوح والاستقلالية. قال ﷺ : « لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»^(٢).

٣- أخلاق المعاملة : مثل احترام العقود. قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾^(٣) وأداء الأمانات. قال ﷺ : «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»^(٤). والسماحة واليسير على المعسر. قال ﷺ : «رحم الله عبداً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»^(٥).

٤- أخلاق الحكم : مثل العدل. قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾^(٦) والمساواة في الحكم. قال ﷺ : «والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(٧).

٥- أخلاق الأسرة : مثل معاملة الزوجة بالحسنى. قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٨) وقال ﷺ : «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه»^(٩).

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض.

(٢) رواه الترمذي، جامع الأصول، (٢٢٣/١١)، رقم (٩٣٠٩).

(٣) سورة المائدة، الآية (١).

(٤) رواه الترمذي، كتاب البيوع.

(٥) رواه البيهقي، كتاب البيوع، باب (١٦، ١٨). وابن ماجه، كتاب التجارات، باب السماحة في البيع.

(٦) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٧) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب النهي عن الشفاعة في الحدود.

(٨) سورة النساء، الآية (١٩).

(٩) رواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب لا يخطب الرجل على خطبة أخيه.

ثالثاً : ثبات الأخلاق الإسلامية

يقصد بثبات الأخلاق في الإسلام، أن فضائل المجتمع من صدق ووفاء، وأمانة وعفة وإيثار، كلها تتركز في أساسها على الدين والعقيدة. قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(١) لذا فإن الأخلاق ثابتة في نفوس الناس كثبات إيمانهم واعتقادهم، يلتزم بها الأفراد والجماعات في جميع أحوالهم وظروفهم، لا تتغير بتغير الزمان واختلاف الأمم والشعوب، ولا تكون تبعاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية. ومن ناحية أخرى، فإن ثبات الأخلاق لا يعني تحجرها وجمودها، فهي مع ثباتها مرنة، وهذا يعني أنها بحقيقتها ومفهومها ثابتة لا تتغير ولا تتطور، وإنما مرونتها في أن صور تطبيقها وحالاتها هي التي تتغير وتتطور بتغير الأزمنة واختلاف الشعوب والأمم.

نشاط

قارن بين الأخلاق عند المسلمين والأخلاق عند غير المسلمين.

وبما أن الأخلاق تتصف بالثبات، فإن النسبية منتفية منها فما معنى النسبية في الأخلاق؟ يزعم بعض الناس أن الأخلاق نسبية اعتبارية، وليس لها حقيقة مطلقة ثابتة، وهي قابلة للتغيير والتبديل من زمان إلى زمان ومن أمة إلى أمة ومن مكان إلى مكان، فبعض الأمور تُعدُّ منافية لمكارم الأخلاق عند شعب من الشعوب، ولا تُعدُّ منافية لمكارم الأخلاق عند شعب آخر، وبعض الأمور كانت في زمان مضى أموراً منافية لمكارم الأخلاق، ثم صارت بعد ذلك أموراً غير منافية لها، وهذا يدل على أن الأخلاق في زعمهم مفاهيم اعتبارية تتفق عليها الشعوب، ليس لها ثبات في حقيقةها أو مقاييسها. وهذا المفهوم باطل، لأنه ينظر إلى الأخلاق كالعادات والتقاليد، التي تتغير وتتبدل بتغير الزمان والشعوب. وكذلك لأنه يعتمد في الحكم على الأخلاق بمقاييس وأحكام شخصية، والأخلاق ليست كذلك، بل هي في الإسلام مرتبطة بالعقيدة الإسلامية، يعدها الإسلام أحكاماً شرعية، أمر بها الشرع وطالب الناس الالتزام بها.

رابعاً : الأخلاق معياراً للسلوك

إنَّ الأخلاق تؤثر في السلوك تأثيراً بليغاً، إذ أنها ليست نظريات أو أعراف وتقاليد راسخة، بل إنها هيئات وصفات ثابتة في النفس البرية، تؤثر فيها تأثيراً عملياً ويظهر أثرها في سلوك الإنسان، فيعمل على تشكيل حياته والتأثير في علاقته وتصرفاته.

(١) رواه الترمذي، أبواب الإيمان، باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان.

والأخلاق كذلك تفتح عيون الناس على الأعمال، لتريهم خيرها من شرّها، ويستطيع الإنسان الحكم على الأشياء والأعمال بالخير أو الشر، وتقويمها كذلك تقويماً مستقلاً يعتمد على فهم إسلامي حقيقي لمفاهيم الأخلاق، غير خاضع في أحكامه لما ألفه الناس أو تعودوا عليه، وهذه المقدرّة على معرفة الأشياء والحكم عليها، خيراً أو شراً تزداد بممارسة الأخلاق ممارسة عملية مستمدة من الحقائق الإسلامية.

وبما أنّ الأخلاق في نظر الشريعة الإسلامية هي: أحكام شرعية التي أمر الله تعالى بها عباده، يلتزم بها المكلفون من غير إفراط ولا تفريط، ويجتهد الناس على الالتزام بها في حياتهم، كل بقدر استطاعته، حتى تصبح رقيباً داخلياً في نفس كل إنسان مسلم، ليضبط سلوكه ضبطاً ذاتياً، ويتقوى الشعور الداخلي عنده بمراقبة الله تعالى له في حياته، مما يجعل جميع ممارساته وسلوكه وتصرفاته لا تخرج عن حكم الله تعالى وشرعه.

نشاط

ارجع إلى سورة «المؤمنون» الآيات (١-١٠) واكتب في دفترك الصفات الخلقية التي يتصف بها المؤمن.

الأسئلة

- ١- الأخلاق الإسلامية موافقةٌ لمفطرةٍ بين ثلاثة جوانب لذلك.
- ٢- وضح المقصود بشمول الأخلاق في الإسلام.
- ٣- اذكر مثلاً خلقياً واحداً على كل مجال من المجالات الآتية:
الأسرة، المدرسة، العمل، السوق، البيع، الشراء، المكتبات العامة، المطارات، الحرب، الحج، والمسجد.
- ٤- استنتج أثرين لثبات الأخلاق الإسلامية في المجتمعات والأفراد.
- ٥- وضح المقصود بمرونة الأخلاق.
- ٦- وضح المقصود بنسبية الأخلاق واستدل على عدم دقة هذا الرأي من واقعك.
- ٧- استنتج خطراً واحداً ينتج عن القول بنسبية الأخلاق.
- ٨- بين كيف تكون الأخلاق معياراً لضبط السلوك الإنساني.

التربية الخلقية ووسائلها

للتربية الخلقية في الإسلام وسائل مختلفة ومتنوعة تؤثر في تربية الفرد والجماعة إيجابياً لبناء المجتمع الإسلامي الفاضل، وجعله قوياً متماسكاً بأخلاقه وفضائله التي يمثّلها أفرادها سلوكاً جيداً دائماً في حياتهم، فما معنى التربية الخلقية؟ وما أهميتها؟ وما وسائلها؟

معنى التربية الخلقية

التربية الخلقية في الإسلام هي العمل على غرس الأخلاق الإسلامية في نفوس النشء، لتقويم سلوكهم وتهذيب نفوسهم وحمايتهم من الانحراف، وإبعادهم عن الرذائل وزرع الخوف من الله في نفوسهم، مرتكزة في ذلك إلى العقيدة الإسلامية والتوجيهات الإلهية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأن الدين أصل الأخلاق ومصدرها وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية أن غرس هذه الأخلاق في نفوس الناس يتم بوسائل متنوعة، كالقدوة الصالحة، والتعليم المباشر، والمراقبة الذاتية، والعبادة، والنصح، والتوجيه، والترغيب والترهيب، ويختلف تأثير هذه الوسائل في النفوس باختلاف الأفراد والظروف والأحوال. وعلى المربي عندما يقوم بغرس الخلق الحسن، وتعديل السلوك لدى الأفراد، أن تكون أساليبه التربوية موافقة لشرع الله تعالى، وأن يراعي كذلك مقدرة الناس وطاقتهم وأحوالهم، الاجتماعية والنفسية وأن يرفق بهم، حتى لا يُثقل عليهم فيملأوا، وتكون النتيجة عكسية، وأن تكون التربية الخلقية للناس ضمن المنهج التربوي الإسلامي المتكامل المؤثر.

أهمية التربية الخلقية

تكمُن أهمية التربية الخلقية في أنها تعرّف الأفراد الأخلاق الإسلامية، وتعدّهم لحياة عملية، تظهر فيها الأفكار والقيم الإسلامية حية، وتتمثل في حياة الأفراد والجماعات إسلاماً عملياً حقيقياً، كل بحسب طاقته، لتعطي ثمارها الملموسة في واقع حياتهم، وبذلك تعمل التربية الخلقية على نشر الخلق والفضيلة بين الأفراد والجماعات، وتعمل كذلك على إبعاد الشر والرذيلة عن واقعهم أفراداً وجماعات، وإذا ساد الخلق الفاضل وانتفى الخلق السيء فإن ذلك يعني مجتمعاً هائلاً سعيداً آمناً مطمئناً.

فالتربية الخلقية تكسب السلوك تميزاً واضحاً، وتعده وتغيره بما يتلاءم مع الدين، وتربي الإنسان المسلم تربية عملية على المعاملة الحسنة بين أفراد المجتمع، ومراعاة أحاسيسهم ومشاعرهم، وتهتم التربية الخلقية كذلك بتربية

الإنسان على مبادئ الإسلام، عندما يلتزم الإنسان بالعدل والإحسان، والبر وصلة الرحم، وأداء الحقوق إلى أهلها والصدق والتواضع، ويبتعد عن الجور والعقوق، والبغي والفجور، وقطع الأرحام والربا والأذى.

نشاط

استنتج فائدتين لانتشار الفضيلة وإبعاد الرذيلة عن المجتمع .

وتحقق التربية الخلقية السعادة الحقيقية للفرد والجماعة، بالتوفيق بين حاجات الفرد ومطالبه، وحاجات الجماعة ومطالبها. دون ذوبان شخصية الفرد في المجتمع، ودون ظهور الأنانية والفردية على حساب المجتمع . ومن جانب آخر، فإنها تكسب المجتمع الإسلامي حصانة تزيد من تماسكه، وتحول دون انهياره، وتحفظه من عوامل الفساد والانحلال. كما تسهم التربية الخلقية تسهم في تربية الإرادة التي تُعوّد النفس على الأخلاق المحمودة، وتبعدها عن الأخلاق المذمومة.

أساليب التربية الخلقية

ذكرنا في صدر هذا الدرس أن التربية الخلقية في الإسلام تتم بوسائل متعددة منها:

القدوة الصالحة

إن التربية الخلقية بالقدوة من أهم الأساليب التربوية تأثيراً في نفس المتعلم، لدوام أثرها واستمراره في النفس، لذلك ركز الإسلام على هذه الوسيلة، وطلب من المسلمين الاقتداء برسول الله ﷺ فقال الله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١)

وتتمثل القدوة في الأب أو الأخ، أو الصديق، أو المعلم أو العالم أو الحاكم، فهؤلاء يتأثر بهم الناس، ويقتدون بهم في القول والعمل، فإن كانوا صالحين قلدوهم في صلاحهم، وإن كانوا غير صالحين أثروا فيمن حولهم، ولذا ينبغي أن يكون الآباء والأصدقاء، والعلماء والحكام، قدوة صالحة للناس في مجتمعاتهم فقد كان الصحابة والتابعون والمسلمون الأوائل حريصين على أن يطبقوا ما يعتقدونه سواء بالفعل أو بعدمه، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا صعد المنبر لينهى الناس عن شيء جمع أهله وقال لهم: «إني نهيت الناس عن كذا وكذا وإن الناس ينظرون نظراً بنظر، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أخضعت عليه العقوبة». ولكي يغرس الإنسان في نفسه الأخلاق الفاضلة عليه أن يتخير أصدقاءه ممن حسنت أخلاقهم، واکتملت فضائلهم، وأن يبتعد عن الصديق السيء كي لا يتأثر به في سلوكه. قال تعالى يصف ندم العصاة يوم القيامة:

﴿ يَوَلِّتَنِي لِيَتَّبِعَنِي لِمَ أَتَّخَذُ فَلَانَا خَلِيلًا ﴾ (٢) وقد نهىنا الرسول ﷺ إلى أهمية الصديق فقال: «الرجل على

(١) سورة الأحزاب، آية (٢١).

(٢) سورة الفرقان، الآية (٢٨).

دين خليله فليَنظر أحدكم من يخال»^(١).

ويكون التأثير بالقدوة بطريقة عفوية غير مقصودة، فيكون أثرها أبلغ وأوقع في النفس البشرية، وأحياناً يكون التأثير بالقدوة بطريقة مقصودة، وقد تعلم الصحابة من أحكام الإسلام بأسلوب الاقتداء برسول الله ﷺ بطريقة مباشرة، حينما تعلموا أداء الصلاة وأعمال الحج.

وتعد كذلك من القدوة الصالحة التي تعين على الفضيلة وتربي عليها النفس، سير الأبطال والصالحين، وذلك بقراءة كتب تراجم العظماء وقصصهم، وما قاموا به من أعمال جليلة في حياتهم، لا سيما إذا دخل في النفس الإنسانية عظمة المُقتدى به وهيبته، فيقوى تمسكه به وبسيرته، وتمثله لصفاته وأعماله. وبذلك تكون القدوة الصالحة هي الأساس في تقويم الاعوجاج والانحراف، وتوجيه السلوك الفردي والجماعي نحو الرفعة والكمال.

مواقف من حياة السلف

كان السلف الصالح لشدة حُبهم لرسول الله ﷺ يحرصون على الاقتداء به في كل أفعاله وأحواله، فقد كان الصحابة، رضي الله عنهم يقتدون بأخلاقه ﷺ التي وصفه بها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢)

وقد روي عن خارجة بن زيد: «كان النبي ﷺ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عن تكلم كلاماً غير جميل، كان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً، لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به»^(٣).

روي عن علي، رضي الله عنه، أنه قال: «كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»^(٤). وقال أنس، رضي الله عنه: «فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبيل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة، في عنقه سيف، وهو يقول لِمَ تراعوا؟ لِمَ تراعوا؟»^(٥).

وأخرج البخاري عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قوله مخاطباً الحجر الأسود في البيت العتيق: «أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك»^(٦).

وفي موقف سجله التاريخ، حينما دخل عمر، رضي الله عنه، مدينة القدس ودعاه البطريرك لتفقد كنيسة القيامة فلبى دعوته، وأدركته الصلاة فدعاها إلى الصلاة فيها، فقال عمر: «ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة، فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلى عمر ويبنون عليها مسجداً» فكان موقف عمر هذا مبنياً على علمه بأن المسلمين حريصون على الاقتداء برسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم.

(١) رواه الترمذي، انظر صحيح الجامع، تحقيق الألباني، حديث رقم (٣٥٤٥).

(٢) سورة القلم، الآية (٤).

(٣) رواه الترمذي، باب المناقب.

(٤) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة حنين.

(٥) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب شجاعته صلى الله عليه وسلم، والبخاري، كتاب الجهاد والسير.

(٦) رواه البيهقي في سننه، (٤٧/٥)، وعبد الرزاق في مصنفه، (٧٢/٥).

اذكر موقفاً من حياة السلف تبين فيه اقتداء المسلمين برسول الله ﷺ وصحابته الكرام.

أثر القدوة في التربية

يرى الإسلام أن وسيلة القدوة أنجح وسائل التربية الخلقية، لذلك أقام الإسلام التربية الدائمة للأجيال وأعدّها على هذا الأساس، لأن القدوة تُعطي الفرصة للأفراد أن يحققوا كل ما يستطيعونه وكل ما يقدرّون على تحمّله في الاقتداء، فيؤدي ذلك إلى ثبات ما اكتسبه الأفراد بالقدوة في نفوسهم، وبناء شخصياتهم المتكاملة التي تسهم في بناء مجتمعهم وتماسكه. فقد أوصى الإمام الشافعي مؤدّب أبناء الخلفية هارون الرشيد بقوله: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعتتّهم معقودة بيدك، فالحسن عندهم ما استحسنته والقبيح عندهم ما تركته».

ومن الملاحظ أن الناس يحتاجون دائماً إلى القدوة الصالحة في حياتهم، لذلك جعل الله عز وجل محمداً ﷺ قدوة للمسلمين في كل زمان ومكان، وجعل حياته ترجمة عملية حيّة لحقائق الإسلام وتعاليمه وآدابه وتشريعاته، فكان ﷺ في شخصيته النموذج الخلقى الكامل الصالح للاقتداء به في كل أمر من أمور الحياة.

الأسئلة

- ١- بين مفهوم التربية الخلقية في الإسلام.
- ٢- استنتج ثلاثة من الأمور التي يجب على المربي أن يراعيها في التربية الخلقية.
- ٣- وضح المقصود بالقدوة الصالحة كأحد أساليب التربية الخلقية.
- ٤- اذكر طرق التأثير بأسلوب القدوة الصالحة، مع ذكر مثال على كل طريقة.
- ٥- بين أهمية التربية الخلقية في الإسلام.
- ٦- وضح أثر القدوة في التربية.
- ٧- استنتج أهمية كل من: الحاكم، والصدّيق، والمعلم، في الاقتداء.

من وسائل التربية الخلقية التعليم المباشر

الدرس الخامس

علمت في الدرس السابق مفهوم التربية الخلقية في الإسلام وأهميتها، وأهم وسيلة من وسائلها وهي القدوة الصالحة، وفي هذا الدرس سنتحدث عن وسيلة مهمة أخرى من وسائل التربية الخلقية في الإسلام، هي التعليم المباشر.

مفهوم التعليم المباشر

نعني بالتعليم المباشر نقل المعاني والمفاهيم إلى المتعلم وتوضيحها له، وإعطاء المعلومات بطريقة مباشرة، عبر وسائل الاتصال والأساليب المختلفة، كالقصة والشرح والمناقشة والحوار والتعليل والتحليل، بحيث يدرك المتعلم هذه المعلومات والمفاهيم بحفظها أو تدوينها، أو بهما معاً، ليقف بها على الجانب المعرفي، وإذا أردنا نقل الأخلاق بالتعليم المباشر فإن المتعلم يقف عليها من خلال وسائل الاتصال المختلفة. وهذه الوسيلة هي الأعم والأكثر انتشاراً في مجال التربية الخلقية، وتتم عن طريق المؤسسات العلمية، ومجالس العلماء والندوات والمناظرات وغيرها.

الحاجة إلى التعليم المباشر

إن حاجة الإنسان إلى التعليم المباشر ماسة، فالعلم بالتعلم والفقہ بالتفقه، وقد أكرم الله تعالى الإنسان بالعقل، وجعل له السمع والبصر واللسان أدوات التلقي والأداء في عملية التعليم المباشر، ولكي يتمكن الإنسان من الاستمرار في الحياة بصورة كريمة آمنة، فإنه يحتاج إلى التعلم المستمر، ولما كانت قدرات البشر متفاوتة في الفهم والاستيعاب والتعلم، فقد تنوعت وسائل التعليم لتساعد كل فرد على التعلم بحسب قدراته، ولتهيء الفرص التعليمية المناسبة له.

مواقف من حياة النبي ﷺ في التعليم المباشر

مواقف التعليم المباشر في حياة النبي ﷺ لا تحصى، فأحاديثه الشريفة ومجالسه الكريمة، تعد من التعليم المباشر التي يُعلم فيها المسلمين، ويوضح لهم أمور دينهم، سواء أكانت في العقيدة أم الأحكام العملية أم الأخلاق أم الآداب.

وخير ما يمثل الجانب التعليمي، حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: «بينما نحن جلوس عند

رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام... إلى أن قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك...» (١).

ففي هذا الحديث يلتقي جبريل، عليه السلام، وهو على هيئة رجل شاب، نظيف متأدب بآداب الإسلام، يجلس أمام النبي ﷺ وهو جالس مع نفر من أصحابه الكرام، فيبدأ جبريل عليه السلام سائلاً، يا محمد أخبرني عن الإسلام، فيجيبه ﷺ بأركان الإسلام، ثم بأركان الإيمان، ثم يخبره عن حقيقة الإحسان الذي يرتقي بصاحبه إلى أعلى المراتب، وهي صفة عظيمة تتمثل في استمرارية المراقبة لله تعالى، ومن يتصف بهذه الصفة لا بد له أن يكون ربانياً، لا يتحرك ولا يسكن إلا بتوفيق الله وتأييده، لأنه لا يفعل إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى. فهذه الإجابة من النبي ﷺ تعليم مباشر لأصحابه عبر أسئلة أثارها جبريل عليه السلام لتعليم الناس أمور دينهم، كما جاء في نهاية الحديث قوله ﷺ: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» (٢).

نشاط

استنتج أهمية عدم إخبار النبي ﷺ أصحابه عن السائل منذ البداية.

وقد كان النبي ﷺ يجتمع بأصحابه ليعلمهم أمور دينهم وديناهم ومن أمثلة ذلك:

١- تعليمه المباشر للمغلام الذي أخذت يده تطيش في الصحيفة، فعلمه النبي ﷺ آداب الطعام بقوله: «سَمَّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك» (٣).

٢- تعليمه كيفية الصلاة الصحيحة للمسيء في صلاته، حيث علمه كيفية أداء الصلاة على الوجه المشروع.

٣- تعليمه ﷺ أصحابه العبادات من صلاة وحج وغيرها، بالفعل والقول، وأمره لهم بالاعتداء به كقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» (٤). وقوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم» (٥).

وهذا الهدي النبوي جاء ترجمة لقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٦)

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام.

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة...

(٥) رواه الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في الإفاضة من عرفات.

(٦) سورة الجمعة، الآية (٢).

استنتج الفروق بين المواقف التعليمية الثلاثة السابقة.

مواقف من حياة السلف

مواقف السلف الصالح في التعليم المباشر أيضاً كثيرة، فمجالس التعليم ومجالس الحديث والفقهاء وغيرها، من التعليم المباشر الذي يتلقى فيه المتعلم بعض المفاهيم والمعلومات، بالحوار والمناقشة، أو القصة أو التلقين بالمحاضرة أو التحليل.

ومن المواقف الجميلة في التعليم المباشر، ما كان من الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - عندما رأيا شيخاً كبيراً لا يحسن الوضوء، جاءاه وطلبا منه أن يحكم بينهما، أيهما يحسن الوضوء أكثر من الآخر، فتوضأ الحسن ثم الحسين وضوءاً شرعياً تاماً، فظن الشيخ إلى عدم إتقانه لوضوئه فأثنى عليهما ودعا لهما.

أثر التعليم المباشر في التربية

مما تقدم يتبين لنا كيف يؤثر التعليم المباشر بأساليبه المتنوعة في التربية الخلقية تأثيراً يؤدي إلى تصحيح السلوك وتصويب المفاهيم، وهو أمر لا بد منه، لأن العلم يسبق العمل، ولا يمكن أن يؤدي العمل إلا بعد العلم الصحيح الذي يوضح الحقائق، ويبين كيفية أداء المطلوب، إذ إن الخلق التزام يؤدي إلى إحداث قيم واتجاهات مرغوب فيها، ولا تستطيع الركون إلى تلك القيم والاتجاهات إلا إذا انبعثت عن وعي كامل حقيقي بالموضوعات الخلقية، وإدراك لأهميتها وفائدتها، وبغير ذلك تكون الأخلاق عرضة للتغيير والعبث والتبدل.

اذكر موقفاً واحداً أثر في حياتك تعلمت فيه بطريقة مباشرة.

الأسئلة

- ١- وضح مفهوم التعليم المباشر بوصفه أحد أساليب التربية الخلقية.
- ٢- تُعدُّ حاجة الناس إلى التعليم المباشر حاجة ماسة وضح ذلك.
- ٣- اذكر موقفاً واحداً من مواقف الرسول ﷺ في التعليم المباشر.
- ٤- ماذا تستنتج من موقف الحسن والحسين في تعليم الشيخ؟.
- ٥- بين أثر التعليم المباشر في التربية الخلقية.
- ٦- بين متى يمكن أن يُستخدم التعليم المباشر في التربية الخلقية بفاعلية.

من وسائل التربية الخلقية التدريب والممارسة العملية

الدرس السادس

فيما مضى درسنا أثر القدوة والتعليم المباشر في التربية الخلقية ونضيف هنا دور التدريب والممارسة العملية، فما مفهوم التدريب؟ وما أثره في التربية الخلقية؟

مفهوم التدريب والممارسة العملية

هو قيام المعلم بأداء المهمة التعليمية بالفعل أو القول، لإيضاح مفهوم معين، أو بيان نمط من أنماط السلوك أو تصحيحه، وحث المتعلم وتدريبه على المتابعة والاقتراء، وقد كانت الممارسة العملية أسلوباً مميزاً في حياة النبي ﷺ، وكان يتمثل أخلاق الإسلام في نفسه بصورة عملية في كل موقف من مواقف حياته، وكان يعلم أصحابه ويربيهم على الأخلاق الفاضلة الحميدة بالممارسة العملية، فقد كان لهم الأسوة الحسنة كما وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(١)

وفيما يأتي بعض الأمثلة لأسلوب التربية بالممارسة العملية في حياة الرسول ﷺ.

١- عندما كان النبي ﷺ مع بعض أصحابه وأرادوا ذبح شاة ليصنعوا لأنفسهم طعاماً، وقد اختار بعضهم ذبح الشاة وبعضهم سألها بادر ﷺ لاختيار مهمة صعبة، هي جمع الحطب وإحضاره، ليضرب للمسلمين المثل الأعلى في القدوة الحسنة، وليكون أسوة لكل مسلم في كل المهمات.

نشاط

استنتج الأثر الذي تركه النبي ﷺ في نفوس أصحابه، رضي الله عنهم، بمشاركتهم العمل.

٢- وفي ثبات النبي ﷺ في أحد، وفي حنين وغيرهما، ما يثير الإعجاب حقاً، ويعطي المسلم درساً بليغاً في الممارسة العملية للمشجاعة والصبر، والثبات في أصعب المواقف وأشدّها. ففي غزوة أحد ثبت ﷺ وكان لثباته الأثر البالغ في تجميع المسلمين من حوله، وإحجام العدو من التماذي في قتل المسلمين أو غزوهم في المدينة لاستئصال شأفتهم. وكذلك الحال في غزوة حنين، فقد ثبت ﷺ حين فاجأ العدو المسلمين عند بزوغ الفجر في مضائق الوادي في منطقة حنين، وكان لثباته ﷺ، الأثر البالغ

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

في عودة المسلمين إليه، وتجمعهم من حوله، بعد فرارهم في بادئ الأمر، فحققوا النصر بإذن الله تعالى، ثم بثبات النبي ﷺ وصبره .

٣- عندما جاء سائل يسأل النبي ﷺ، فأمره بإحضار ما عنده من متاع فباعه له بدرهمين وأمره بإطعام أهله بدرهم، واشترى له فأساً بالدرهم الآخر، وأمره أن يحتطب ويحمل ما يحتطبه ويبيعه للناس، ففعل الرجل واستغنى عن السؤال، وفي ذلك يضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التربية الخلقية بالممارسة العملية، لتنهج أمته منهجه، وتسير على دربه، لتصل إلى مراتب العزة والشرف.

أثر الممارسة العملية والتدريب في التربية

للممارسة العملية والتدريب أعظم الأثر في التربية الخلقية، فهو أشد وقعاً في النفس البشرية، وأدعى إلى ثبوت العلم واستقراره في القلب والذاكرة على السواء، كما أنه يؤدي إلى الإتقان العملي وشعور الإنسان بالثقة في صحة العلم، وشدة الاقتناع وبلوغه أعماق النفس، بالإضافة إلى اتحاد الرغبة في المحاكاة، وسهولة التعلم بسببها، لاشتراك معظم الحواس في العملية التعليمية. كما كان يفعل الصحابة الكرام في تعلمهم وتعليمهم، متأسين بذلك برسول الله ﷺ وهو يدرّبهم على الأعمال، ويمارسها ممارسة عملية في مختلف الأوقات والمناسبات، ليعلم أصحابه، وقد كان ﷺ يطبق أوامر الله تعالى تطبيقاً دقيقاً، حتى قالت فيه السيدة عائشة أم المؤمنين: «كان خلقه القرآن» .

الأسئلة

- ١- وضح مفهوم الممارسة العملية والتدريب .
- ٢- هات مثلاً واحداً من حياة النبي ﷺ يدل على ممارسته العملية للتربية الخلقية .
- ٣- علام تدل مشاركته ﷺ الصحابة في الغزوات؟
- ٤- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
سبب انتصار المسلمين في غزوة حنين هو:
أ - كثرة عدد المسلمين إذ بلغوا اثني عشر ألفاً.
ب - ضعف المشركين، وكثرة وجود النساء والأولاد معهم.
ج - ثبات النبي ﷺ في المعركة.
د - وجود الأنصار والمهاجرين في الجيش.
- ٥- بين كيف يمكنك تقديم النصح لرجل سائل في حيّك، على غرار ما فعل النبي ﷺ مع الرجل الذي أمره بالاحتطاب .
- ٦- بين أثر الممارسة العملية والتدريب في التربية الخلقية .

نشاط

ارجع إلى سيرة ابن هشام، واستخرج منها موقفاً واحداً مارس النبي ﷺ فيه تربية أصحابه باستخدام الممارسة العملية.

من وسائل التربية الخلقية الترغيب والترهيب

تعددت وسائل التربية الخلقية في الإسلام، وقد بينا فيما مضى بعضاً منها، فتحدثنا عن القدوة والتعليم المباشر والتدريب والممارسة العملية، ونتحدث الآن عن وسيلة أخرى في هذا المجال، هي الترغيب والترهيب، فما معناها؟ وما أمثلتها؟

مفهوم الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب وسيلة من وسائل التربية الخلقية، مبنية على بيان الثواب والعقاب المترتب على أقوال الفرد وأعماله وسلوكه في تعامله مع الخالق سبحانه وتعالى ومع نفسه ومع غيره من الناس.
وإن شئت فقل: الترغيب: وعد يصحبه تحييب وإغراء بمنفعة أو متعة آجلة مؤكدة مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله تعالى.
أما الترهيب فهو: وعيد وتهديد بعقوبة دنيوية أو أخروية تترتب على اقتراف إثم أو التهاون في أداء واجب.

أمثلة على الترغيب والترهيب

وأمثلة الترغيب والترهيب متعددة، منها ما تجده في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومنها ما هو في واقع الحياة. وفيما يأتي بعض الأمثلة على كل واحدة منها:
أمثلة من القرآن الكريم: اتبع الرسل، عليهم الصلاة والسلام، أسلوب الترغيب والترهيب في دعوة أقوامهم إلى الإيمان، وقد حفل القرآن الكريم بالآيات الموضحة لذلك، منها:

١- قول الله تعالى:

﴿ قَالَ يَنْقُومِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٢١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)

(١) سورة نوح، الآيات (١-٤).

٢- قول الله تعالى:

﴿ فَمَأْمُونُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨٥﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ (١)

٣- قول الله تعالى

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَيُغَيِّرَنَّ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ يَشَاءُ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (٢)

٤- قول الله تعالى:

﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأُكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُوءِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (٣)

أمثلة من السنة النبوية

وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الترغيب والترهيب في دعوته، ومن الأمثلة على ذلك:

- ١- قوله ﷺ لأصحاب بيعة العقبة الأولى: «فإن وفيتم فلکم الجنة» (٤).
- ٢- قوله ﷺ لآل ياسر وهم يعذبون بسبب إسلامهم: «صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة» (٥).
- ٣- قوله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (٦).

(١) سورة التغابن، الآيات (٨، ٩).

(٢) سورة النور، الآية (٥٥).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٧٤).

(٤) سيرة ابن هشام، الجزء الأول.

(٥) سيرة ابن هشام، الجزء الأول.

(٦) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فتح الكذب وحسن الصدق وفضله.

أمثلة من الحياة

النفس البشرية مفضولة على الرغبة في المذلة والرفاهية وحسن البقاء، والرغبة من الألم والشقاء وسوء المصير، ولذلك فقد أولى الإسلام وسيلة الترغيب والترهيب أهمية عظيمة، بل إن معظم الأحكام الشرعية تقع بين ترغيب وترهيب، لما لهذا الأمر من تأثير بالغ في سلوك الفرد والجماعة.

وهذا الأمر يستوي فيه الناس سواء أكان الترغيب أم الترهيب لأمر ديني أو دنيوي، فالنفوس جبلت على محبة الثواب والنفور والعقاب، فالإنسان الذي تراوده نفسه في الحصول على أموال الآخرين دون حق، يردعه خوفه من قطع يده أو زجه في السجون.

والمسافر إلى بلاد نائية بعيدة عن الأهل والأصدقاء في ظروف مناخية قاسية للعمل فيها، يرغب في ذلك الأجر المرتفع والحوافز المشجعة. وقانون السير، فيه من الترهيب وفرض العقوبات ما يردع المستهترين في قيادة المركبات والحد من أخطار طيشهم، فمن يتجاوز السرعة المحددة في أماكن معينة يُعدُّ مخالفاً، ويغرم مبلغاً من المال، وترتفع قيمة هذه الغرامة لمن لا يتقيد بالإشارات الضوئية، فهذا الإجراء ترهيب يمنع العابثين وينظم أمور السير، وبذلك يتجنب المجتمع سلبيات كثيرة بسبب هذا الردع.

نشاط

اذكر ثلاثة آثار سلبية لمن خالف الإشارة الضوئية فقطعها وهي حمراء.

والطالب الذي يريد أن يحصل على علامات مرتفعة دون جهد يبذله في الدراسة، فتحدثه نفسه باللجوء إلى الغش في الامتحان، تردعه عقوبة الحرمان من النجاح معاملة له بنقيض مقصوده، وبسبب خوفه من العقاب. فإنه لا يطيع نفسه في هذا الأمر، بل يبذل جهده ووقته في تحصيل النجاح بجدارة وشرف.

أثر الترغيب والترهيب في التربية

مما تقدم نعلم حكمة مشروعية الحدود، وأحكام العقوبات في الإسلام، وندرك سر اهتمام الشريعة بوسيلة الترغيب والترهيب عند مخاطبة المكلفين بالأحكام الشرعية، فلا ريب أنها ناجحة مؤثرة في سلوك الفرد والجماعة.

فالترغيب يؤدي إلى أن يقوم الإنسان بعمله طواعية بمحبة وإقبال، وهذا له أثره البالغ في الإنجاز والجودة، سواء أكان العمل عبادة يؤديها أم مهنة وحرفة يحترفها.

والترهيب يردع العابثين، ويحد من خطورة سلوكهم واعتمادهم على الآخرين، ودون العقاب لا يمكن للأفراد

والجماعات أن يعيشوا حياة مطمئنة منظمة، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١)

والناس متفاوتون في استجاباتهم للأوامر والنواهي، فمنهم من ينقاد بالكلمة الطيبة، ومنهم من لا يستجيب إلا بالشدّة والغلظة والعقاب الجسمي الملموس، فمن كان سهلاً المعشر، ومحبباً للنظام والعمل الإيجابي فلا بد من أن يستجيب لوسيلة الترغيب، ولا يحتاج معها إلى الترهيب والعقاب، ومن كان على خلاف ذلك فلا بد من ترهيبه وإيقافه عند حده بالعقوبة المناسبة.

نشاط

أي أسلوب يؤثر في نفسك وسلوكك، الثواب أم العقاب؟ ولماذا؟

الأسئلة

- ١- حدد مفهوم الترغيب.
- ٢- حدد مفهوم الترهيب.
- ٣- هات مثالين من القرآن والسنة على الترغيب والترهيب.
- ٤- هات مثالين من واقع حياتك على نجاح وسيلة الترغيب في إتقان العمل وإنجازه.
- ٥- ما سر تحمل المشاق في السفر إلى بلاد بعيدة في ظروف مناخية قاسية؟
- ٦- ما موقفك من شاب يقود سيارته بسرعة فائقة في منطقة سكنية؟
- ٧- ما موقفك نحو زميلك الذي حصل على علامة مرتفعة نتيجة الغش في الامتحان؟
- ٨- بين الآثار الإيجابية لوسيلة الترغيب والترهيب في بناء مجتمعك.

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٩).

الوحدة الخامسة

التربية الإسلامية والعلم

وتشتمل هذه الوحدة على:

- العلم في الإسلام
- اهتمام الإسلام بالعلم
- الرحلة في طلب العلم
- آداب المعلم والمتعلم
- الاهتمام بالمؤسسات التعليمية
- التجريب
- التوثيق
- مواقف من سير العلماء المسلمين

العلم في الإسلام

الدرس الأول

لقد كرّم الله الإنسان، وفضّله على كثير من مخلوقاته بالعقل والإدراك والفهم، وجعله بالعلم والمعرفة يتفوق على معظم المخلوقات، ويتنفع بما أودعه الله في الكون من خيرات وكنوز. فما مفهوم العلم؟ وما أهميته؟ وما الغاية منه؟

مفهوم العلم

العلم لغة نقيض الجهل، واصطلاحاً هو إدراك الشيء على حقيقته، وإن شئت فقل: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. وهو بهذا المعنى يشمل كل المعارف والعلوم على اختلاف أنواعها وتخصصاتها.

العلوم الشرعية والعلوم المادية

العلوم منها ما هو متعلق بالأمور الشرعية التي تبين الأحكام، وتفصل كيفية العبادات والمعاملات، وتنظيم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره من الأفراد والجماعات، كما أنها تنظم علاقة الدولة بغيرها، وهذا العلم هو أشرف العلوم، لأنه صادر من عند الله تعالى، ويحقق الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة. أما العلوم الأخرى التي يحتاجها الناس، ويُسبغون بها حاجاتهم ليتمكنوا من الاستمرار في معيشتهم، ولها صلة بالكون والحياة فهي علوم مهمة أيضاً، حرص الإسلام عليها، وحث المسلمين على تعلمها، فبسببها يرتقي الإنسان إلى أفضل المستويات المادية التي تسهل عليه وسائل العيش ومستلزمات الحياة.

أهمية العلم

العلم بمفهومه الشامل يمكن الإنسان من تسخير ما في الكون لصالحه، ويزيد من قدرته على تحقيق آماله وطموحاته، ويلبي حاجاته الفطرية في الوصول إلى حقيقة الوجود التي تقرر أن لهذا الكون خالقاً هو الله تعالى.

القرآن الكريم يحث على العلم

اهتم الإسلام بالعلم وحث عليه، ويتبين ذلك بوضوح من خلال الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، التي وردت بشأن العلم، وبيان فضله ومنزلته الرفيعة.

لقد أنزل القرآن في بيئة لم يكن للعلم والتعلم فيها حظ كبير، فقد عُرف العرب حينئذ بالأميين، ومع ذلك فإن أول آية نزلت فيه تضمنت الأمر بالقراءة، والإشارة إلى العلم والكتابة.

ففي غار حراء نزلت أوائل سورة العلق، تخاطب النبي الكريم ﷺ، في قوله تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾

ولقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تحث على العلم وتأمر به، وترغب الإنسان في النظر في الكون والحياة، لسبر أغوارها والاستفادة من خيراتها.

قال تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿١﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٢﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٣﴾ ﴾

ففي هذه الآية وأمثالها دعوة إلى النظر في خلق الإنسان، الذي يتفرع عنه علوم شتى، تمكن الإنسان من المحافظة على حياة المواليد وتحسين ظروفهم الصحية.

وفي مجال الكون ومعرفة المواقيت والحساب، حثَّ القرآن الإنسان على معرفة هذه الأمور وكيفية الاستفادة مما يحيط به من عوالم وأفلاك. تقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَاجِّ ﴿١﴾ ﴾

وفي آية أخرى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴿١﴾ ﴾

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾

إن طلب العلم والحث عليه لا يقفان عند حد، ولعل الإنسان يصل إلى مرتبة عظيمة من العلم والمعرفة، ومع ذلك فالإسلام يطلب منه الاستمرار في طلب المزيد منه، وعدم الوقوف عند حد معين من العلم لا يتجاوز.

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿٦﴾ ﴾

وذلك لأن علم الإنسان بالنسبة إلى حقيقة الوجود، وأسرار الكون التي أودعها الله فيه، شيء لا يكاد يذكر، لقلته وضآلته.

(١) سورة العلق، الآيات (١-٥).

(٢) سورة الطارق، الآيات (٥-٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٨٩).

(٤) سورة يونس، الآية (٥).

(٥) سورة الأنعام، الآية (٩٧).

(٦) سورة طه، الآية (١١٤).

ضع عنواناً واحداً مناسباً لمجموع الآيات القرآنية الكريمة، التي ذكرت في الفقرة السابقة.

السُّنة النَّبَوِيَّةُ وموقفها من العلم

الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين أهمية العلم كثيرة، وقد حث ﷺ المسلمين فيها على طلب العلم، فقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١) وقال أيضاً: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٢) وقال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣).

وقصة فداء الأسرى في أعقاب معركة بدر الكبرى بتعليم أولاد المسلمين القراءة والكتابة مشهورة، وفيها دلالة واضحة على اهتمام الإسلام بالعلم والتعلم.

ارتباط العلم بالإيمان

يرتبط العلم والإيمان كل منهما بالآخر ويدعو إليه، يتضح ذلك لمن فهم الحقائق العلمية فهماً صحيحاً. فالعلم يدعو إلى الإيمان بوجود الله الواحد، والإيمان يركز في إثباته وإدراك أساسياته على العلم. فالعلم الذي يكشف توازن الكون، ودقته وإتقانه، وانسجامه في نظام بديع متناسق، يدل في النتيجة على وجود الخالق العظيم القادر، لأن الدقة والإبداع والإتقان لم تأت مصادفة، وإنما من ورائها مبدع قادر خالق عظيم. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٤)

وقال أيضاً:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾^(٥)

وهذه حقيقة ثابتة، يدركها كل من له أدنى معرفة في علوم الكون والحياة، قال العالم الفلكي «لا بلاس»: «إن القدرة التي وضعت الأجرام السماوية في المجموعة الشمسية وكشافتها وأقطارها ومداراتها حددت مدة دوران السيارات حول الشمس والتوابع حول السيارات بنظام مستمر إلى ما شاء الله لا يمكن أن تُنسب إلى المصادفة»^(٦).

إذن، فالعلم يدعو إلى الإيمان، ومن هنا كانت الغاية من العلم الوصول إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده

دون سواه .

(١) رواد ابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والبحث على طلب العلم.

(٢) رواد الترمذي، كتاب العلم، باب إذا أراد الله بعبد خيراً يفقهه في الدين.

(٣) رواد ابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والبحث على طلب العلم.

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٩٠).

(٥) سورة فاطر، الآية (٤١).

(٦) عبدالرزاق نوفل، الله والعلم الحديث، ص (٢٢).

القصـد من العلم

القصـد من العلم العمل، فمن تعلّم علماً فعليه تطبيقه بأن يمثّل أمر الله تعالى وأمر رسوله الكريم ﷺ، وينتهي عن كل ما نهى الله ورسوله عنه، وإلا أصبح علمه حجة عليه، قال تعالى:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

وقد ذم الله الذين يقولون ولا يعملون فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢)

كما يدخل في غاية العلم، التوصل إلى حقيقة الوجود الأزلية، وهي معرفة الله تعالى، والقيام بحقه من التوحيد، والتمجيد والعبادة الخالصة، وكذلك فإن من غايات العلم الارتقاء بالإنسان وتوفير الحياة الكريمة الفاضلة له.

نشاط

ارجع إلى كتاب «العلم يدعو إلى الإيمان» لعبد الرزاق نوفل، واستخرج منه موقفاً علمياً واحداً توصل فيه صاحبه إلى الإيمان بالله تعالى.

الأسئلة

- ١- وضح مفهوم العلم.
- ٢- اذكر بعض النصوص القرآنية الكريمة التي تبين أهمية العلم.
- ٣- اذكر حديثين من الأحاديث النبوية يدلان على أهمية العلم.
- ٤- «لم يقتصر الإسلام في نظره الشمولية للمعلم على العلوم الشرعية المبيّنة للأحكام العملية». وضح ذلك.
- ٥- العلم والإيمان متلازمان، بين ذلك.
- ٦- ما الغاية من العلم في الإسلام؟ اذكر دليلاً واحداً من القرآن الكريم يبيّن هذه الغاية.
- ٧- دُونَ بما لا يزيد على ثلاثة أسطر ما يمكن أن تستخلصه من قوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».
- ٨- قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣) بين مظهرين من مظاهر خشية العلماء لله تعالى.

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٥).

(٢) سورة الصف، الآيتان (٣، ٢).

(٣) سورة فاطر، الآية (٢٨).

علمت في الدرس السابق أهمية العلم للإنسان، والفائدة العظيمة التي يحققها العلماء لأنفسهم ولمجتمعانهم بالعلم، وأن الغاية من العلوم كلها سواء أكانت علوماً شرعية أو مادية، هي الوصول إلى غاية الوجود الإنساني، والإيمان بالله تعالى وعبادته وحده، والخضوع لعظمته وجلاله. وفي هذا الدرس سنتعرف موقف الإسلام من العلم، ونذكر منزلة العلماء في الإسلام، وأهمية وجودهم في المجتمع، وفيما يأتي بيان ذلك:

موقف الإسلام من العلم

لما كان محور الإسلام ومرتكزه الأساسي توحيد الله، وأن العلم ينبغي أن يؤدي إلى معرفة الله تعالى، ومنفعة الخلق، فقد كان موقف الإسلام واضحاً جلياً من العلم، فقد رفع منزلته، وحث عليه بصورة جادة، ورغب فيه ترغيباً عظيماً، ولم يقتصر هذا الموقف على العلوم الشرعية فحسب، بل تعداه إلى غيرها من العلوم والمعارف الأخرى التي ينتفع بها الإنسان، ويحقق من خلالها حياة كريمة آمنة مطمئنة. لذلك فقد دعا الإسلام إلى العلم، وإلى تحصيله من أوسع أبوابه، وإلى البحث والتجربة والابتكار، وحث العقول دائماً على التفكير والتدبير والنظر في صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه، وأمر بتقصي الحقائق، وكشف أسرار الكون، واكتشاف غوامضه والاستفادة من ذخائر الأرض، ومعطيات الخالق في الطبيعة، والانتفاع بخيراتها وكنوزها والاستفادة منها، وعمارة الأرض بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ.

هذا هو موقف الإسلام من العلم على اختلاف أنواعه ومجالاته، دون حصر في زمان أو مكان. وهذه العلوم منها ما هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، كمعرفة الحلال والحرام والأحكام المتعلقة بالعبادات، ومنها ما هو فرض كفاية، كعلوم التفسير والحديث وأصول الفقه واللغة، فإذا قام به البعض سقطت الفريضة عن الآخرين، ومنها علوم الطب والهندسة، والفلك وعلوم الصناعة على اختلافها مما يحتاجه المسلمون في حياتهم، لازدهار عيشتهم وتحقيق قوتهم وحفظ كرامتهم، كل ذلك يعد من العلوم التي يجب أن يوجد في الأمة من يتقنها على وجه الكفاية.

نشاط

اذكر الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية، واذكر مثلاً واحداً لكل منهما.

منزلة العلماء في الإسلام

لم تحظ فئة من البشر بما حظي به العلماء في الإسلام من منزلة وتكريم، يتضح ذلك من خلال الآيات الكريمة التي كرم الله تعالى فيها العلماء، ورفع من قدرهم ومنزلتهم، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(١)

فالعلماء يمتازون على غيرهم من الناس بما حباهم الله من عقل نير، وفهم ثاقب وعلم نافع، فهم ليسوا كغيرهم ممن لا علم عنده ولا معرفة لديه، لهذا كان قدرهم كبيراً ومنزلتهم رفيعة، يؤكد هذا قوله تعالى :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٢)

فالعلم أعظم درجة من غيره، ورفَّعُ الدرجة يدلُّ على الفضل وعلو المنزلة في الدنيا والآخرة، لأن العلماء ورثة الأنبياء وحملة الشريعة، وهم الذين يبيِّنون للناس ما يحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم، وبهم تقوى الأمة وتزدهر حياتها المادية والمعنوية.

ومن أهم ما يميز العالم عن غيره، أنه يدرك ما لا يدركه الآخرون، ويعلم ما لا يعلمه غيره من حقائق توصله إلى الإيمان بالله تعالى، ومعرفة قدره ما يليق بجلاله سبحانه، وبالتالي فهو أخشى الناس لله، وأقربهم إليه وأسرعهم استجابة لأوامره ونواهيه. قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٣).

فخشية الله تعالى التي يترتب عليها طاعته سبحانه، من أهم ما يميز به العلماء الأتقياء العاملين، لذلك كانت لهم هذه المنزلة الرفيعة التي بينها رسول الله ﷺ بقوله: «وإن العالم ليس يغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحية في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء»^(٤).

أهمية وجود العلماء في المجتمع الإسلامي

قد يتساءل المرء: لم كانت للعلماء هذه المنزلة العظيمة، وهذا الموقع المهم؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن المسلم لا يمكنه أن يمثل أوامر الله تعالى وأن ينتهي عما نهى عنه إلا إذا علم ما هو مطلوب منه، وما هو منهي عنه، والعلماء هم الذين يبيِّنون ذلك للناس، فهي وظيفة التي ورثوها عن النبي ﷺ فالعلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا هذا العلم الذي يسبق العمل، فلا عمل بلا علم، ووظيفة العالم بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالعقيدة والعبادات، والمعاملات والحدود، والسلوك والآداب، وغيرها.

(١) سورة الزمر، الآية (٩).

(٢) سورة المجادلة، الآية (١١).

(٣) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٤) رواه ابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والبحث على طلب العلم.

والعلماء بهذا هم قادة الأمة ونبراس حياتها ولحمتها، بهم يستنير الناس في الأيام الحالكة المظلمة، وبحكمتهم يستضيئون في ساعات المحن والضعف، فهم قدوة الكبير والصغير لما يتحلون به من إيمان وورع، وتقوى وأخلاق، وحلم وحكمة، وصبر وجأءد. والمجتمع الذي ينتشر فيه العلم، ويقوده العلماء، مجتمع قوي متماسك لا تعصف به الرياح، ولا تفرق وحدته الأحداث. وأما المجتمع الذي يسوده الجهل ويكثر فيه الجهلاء، فهو مجتمع ضعيف ضال متعثر، لا يلبث أن يكون لقمة سائغة للأعداء.

ومن هنا فقد كان للعلماء في الإسلام دور عظيم في تقدم الأمة الإسلامية عبر تاريخها الحافل الطويل، وكان لهم الفضل في نهوضها من كبوتها، وفي توحيد صفوفها ولم شملها. وتحقيق النصر كلما اشتدت بها الخطوب وادلهمت الليالي.

نشاط

اذكر موقفاً إيجابياً لعالم مسلم، تبين فيه أهمية وجوده في المجتمع .

الأسئلة

- ١- بين موقف الإسلام من العلم.
- ٢- هل يقتصر اهتمام الإسلام على العلم الشرعي دون غيره؟ وضح ذلك.
- ٣- استنتج منزلة العلماء في الإسلام من بعض نصوص الكتاب والسنة.
- ٤- ما صفات العلماء الذين يستحقون هذه المنزلة؟
- ٥- بين أهمية وجود العلماء العاملين في المجتمع.
- ٦- قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^ع
 - أ - بين لماذا جمع بين الذين آمنوا والذين أوتوا العلم. في الآية الكريمة.
 - ب - يرفع الله تعالى الذين أوتوا العلم درجات. وضح ذلك.

الرحلة في طلب العلم

الدروس الثالث

لقد رحل العلماء المسلمون في طلب العلم من قطر إلى قطر، ومن مدينة إلى مدينة، متحملين ما يعترضهم من مشاق السفر في سبيل تحقيق الهدف الذي ينشدونه وهو طلب العلم، لا يحركهم مكسب من مكاسب الدنيا، رائداهم في ذلك قول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١).

العناية بالارتحال

كان العلماء المسلمون يرتحلون من مكان إلى آخر طلباً للعلم وسماعاً للأحاديث النبوية الشريفة، ويؤكد الشعبي هذا بقوله: «لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع»^(٢). هذا مع طول المسافة بالنظر إلى وسائل السفر وصعوبة التنقل في ذلك الوقت، ومع ذلك اجتهد العلماء المسلمون لتحصيل العلوم المختلفة.

ورحل علماء اللغة إلى البادية يفيدون اللغة والأدب، فقد رحل الخليل بن أحمد وغيره من علماء اللغة إليها، يسمعون من أبنائها الأدب واللغة والشعر، ويسجلون ما يسمعون، وهم جهابذة البيان وأساتذة الأدب، ولكنهم أرادوا تسجيل اللغة كما ينطقها أبناء البادية بالسليقة. ورحل طلبة العلم من أبناء المسلمين إلى القسطنطينية بلد الحضارة اليونانية لطلب العلم، ولترجمة الكتب العلمية والطبية والفلسفية وغيرها.

نشاط

ما الدوافع التي تراها قد دفعت المسلمين إلى بذل المال والجهد والوقت للرحلة في طلب العلم؟

وأرسل المأمون البعثات العلمية لترجمة هذه الكتب والإفادة منها، وقد سافر (حنين بن إسحق) في طلب العلم، وابتدأ سفره إلى بلاد الروم. فأجاد اللغة اليونانية، ثم عاد إلى البصرة، ولازم (الخليل بن أحمد) وأخذ عنه كتاب (العين)، وحمله إلى بغداد عاصمة المسلمين، وتابع تحصيله العلمي، وعرف اللغات حتى أجاد اللغات: الفارسية واليونانية والسريانية إلى جانب اللغة العربية^(٣).

وهذا (يعحي بن يعحي الليثي البربري) الذي نشأ في (الأندلس)، وقرأ في (قرطبة) يرحل إلى المشرق، في

(١) رواه ابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والبحث على طلب العلم.

(٢) ضحى الإسلام، أحمد أمين، (٧٠/٢).

(٣) ضحى الإسلام، أحمد أمين، (٢٨٠-٢٨١/٢).

ربيعان الشباب، ويسمع من الإمام مالك الموطأ في المدينة المنورة، ثم يرحل إلى مكة المكرمة، ويسمع من سفيان بن عيينة ثم يرحل إلى (مصر) ويأخذ العلم عن (الليث بن سعد) و (عبد الله بن وهب) و (عبد الرحمن بن القاسم) من المالكية، ثم يعود إلى الأندلس وينشر فيها مذهب الإمام مالك، وقال عنه الإمام مالك: (عاقل أهل الأندلس). وهذا الإمام (محمد بن الحسن الشيباني) الذي ولد في (واسط). في بداية أمر الدولة العباسية، وانتقل إلى الكوفة، ونشأ فيها وكانت مركزاً من مراكز الفقه واللغة والنحو، وفيها جلّ علماء الفقه واللغة كأبي حنيفة وأبي يوسف والثوري والكسائي وغيرهم، وانصرف إلى طلب اللغة والشعر والفقه والحديث الشريف، وأنفق على طلب العلم ثلاثين ألف دينار في مقابل تلقيه للعلم الشريف في المدينة المنورة، التي استقر فيها سنوات ثلاث، وكان فيها الإمام مالك زعيم الفقه والعلوم كلها بلا منازع.

ورحل إلى الشام حيث التقى بالأوزاعي، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وأخذ العلم من (أبي عيينة)، ثم رحل إلى خراسان وأخذ العلم عن (عبد الله بن مبارك)، وبعد ذلك توجه إلى البصرة، وأخذ من علمائها، واستفاد الشيباني من هذه الرحلة بأن اطلع على طرائق هذه المدارس في الاستنباط، وبخاصة أهل الكوفة وهم أهل الرأي، إضافة إلى الطريقة النقلية السماعية، وهي طريقة أهل المدينة المنورة وعلماء مكة المكرمة وطريقة الأوزاعي.

وقد وضع هذا العالم الجليل كتاباً عدّه العلماء المحدثون في الغرب أول كتاب في القانون الدولي، وهو كتاب (السير الكبير)، الذي شرحه الإمام (السرخسي) وتقديراً لجهود هذا العالم وسبقه في الكتابة في هذا المجال أسّست جمعية في (غوتنجن) سميت جمعية محمد بن الحسن الشيباني، قامت بتأسيسها جمعية الحقوق الدولية، ومن أهدافها الرئيسة العناية بإظهار مؤلفات هذا العالم الذي جد في طلب العلم، ورحل من أجله إلى أماكن عدة متباعدة، مع صعوبة التنقل في ذلك العصر.

ومن هؤلاء العلماء أيضاً (القاسم بن سلام أبو عبيد) الأديب والفقير، والمحدث وصاحب التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه والشعر نجده قد تعلم القرآن الكريم على يد (الكسائي) وغيره من العلماء، وسمع الحديث من (إسماعيل بن عباس) وغيره، وأخذ عن (عبد الله بن مبارك) و (سفيان بن عيينة) وتفقه على يد الشافعي أيضاً، وكان يرتحل إلى هؤلاء العلماء أينما حلوا وحيثما وجدوا^(١).

الرحلة عند علماء الحديث

كان المحدثون أنشط العلماء وأكثرهم صبراً على عناء السفر. وهم مضطرون لذلك، بحكم الهدف السامي الذي ينشدونه لأن الصحابة قد تفرقوا في البلاد المفتوحة، فمنهم من سكن العراق، ومنهم من سكن مصر، ومنهم من استقر في المغرب، ومن بقي في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة أو اليمن. فكانت أحاديث كل قطر لا تعرف في الأمصار الأخرى، وصار لكل قطر من هذه الأقطار منهج خاص، وطريقة معينة في الاستنباط، ولكل طريقة أو منهج أتباعه من الناس.

فهذا البخاري صاحب الجامع الصحيح والتاريخ الكبير والأدب المفرد نشأ يتيماً، ثم قام برحلة طويلة طلباً

(١) الأعلام، (٨/٦).

للعلم وبخاصة الحديث الشريف، فزار خراسان ومصر والشام، وبلخ ومرو ونيسابور، إضافة إلى البصرة والكوفة وبغداد، ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وعسقلان وحمص واليمن، وأخذ العلم عن أشهر علماء هذه البلدان. ورحل مسلم بن الحجاج -صاحب الصحيح- في طلب العلم، وطاف البلاد إذ تلقى علومه الأولى في نيسابور، ثم ارتحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتجوّل في مختلف مدنّها طلباً للحديث الشريف. ومما يروى في رحلة الصحابة ما حدّث به عطاء بن أبي رباح قال: خرج أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عقبة، فلما قدم إلى منزل مسامة بن مخلد الأنصاري - وهو أمير مصر - فأخبره فعجل عليه، فخرج إليه فقال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: «حديث سمعته من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة فابعث من يدلني على منزله»، قال: فبعث معه من يدلّه على منزل عقبة، فأخبر عقبة فخرج إليه فقال: «ما جاء بك يا أبا أيوب؟» فقال: «حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق غيري وغيرك ممن سمعه في ستر المؤمن»، قال عقبة: نعم، سمعت رسول الله يقول: «من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية، ستره الله يوم القيامة»، فقال له أبو أيوب: «صدقت»، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً^(١).

ثمار الرحلة في طلب العلم

من أهم ثمار الرحلة في طلب العلم اطلاع العلماء على المسائل التي تحتاج إلى الأحكام الشرعية، إضافة إلى تلاقح الأفكار ومعرفة المستجدات والأحداث، والوقوف على حال الأمة والمدارس الفقهية ومدارس الحديث. مما دفع المسلمين إلى أن يديروا الحركة العلمية بدقة وعناية تامة بهدف نشر الدين الحنيف، واستخدم المسلمون القراءة والكتابة وفق ما أمر الله تعالى، ونتيجة لهذا ظهرت الحاجة إلى تعلم اللغات الأخرى وسائر العلوم التي تفيدهم في الدنيا والآخرة.

وفي مجال الحديث الشريف، نجد أن السنة الشريفة والآثار المختلفة انتشرت في مختلف الأمصار الإسلامية، وتعززت الطرق العلمية التي روي بها الحديث الواحد، وبالتالي ساعدت الرحلة في نشر الحديث وجمعه وتمحيصه والتثبت منه.

(١) معرفة علوم الحديث ص(٨). وجامع بيان العلم وفضله، ص(٩٣-٩٤). رواه ابن ماجه، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن، بلفظ آخر.

استنتج فائدة أخرى للرحلة في طلب العلم.

الأسئلة

- ١- ما مفهومك للرحلة في طلب العلم؟
- ٢- ما أهداف الارتحال في طلب العلم؟
- ٣- اذكر أهم مراكز العلم في البلاد الإسلامية.
- ٤- استنتج الدوافع التي دفعت العلماء المسلمين إلى الرحلة في طلب العلم.
- ٥- سمّ عالمين من علماء الحديث الشريف ميمناً ما بذلاه من جهد لتحقيق أهدافهما.
- ٦- بين هدف محمد بن الحسن الشيباني في الرحلة إلى المدينة المنورة.
- ٧- استنتج ثلاث فوائد وثمار للرحلة في طلب العلم.
- ٨- استنتج ثلاثاً من الصعوبات التي تواجه طلبة العلم في مجال الرحلة في طلب العلم في الوقت الحاضر.

آداب المعلم والمتعلم

لَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ يَنْظُرُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ نَظْرَةً جَلِيلَةً، فَمِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ الْعُلَمَاءُ وَطَلِبَةُ الْعِلْمِ عَلَى مَسْتَوَى رَفِيعٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي تَلِيقُ بِنَظْرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَيْهِمْ، فَالْعُلَمَاءُ قُدُوةُ النَّاسِ، يَلْجَأُونَ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ وَالْمُنَاسِبَاتِ، يَسْتَشِيرُونَهِمْ فِي شُؤُنِ حَيَاتِهِمْ وَيَأْتُمْنُونَهُمْ عَلَى أَسْرَارِهِمْ، كَذَلِكَ طَلِبَةُ الْعِلْمِ فَهَمُ عُلَمَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ، تَعْدَهُمُ الْأُمَّةُ مِنْ أَجْلِ النَّهْوِضِ بِهَا فِي جَمِيعِ جَوَانِبِ حَيَاتِهَا. لِهَذَا كَانَ لَا بُدَّ لِلْمُعَلِّمِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ مِنَ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقٍ حَمِيدَةٍ وَآدَابٍ فَاضِلَةٍ حَثَّ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ. فَمَا هَذِهِ الْآدَابُ؟

آداب المعلم

هناك صفات وآداب ينبغي أن يتصف بها المعلمون، بعضها يقع في دائرة الشروط والواجبات، ومنها ما هو من المندوبات والمستحبات، وأهمها ما يأتي:

- ١- أن يخلص النية في عمله: والمراد بذلك أن يكون المعلم متوجهاً بنيته إلى الله تعالى يقصد في تعلمه تحقيق النفع للمتعلم، وتعليمه العلم النافع للعمل به ونشره، وأن لا يستحوذ على قلب المعلم الرياء والسمعة، والكسب المادي المحض ونحو هذه المقاصد.
- ولا يتنافى إخلاص النية مع أخذ الأجر على التعليم، وذلك لاحتباس المعلم وتفرغه لمهمة التعليم فالتفرغ للتدريس في المدارس والمعاهد والكلية والجامعات وغيرها، أمر يتعذر معه السعي لكسب المال الذي ينفق منه المعلم على نفسه وأهله، ويقضي به حوائجه كغيره من الناس، لذلك فتخصيص راتب للمعلم أمر لا غضاضة فيه، بل هو ضروري ما دام يؤدي واجبه على الوجه التام دون تقصير أو إهمال.
- ٢- التحصيل العلمي: فالكفاءة العلمية لا بد من توافرها في المعلم، وهذا يتطلب منه التمكن من المعلومات التي يعطيها لطلبته، وعدم التدريس المرتجل، بل عليه التحضير المستمر لكل درس قبل إلقائه، والرجوع إلى المراجع المتخصصة الموسعة في الموضوع ليتمكن من المادة، ويلم بالموضوع بصورة دقيقة ومفصلة.
- ٣- الحرص على أن يكون قدوة للمتعلمين في أخلاقه وسيرته، محباً لأبنائه الطلبة، رؤوفاً بهم، يحرص على تعليمهم، ويحترم آراءهم ويقدرها، ويحتمل هفواتهم ويعالجها بحكمة وتعقل.
- ٤- العناية بالمظهر واللباس، وحسن الهيئة والنظافة في البدن والملابس وطيب الرائحة، فهو قدوة لطلبته، وينبغي أن يكون في أحسن صورة ممكنة، من غير تكلف أو تكبر أو تبذير.
- ٥- افتتاح درسه بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، والبداة بمقدمة مناسبة لموضوع الدرس ليهيء أذهان الطلبة له.

- ٦- الإقبال على طلبته فلا يخصص بعضهم باهتمامه ورعايته دون الآخرين، ومراعاة مستوياتهم، فيصبر على بطيء الاستيعاب، ويأخذ بيده ويعينه على الفهم والتعلم ببسيط العبارات وتكرارها وضرب الأمثلة الموضحة.
- ٧- عدم الاعتماد على سرد الكلام، بل يكون واضح العبارة، مسموع الصوت، يردد ما يحتاج إلى ترداد وإيضاح، ويشرك الطلبة في حديثه، ويفسح المجال للمناقشة ويوجه الأسئلة لتنبيه الغافل، ويدخل في حديثه ما يشد الطالب إليه للمشاركة الفاعلة في الدرس.
- ٨- التدرج في إعطاء المعلومات، وبناء بعضها على بعض بأسلوب واضح مفهوم، وإعطاء الفرصة للطلبة لامتلاك المهارات الذهنية والأداء العلمي.

آداب المتعلم

للمتعلم آداب ينبغي أن يتحلى بها، ويحرص عليها، وفيما يأتي أهمها :

- ١- الإخلاص لله تعالى، وتصحيح النية في طلب العلم: وهذا أمر يشترك فيه المعلم والمتعلم، لأن الأعمال جميعها ينبغي أن تكون خالصة لله تعالى، وهو مقصد عظيم وشرط أساسي في كل عمل ولكل إنسان. قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾^(١)
- وقال رسول الله ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »^(٢)
- ٢- الجِدُّ والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله: وذلك بالمداومة والحضور، والتحضير المسبق والمشاركة الفاعلة في أثناء الدرس، والاهتمام بما يقوله المعلم وتجنب الجدل الذي لا فائدة منه، وما يؤدي إلى إضاعة الوقت أو إحراج المعلم ونحو ذلك.
- ٣- التحلي بالأخلاق الفاضلة، والآداب الحميدة، والسلوك السوي، والابتعاد عن رفاق السوء، وعدم ارتياد الأماكن المشبوهة، أو التقليد الأعمى للآخرين وخاصة في اللباس، والهيئة والحركات، فالمسلم مستقل في شخصيته، متميز في سلوكه وأخلاقه، حسن المظهر والهيئة، نظيف، طيب الرائحة.
- ٤- الابتعاد عن المعاصي والآثام فذلك أحرى أن يكون علمه أكثر وأوفى، قال تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمْ ﴾^(٣) وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾^(٤)
- وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :
- شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونورُ الله لا يُهدى لعاصي
- ٥- العمل بما يعلم من الخير: وذلك شرط يستوي فيه العالم والمتعلم، وهو غاية العلم، وسبب في توفيق الله، ويؤدي إلى تيسير العلم. وسهولة تحصيله، كما أنه سبب في نجاة صاحبه وفوزه يوم القيامة.

(١) سورة البينة، الآية (٥).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التنية.

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

(٤) سورة الأنفال، الآية (٢٩).

- ٦- احترام المعلم وتوقيره: المعلم بمنزلة الوالد، يجب احترامه، وإطاعته بالمعروف، واحتمال ما يصدر عنه من تصرفات ناجمة عن غضب ونحوه .
- ٧- الجلوس بأدب والمتابعة باهتمام وجديّة، وأن لا ينشغل عن الدرس بسواه .
- ٨- توجيه الأسئلة والاستفسار عما لا يفهمه دون حياء أو خوف، فالعلم يضيع ما بين هذين الأمرين غالباً.
- ٩- المحافظة على بيئة المدرسة، فيبقئها نظيفة، ويعتني بأشجارها ويتجنب العبث بأشجارها وأثاثها ومرافقها.

نشاط

هات سببين لامتناع بعض الطلبة عن طرح الأسئلة، أو المشاركة الفاعلة في الحصّة الصفية في نظرك.

الأسئلة

- ١- لِمَ الإخلاص لله تعالى، وتصحيح النية من أهم آداب العالم والمتعلم؟
- ٢- ما أهمية أن يعمل المعلم والمتعلم بما يعلمان من الخير؟
- ٣- اذكر أهم ثلاثة آداب في نظرك من آداب المتعلم.
- ٤- ما أهمية أن يكون المعلم في منزلة الوالد لكل طالب في نظرك؟
- ٥- وضع أثر إهمال المعلم لمظهره وحسن لباسه في قاعات الدرس.
- ٦- اكتب ثلاثة سلوكيات يسلكها المتعلم يحترم فيها المعلم.
- ٧- لا يتنافى تخصيص راتب للمعلم، مع نيته في عمله إرضاء الله عز وجل. وضع.

نشاط

اقترح عدداً من الأمور التي تساهم في المحافظة على بيئة المدرسة.

الاهتمام بالمؤسسات التعليمية

من أهم ما حث الإسلام عليه وأولاه عناية خاصة العلم والتعليم، وقد عرفنا أن أول آية في القرآن الكريم نزلت على سيدنا محمد ﷺ، قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(١) وعرفنا أيضاً أهمية التعلم والتعليم في الإسلام إلى حد أن العلم لا ينقطع أثره عن صاحبه إذا مات قال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢). من أجل ذلك اهتم المسلمون بالعلم وجعلوه الغاية القصوى لاهتماماتهم، فبدلوا جهدهم في تعليم أبنائهم مختلف العلوم، والارتحال في طلبها إلى أقصى البلدان والأماكن، فكما اهتم المسلمون بتعليم أبنائهم، فقد اهتموا كذلك بمستلزمات التعلم، ومن هذه المستلزمات المؤسسات التعليمية، فما المقصود بها؟ وما مفهومها؟ وكيف نشأت؟

مفهوم المؤسسة التعليمية

نقصد بالمؤسسة المكان المعد لغاية ما، ويكون مجهزاً بالأدوات الخاصة لتلك الغاية، والمؤسسة التعليمية هي المكان المعد لغاية التعليم، والمجهز ليتلاءم مع تلك الغاية، وبالتالي فإن أي مكان يتم فيه التعليم يعد مؤسسة تعليمية، وقد تنوعت المؤسسات التعليمية وتطورت تطوراً واضحاً منذ العصور الأولى حتى الآن، فقد كانت المؤسسة التعليمية للمسلمين المسجد، إذ كان الرسول ﷺ يعلم أصحابه فيه أمور الدين، وفيه يتذاكر الصحابة، رضوان الله عليهم، ما يحفظونه عنه ﷺ. ومن هذه المؤسسات التعليمية: المساجد والكتاتيب والحدائق والرُّبَط والزوايا والمارستانات والمدارس والجامعات، وفي هذا الدرس سنتعرف بشيء من التفصيل عن بعض هذه المؤسسات التعليمية.

المسجد

كان للمسجد وما يزال دور مميز في تثقيف المسلمين وتعليمهم، دون تفرقة بين كبير أو صغير، فقد كانت تقوم حلقات العلم ومجالس القُصَّاص، الذين كانوا يُذَكِّرون الناس بالخير ويعلمونهم أمور دينهم، يمزجون ذلك بضرور من الحكمة والعلم والمعرفة والموعظة الحسنة، فكان أول من قصص الصحابي الجليل تميم الداري، وذلك في المسجد النبوي في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

(١) سورة العلق، الآية (١).

(٢) رواد مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

وكان لهؤلاء القُصَّاص كراس يجلسون عليها، ويشرفون فيها على طلبة الفقه والحديث وغيرها من العلوم، كما كان الناس يتحلقون حولهم في حلقات تختلف في حجمها بحسب شهرة القاص وبراعته في اجتذاب الناس إليه وسعة علمه واطلاعه.

ونشط هؤلاء القُصَّاص، وتوسعت دائرتهم في الديار الإسلامية كلها في عهد بني أمية والعهود اللاحقة، ولا سيما في عهد الفاطميين، وكان أشهر المساجد التي يقوم فيها القُصَّاص بإرشاد الناس مساجد القاهرة، وخاصة مسجد عمرو بن العاص ومسجد ابن طولون.

ويبدو أن مهمة المسجد في هذه العصور كانت في أذهان الناس متصلة بالدين اتصالاً وثيقاً، فقد فهم المسلمون أن مهمة المسجد ليست للعبادة فقط، وإنما يضطلع بمهام ذات مساس بحياة الناس، فهو معهد للتعليم، ودار للقضاء، ومنطلق لإعداد الجيوش وتسييرها، ومنزل لاستقبال الوفود وسفراء الدول.

ومن بدهي القول أن نشير إلى أن الحلقات العلمية وإن كانت في بداية أمرها تركز على الأمور الدينية، إلا أنها توسعت لتتعدى الدراسات الدينية إلى سواها من معارف العصر: كعلم الكلام والدراسات اللغوية والأدبية والدراسات التاريخية ودراسة الطب، والفلك، ومعرفة المواقيت وغير ذلك.

ولكن وبمرور الزمن، وكثرة المساجد وحلقات الدروس فيها، وما تسببه أصوات المدرسين من إيذاء للعباد والمصلين خُصِّصت بعض المساجد للدراسات والأبحاث العلمية وأهمها الجامع الأزهر في القاهرة.

وزيادة في الفائدة، نذكر بالصورة المشرفة لجامع الأمويين في دمشق، الذي كان جامعة إسلامية تجتمع فيها طلبة المغاربة ولهم أجر معلوم، وعن يمين الخارج (باب البريد) مدرسة للمشافعية في وسطها صهريج يجري الماء فيه، وفي زاوية من الجانب الغربي أيضاً مقصورة للحنفية يجتمعون فيها للتدريس والصلاة، وكان في هذا المسجد الكبير زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عند ازدحام الناس، وللمسجد مرافق مفتوحة بشكل مستمر.

الكتاب

عني العرب والمسلمون منذ صدر الإسلام بأطفالهم عناية خاصة، وكان من عنايتهم بهم وشغفهم بتعليمهم أصول القراءة والكتابة، ولما كان المسجد موطئاً للكبار لإقامة الشعائر واستيعاب الدروس التي تخص أمور الدين، ولما كان الأطفال لا يتمكنون من استيعاب ما يقال للكبار، كان لا بد من إيجاد أماكن أخرى يتلقون فيها أصول الكتابة وقراءة القرآن ومبادئ الدين وأوليات الحساب.

وقد تميز عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين بوجود كتاتيب منتظمة يتعلم فيها أبناء المسلمين مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وكان التعليم فيها صناعة لها آدابها وأصولها، ويتولاها جماعة مختصة، لهم أساليبهم في التعليم والعناية بتربية الأطفال وإصلاح أحوالهم.

وعندما انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، برزت الكتاتيب القرآنية بصورة واضحة، وتعددت في كل المدن والبلدان التي دخلها المسلمون، لتعليم أبناء أهل تلك الديار أصول الدين وتحفيظهم القرآن الكريم، وهكذا وجدت

الكتاتيب بكثرة في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، ودمشق وحلب والإسكندرية وغيرها من العواصم. وفي عصر بني أمية ازدادت العناية بالعلم، ونبغ في هذا العصر عدد كبير من كبار المعلمين والمؤدبين، وانتظمت شؤون الكتاتيب، وصار لها برامج دقيقة ومحددة تهدف إلى تخريج نخبة من مستخدمي الدولة وعمالها. إضافة إلى ذلك فقد توسعت مواد الدراسة فيها، فلم تعد تقتصر على أوليات القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم ومبادئ الدين، وأوليات الحساب، بل أصبحت كتاتيب لتعليم الأطفال والشبان علوم اللغة، والآداب، وصنوف العلوم الأخرى التي كانت سائدة.

وقد كانت عملية التعلم في الكتاتيب تبدأ بالذهاب إلى الكُتَّاب مبكراً، فيبدأ الطفل يومه بحفظ حزب من القرآن، وبعد حفظه يبدأ بنسخه وكتابته والتمرن على تجويد الحفظ إلى وقت الظهر، ثم يعود إلى بيته للغداء أو يتغدى في الكُتَّاب، ثم يبدأ عمله ثانية بعد الظهر حتى فترة العصر، يقرأ ويكتب إلى أن ينصرف إلى أهله بعد العصر، وهكذا كل يوم حتى نصف يوم الخميس، فتبدأ عطلة للاستراحة تمتد حتى صباح يوم السبت، بالإضافة إلى أيام عيدي الفطر والأضحى وبعض المناسبات الخاصة.

وتمتد دراسة الطفل في الكتاتيب خمسة أعوام أو ستة على الأكثر، تبدأ من السنة السادسة من عمره، يحفظ خلالها القرآن الكريم، ويتقن فني القراءة والكتابة، ويلم بمبادئ العربية والحساب وبعض العلوم الأخرى، فإذا ما أنهى الطالب دراسة هذه العلوم، يمتحنه المعلم للتأكد من إتقانه ما مرّ، فإذا اجتاز الامتحان يدخل معترك الحياة أو يبدأ مرحلة دراسية عالية.

المدرسة

ظهر مصطلح المدرسة في التاريخ الإسلامي في عصور متأخرة، إذ تشير النصوص التاريخية إلى أن أول مصطلح ظهر لمفهوم المدرسة كان على لسان الشاعر دَعْبَل الخزاعي المتوفى سنة ٢٤٦هـ، عندما رثى بها آل البيت وما يلقونه من تقتيل وتعذيب إذ قال:

مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوةٍ ومهبطٌ وحي مقفر العرصات

والمقصود بالمدرسة هنا: المكان الذي شيد لإقراء القرآن الكريم وتلاوته. أما المدرسة بمعناها الأوسع فقد جاء متأخراً قليلاً، إذ تشير المراجع إلى أن أقدم نص أشار إلى وجود المدارس منقول عن الإمام الأديب المحدث المشهور أبي حاتم البستي، المتوفى سنة ٣٤٥هـ، إذ يشير هذا المرجع إلى ما يعرف اليوم بالمدرسة التي تضم قسماً داخلياً، حيث شيد هذا الأديب مدرسة في بلدة «بست»، وجعل فيها خزانة كتب وغرفاً للطلبة، وخصص مبالغ مالية وأرزاقاً للمغرباء من طلبة العلم فيها.

وكانت المدارس في أول نشأتها تدرس العلوم الدينية، على مذهب من المذاهب الأربعة المشهورة، ولكن البويهيين والفاطميين قاموا بإنشاء مدارس تهتم بتدريس المذهب الشيعي، وبذلوا جهوداً كبيرة لنشر هذا المذهب والترويج له، وبيانه للناس، وجاء من بعدهم السلاجقة والأيوبيون وأنشأوا مدارس أخرى وفق مذهب أهل السنة في الفقه.

وبعد أن استقر الوضع الديني في المدارس، بدأ يظهر فيها علوم لم تكن من قبل، كعلم الطب وعلم الصيدلة والكيمياء وغيرها، وقد كانت المدارس منتشرة في معظم البلاد الإسلامية، وأشهر المدارس في ذلك الوقت المدارس النظامية، وهي كثيرة وعدّها بعض المؤرخين أعظم جامعة علمية ذات أهداف علمية عالية كانت ببغداد في أواخر الدولة العباسية، فقد أولت هذه المدرسة عناية كبيرة لتدريس علوم القرآن الكريم، والسنة والفقه بمذاهبه الأربعة، واللغة العربية وآدابها، والرياضيات، والفرائض والزكاة، ومنافع الحيوان وعلم الطب، وتقويم الأبدان وحفظ الصحة.

وأما تمويل المدارس، فقد كان يتم من خلال الربيع الذي كانت تُدره الأوقاف المحبوسة للإنفاق منها على عمارتها، وإنشاء دور كتبها وتنميتها، ولإجراء الجرايات على مدرسيها وطلبتها ووعاظها ومستخدميها، والغرباء المرتحلين في طلب العلم.

أما المدرسون في هذه المدارس، فقد كانوا يختارون من قبل مؤسسي هذه المدارس من المتميزين ذوي الشهرة العلمية العالية، والخلق الجرم، إذ يراعى في اختيار المدرسين شروط عدة من أهمها: أن لا يتصدى لهذا المنصب العلمي إلا بعد أن يستكمل عدة التدريس، ويشهد له بذلك كبار علماء عصره، وأفاضل أساتذته، وأن يتفرغ للتعليم ولا يشتغل بغيره. وأن يعلم تلاميذه ما فيه تقوية الصلوات معهم، وأن يصون مجالس درسه عن الغوغاء واللغظ وسوء الأدب، وأن يكون مهذباً في تعليم تلاميذه، حليماً في تعامله معهم... إلى غير ذلك من الشروط اللازمة.

نشاط

اذكر عدداً من الشروط الواجب توافرها في الزوجة التي تقوم بتربية الأبناء.

الجامعة

تعد الجامعة امتداداً للمدارس المنظمة التي كانت تدرس العلوم المختلفة، بل هي مدارس متطورة، لبت متطلبات ذلك العصر، وقد وضع العلماء لها شروطاً عدة منها:

- ١- أن يكون المكان مشيداً للعلم والتعليم خاصة.
- ٢- وأن يكون للدخول فيها شرائط معينة.
- ٣- وأن يرتب لمن ينتسب إليها من الطلبة والأساتذة رواتب خاصة سواء كان فقيراً أو غنياً.
- ٤- وأن تكون تلك الرواتب لكل منتسب إليها، لا للفقراء والمعوزين الذين يقصدونها.
- ٥- وأن يكون لها هدف خاص معروف.
- ٦- وأن تكون مزودة بكل ما تحتاج إليه الدراسة من إعداد الدرس وآلاته، كالكتب والألواح والغرف المهيأة.
- ٧- وأن توقف بعض الأوقاف الدارة عليها، لاستمرار العمل فيها طويلاً.
- ٨- وأن تزود بالموظفين الأكفاء الذين يسهرون عليها وعلى مصالحها.

وإذا ما طبقنا هذه الشروط على كثير من المدارس المنتشرة في تلك العصور، فإنها لا تنطبق إلا على قليل منها كالمدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية.

إلا أنه يمكن القول إن بعض الجوامع التي أعدت للتدريس كالجوامع الأزهر بالقاهرة، وجامع القرويين بالمغرب، وجامع الزيتونة بتونس، تنطبق عليها بعض الشروط الموضوعية للجامعة، بل إن بعض العلماء يعدون جامع القرويين أقدم جامعة في العالم.

ومن العلماء من يربط مستوى المدرسة بالمدرسين فيها، فإن كان المدرسون من مستوى عال في العلم، ممن عرفوا بالاطلاع والتعمق وحسن العرض، فإن مستوى المدرسة يرتفع ويصبح أشبه بالتعليم الجامعي، وإن كان دون ذلك، فهي في مستوى التعليم الثانوي.

الأسئلة

- ١- ما وظيفة القصاص في المسجد؟
- ٢- بين الطريقة التي نظم بها التدريس في المسجد الأموي؟
- ٣- وضح أهمية الكتاب في تعليم أبناء المسلمين.
- ٤- قارن بين المدرسة والمسجد من حيث:
أ - طريقة التدريس ومنهجه.
ب - محتوى التدريس.
- ٥- ما الشروط الواجب توافرها في المؤسسة التعليمية لتكون جامعة؟

أرسى الفكر الإسلامي قواعد المنهج العلمي في البحث وتقصي حقائق المعرفة ضمن مناهج وأساليب وإجراءات تشكل في مجموعها منهجاً علمياً محدداً، يجب التقيد به أثناء البحث والاستقصاء عن حقائق الأمور. وقد تنوعت مناهج البحث العلمي، وتعددت بتنوع العلوم وتعددتها، فهناك العلوم الإنسانية التطبيقية وغيرها، ولكل منها منهجه الخاص في البحث للوصول إلى حقائقه، وقد وضع المسلمون قواعد البحث العلمي في اللغة والتفسير والحديث، والجغرافيا والتاريخ، والكيمياء والنبات والفلك، وبذلك يكون الفكر الإسلامي قد درس كل مناهج البحث العلمي، ومنها التجريبي أو (الاستقرائي) فما المراد بالمنهج التجريبي؟

وقد سمي المنهج التجريبي بذلك لاستناده في تحليلاته إلى ثلاثة أمور هي: الملاحظة ووضع الفروض والتجربة، فهو يبدأ بملاحظة الظواهر ووضع الفروض التي تحدد نوع الحقائق التي يجب البحث فيها وإجراء التجارب بحيث ينتهي التحقيق إما بصحة الفروض أو بطلانها، وبالتالي يصل الباحث إلى وضع قوانين عامة تربط تلك الظواهر وتوحد بينها.

ويعتمد المنهج الاستقرائي على الأدلة التي تساعد على إصدار تعميمات محتملة الصدق، فالباحث يبدأ بملاحظة الجزئيات والوقائع المحسوسة، ومن ثم يصدر نتيجة عامة عن الفئة التي تنتمي إليها هذه الجزئيات.

نوعا المنهج التجريبي

للمنهج التجريبي نوعان، تام وناقص، وفيما يأتي بيان ذلك :

المنهج التجريبي التام : ويعني حصر جميع الحالات الجزئية التي تقع في إطار ظاهرة أو فئة معينة .
المنهج التجريبي الناقص : ويقصد به الاكتفاء بدراسة عينة، أو بعض نماذج، بهدف الكشف عن القوانين التي تخضع لها جميع الحالات المتشابهة التي لم تخضع للدراسة .
 وتعتمد دقة نتائج الاستقراء الناقص على مدى تمثيل العينة المختارة للدراسة تمثيلاً صحيحاً لمجتمع البحث .

نشاط

بين الفرق بين المنهج التجريبي التام، والمنهج التجريبي الناقص .

القرآن الكريم والمنهج التجريبي

حدد القرآن الكريم عناصر المنهج الاستقرائي بالحس والمشاهدة والنظر في مخلوقات الله تعالى، مع ملاحظة ومعرفة ما فيه من ظواهر إنسانية وغير إنسانية للإحاطة بالحقائق العلمية، والإلمام بعناصر المعرفة سواء للمخلوقات أو الخالق، ويظهر ذلك بدعوة القرآن الكريم إلى:

١- المشاهدة والنظر في السماوات والأرض، قال الله تعالى:

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١)

٢- الحس والمشاهدة لما خلق الله من ظواهر كونية، وأحاطها بأسلوب الحياة والديمومة. قال تعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾^(٢)

٣- السير في الأرض، والنظر في بداية الخلق، ومعرفة النشأة الأولى والآخرة. قال الله تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٣)

٤- السير في الأرض والنظر في عواقب الأمور. قال الله تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴾^(٤)

٥- دعوة العقل إلى التفكير للوصول إلى القدرة الإلهية في الإبداع والخلق، وذلك عن طريق ربط الأسباب بالمسببات، والاستدلال بالأثر على المؤثر، قال الله تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَّمْتُمْ تَفْسًا مَّهِينًا ﴿٦٥﴾

﴿ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ

الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾^(٥)

٦- الربط بين العلم بآيات الله والتفكير والمشاهدة للظواهر الكونية، وبين العلم بأسباب تلك الظواهر، وتلك القوانين العلمية التي يستند إليها المنهج العقلاني في الاستقراء والتجربة والملاحظة، قال الله تعالى:

﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ ۚ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْتَلَفَ الْأَلْوَانُ وَاللَّيْلِ لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٦)

(١) سورة يونس، الآية (١٠١).

(٢) سورة النازعات، الآيات (٣٠-٣٢).

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٢٠).

(٤) سورة الروم، الآية (٤٢).

(٥) سورة الواقعة، الآيات (٦٣-٦٩).

(٦) سورة الروم، الآية (٢٢).

المنهج التجريبي عند علماء المسلمين

يتجلى المنهج التجريبي واضحاً في بحوث المسلمين واكتشافاتهم العلمية، ومجال العلوم التطبيقية الإنسانية، كعلم الطب والنبات والصيدلة، وفي مجال العلوم التطبيقية غير الإنسانية، كعلم الفلك وعلم الكيمياء، وتجلى كذلك في علوم الشريعة واللغة وغيرها، وقد امتاز أسلوب التفكير العلمي لدى المسلمين بالموضوعية والالتزام بالأمانة العلمية، والتجرد الموضوعي في البحث عن الحقائق العلمية، ومن أمثلة المنهج التجريبي عند المسلمين ما يأتي:

أولاً: علم أصول الفقه

يبين علماء أصول الفقه أن الوصول إلى علة الحكم له طرائق عدة منها:

- ١- النص: بحيث يدل النص في القرآن أو السنة على علة الحكم، كما في إيجاب أخذ الفيء للفقراء والمساكين، فإن علة هذا الحكم، عدم حصر المال في أيدي فئة معينة، وقد أوضح القرآن الكريم ذلك، فقال الله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (٤).
- ٢- السبر والتقسيم: والمراد بالسبر الاختبار، والتقسيم: حصر الأوصاف الصالحة لأن تكون علة في الأصل، ويكون هذا الطريق في النصوص التي لم يرد فيها نص على علة. فيقوم المجتهد بحصر الأوصاف التي توجد في واقعة الحكم، وتصلح لأن تكون العلة منها، ويختبرها وصفاً ووصفاً، بحيث يستبعد الأوصاف التي لا تصلح أن تكون علة، ويستبقي ما يصلح أن يكون علة، وبهذه الطريقة يتوصل إلى الحكم بأن هذا الوصف هو علة الحكم. ومثاله علة تحريم شرب الخمر، فالمجتهد ينظر في المسألة ويقول: هل علة التحريم كون الخمر من العنب، أو كونه سائلاً أو مسكراً، فيستبعد الأول لأن الخمر تكون من غير العنب، ويستبعد الثاني لأنه غير مناسب، ويبقى الثالث ويحكم بأنه علة تحريم شرب الخمر، ويقول إن الإسكار هو علة التحريم.
- ٣- تحقيق المناط: ويكون بأن ينظر المجتهد في تحقق العلة الثابتة بالنص في واقعة غير التي ورد فيها النص، وإعطائها الحكم نفسه، فمثلاً يبحث المجتهد - بعد أن يثبت أن الإسكار علة تحريم شرب الخمر - في تحقق الإسكار في نبيذ آخر، فإن تحقق أخذ النبيذ الآخر حكم الخمر.

ثانياً: العلوم التطبيقية

- ١- يصف الحسن بن الهيثم طريقته في البحث العلمي فيقول: «ونبتدى في البحث باستقراء الموجودات، وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلاحظ باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما

(١) سورة الحشر، الآية (٧).

هو مطرد لا يتغير، وظاهرة لا يشتهبه من كيفية الإحساس، ثم نترقى في البحث والمقاييس بالتدرج، والترتيب مع انتقاد المقدمات، والتحفظ في النتائج، ونجعل في جميع ما نستقرئه ونتصفحها استعمال العدل، لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الأراء». ٢- ويقول ابن البيطار: «فما صح عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لدي بالخبرة لا بالخبر، ادخرته كنزاً».

الأسئلة

- ١- ما المقصود بما يأتي؟
- المنهج، المنهج التجريبي، المنهج التجريبي التام، المنهج التجريبي الناقص؟
- ٢- لِمَ سُمي المنهج التجريبي بهذا الاسم؟
- ٣- ما الأمور التي يقوم عليها المنهج التجريبي؟
- ٤- وضح دور القرآن الكريم في تحديد المنهج التجريبي.
- ٥- بم امتاز أسلوب التفكير العلمي عند المسلمين؟
- ٦- السبر والتقسيم من طرائق معرفة علة الحكم. وضح ذلك.
- ٧- بين طريقة البحث عند الحسن بن الهيثم.

امتازت الشريعة الإسلامية بشموليتها، فهي تعالج شؤون الحياة الإنسانية كلها، ولا تترك ناحية من النواحي إلا بحثتها ووجهت الناس إليها. ومن النواحي التي اهتمت الشريعة الإسلامية بها، وعالجتها بطريقة علمية. التوثيق، فقد دعت الشريعة الإسلامية إلى توثيق كل شيء. فما المراد بالتوثيق وما أهميته؟ وما أنواعه ومجالاته؟

مفهوم التوثيق

التوثيق لغة: إحكام الأمر.
التوثيق اصطلاحاً: وجود ما يثبت الشيء ويقطع الشك حوله والجدل بشأنه.

توثيق القرآن الكريم

القرآن الكريم دستور المسلمين، بما احتوى من عقيدة وتشريع وسلوك وأخلاق وآداب، ولذلك كانت عناية المسلمين به عظيمة، وقد عملوا على توثيقه بحفظه في الصدور، وكتابته في السطور، حتى جُمع بين دفتي المصحف، وقد كان أسلوب جمع القرآن فريداً، ذلك أنه جُمع بعد وفاة الرسول ﷺ بفترة وجيزة، فكان القرآن الكريم ما زال غضاً في نفوس الصحابة، إضافة إلى أنه لم تكتب آية في المصحف إلا أن تكون مكتوبة ومحفوظة، وأن يشهد اثنان من الصحابي الذي قرأها قد سمعها من رسول الله ﷺ. وجُمع القرآن الكريم بهذه الطريقة يجعلنا نقطع بصحته، ويدفعنا إلى اتخاذه الوثيقة التي يُرجع إليها ويُلتزم بها في جميع الأمور.

توثيق السنة النبوية

حرص المسلمون على توثيق السنة النبوية، لأنها المصدر الرئيسي لفهم القرآن الكريم، فهي تفسر آياته وتبين أحكامه التي تنظم حياة الإنسان وعلاقاته، ولذا كان لا بد للمسلمين من التوثيق من صحتها، والتأكد من صدورها عن الرسول ﷺ، حتى لا تختل حياة المسلمين وتضطرب، فقد كان الصحابة، رضي الله عنهم، لا يقبلون حديثاً إلا بعد التأكد أن الرسول ﷺ قاله، فكان أبو بكر رضي الله عنه، يسأل الراوي ممن سمع الحديث، وكذلك كان يفعل عمر، ومما يروى في هذا المجال أن عمر بن الخطاب طلب أبا موسى الأشعري، فذهب الأخير إليه، واستأذنه ثلاثاً فلم يؤذن له، فسأله عمر بن الخطاب لماذا لم يحضر إليه، فأخبره الخبر، وقال له إن الرسول ﷺ بين أنه من

استأذن ثلاثاً فلم يؤذن له فعليه أن يرجع ، فقال له عمر كَتَاتِنِيْ بِمَنْ يَشْهَدُ أَنْكَ سَمِعْتَهُ مِنَ الرَّسُولِ وَإِلَّا عَاقِبْتِكَ .
 لذلك وثق العلماء المسلمون فيما بعد السنة، بوضع القواعد والضوابط التي تميز بين الصحيح والضعيف
 والموضوع من الحديث، وتمنع الكذب على رسول الله ﷺ فكانوا لا يقبلون الحديث إلا إذا كان مسنداً ورواته
 عدولاً ثقات متقنين حافظين. وكانوا يرحلون في طلب الحديث ليسمعوا الحديث من راويه مباشرة، مع ما في
 الرحلة من صعوبة، نظراً لصعوبة المواصلات في عصرهم.

وحقيقة الأمر أن ما وضعه العلماء من قواعد لحفظ السنة النبوية الشريفة، بلغ من الدقة، بحيث لو أراد عقل
 بشري أن يضع من القواعد والضوابط للتوثيق من الأمور فلا يصل إلى أبعد مما وضعه علماء المسلمين في هذا
 المجال، ولم يسبق هذا الأسلوب في التوثيق إلا الطريقة التي جمع فيها القرآن الكريم، ونحن أمام هذه الطريقة
 المتبعة في توثيق السنة النبوية نقطع بصحة الأحاديث التي دونت وفق الشروط الخاصة بالرواية الصحيحة.

الرسول ﷺ يوثق

وقد كان الرسول ﷺ يوثق، انسجاماً مع أحكام الشريعة الداعية إلى التوثيق، فقد أمر النبي ﷺ بكتابة القرآن
 الكريم، واتخذ كتاباً للوحي، وكان يكتب رسائله إلى الملوك والحكام، وكتب معاهداته ووثائقه، مثل وثيقة صلح
 الحديبية، والمعاهدة التي نظم فيها علاقة المسلمين مع بعضهم، وعلاقة المسلمين مع اليهود، وقد طلب النبي ﷺ
 إلى أصحابه عام الفتح أن يكتبوا لرجل من اليمن كنيته أبو شاه فقال: «اكتبوا لأبي فلان»^(١).

الصحابة رضي الله عنهم يوثقون

وقد كان الصحابة كما بينا سابقاً يوثقون، وليس أدل على ذلك من توثيق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عهد
 الأمان الذي أعطاه لأهل القدس عند فتحها، والمعروف باسم «العهد العمرية» فقد كتب العقد، وأشهد عليه أربعة
 من الصحابة هم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله
 عنهم جميعاً.

أهمية التوثيق

للتوثيق أهمية كبرى، فهو يقي من التنازع، لأن التوثيق كتابة كان أو إشهاداً يقطع أسباب الخصومة، فلا يعود
 هناك سبب للتنازع، ويحفظ الحقوق فلا يقوى أحد على أكل حقوق الآخرين، بحجة عدم وجود بيعة ثبت هذا
 الحق. وتظهر أهمية التوثيق في مجال القضاء، الذي لا يحكم إلا بالبيعة حرصاً على استقرار القضاء، ولا تكفي فيه
 القناعة الذاتية، ويدل على ذلك ما روى الأشعث أنه قال: «كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

إلى النبي ﷺ فقال لي رسول ﷺ: ألك بينة؟ قلت لا، قال: فقال لليهودي: احلف، قال: قلت يا رسول الله إذن يحلف، ويذهب بمالي، فأُنزل الله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ مِمَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١)

وتدل هذه الحادثة على أنه لا يكفي في التعامل مع الناس سلامة النية من جانب واحد حتى لا تقع المشكلات، فلا بد من التوثيق حسماً لأسباب الخلاف كلها. ويجعل التوثيق المجتمع نظيفاً من عوامل الانحلال، فلا غش ولا تزوير ولا تغيير للحقائق، بل هناك الثقة والمحبة والصدق.

أنواع التوثيق

التوثيق أنواع متعددة منها:

- ١- التوثيق بالكتابة: ويكون بتدوين ما يتفق عليه الطرفان، كما في توثيق عقود الإجارة، والرهن والزواج وغيرها.
- ٢- التوثيق بالإشهاد: ويكون ذلك بأن يشهد على الاتفاق الحاصل بين الطرفين آخران، كالإشهاد على عقد الزواج والإجارة والبيع وغيرها.
- ٣- التوثيق بالكتابة والإشهاد: ويكون ذلك بتدوين ما يتفق عليه الطرفان، والإشهاد على هذه الكتابة مثلما فعل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في العهد الذي أعطاه لأهل القدس عند فتحها.

مجال التوثيق

التوثيق يشمل أمور الإنسان كافة، ولذلك تعددت مجالاته، ومن هذه المجالات:

- ١- توثيق العقود: سواء أكانت عقوداً بين الأفراد، أم بين الدول، وقد عرفنا أن النبي قد وثق العلاقة بين المسلمين واليهود الذين كانوا في المدينة المنورة، وكتب عهود الأمان لأهل أذرح والجرباء، ولصاحب أيلة، ومن العقود بين الأفراد الإجارة، والرهن، والبيع، والزواج وغيرها.
- ٢- توثيق الديون: فقد حثت الشريعة الإسلامية على كتابة الدين، والإشهاد عليه، حتى لا يقع التنازع بين الناس. قال الله تعالى:

(١) رواه ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب البينة على المدعي واليهين على المدعى عليه، والآية من «سورة آل عمران (٧٧)».

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ..... وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَءَمْرَاتَانِ مِّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾^(١)

٣- توثيق المعاهدات: مثلما فعل النبي ﷺ في صلح الحديبية.

٤- تدوين الدواوين: لتنظيم شؤون الدولة والحفاظ على حقوق أفرادها، وقد ظهر ذلك زمن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إذ أنشأ ديوان الجند وديوان الخراج وغيرها من الدواوين.

٥- توثيق البحوث العلمية: ويكون ذلك بنسب الفكرة إلى قائلها، والقول إلى صاحبه، ونقل النص المكتوب بالشكل والكيفية التي ورد بها في المصدر الذي أخذ منه، وهذا يسمى التضمنين، أو بفهم الفكرة وصياغتها بأسلوب الباحث الخاص، ونسبتها إلى صاحبها كما أرادها وعناها، وهذا يسمى الاستيعاب، ولا يجوز بحال من الأحوال أخذ الأفكار ونسبتها إلى الآخذ دون إثبات الحق لصاحبه.

نشاط

استنتج أهمية واحدة لتوثيق الأحداث بين الدول، وخطراً واحداً لعدم توثيقها.

خطر ترك التوثيق

يترتب على ترك التوثيق مخاطر عدة منها:

- ١- كثرة المنازعات والخصومات بين الناس، لعدم وجود البيئة التي تثبت الحقوق وتقطع الشك فيها، وتحول دون أكل أموال الناس بالباطل.
- ٢- سيطرة المشكلات الاجتماعية المؤدية إلى وجود أفراد يستخفون بالقيم النبيلة، والمبادئ السامية، ويجيزون لأنفسهم سلب الآخرين حقوقهم، أو الطعن فيهم، أو الكيد لهم، والتقول عليهم.
- ٣- شيوع الفوضى والاضطراب في القيم والأخلاق مما يؤدي إلى وجود مجتمع لا يراعي حقاً لأحد، ولا يبالي بضياح قيم وعادات اجتماعية فاضلة.

نشاط

ارجع إلى الآية (٢٨٢) من سورة البقرة واستخرج منها ما يتعلق بالتوثيق.

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

الأسئلة

- ١- ما المقصود بالمصطلحات الآتية:
التوثيق، التضمين، الاستيعاب، العهدة العمرية؟
- ٢- كيف عمل المسلمون على توثيق القرآن الكريم؟
- ٣- لماذا اهتم المسلمون بتوثيق السنة النبوية؟ وكيف تم توثيقها؟
- ٤- هات مثالاً من فعل الرسول ﷺ يدل على التوثيق.
- ٥- هات مثالاً يدل على ممارسة الصحابة للتوثيق.
- ٦- بين أهمية التوثيق.
- ٧- عدد أنواع التوثيق، واذكر مثلاً على كل نوع.
- ٨- وضح مجالات التوثيق.
- ٩- اكتب ثلاثة من مخاطر ترك التوثيق.

مواقف من سير العلماء المسلمين

أدرکت في الدرس السابق منزلة العلماء في الإسلام، وتبين لك أهمية وجودهم في المجتمع . ولمزيد من البيان سنتحدث في هذا الدرس عن نماذج من المواقف المشرقة لبعض علمائنا الأفاضل التي يزخر بها تاريخنا الإسلامي المجيد.

مواقف من حياة العالم الجليل سعيد بن المسيّب، رحمه الله تعالى

يُعَدُّ سعيد بن المسيّب بن حَزَن القرشي سيد التابعين، فأبوه وجدّه صحابيان، وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة، جمع بين الحديث والفقّه، والزهد والورع والثبات على المبدأ، وهي صفات قلما تجدها في رجل واحد. ومن مواقفه المميّزة التي تدل على ثباته على الحق وعدم تهافته على حطام الدنيا وزخرفها، أنه زوّج ابنته الشابة العالمة الحسناء من أحد تلاميذه الفقراء لتقواه وصلاحه، ولم يزوجها للوليد ابن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حين خطبها.

نشاط

علل رفض سعيد بن المسيّب تزويج ابنته من ابن الخليفة، مع ما في ذلك من امتيازات مادية مغرية.

ولما طلب عبد الملك بن مروان مبايعة الناس لابنه الوليد من بعده، رفض سعيد بن المسيّب أن يبائع له، وثبت على موقفه، على الرغم من محاولاتهم إرغامه على ذلك بالضرب والإهانة والتهديد بالقتل، لكن الإمام الكبير سعيد بن المسيّب أصر على موقفه، وثبت على مبدئه، ولم يبائع لأنه كان يرى أن المبايعة أمانة، وأن الخلافة مسؤولية عظيمة أمام الله تعالى وأمام الناس، يجب أن يتولاها أكثر الناس علماً وعملاً وتقوى، وحرصاً على مصالح المسلمين وشؤونهم، فالمبايعة أمانة كبيرة، وحق لكل مسلم ينبغي أن يستعمله بحق، وأن يقدم مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الشخصية، وكان سعيد بن المسيّب، رحمه الله تعالى، يرى في المسلمين من هو أحق بالخلافة من الوليد بن عبد الملك، لذلك تحمل الشدائد ولم يضعف أمامها في سبيل إرضاء الله تعالى والثبات على الحق. وكان رحمه الله تعالى لا يقبل عطاءً بل يعمل في تجارة الزيت، ويتصدق على المحتاجين ويقول: «إنما أريد أن أصون وجهي، وأصل منه رحمي، وأؤدي الحقوق، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار». رحم الله الإمام الكبير، والعالم الفذ، سعيد بن المسيّب فقد عاش عزيزاً ومات سعيداً.

مواقف من حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام، رحمه الله تعالى

العزّ هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي شيخ الإسلام، وأحد الأئمة الأعلام. لقب بسلطان العلماء لمكانته العلمية ومواقفه الجريئة في الحق، كان من أبرز هذه المواقف تمسكه بأصول الشريعة من الكتاب والسنة، وفهمه الصحيح لما جاء فيهما، وصلته القوية بالله تعالى نتيجة صدقه وزهده ومراقبته لله تعالى في السر والعلن.

إن مواقف العز بن عبد السلام القوية في مواجهة الظلمة والمفسدين وانصياعهم له على الرغم من ضعفه الجسدي والمادي، كانت ثمرة طاعته لله وعمله بالعلم الذي يحمله في صدره، وإخلاصه لله تعالى. فمن مواقفه التي تدل على قوة إيمانه ويقينه وتوكله على الله عز وجل ورعايته للمفقر والمحتاجين، أن زوجته أعطته يوماً حليها ليبيعها ويشترى بئمنها بستاناً يصيئون فيه، وكان ذلك في دمشق، والناس في حاجة شديدة، فذهب وباع الحلي وتصدّق بئمنها على الفقراء، ولما عاد سألته زوجته هل اشتريت لنا بستاناً؟ قال نعم: اشتريت بستاناً في الجنة، إني وجدت الناس في شدة فتصدقت بئمنه، فقالت زوجته: جزاك الله خيراً. وكان، رحمه الله تعالى، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، جريئاً في الحق، شجاعاً متحسناً لأحوال المسلمين، مهتماً بشؤونهم، ومن أبرز مواقفه في هذا الجانب موقفه الكبير في مواجهة التتار، فقد قام، رحمه الله تعالى، بتشجيع الحكام والأمراء والناس في مصر لمواجهة التتار الذين اكتسحوا البلاد الإسلامية في بغداد والشام، فقتلوا ودمروا وعاثوا في الأرض الفساد، ولم يتمكن أحد من إيقاف زحفهم المدمر سوى الجيش الإسلامي الذي قدم من مصر وتوحد مع القوى المخلصة في بلاد الشام، وقد تم ذلك بتشجيع العز بن عبد السلام وتحريضه لهم على القتال، بعد أن أمرهم بالتوبة والرجوع إلى الله، ورد المظالم وإغلاق أماكن اللهو والفساد، والتبرع بأموالهم لتسليح الجيوش والإنفاق على المجاهدين، حتى كانت معركة عين جالوت التي نصر الله فيها المسلمين على التتار بفضل شجاعة العز بن عبد السلام وحكمته وثقته بالله تعالى.

نشاط

ضع عنواناً مناسباً لموقف العز بن عبد السلام، في مواجهة التتار.

هذا هو سلطان العلماء، العالم الزاهد الجريء العز بن عبد السلام الذي أعز الله به المسلمين، ورفع بهمته من شأنهم.

الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى

هو أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ. وبها طلب العلم، ورحل إلى بلاد كثيرة طلباً لرواية الحديث، وكان غاية في الورع والزهد، يُعدُّ من أمراء المؤمنين في الحديث، شديد التمسك بالسنة النبوية، وأفعال الصحابة الكرام، وكان لاتصافه بهذه الصفات العظيمة أكبر الأثر في مواقفه الكبيرة أمام الفتن والمحن الشديدة التي تعرض لها، وخاصة فتنة خلق القرآن التي تمثلت في انتشار فكرة أن القرآن مخلوق، وهو مذهب المعتزلة، بينما مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله تعالى فهو قديم وليس حادثاً. لأن كل مخلوق حادث.

حدث ذلك في خلافة المأمون بن هارون الرشيد سنة ٢١٨هـ حين اقتنع الخليفة المأمون برأي المعتزلة في خلق القرآن، وأراد أن يلزم الناس به، فوقف الإمام أحمد بن حنبل إمام السنة والجماعة يدافع عن الحق، وعن عقيدة السلف، وتحمل العذاب من أجل ذلك الموقف وصبر حتى أظهر الحق على الباطل بسبب موقفه الثابت القوي. رحم الله إمام المسلمين وعالمهم أحمد بن حنبل أمير المؤمنين في الحديث.

نشاط

اذكر أبرز ثلاث صفات مشتركة بين العلماء الثلاثة.

موقف الشريعة الإسلامية من علمائها

لقد أوجبت الشريعة على الأمة احترام علمائها وامتنال أمرهم بالحق، والافتداء بهم، واتباعهم بالمعروف، والالجوء إليهم في معرفة أحكام الشريعة، قال تعالى:

﴿ فَسَعَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١)

فالعلماء ينيرون للناس طريقهم ببيان الحق، وإظهار الحقيقة لهم.

(١) سورة النحل، الآية (٤٣).

- ١- عرف باختصار سيرة التابعي الجليل، سعيد بن المسيّب، رحمه الله تعالى .
- ٢- اذكر موقفاً وقفه ابن المسيّب يدل على الورع والتقوى .
- ٣- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
لم يبائع سعيد بن المسيّب الوليد بن عبد الملك بن مروان لأنه:
أ - يريد الخلافة لنفسه .
ب - لا يحب الوليد لغرض شخصي في نفسه .
ج - يرى في المسلمين من هو أحق بالخلافة منه .
د - لم يكن من رواة الحديث المجدين .
- ٤- تحدث عن أثر الموقف العظيم للعز بن عبد السلام في مواجهة التتار، وكيف كان سبباً في انتصار المسلمين في معركة عين جالوت .
- ٥- عرّف بالإمام أحمد بن حنبل من حيث مولده، ومنزلته العلمية .
- ٦- وضّح موقف الإمام أحمد بن حنبل من فتنة خلق القرآن، وأثر هذا الموقف في الإسلام .

الوحدة السادسة

الذريعة الإسلامية والعمل

وتشتمل هذه الوحدة على:

- العمل في الإسلام
- أنواع العمل في الإسلام
- العمل الحرفي وأهميته في الإسلام
- العامل الصالح
- أخلاق العامل المسلم
- حقوق العامل
- تدريب العامل وتأهيله
- واجبات العامل وتشقيقه

حث الإسلام على العمل النافع في جميع مجالات الحياة، وفي هذا الدرس سيدور الحديث عن مفهوم العمل في الإسلام وأهميته، وموقف الإسلام منه.

مفهوم العمل في الإسلام

العمل كل جهد مشروع يبذله الإنسان للحصول على منفعة مادية أو معنوية مشروعة، سواء أكان هذا الجهد جسمياً، كالعمل في الزراعة والصناعة والتجارة وأعمال البناء والحرف اليدوية، أم فكرياً ومعنوياً، كالتعليم وإعداد البحوث العلمية، وممارسة القضاء وغيرها.

مما تقدم يتبين أن مفهوم العمل شامل لكل فعالية اقتصادية مشروعة مقابل أجر أو مال يؤخذ، وقد عدّ الإسلام جميع أفراد المجتمع الذين يبذلون الجهد في جميع المجالات عمالاً، سواء أقلها أهمية كمن يجر عربة أو يحفر أرضاً، أو أعلاها شأنًا كمن يتولى الحكم أو الولاية.

ولتحقيق العمل الجاد المثمر لا بد من أن تتوافر الإرادة والقصد، مع الرغبة في القيام به، حتى يتحقق الهدف، وهو إيجاد المنفعة الاقتصادية التي تعود على الإنسان بالخير، حتى لا يكون عالة على غيره.

أهمية العمل في الإسلام

يعدُّ العمل في نظر الإسلام عبادة إذا قصد به وجه الله تعالى . قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ (٢)

والعمل هو الطريق الأساسي الذي يمكن الفرد من سدِّ حاجاته، وحاجات من يعول من زوجة وأولاد ووالدين وغيرهم ممن تجب نفقتهم عليه.

والعمل عنصر أساسي في الإنتاج، فالشروات الطبيعية التي خلقها الله للإنسان، وجعلها تحت تصرفه تفيده وتخدمه بمقدار ما يبذله من جهد وعمل في استغلالها.

وقد جعل الله تعالى الأرض مسخرة للإنسان ومذللة له، ليعمل فيها ويستخرج ما في باطنها من معادن، وما على ظهرها من خيرات. فالعمل أهم عنصر من عناصر الإنتاج في كل أمة، ولا يتحقق شيء من السعادة للإنسان إلا بالعمل.

(١) سورة الأنعام، الآية (١٦٢).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٠٥).

يهدف العمل كما هو معروف إلى حفظ حياة الإنسان، وحفظ كرامته وتلبية حاجاته الضرورية، وتغطية متطلبات حياته، والعمل يحقق كرامة الإنسان، ويقضي على الكسل والخمول، وهو وسيلة لتحقيق غايات العبادة والعيش الكريم، لتحقيق الخلافة في الأرض. قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ﴾ (١)

ومن جانب آخر، فإن العمل الجاد المثمر كيان الأمة وهو دليل على تقدمها في المجالات الحياتية المختلفة، إضافة إلى أنه يعمل على تطوير الحياة وتقدم وسائلها، وهو يمثل الحركة المستمرة في حياة الأمم والشعوب. ومن أهمية العمل أنه يجنب المجتمع عوامل الفساد والانحلال التي تترتب غالباً على زيادة نسبة البطالة في المجتمعات.

نشاط

اذكر أهمية أخرى للعمل في المجتمع الإسلامي.

الدعوة إلى العمل ومحاربة البطالة

أوجب الإسلام العمل وشجع عليه، وعده من أهم وسائل الكسب، وهو سنة الأنبياء، ويشير إلى ذلك النبي ﷺ حين يقول: «ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده» (٢). وقد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث أن أفضل الكسب ما جاء عن طريق العمل، لذلك رجح بعضهم العمل بالزراعة والعمل بالصناعة على غيره من الأعمال لأنه عمل باليد.

وقد باشر الرسول ﷺ العمل بنفسه، فقد عمل في تجارة السيدة خديجة، رضي الله عنها، وقد قال ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم، فقالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم كنت أرها على قراريط لأهل مكة» (٣). وقد طلب الله تعالى من الناس الانطلاق في العمل سعياً وراء الرزق. قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۗ ﴾ (٤)

ويقول سبحانه في الحث على العمل:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ۗ ﴾ (٥)

وحث الإسلام على العمل لأنه يحقق للإنسان كرامته، ويؤيد ذلك أن الرسول ﷺ يقول فيما يرويهِ أبو هريرة: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطه على ظهره، خير له من يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه» (٦).

(١) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب الحث على المكاسب.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الصناعات.

(٤) سورة المالك، الآية (١٥).

(٥) سورة الجمعة، الآية (١٠).

(٦) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أهمية العمل في القضاء على الفقر، وبيان كيف يوفر الإنسان لنفسه سبل العيش الكريم، دون الحاجة إلى سؤال الآخرين.

نشاط

هناك بعض المهين، ينظر إليها نظرة دونية، كيف ترد على ذلك في ضوء فهمك للنصوص الشرعية السابقة؟

ولهذا يُعدُّ العمل حقاً لكل إنسان قادر عليه، لأنه عندما يؤمن مادياً أو اقتصادياً فإنه يحس بعزته وكرامته، ويجني ثمار تعبته فيطمئن إلى حاضره ويأمن على مستقبله، ولذا فإن تأمين فرص العمل للأفراد مسؤولية من مسؤوليات الدولة، ولا يجبر الإنسان على ممارسة عمل لا يحبه ولا يريد، أو يمنع من مزاوله عمل يستطيع أن يبرز فيه مواهبه، سواء أكان هذا العمل آلياً أم يدوياً، وسواء أكان صناعياً أم زراعياً أم تجارياً، كما أن الإسلام منع احتكار هيئات خاصة لأنواع معينة من الأعمال.

وفي مجال الحث على العمل يقول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لا يقعدن أحدكم عن الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأن الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض^(١)، ومرّ رضي الله عنه بقوم فقال: «ما أنتم؟ قالوا: متوكلون، قال: بل أنتم متواكلون، إنما التوكل من ألقى حبه في الأرض وتوكل على ربّه»^(٢).

وقد اتجه المهاجرون عند دخولهم المدينة المنورة إلى العمل، ولم يعيشوا عالة على إخوانهم الأنصار بعد الهجرة إليها، فاشتغل بعضهم بالتجارة وبعضهم بالزراعة في حقول الأنصار وبساتينهم، ولهم في مقابل ذلك شطر من المحصولات^(٣).

ومن هنا ندرك أن الصحابة، رضي الله عنهم، كانوا يعملون بأيديهم ويقدرّون العامل حق قدره، وقد روي عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: «كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم»^(٤). وقد عرف عن السلف الصالح أنهم يحرصون على العمل، حتى أن بعضهم كان يُعرف بعمله ومهنته.

(١) انظر، المستطرف في كل فن مستظرف، (١٢٦/٢).

(٢) فيض القدير، (١٩٠/٢).

(٣) رواد مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة.

(٤) رواد البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.

- ١- بين مفهوم العمل في الإسلام .
- ٢- هات دليلاً واحداً من القرآن الكريم أو السنة النبوية يدل على فضل العمل .
- ٣- من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، بين موقف الإسلام من العمل .
- ٤- وضح ثلاثة جوانب لأهمية العمل في الإسلام .
- ٥- يُعدُّ العمل مهماً في محاربة آثار البطالة في المجتمعات . وضح ذلك .
- ٦- اهتم الإسلام بالعمل بمختلف أنواعه: قليل الشأن وكبير الشأن . بين أثر ذلك في الأفراد والمجتمعات .
- ٧- بين كيف عالج الإسلام مشكلة الفقر والتسول .

أنواع العمل في الإسلام

من الضروري أن يبذل الإنسان جهده من أجل أن يعيش، ويبذل طاقاته لتحقيق رسالته التي حددها الله تعالى له في هذه الحياة، وهي العمل على عبادة الله تعالى وعمارة الأرض والقيام بمسؤولية الاستخلاف فيها - كما مر معنا في الدرس الماضي - وهو من أجل ذلك، يبذل طاقته العقلية لمعرفة العلوم الشرعية التي تمكنه من تنظيم شؤون الحياة، والمعرفة بالمادة وخصائصها التي تمكنه من تيسير أمور حياته.

والجهد يتمثل فيما يبذله الإنسان لإنتاج السلع والخدمات اللازمة لإشباع حاجاته، باستخدام عوامل الإنتاج الغذائي، واستغلال الأرض بأحسن الصور وأفضلها، وتنظيم هذا الاستغلال بما يعود عليه وعلى غيره بالخير، باستخدام أحدث الوسائل التقنية المتقدمة التي تتقدم الأمم بها، توفيراً للجهد والوقت، وإنتاج أفضل أنواع الغذاء بأقل كلفة، ومن أنواع العمل في الإسلام ما يأتي:

العمل في الزراعة

والمكاسب في أصولها تعود إلى الزراعة والتجارة والصناعة، ففي مجال الزراعة حث الإسلام على عمارة الأرض وتنميتها وبذل العمل المثمر. قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(١) وقد تكفل الله تعالى لبني آدم ما يحتاجونه من مأكول ومشرب وملبس. قال تعالى:

﴿إِنَّ لَكَ الْأَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾^(٢)

تعد الأرض أهم عنصر وضعه الله تعالى تحت تصرف الإنسان، بما فيها من ثروات ومياه جوفية وعيون وأنهار جارية وأشجار، وبما فيها من تربة صالحة للزراعة. وما تحويه من معادن وثرورات طبيعية، وما يعيش فوقها من حيوانات ونباتات كلها لمصلحة الإنسان.

والعمل الزراعي عمل جليل يقوم به الإنسان، وهو من أكثر الأعمال بركة، ويظهر فيه التوكل على الله تعالى، وفضله بعض العلماء على العمل في التجارة، وقد كان يدعو ﷺ أن يبارك الله في مدّ وصاع أهل المدينة^(٣)، وهي مكاييل استعملها السلف الصالح.

وقد أكد الله سبحانه وتعالى على أهمية الماء في الإنتاج الزراعي وفي كل إنتاج، ومدى أهميته للحياة قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٤)

(١) سورة هود، الآية (٦١).

(٢) سورة طه، الآيتان (١١٨، ١١٩).

(٣) شرح السنة، البغوي، (٦/١٤٩-١٥١).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٣٠).

وفي مجال محاربة التصحر والتشجيع على الزراعة يقول الرسول ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فبأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له صدقة»^(١)، ويقول ﷺ كذلك: «إذا قامت الساعة وبس يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»^(٢).

ومن الأحكام التي تبين اهتمام الإسلام بزراعة الأرض، وعمارته والإفادة منها، حكم الأرض الموات، وهي الأرض التي لم يسبق أن جرى عليها ملك أحد من الناس، ولم يظهر فيها أي علامة على ملك سابق من إحاطة أو زرع أو عمارة ونحو ذلك. وإحيائها هو جعلها صالحة للزراعة باستصلاحها والانتفاع بها، وقد دفع النبي ﷺ المسلمين إلى إحياء الأرض الموات وشجع على ذلك، حينما جعل الإحياء سبباً في التملك قال ﷺ: «من أحيى أرضاً مواتاً فهي له»^(٣).

ويمكن التركيز في مجال الزراعة على مبادئ هي:

- ١- الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية والبيئية التي وهبها الله تعالى للإنسان.
- ٢- الاهتمام بأولويات الإنتاج الزراعي لتوفير الحاجات الضرورية للمجتمع.
- ٣- الاهتمام بحقوق الفقراء في الإنتاج الزراعي ليساعد ذلك على تحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع.
- ٤- الحرص على حسن توزيع الثروة الزراعية بين الناس، ليتمكن كل فرد من إشباع حاجاته الأساسية من الغذاء.

نشاط

اهتم الإسلام بالزراعة، هات أمرين يدلان على ذلك.

العمل في التجارة

العمل في التجارة المباحة من الأعمال التي تدرّ الكسب الحلال على العاملين فيها، وقد تكفلت الشريعة الإسلامية بمنح الحرية للإنسان للعمل في التجارة المشروعة، مثلما تكفلت بمنح الحرية للعمل في الزراعة والصناعة. وحينما أباحت الشريعة الإسلامية العمل في التجارة، فقد حددت طرق الكسب الحلال، وشروط الصحة والأساليب التجارية المشروعة في مبادلة السلع التجارية بطرق المقايضة، أو بيعاً بالنقد، سواء أكان هذا البيع داخل البلاد الإسلامية أو خارجها، عن طريق التبادل التجاري بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول الأخرى. لذا بينت الشريعة الإسلامية كل ما يتصل بالتجارة من أعمال تتصل بطرق البيع وأنواعه، والنيابة فيه وفي الشراء والدين والضمان والحوالة والسمسرة، وبينت البيوع المحرمة ليتهاجنها المسلم، بعد أن بينت أسباب التحريم والمنع، حتى ولو كانت من غير المسلمين، حماية للمسلم من الحرام، وتطهيراً لتجارته من الكسب الحرام واستغلال الآخرين، وأكل أموالهم بالباطل، وهي بالتالي حماية للمجتمع الإسلامي بأسره.

(١) رواه الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في فضل الغرس.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ٣/ (١٨٤، ٩١).

(٣) رواه أبوداود، كتاب الإمارة، باب في إحياء الموات.

شروط العمل في التجارة

وضعت الشريعة الإسلامية شروطاً خاصة للبيع والشراء، من أهمها ما يأتي:

- ١- أن تكون السلعة محترمة ذات قيمة في نظر الشرع، فلا يصح بيع النجس ولا الاتجار به، فيحرم بيع الكلب وشراؤه - عدا كلب الصيد والحراسة - والخنزير والميتة والخمر، لأنه لا قيمة لها في نظر الشرع، ولا تعد مالا. ولكن يجوز بيع ما يمكن تطهيره كالجلود التي تطهر بالدباغة والأثواب التي تطهر بالغسل.
 - ٢- أن تكون السلعة مملوكة للمبايع أصيلاً كان أم وكيلًا، لأنه لا يجوز التصرف في مال الآخرين دون إذن منهم.
 - ٣- أن تكون السلعة مقدورة التسليم، فلا يصح بيع ما لا يقدر البائع على تسليمه للمشتري، كبيع الضال لأنه لا يقدر على تسليمه، ولا المال المغصوب، والسّمك في الماء والطير في الهواء، لعدم القدرة على التسليم عند البيع.
 - ٤- أن يلتزم البائع والمشتري بالصدق والأمانة، وأن لا يطففا الكيل والميزان، وأن يتمسكا بالأخلاق الكريمة في العقود التجارية كلها قال ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»^(١). وقد أكد الله تعالى ذلك بقوله سبحانه:
- ﴿ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾^(٢)
- ٥- الابتعاد عن الخداع والغش، فقد نهت الشريعة عن جمع المال بطرق الخداع والغش يقول سبحانه:
- ﴿ وَيَلِّ لِلْمُعْطِفِينَ ﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿١٨٤﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَنَوْهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾^(٣)
- وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾^(٤)
- ويقول ﷺ: «من غش فليس منا»^(٥) في معرض كلامه ﷺ للمتاجر الذي وضع الطعام الذي أصابه بلل في الداخل وأظهر غيره.
- ٦- الابتعاد عن الربا، وكل بيع يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل.
 - ٧- الابتعاد عن كل ما يضر الناس في التجارة، كالاحتكار والاتجار بالمحرمات وكل ما يضر بالمسلمين أفراداً وجماعات.

(١) رواه ابن ماجة، كتاب التجارات، باب السماحة في البيع.

(٢) سورة الشعراء، الآيات (١٨١-١٨٣).

(٣) سورة المطففين، الآيات (١-٣).

(٤) سورة الرحمن، الآية (٩).

(٥) رواه ابن ماجة، كتاب التجارات، باب النهي عن الغش.

استنتج الآثار الناجمة عن عدم التزام المجتمع بأحد هذه الشروط السالفة الذكر.

الأسئلة

- ١- بيّن كيف حثت الشريعة الإسلامية على العمل الزراعي.
- ٢- اذكر أهم مجالات استغلال الأرض والاستفادة منها.
- ٣- قال ﷺ: «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له». وضح كيف حثّ الحديث الشريف على الاهتمام بالزراعة.
- ٤- بيّن المقصود بما يأتي:
المُدّ، الصّاع، الأرض الموات، المقايضة.
- ٥- بيّن أهم المبادئ التي اهتم الإسلام بها في مجال الزراعة.
- ٦- بيّن خمساً من طرق الكسب الحلال في الإسلام.
- ٧- اذكر أهم ثلاثة شروط للعمل في التجارة.
- ٨- استنتج فائدتين تدلان على الاهتمام بالزراعة.

العمل الحرفي وأهميته في الإسلام

تكلمنا فيما سبق عن العمل في التجارة والزراعة، والآن لا بد من التكلّم عن العمل الحرفي والصناعي، مفهومه وأهميته في الإسلام.

مفهوم العمل الحرفي

الحرفة من الاحتراف، وهو الاكتساب أياً كان، والمحترف هو الصانع، وحرفة الرجل هي صنّعه، والصناعة ملكة في أمر عملي فكري، وقد بين القرآن الكريم أن العمل في الصناعة كان مهنة عدد من الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى عن نبيه داود عليه السلام:

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكَرُمٍ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾^(١)

وقد احترمت الشريعة الإسلامية العمل الحرفي والصناعي وشجعت المسلمين على ممارسة ما ينفعهم ويتناسب مع قدراتهم بهدف أن يكتفي الإنسان بعمله ويستغني عن سؤال الناس.

وقد أجاز الفقهاء عقود الاستصناع، ونظروا إلى الصناعات التي يقوم بها العمال نظرة احترام وتقدير ما دام العمل في دائرة الحلال، فالشريعة دعت الناس إلى العمل كسباً للفقير، ودفعاً للمسألة، قال تعالى في معرض كلامه عن نوح عليه السلام: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا ﴾^(٢)

وقد حض الرسول ﷺ المسلمين على العمل بالحرف والصناعات الشريفة التي كانوا يعملون بها، وكثير من الحرف والصناعات التي نعرفها اليوم كانت معروفة في عصر الرسول ﷺ، وكان الناس يحترفونها ومنها: العطار، والصراف، وبائع الزجاج وصانعه والنسّاج والخياط وصانع السيوف، والحداد والبنّاء، إضافة إلى الحرف اليدوية والطبية.

قيمة العمل الحرفي

اهتم الإسلام بالعمل الحرفي والصناعي، وشجع الناس على الإقبال عليه، وقد رجح الفقهاء أفضلية العمل بالصناعة لأنها عمل يدوي، يقول النبي ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف»^(٣) والصنائع والحرف كثيرة، منها ما يختص بالضرورات ومنها ما يختص بالكفايات، ولها أهميتها الكبرى في حياة المجتمعات البشرية، وجعلت

(١) سورة الأنبياء، الآية (٨٠).

(٢) سورة المؤمنون، الآية (٢٧).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في سننه، انظر الجامع الصغير وزيادته، (١١٤/٢).

الشريعة العمل بها من باب فرض الكفاية، فلا بد من وجود من يعمل بصناعات ذات مساس بحياة الناس تقوم الدولة بتشجيعها، تخدم المسلمين لأنها ضرورية لفئات المجتمع كافة، ولأنها تحفظ كيان المجتمع وتغطي حاجاته الضرورية التي لا بد منها للحياة الكريمة التي يجب أن يعيشها المسلم.

ومن هنا فمن استطاع أن يعمل في أي حرفة أو مهنة، ولم يعمل بها وهو قادر على ذلك، استحق اللوم والتعزير من ولي الأمر، وهذا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجعل الاحتراف أساساً لتقدير الإنسان واحترامه، لأنه بحرفته يكون عنصراً منتجاً في مجتمعه، ويؤمن حاجاته وحاجات عياله ويسهم قدر استطاعته في تحسين اقتصاد الأمة، ويظهر ذلك في قوله رضي الله عنه: «إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني»^(١).

وقد عمل معظم الصحابة بالمهنة، فكان خباب بن الأرت حداداً، وابن مسعود راعياً، وسعد بن أبي وقاص صانع نعال، وبلال بن رباح مؤذنًا، والزبير بن العوام خياطاً، وسلمان الفارسي حلاقاً. ولم يجد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم حرجاً من العمل بأيديهم والأكل من كدّهم. ومن العلماء الذين عملوا بالصناعات الخفية: القدوري، الذي كان يصنع القدور، وعمل الخصاف من علماء الحنفية بخصف النعال، وكان الثعالبي فزّاءً يخيط جاود الثعالب وغيرها.

تشجيع الصناعة

شجعت الشريعة الإسلامية الغراء العمل بالصناعات المشروعة في كل مجال، وحثت على الاختراعات العلمية التي تخدم البشرية.

ويشير القرآن الكريم إلى المعدن الأساسي في الصناعة وهو الحديد. قال تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾^(١)

وإذا تأملنا الآية الكريمة نجد أنها تصف الحديد بأنه ذو بأس شديد، أي ذو قوة شديدة، وأنه مفيد للناس، يستخدمونه في حياتهم، وينتفعون به في مجالات كثيرة، وأن كثيراً من المدن قديماً وحديثاً اعتمدت في العمران وتسليح الجيوش، وبناء المدن وشق الأنهار، وبناء الجسور والسدود والآلات الصناعية على مادة الحديد. ولذلك نجد أن الحياة في العصور الإسلامية المتعاقبة، قد ازدهرت وعرفت الصناعات الراقية في مختلف ما يحتاجه الإنسان من وسائل الحياة.

دور الدولة في تشجيع الصناعة

ذكر الفقهاء أن تعلم الصناعات من فروض الكفايات، وأجازوا لولي الأمر أن يلزم الناس على تعلم مهنة معينة

(١) ابن الجوزي، «بيرة عمر بن الخطاب»، ص ٥٧.

(٢) سورة الحديد، الآية (٢٥).

إذا احتاج إليها الناس، سواء أكانت في مجال الزراعة أم الصناعة، لتحقيق حاجات إنسانية ملحة كالنساجة والبناء والحدادة والنجارة وغيرها.

وقد عدّ الفقهاء أن من مهمات رئيس الدولة الإسلامية توفير كل ما يحتاجه المسلمون من الصناعات التي لا تتحقق مصلحة المجتمع الإسلامي إلا بها، سواء كانت صناعات ثقيلة أم صناعات خفيفة.

وقد شجع الإسلام العمل والإنتاج لجميع أفراد المجتمع، على أن لا يستغل أرباب العمل العمال، أو ينقصوهم حقوقهم أو يستغلوا حاجتهم.

الصناعة في العصور الإسلامية

ازدهرت الدولة الإسلامية واشتهرت بكثير من الصناعات، كصناعة الصابون، والزجاج، والخزف والمنسوجات الحريرية والسجاد التي نبغ فيها أهل إيران، واشتهرت مصر في العصر العباسي بصناعة السفن والمراكب، واشتهرت بلاد الأندلس بصناعة المعادن، واستخراجها من مناجمها بخاصة الرصاص والنيحاس والحديد، كما اشتهرت بصناعة الخيام والجلود والسفن وآلات الحرب والزيوت وغيرها.

وقد كان للمسلمين نصيب كبير في كثير من الصناعات فاقوا بها الدول الأخرى، فقد صنعوا الساعة الدقاقة التي اشتهر بصناعتها المسلمون، ووضعت في جامع دمشق وكذلك اشتهروا بصناعة السكر، وأنشأوا له المعامل الخاصة، ولا تقل هذه الصناعة أهمية عن صناعة الورق والبُسط والأسرّة والعقاقير الطبية من مختلف النباتات. مما سبق يظهر أن المسلمين استخدموا الموارد الطبيعية المختلفة والثروات المعدنية، واستخرجوا من باطن الأرض ما يحتاجونه من المعادن، وصنعوا منها الصناعات الكثيرة، مثل: الأسلحة البرية، وصناعة الذهب والحديد والأخشاب والورق، وكل ما يحتاجه الإنسان ويكفل له الراحة ويسهل الحياة.

- ١- وضح معنى الحرفة.
- ٢- اذكر بعض أنواع الحرف التي كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ.
- ٣- استنتج الآثار التي نستفيدها من معرفتنا أن الصحابة، رضي الله عنهم، احترفوا المهن وعملوا بأنفسهم.
- ٤- بيّن متى يكون حكم الصناعات والعمل فيها فرض كفاية.
- ٥- بيّن دور الدولة في العمل الحرفي والصناعات.
- ٦- وضح كيف حث الإسلام على العمل الحرفي مستشهداً بالأدلة النقلية.
- ٧- استنتج ثلاثة جوانب لأهمية العمل الحرفي، والصناعات المهنية في المجتمع.
- ٨- اذكر أهم الصناعات التي أتقنها المسلمون في العصور الإسلامية.

نشاط

سَمِّ مهنة تحب أن تمارسها في حياتك مبيناً السبب.

العامل الصالح

بَيَّنَّا سابقاً مفهوم العمل وأهميته وأنواعه وأحكامه، وتحدث في هذا الدرس عن مفهوم العامل الصالح في ضوء الشريعة الإسلامية، ومدى ارتباط العمل الصالح بالإيمان، وشروط العامل الصالح، فما المراد بالعامل الصالح؟

مفهوم العامل الصالح

العامل الصالح من وجهة النظر الإسلامية، هو الذي يعتنق عقيدة الإسلام ويتخلق بأخلاقه، ويتقيد بأحكام الشريعة الإسلامية فيما يقوم به من أعمال، ويتخذ الحلال والحرام مقياساً لأعماله في الحياة، فما أحلتها الشريعة الإسلامية أقدم عليه، وما حرمتها ابتعد عنه.

ارتباط العمل الصالح بالإيمان

العمل في الشريعة الإسلامية مرتبط بالإيمان، فالعامل يندفع إلى العمل امتثالاً لأمر الله تعالى، ولذا فالعمل واجب ديني على المسلم القيام به، استجابة لأمر الله تعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا ﴾ (١).
وقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٢)

ومن هذا المنطلق فالعمل في الإسلام عبادة يثاب الإنسان عليها إذا قصد بعمله رضا الله تعالى، وقد بين النبي ﷺ أن للساعي على أولاده مثل أجر المجاهد في سبيل الله تعالى.

نظرة العامل الصالح للعمل

والعامل الصالح ينظر للعمل أياً كانت صفته - حرفياً أو إدارياً - على أنه واجب ديني يقوم به المسلم امتثالاً لأمر ربه، وتحقيق عيشه وسد حاجاته، حتى يتمكن من القيام بالواجبات الدينية، لأنه لا يستطيع القيام بها إلا إذا كان قوي الجسم، يخدم نفسه بنفسه، وينظر العامل الصالح إلى العمل على أنه وسيلة لتحقيق كرامته، وسد حاجته، ولذلك يكون عمله في حدود ما أجازت الشريعة الإسلامية من الأعمال.

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٥).

(٢) سورة المالك، الآية (١٥).

شروط العامل الصالح

يشترط في العامل الصالح شروط عدة منها :

١- الإخلاص في العمل: غاية العامل المسلم من أي عمل يقوم به الحصول على رضوان الله تعالى، فيجعل أعماله كلها عبادة، قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)

٢- إتقان العمل الذي يقوم به، فيقدمه تبعاً للمواصفات والمقاييس الخاصة قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ»^(٢).

٣- البعد عن الغش في العمل، فلا يجوز أن يقصّر العامل في العمل الموكول إليه أو إخفاء عيب فيه، بل عليه بذل كل كفاءته لإنجاز العمل، وتقديمه حسب الشروط المتفق عليها.

٤- القيام بالأعمال المشروعة، فلا يجوز العمل في الأعمال المحرمة، كالعمل في مصانع الخمر، أو الملاهي الليلية، أو الاتجار بالمحرمات مهما كان نوعها.

٥- الابتعاد عن الأعمال التي لا تسليق بالمروءة على الرغم من إباحتها، كأن يستأجر الابن أباه أو أمه للمقيام بعمل معين لأن الابن مكافئ بخدمة أبيه فلا يجوز أن يستأجره في خدمة نفسه.

يتبين مما سبق أن الشريعة الإسلامية تحرص على إيجاد العامل الصالح، عن طريق ترسيخ الإيمان في نفسه، وإلزامه الأخلاق الإسلامية، وفعل الخير، وتجنب الشر والابتعاد عن الحرام.

نشاط

اذكر شروطاً أخرى يجب توافرها في العامل الصالح واكتبها في دفترك.

(١) سورة الأنعام، الآية (١٦٢).

(٢) رواه البيهقي، في شعب الإيمان.

- ١- ما المقصود بالعامل الصالح؟
- ٢- بيّن ارتباط العمل بالإيمان.
- ٣- بيّن نظرة العامل الصالح للعمل.
- ٤- ما الحكم الشرعي للعمل؟
- ٥- عدد ثلاثة من الشروط الواجب توافرها في العامل الصالح.
- ٦- ما فوائد العمل التي تعود على الفرد؟
- ٧- علل ما يأتي:
 - أ - البعد عن استئجار الوالد والوالدة للمقيم بعمل معين.
 - ب - العمل بالحلال يحقق كرامة الإنسان.

أخلاق العامل المسلم

تحرص الشريعة الإسلامية على التزام المسلم بالأخلاق الحسنة في كل الأحوال، ولذلك دعت الشريعة الإسلامية الأفراد في كل مواقعهم، ومهما كانت أعمالهم، ولاة أو موظفين أو أجراء (عمالاً) ليكونوا مثلاً يحتذى في أخلاقهم وتعاملهم، وفي هذا الدرس بيان لبعض الأخلاق التي يجب أن يتصف بها العمال.

١- الإخلاص في العمل وإتقانه: أوجب الإسلام على العامل إنجاز عمله بكل دقة وأمانة وإتقان، بالشكل الذي يعهده المجتمع ويعرفه. قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ»^(١). فإن لم يتقن العامل عمله على أفضل وجه، فإنه يتحمل تبعه هذا التقصير.

٢- الأمانة: العامل مؤتمن على ما بين يديه من أدوات العمل ومؤتمن أيضاً على الأعمال الموكلة إليه، فلا يجوز له أن يهمل في عمله، وإن لم يكن صاحب العمل يراقبه، ولا أن يقصر في عمله لأنه يلحق الأضرار بالآخرين ويخون الأمانة، وقد قال ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَسْتَمْتِكَ وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ»^(٢) فإن لم يؤد العامل ما أوتمن عليه بأمانة وإخلاص، فإنه يتحمل تبعه تقصيره، يدل على ذلك أن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع لما رأوهم يستهينون بالمحافظة على أمتعة الناس وأموالهم، وفي الناس حاجة شديدة إلى الصناع، فكانت المصلحة في تضمينهم ليحافظوا على ما في أيديهم. وقد قال الإمام علي، رضي الله عنه، في ذلك: «لَا يَصْلِحُ النَّاسُ إِلَّا ذَاكَ» أي التضمين.

٣- الصدق: ويكون ذلك في جميع التصرفات من حيث، إتقان العمل، وتحديد الأجر، والالتزام بما في العقد من شروط، وتسليم العمل في الموعد المحدد المتفق عليه، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالعمل، والابتعاد عن الغش والخداع لقوله ﷺ: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣)، والقيام بالأعمال دون تفريط ولا تقاعس، وأن يكون الإنسان قادراً على القيام بالأعمال ويتقنها، أما ما لا يتقنه من الأعمال، فلا يجوز له القيام به، وإن فعل فإنه يتحمل المسؤولية المترتبة جراء قيامه به، قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا طَبِيبٍ تَطَبَّبَ عَلَى قَوْمٍ لَا يُعْرِفُ لَهُ تَطَبُّبٌ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَعْنَتَ فَهُوَ ضَامِنٌ»^(٤) وكذلك سائر أصحاب المهن.

والالتزام بالأخلاق في العمل له آثار إيجابية تعود على الفرد والمجتمع، إذ تزداد ثقة الناس بالعامل ويحبونه، ويلجأون إليه ليعمل عندهم فيزيد دخله وترتقي حاله، وبالنسبة للمجتمع فإن نسبة الإنتاج تكون في ازدياد مستمر، وتنتشر الفضيلة بين أفراد المجتمع، ويزداد تمسك الأجيال بالأخلاق الإسلامية.

(١) رواه البيهقي، في شعب الإيمان.

(٢) رواه ابوداود والترمذي، في كتاب البيوع.

(٣) رواه ابن ماجة، كتاب التجارات، باب النهي عن الغش.

(٤) رواه ابوداود، كتاب النديات، باب فيه ن تطيب بغير علم.

الأسئلة

- ١- من الأخلاق الواجب اتصاف العامل بها الأمانة. وضح ذلك.
- ٢- لِمَ قضى الخلفاء الراشدون بتضمين الصُّنَاع؟
- ٣- ما الذي يترتب على قيام الإنسان بأعمال لا يتقنها؟ اكتب الدليل الشرعي على ذلك.
- ٤- ما آثار التزام العامل بالأخلاق الحسنة في الفرد والمجتمع؟

نشاط

اكتب ثلاثة آثار لالتزام العامل بخلق الصدق وثلاثة آثار لعدم التزامه بهذا الخلق.

آثار عدم الالتزام بالصدق	آثار الالتزام بالصدق
-١	-١
-٢	-٢
-٣	-٣

حقوق العامل

عرفت سابقاً أن العامل مطالب بإتقان عمله وأدائه على أفضل وجه وأكمله، فعلمينا ونحن نطالبه بذلك، أن نؤمن له حقوقه لنضمن قيامه بالأعمال المطلوبة منه، وقد أبانت الشريعة هذه الحقوق، وأوجبت على أصحاب العمل أداءها لأصحابها وعدم التهاون فيها. فما هذه الحقوق؟

١- توفير فرص العمل للقادرين عليه، وهذا واجب الدولة، ويتم ذلك بإقامة المشاريع الإنتاجية، وتدريب الأفراد على المهن التي تحتاجها الأمة وتنفيذ منها، إسهاماً في حل مشكلات البطالة. وعلى الدولة أن تختار للمعمل الأكفأ والأقدر، دون محاباة أو ظلم في الوظائف والأعمال.

٢- أداء الأجر: يستحق العامل أجرته المتفق عليها مع صاحب العمل في العقد المبرم بينهما مقابل قيامه بالعمل الموكول إليه. يقول ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»^(١) يستوي في ذلك أن تكون الأجرة يومية أو أسبوعية أو شهرية، ويجوز أن يعطى العامل الأجر قبل انتهائه من العمل. ويحرم على صاحب العمل حرمان العامل من أجره، لأنه أكل لأموال الآخرين بالباطل، وقد نهى الإسلام عن ذلك، فقال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾^(٢)

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره»^(٣).

ويجب أن تكون الأجرة معلومة ومحددة، حتى لا يقع التنازع بين العامل وصاحب العمل، ولا يظلم أحدهما الآخر، وأن يكون الأجر متناسباً مع الجهد والعمل لضمان إخلاص العامل، وإبعاده عن الحرام، وبخاصة في وظائف الدولة.

وقد حرم الإسلام السخرة، لأنها تسخير العامل دون أجر وبغير وجه حق، ومن ذلك أنه لا يجوز استخدام اليتيم دون أجر، ولو كان ذلك العمل لأخيه أو معلمه، إلا أنه يجوز أن يعمله لأمه دون أجر.

٣- عدم إرهاق العامل: منع الإسلام إرهاق العامل، أو تحميله فوق طاقته، ودعاً إلى أن يكون العمل متفقاً مع طاقات الفرد الجسمانية. قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾^(٤)

وبناء على ذلك يجب أن تكون المسؤوليات التي يتولاها العمال متناسبة وقدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم. وعدم تعريضهم للأخطار التي تصيبهم بمكروه، أو تعرض حياتهم للخطر، ولو مستقبلاً، حتى لا يصبح العامل

(١) رواه ابن ماجة، كتاب الرهن، باب أجر الأجراء.

(٢) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٣) رواه ابن ماجة، كتاب الرهن، باب أجر الإجراء.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

عاجزاً عن تحمّل ما وكل إليه من مسؤوليات بعد فترة من العمل، أو يصاب بإصابات تمنعه من الاستمرار في هذا العمل. ويترتب على ذلك وجوب توفير المعدات اللازمة التي تمنع من حدوث الإصابات أو تقللها، واتخاذ تدابير الأمان المتعلقة بذلك.

٤- عدم استغلال العامل كبيراً كان أم صغيراً، سواء بتكليفه ما لا يطيق، أم بحرمانه من الأجر بعد قيامه بالعمل المطلوب منه، ولم يسمح الفقهاء - منعاً للاستغلال - بتشغيل الأطفال أو إلزامهم بالعمل بالأجرة سواء أكان من يتولى أمرهم وصياً أم قيماً أم أباً، ولو كان في تشغيلهم مصلحة.

نشاط

هات ثلاثاً من صور استغلال العمال، واكتبها في دفترك.

٥- المحافظة على الحقوق: يحتاج العامل إلى المحافظة على حقوقه وعدم العبث بها بالنقصان أو الحرمان، ولحفظ هذه الحقوق ظهرت نقابات العمل في أيامنا هذه وتقوم هذه النقابات بالأمر الآتية:

أ - الإشراف على شؤون العمل والعمال، ومراقبة القوى العاملة، أو العمالة الوافدة، واختلاف العمال مع أرباب العمل، وأجور العمال واستحقاقاتهم التي يجب أن لا تضيع أو يقل شأنها. قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾^(١)

ب - النظر في دعاوى العمال مع أرباب العمل، والحكم بها وفق الشرع الإسلامي.

ج- الإصلاح بين العمال وأرباب العمل وحل مشكلاتهم، وتقريب وجهات النظر بين المتخاصمين لتحقيق الصلح بينهم، قال الله تعالى: ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾^(٢)

نشاط

هات أسباباً تدل على ضرورة تنظيم شؤون العمال لمصلحتهم.

٦- تحقيق الاستقرار النفسي والمادي للعامل حتى يكون منتجاً فعالاً، ويكون ذلك بسن التشريعات التي توجب على أصحاب العمل دفع الرواتب المناسبة للعمال بما يسد حاجتهم وأسرهم، وتأمينهم صحياً، ومنع فصلهم فصلاً تعسفياً ومراقبة كل ذلك عن طريق نظام الحسبة، الذي أعطى للمحتسب ولاية تأديب من يتجاوز الحقوق، ويتعدى الحدود وفق ما أمر به الله تعالى. هذا إذا كان العامل في قطاع خاص، أما إذا كان يعمل في الدولة فيمكن تحقيق هذا الاستقرار بالأمر الآتية:

(١) سورة الأعراف، الآية (٨٥).

(٢) سورة النساء، الآية (١٢٨).

أ - إعطاء المرتبات والأجور التي تسد حاجات العمال بما يتناسب مع مستوياتهم الاجتماعية والأسرية.
ب - توفير الحوافز المادية والمعنوية لحمل العمال على العمل المثمر، وزيادة الإنتاج، ويتمثل ذلك في صور متعددة منها:

١. الترقية إلى عمل أعلى، ومنح العلاوات الاستثنائية والمكافآت التشجيعية.
٢. تحقيق متطلبات العمال بوصفهم تحت مظلة التأمين الاجتماعي في حالة العجز عن العمل، أو التعرض للكوارث الطبيعية، أو عند الإصابة بالأزمات أو النكبات، وتخصيص مرتبات للعجزة والمحتاجين، والعاملين ذوي العاهات، وترتيب الأرزاق المناسبة لمن بلغ سن التقاعد من الموظفين، بإيجاد وسائل العيش الكريم لهم ولأسرهم، ويؤكد الفقهاء المسلمون أن من مات من أصحاب المعاشات تقوم الدولة برزق زوجته وأولاده حتى يستقلوا بالكسب، وتسجيل أسمائهم في ديوان المال، وقد فعل ذلك عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعمر بن عبد العزيز، رضي الله عنهم، فالشريعة الإسلامية تستوعب نظام التقاعد المعروف حالياً للموظفين والعمال الدائمين.
٣. تحقيق التأمين الصحي للعمال، وإعطاءهم البدلات اليومية للعجز المؤقت الناتج من العمل، والرواتب الشهرية والتعويضات.

الأسئلة

- ١- ما الفرق بين عمل الفرد بالأجرة، وبين عمله الحر لخدمة نفسه وأسرته؟
- ٢- من حقوق العامل في الإسلام أداء أجره، وعدم إرهاقه في العمل. وضح هذين الأمرين.
- ٣- بيّن واجبات نقابات العمال.
- ٤- ما فائدة وضع الحوافز للعمال؟
- ٥- ما أهداف التأمين الاجتماعي للموظفين؟
- ٦- كيف تحافظ الدولة على حقوق العمال في القطاعين الخاص والعام؟
- ٧- ما آثار مراقبة الدولة للمعاملة في الوطن؟
- ٨- اكتب دليلاً شرعياً من القرآن أو السنة على كما يأتي:
أ - عدم تكليف العامل ما لا يطيق.
ب - أداء الأجر.

تدريب العامل وتأهيله وتثقيفه

يحتاج العامل دوماً إلى امتلاك المهارات الضرورية لأداء عمله، وهذا يتطلب تدريبه وتأهيله للمعمل الذي سيقوم به، ليتمكن من الوقوف على المعرفة الضرورية لهذا العمل، والتدريب على المهارات الأدائية المرتبطة به المتعلقة باستعمال الآلات والأدوات بدقة وإتقان، مهما كان العمل الذي سيقوم به سواء أكان بناءً أم دهاناً أم خياطةً، وسائر المهن والأعمال في مختلف المرافق، وكذلك توعية العامل بالأحكام الشرعية المتصلة بمهنته مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

مفهوم التدريب والتأهيل

تدريب العامل وتأهيله يعني تملكه العلم والمعرفة بجوانب العمل الذي يقوم به لإتقانه، يقال استأهل أي استحق، ولا يكون كذلك إلا إذا كانت له دُرْبَةٌ وَتَجْرِبَةٌ ومراسٌ. والدَّارِبُ: الحاذِقُ بصناعته، يقال: دَرَّبْتُهُ أَي أَصْبَحَ مُتَقِنًا للعمل بعد التَّدرِيبِ.

غاية التدريب والتأهيل

وحتى يؤدي التدريب والتأهيل غايته المنشودة يجب أن تراعى الأمور الآتية:

أولاً: المحافظة على مستوى أداء العامل

أشار الفقهاء إلى ضرورة تعليم كاتب السر، وناظر الجيش، وكل صاحب مهنة ليتمكن مهنته، وعلى ذلك فيمكن إيفاد العمال في بعثات تدريبية إلى الخارج، مما يفيد في معرفة الوسائل الحديثة في الصناعات المختلفة، هذا يسهل حصول العمال على وسائل التعليم والتدريب الصناعي بشكل أفضل، مما ينمي قدراتهم الفنية والعقلية على وجه أفضل، وتزويد المتدربين منهم بالجديد من المعارف والصناعات المستخدمة، والإفادة من كل جديد، وتطبيق ذلك وفق تمارين خاصة مرتبطة بطبيعة العمل.

وتتحمل الدولة نفقات التعليم والتدريب لكل العمال على الحرف والصناعات التي تتبناها، مثل الصناعات الاقتصادية والحربية والدوائية وغيرها، فتقوم بتعليم العمال وتوجيههم وتثقيفهم على نفقة بيت المال، بهدف معالجة أوضاع المشاركين، والأخذ بأيدي العمال لإتقان أعمالهم التي يقومون بها.

نشاط

اذكر بعض الأعمال التي يجب على الدولة، أن تتبنى فيها نفقات التدريب والتأهيل.

ثانياً : التدريب المستمر للعامل

يتطلب الحفاظ على مستوى الأداء العمالي للعمال في مجال مهنتهم، إلحاقهم ببرامج تدريبية مستمرة للوقوف على كل جديد في مجال المعرفة، أو مستوى الأداء، وتعريفهم بحقوقهم، وواجباتهم، وكيفية التعامل مع أرباب العمل، وما عليهم من واجبات مثل إتقان العمل والصدق والإخلاص والأمانة، والابتعاد عن المظالم الدنيوية، والابتعاد عن الحرام حتى ولو حقق ربحاً سريعاً.

نشاط

اذكر بعض الأمور التي ترى ضرورة تدريب العمال عليها في مجال الحرف.

لقد أصبح التعليم المهني في العصر الذي نعيش ضرورة ملحة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي اجتاحت العالم، من أجل تعليم الراشدين هذه المهن لتلبية مختلف الحاجات الاجتماعية، والتركيز على تعرف المهن والمهارات المهنية الحديثة. فلا بد من تشجيع الشباب على الانخراط في مهن خاصة، يُعدّون لها إعداداً جيداً لتلبية الحاجات الاقتصادية في المجتمع. والمعروف أن عصر الصناعة والتقدم التقني في المجالات المهنية المختلفة، يدفع المسلمين إلى الاستفادة من الإمكانيات، الجديدة المتاحة على صعيد التعليم المهني وتدريب العمال عليها، بما يعود بالخير على المجتمع ويحقق مصالحه.

نشاط

- 1- اذكر اسم مدرستين مهنتين في منطقتك.
- 2- اذكر بعض المهن التي يتدرب عليها الطلبة في المدارس المهنية.

ومع تطور التكنولوجيا، والتقدم العلمي السريع في الآلة، فإن المسلمين معنيون أن يكونوا على وعي كامل بما يدور حولهم، ليفيدوا من كل خصائص التطور العلمي في إطار التعاليم الإسلامية، لأن الإسلام يحض على الأخذ بالتقدم العلمي، وتأهيل العمال وفق أحدث أساليب التقنية الحديثة، لأن العامل المؤهل يكون عطاؤه أكثر وأنفع، ويسهم في بناء المجتمع المتقدم الواعي.

وعلى الدولة أن تعمل على إيجاد هيئة مختصة لتأهيل العمال وتدريبهم ضمن تخصصاتهم المختلفة، حتى يكون العامل متقناً لما يقوم به. وفي الأردن مؤسسات تقوم بهذا الدور كمؤسسة التدريب المهني، ومعهد الإدارة العامة.

اذكر فائدتين من فوائد الأخذ بالتقدم العلمي.

تشقيف العامل

التثقيف لغة : من ثَقَّفَ يَثَقِّفُ ثَقَافَةً، أي صار حاذقاً، فَطَنًا، وَثَقَّةً تَثَقِيفًا أي سَوَّاهُ وَأَهْلَهُ. واصطلاحاً: هو تأهيل العمال وتدريبهم على الخير بما يحقق سعادتهم في الدارين.

أهداف تشقيف العمال

يهدف تشقيف العمال علمياً ودينياً إلى تحصينهم بالآداب، ومعرفة الدين الحنيف، والتمسك بأحكام الشريعة، وغاية الإسلام من ذلك تزكية نفس العامل وتطهيرها وتذكيرها بمعرفة الله تعالى وعبادته، والتحلي بالأخلاق الكريمة كالمحبة والرحمة والإخاء والمساواة والعدل وغيرها، وعلى العامل المسلم أن يتأسى بالرسول ﷺ في عمله إخلاصاً وإنتاجاً في كل مجالات الحياة، لأن العلم والعمل شرف للإنسان، والتمسك بالدين والأخلاق الكريمة صفات تسمو بصاحبها إلى العلياء.

ويشمل تشقيف العمال أموراً متعددة منها :

١- معرفة الحلال والحرام في مجال عملهم، فمن أراد العمل بأي مجال من الأعمال، فيجب عليه معرفة كيفية هذا العمل، وطرق الحلال والحرام فيه، والشروط الواجب توافرها حتى يكون عمله صحيحاً مشروعاً، ويحرم الإقدام على القيام بأي عمل إلا بعد أن يعرف العامل كل ما يتعلق به، حتى لا يقع في محذور، ويدل على ذلك قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لرجل رآه يريد أن يبيع أو يعمل في السوق، أتعرف الحلال والحرام؟ وهذا يدل على أن العامل المسلم لا بد له من أن يعرف ما يحل وما يحرم من المأكولات والمشروبات والملبوسات، وهذا شامل لكل إنسان في المجتمع. ويدخل في مجال معرفة الحلال والحرام، العلم بالأعمال المحرمة التي يجب الابتعاد عنها، كتعلم السحر، والعلوم التي تشكك في العقيدة، أو تضر بالمجتمع.

٢- تجنب الشبهات، والمحافظة على شعائر الإسلام، وضرورة إظهارها، وترك كل ضار بمصالح الأمة سواء أكان الضرر مادياً أم معنوياً.

٣- الاعتدال في التصرفات، وحسن المطالبة بالحقوق، والصبر على العمل والمثابرة، والتقليل من كل عمل يضر بنفس العامل وماله وعياله.

٤- الإجمال في الطلب، والبعد عن الغش والعجب، ورفع الأصوات، والتحلي بمكارم الأخلاق، وكف الأذى عن الآخرين، وبذل المعونة لهم، والتلطف معهم ومحبتهم، والرفق بهم كما كان يفعل الرسول ﷺ.

- ٥- اتباع الحق والصدق، وعمل الخير، والإقبال على النافع المفيد من الأعمال، وإفشاء السلام، وحسن التخاطب، والتعاون على البر والتقوى.
- ٦- توجيه العمال إلى الأساليب المشروعة في مجال الترويح عن نفوسهم، إبعاداً للكُلِّ والمَلِّ عنهم، وقد ورد في الأثر: «رَوِّحُوا القلوب ساعة بعد ساعة».

آثار التدريب والتأهيل والتثقيف

للتدريب والتأهيل آثار عدة منها :

- ١- جعل العامل عنصراً نافعاً منجزاً للعمل، متقناً له، مبدعاً فيه، ولكل عمل يقوم به مستقبلاً.
- ٢- إفادة المؤسسات من التخطيط والتنظيم والبرمجة للمستقبل، وقياس مدى الإنتاج مع السرعة في إنجاز العمل، وهذا يؤثر في مستوى الإنتاج العام.
- ٣- توفير الوقت والجهد والمال، لأن الإنسان المتقن لعمله لا يهدر الوقت، ولا يضيع المال، ويعطي إنتاجاً جيداً متقناً بأقل النفقات والتكاليف، وهذا يؤدي بدوره إلى التقليل من المشكلات، مما يعود على المجتمع بالخير وينعم بالمحبة، والثقة بين أبنائه، وحسن العلاقات بين رب العمل والعمال.
- ٤- تكوين الاتجاهات الإيجابية نحو العمل، في نفوس العاملين في كل مؤسسة، يجلب لهم الشعور بالثقة بالنفس، ويجعل المؤسسة مهمة بعمالها، ويهيء لهم جواً من الرضا عند كل مسؤول ولدى كل عامل، وبالتالي يشعر أبناء الأمة بأداء الواجبات الموكلة إليهم، مما ينعكس على كل أفراد المجتمع بالخير والازدهار.
- ٥- قيام العامل بالأعمال الموكلة إليه دون غش ولا تخاذل ولا تكاسل ولا كذب في أي موقع كان. مما سبق بيانه يتبين وجوب الاهتمام بالعمال في مختلف مواقعهم، لأنهم عماد الاقتصاد الوطني للأمة وشرواتها الربحية.

الأسئلة

- ١- ما المقصود بما يأتي: التدريب والتأهيل، التثقيف؟
- ٢- بيّن أهمية التدريب والتأهيل للعمال.
- ٣- ما فوائد إرسال العمال في بعثات تدريبية إلى الخارج؟
- ٤- لِمَ تتولى الدولة تأهيل بعض العمال وتدريبهم على نفقتها الخاصة؟
- ٥- ما فوائد التدريب المستمر للعمال؟
- ٦- التعليم المهني ضرورة ملحة. وضح ذلك.
- ٧- ما الغاية من تثقيف العمال بأحكام الحلال والحرام في مجال عملهم؟
- ٨- ما الذي يترتب على تعلم العامل الحلال والحرام؟
- ٩- ما آثار التدريب في: العامل، المؤسسة، المجتمع؟

واجبات العامل

عرفنا أن المسلم لا يعمل إلا في الحلال، لأن من شروط صحة العمل أن لا يكون فيه معصية لله تعالى، ولا يكون فيه ظلم لصاحب العمل أو لغيره، ولا يكون فيه ضرر بالناس، وهذا يستلزم أن يكون العامل على معرفة بالواجبات الملقاة عليه، حتى يقوم بها على الوجه المطلوب، فما واجبات العامل؟

أولاً : الأمانة في العمل

العمل كما بينا أمانة، فعلى العامل أن يبذل وسعه وطاقته في إخراج العمل بالمستوى المطلوب، وفق ما يستطيع ويقدر، لأن هذا من الأمانة والتقوى التي يسأل عنها. قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١)

وقال النبي ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٢).

ثانياً : المحافظة على المواعيد

إن المحافظة على المواعيد مع الناس، من صفات العامل الصالح المؤمن الملتزم، الذي يُنجز عمله في الوقت المتفق عليه، ولذلك فعلى العامل الاهتمام بالوقت الذي يحتاجه لإدارة العمل وكسبه، والمحافظة على مواعيده مع الناس.

وتأتي أهمية تحديد ساعات العمل اليومية لأهمية الوقت في حياة الإنسان، فهو يحتاج إلى الراحة، إضافة إلى حاجته إلى بعض الوقت لأداء العبادات والوضوء، والاستعداد للصلاة، وله يوم الجمعة للراحة، وعلى العامل أن لا يلتزم في هذه الأوقات مع أحد بأي عمل من الأعمال، لعدم قدرته على الوفاء بالوعد.

ويستحق العامل الأجرة في هذه الأوقات من رب العمل وإن لم يعمل بها، لأن زمن الطهارة وأداء الفرائض والسنن مستثنى، ولا ينقص من الأجرة في مقابله شيء، سواء في الجمعة وغيرها، على أن لا تتخذ العبادة ذريعة لإضاعة الوقت.

واستثنيت هذه الأوقات بحكم العرف وما جرت به العادة، ومثلها وقت الأكل والشرب، وقضاء الحاجة، والليل فيما لو استأجره يوماً كاملاً، وذلك لمسيس الحاجة إلى تقطيع مثل هذه الأوقات المتفق عليها، وفي هذا توازن بين متطلبات رب العمل ومصلحة العامل ومتطلباته.

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٧).

(٢) مسند أحمد، (١٥٤/٢).

نشاط

اذكر صورة من صور عقد العمل الذي لا توازن فيه بين حقوق العامل وواجباته.

وإذا لم يكمل العامل الموكل إليه العمل بما يفوت المنفعة المترتبة على هذا العمل، ولا يستفيد رب المال من المنفعة، فلا أجره للعامل، وإن كان رب العمل يستفيد من جزء من العمل الذي أنتجه العامل، ثم عرض له ترك العمل فله أجر المثل، أو بمقدار ما عمل من عمل.

ولأهمية العهد والوقت في إنجاز العمل، يرى الفقهاء أن العامل من أصحاب الصنائع يضمن ما أفسده مخالفاً به العقد، وأقروا التعويض للعامل في حالة تضرره من قبل صاحب العمل وإخلاله بالعقد، ولذلك فمن مصلحة العامل ورب العمل أن يكون العقد بينهما مكتوباً، لأن الكتابة تحدد المسؤولية، وتضمن الحقوق، وتبعد أسباب المنازعة بين الطرفين.

ثالثاً: الالتزام بعقد العمل

إن عقد العمل عهد على إتمام العمل، فعلى العامل أن يلتزم به، ويتمه على خير وجه، وفق المتفق عليه، قال الله تعالى في معرض الحث على الوفاء بالعقود:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾^(١)

ويرى العلماء أنه في حال عدم قدرة العامل على إتمام العمل في الموعد المحدد، فإن لرب العمل أن يستأجر من يعمل على نفقة العامل الأول لإتمام العمل، وإلا فإنه يتحمل المسؤولية المترتبة على ذلك. ويلتزم رب العمل بأداء الأجرة إلى العامل، وعلى رب العمل أن يعلم العامل بمقدار الأجرة، وكيفية دفعها، حتى لا يؤدي الجهل بها إلى النزاع والمخاصمة، وإذا جهل الأجر لم يصح العقد، فلو قال رب العمل للعامل: اعمل لي كذا، وأنا أرضيك، أو أعطيك شيئاً، والشيء غير معروف، لم يصح العقد، ويعطى العامل في هذه الحالة أجره المثل، وقد نهى رسول الله ﷺ عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره وبناء على ذلك فعقد العمل ملزم للطرفين، وبموجبه يستحق العامل الأجرة المنصوص عليها، ويلتزم بإتقان العمل وفق الأسس المتفق عليها.

نشاط

أعط مثلاً يكون فيه عقد العمل مؤدياً إلى المنازعة والمخاصمة.

(١) سورة المائدة، الآية (١).

رابعاً : إتقان العمل

ويكون ذلك بإحكامه والقيام به على خير وجه وإجادته، وتحقيق أفضل النتائج، وبناء على ذلك فعلى العامل أن لا يُقبلَ على أي عمل إلا إذا كان حاذقاً به، ليخرجه على الوجه المطلوب، حسب قدرته وطاقته دون تقصير أو إهمال، لأن العمل أمانة كما عرفت، وليس من الأمانة تضييع أعمال الناس بإتلافها أو عدم إتقانها، وحتى لا يتطرق الصنّاع إلى مثل ذلك قضى الفقهاء بتضمينهم.

خامساً : التفقه في الدين

يجب على العامل معرفة الحلال والحرام في مجال عمله، حتى يكون صحيحاً مشروعاً، ويحرم عليه ممارسة أي عمل إلا بعد أن يعرف كل ما يتعلق به من حلال وحرام، حتى لا يقع في المحذور، يدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: «لا يتّجر في سوقنا إلا من فقه، وإلا أكل الربا» وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: «من اتّجر قبل أن يتفقه ارتطم في الربا».

الأسئلة

- ١- عدد واجبات العامل.
- ٢- ما الأضرار اللاحقة بأرباب العمل جراء عدم تقييد العامل بعقد العمل، من حيث أداؤه في الوقت المتفق عليه؟
- ٣- لم يعطى العامل فترة راحة كافية؟
- ٤- ما أهمية كتابة عقد العمل؟
- ٥- ما الذي يترتب على العامل عند عدم إكمال العمل الموكل إليه؟
- ٦- التفقه في الدين من واجبات العامل. وضح ذلك.

نشاط

صمم أنموذجاً لعقد عمل مبيناً فيه طرفي العقد ونوع العمل وشروطه والأجرة عليه.

الوحدة السابعة

التربية الإسلامية والشباب

وتشتمل هذه الوحدة على:

- الشباب في الإسلام
- توجيه طاقات الشباب
- المشكلات النفسية وعلاج الإسلام لها
- المشكلات السلوكية وعلاج الإسلام لها
- المشكلات الاجتماعية وعلاج الإسلام لها
- المشاركة في الأعمال التطوعية
- معاذ بن جبل (رضي الله عنه)
- عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)
- أسامة بن زيد (رضي الله عنه)
- محمد بن القاسم (رحمه الله تعالى)
- أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)
- الربيع بنت معوذ (رضي الله عنها)

للشباب دور مهم في الحياة، فعلى سواعدهم تبنى الأوطان وتحمى الديار وتحفظ للأمة هويتها واستقلالها، ولهذا اهتم الإسلام بهم اهتماماً كبيراً. وفي هذا الدرس سنتحدث عن مفهوم الشباب وخصائصهم، واهتمام الرسول ﷺ بهم.

مفهوم الشباب

الشباب في اللغة: جمع شاب، وهو من أدرك سن البلوغ ولم يصل إلى سن الكهولة. وأيضاً: هو الفتى والعداثة، وشباب الشيء أوله. وهذه الفترة الزمنية من عمر الإنسان، هي أهم فترات حياته لما يكتنفها من مخاطر، وأحداث بسبب العنقوان، والرغبة الجامحة، وحب المغامرة وركوب الأهوال والأخطار وما شابه ذلك، لذا كانت مرحلة الشباب من الأمور التي أولاها العلماء والباحثون جل اهتمامهم وعنايتهم.

خصائص الشباب

للشباب خصائص عدة تميزهم عن غيرهم بصورة عامة، وأهم هذه الخصائص ما يأتي:

- ١- النشاط والحيوية : فالشباب في هذه المرحلة من عمره، يكون في أوج نشاطه وحيويته، وهذا يعني العطاء والإنتاج والإنجاز وتحقيق الآمال والأهداف، وهي ميزة تحتاجها الأمة بصورة مستمرة.
- ٢- الطاقة : يتمتع الإنسان في مرحلة شبابه بطاقة جسدية قوية، وهذه الطاقة ينبغي أن توجه إلى الخير، وإلا كانت وبالاً على صاحبها، فالشباب يمتلك طاقة هائلة من القوة والنشاط، والإسلام يوجه هذه الطاقات وجهتها الصحيحة الهادفة للإنتاج والبناء، والجهاد والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشاركة في أعمال الخير التي تعود على الفرد نفسه، وعلى أسرته ومجتمعه وأُمَّته بالخير والنفع، وعمارة الأرض التي استخلفه الله تعالى فيها.
- وقد نظم الإسلام الغرائز، ودعا إلى إشباع الحاجات بصورة متوازنة، راعى في ذلك حاجات الروح ومتطلبات الجسد باعتدال، ووسطية واتزان، فلا إفراط ولا تفريط.
- ٣- الجرأة والإقدام وعدم التردد : يتحلى الشباب في الغالب بالجرأة والإقدام وعدم التردد، وقد ظهر ذلك جلياً، في موقف الشباب في المدينة يوم أن أشاروا على النبي ﷺ بالخروج لمقابلة العدو قبيل غزوة أحد، فاستجاب لرأيهم.

٤- التضحية والفداء: يتصف الشباب بروح التضحية والفداء من أجل تحقيق الأهداف السامية، والأمة التي تجد في أبنائها من يتصف بهذه الصفة العظيمة لا بد أن تكون قوية، تنال مرادها، وتحقق أهدافها، لأن الأهداف السامية لا تتحقق إلا بالتضحيات والفداء، ففي موقف الشاب المؤمن الذي ضحى بنفسه في سبيل إظهار الحق على الباطل، في قصة أصحاب الأخدود موقف خلدته القرآن الكريم في سورة البروج إلى يوم القيامة. وملخص القصة، أن شاباً مؤمناً بالله تعالى، وقف في وجه طاغية كان يدعي الألوهية، فأراد الطاغية قتله، لكنه لم يتمكن من ذلك لأن الله تعالى كان ينجي الشاب المؤمن في كل مرة حاول الطاغية فيها قتله. وفي نهاية الأمر قال الشاب للطاغية: «إنك لن تقدر على قتلي إلا إذا جمعت الناس وقلت باسم الله رب الغلام، عندها تتمكن من قتلي»، ففعل الطاغية ذلك، فقال الناس عندها: «أما برب الغلام». وبذلك ضحى الشاب المؤمن بنفسه في سبيل إظهار الحقيقة، وهي أن الله تعالى رب الناس جميعاً، وليس ذلك الطاغية.

٥- حب اكتشاف المجهول: إن عجلة الحياة لا تتوقف، وهذا يعني ضرورة العمل ومواكبة تطورها، ولا يكون ذلك إلا بالبحث واكتساب المعرفة، واكتشاف ما يجمله الإنسان ليعود على مجتمعه بالنفع والخير. وهذا الأمر يتطلب عنصر الشباب الذي يتميز بهذه الخصائص، وأن ما يتوصل إليه الإنسان من تقدم حضاري وتقني، مرده إلى المغامرة وحب اكتشاف المجهول، إضافة إلى المثابرة والصبر وتحمل المشاق. وما قام به العلماء المسلمون في مجال الاكتشافات العلمية في الطب والهندسة والعلوم والرياضيات والملاحة والفلك ما هو إلا أمثلة على ذلك.

٦- التدبر والانطلاق: إن التدبر وعدم التقليد الأعمى، سمة من سمات الشباب المؤمن الواعي المتحرر، وبخاصة فيما يتعلق بالمعتقدات والفكر، وقد ذم القرآن الكريم من ينقاد لغيره دون تدبر وتمحيص لما يعتقد ويفكر. قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ * قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُودٌ لِمَا بَاءَدْتُمْ عَلَيْهِمْ آبَاءَهُمْ كَرَّهُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَذِبُونَ ﴿٢١﴾﴾^(١) وقال ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسناً وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»^(٢).

ولا شك في أن الانطلاق لا يعني الفوضى وعدم الانضباط، ولا يعني كذلك الاعتداء على حقوق الآخرين، بل هو على العكس من ذلك تماماً، فحرية المسلم مقيدة بأداب الإسلام وتعاليمه التي تنظم حياته ليصبح مالكا لنفسه، لا عبداً لشهوته وهواه.

اهتمام الرسول ﷺ بالشباب واعتماده عليهم

يتمثل اهتمام الرسول ﷺ بالشباب في دعوتهم إلى الله تعالى، وتربيتهم التربية الإسلامية المبنية على العقيدة الصحيحة، والفكر السليم، والخلق القويم، وفي رعايته للشباب وتدريبهم على الحياة الجادة، والرجولة الحقة ليكونوا جنوداً أقوياء أوفياء، يُعتمد عليهم في الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، ويطمئن إلى جانبهم عند الشدائد

(١) سورة الزخرف، الآيةان (٢٣، ٢٤).

(٢) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في العفو والإحسان.

والملمات، فكان ﷺ يهيء الشباب، ويحثهم على بناء أجسام قوية، بتدريبهم على ما يحقق هذه الغاية كركوب الخيل والإبل، ويُجري لهم المسابقات على الأقدام، ويأمرهم بالمصارعة، وإجادة إصابة الأهداف في رمي السهام وإتقان استعمال السلاح كالسيف والرمح والترس، ونحوها من الأعمال والرياضات الهادفة التي تحقق الغايات النبيلة والأهداف السامية. وكان يتلطف بهم في التوجيه والنصيحة، فلا يعنفهم ولا يُحرِّجهم، وكان يشاركهم أفراحهم وأحزانهم ويتفقد أحوالهم، ويشاركهم في الأمور، ويأخذ بأرائهم المناسبة ويحترم وجهات نظرهم.

أما اعتماده ﷺ على الشباب، فكان واضحاً جلياً منذ بداية الدعوة الإسلامية بمكة المكرمة، فقد قامت الدعوة على كواهل الشباب وعواتقهم، إذ كان أصحاب رسول الله ﷺ جلهم من الشباب، فعليُّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام أسلما في الثامنة من العمر وأسماء بنت أبي بكر في العشرين، وطلحة بن عبيد الله في الحادية عشرة، ومسعود بن أبي ربيعة كان ابن سبعة عشر عاماً، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل في الثامنة عشرة، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا في حدود العشرين من العمر، وقد كان لهؤلاء وغيرهم من السابقين الأولين من أصحاب رسول الله ﷺ أكبر الأثر في ترسيخ قواعد الإسلام وتأسيس عقيدته، ومبادئه في النفوس، ونشره في الآفاق، وبسببهم امتدت رقعة الدولة الإسلامية في أنحاء المعمورة حتى وصلت إلى مشارف أوروبا غرباً وبحر الصين شرقاً.

ويتضح هذا الاعتماد على الشباب، في تكليفهم ﷺ في مهمات صعبة، تحتاج إلى التضحية والإقدام وعدم التردد، ففي بداية الدعوة كانت هجرتان إلى الحبشة، ومعظم أفرادها من الشباب، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، فرّوا بدينهم للحفاظ عليه من اضطهاد قريش، وكان لصبرهم وشجاعتهم في الحق أكبر الأثر في إسلام النجاشي ملك الحبشة.

وكان مصعب بن عمير، ذلك الشاب الذي ضحى بنعيم الدنيا وزخرفها في سبيل عقيدته ودينه، مبعوث رسول الله ﷺ إلى المدينة، قد أرسى قواعد الإسلام فيها، فما هاجر إليها النبي ﷺ إلا وكان الإسلام قد دخل معظم بيوتها، وليلة هجرته أقام علي بن أبي طالب مقامه، وأمره بالمبيت في فراشه، وخلفه في مكة ليؤدي الأمانات التي كانت لديه لأصحابها من كفار قريش وغيرهم.

وكان من إعداداته لإنجاح هجرته مع صاحبه أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، إلى المدينة، ما قام به عبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء من تغطية جيدة لأثارهما، وتزويدهما بالطعام والماء، ونقل أخبار قريش وتحركاتها لهما، وهي مهمة صعبة وخطرة تحتاج إلى ذكاء وشجاعة، وتضحية وإقدام.

نشاط

لماذا اختار النبي ﷺ علي بن أبي طالب، للمبيت في فراشه ليلة هجرته، ومصعب بن عمير، للهجرة المبكرة إلى المدينة؟

وأما تكليفه للشباب في مهمات صعبة في الجهاد، فالأمثلة عليها كثيرة، أبرزها تكليفه ﷺ لأسامة بن زيد بن حارثة قيادة الجيش الإسلامي الكبير، وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة، من عمره لمواجهة الروم على مشارف بلاد

الشام، وكان في الجيش كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وغيرهم، وفي ذلك دلالة واضحة على اعتماده على عنصر الشباب المؤهل، وتكليفهم بأخطر المهمات وأشرفها. وهذا الاهتمام ضروري، فالشباب هم رجال المستقبل وعدته، بكل ما فيهم من قدرة على حمل المسؤولية والمهمات الجسام، وما عندهم من تطلعات وآمال، فالاهتمام بهم اهتمام بالأمة ومستقبلها.

الأسئلة

- ١- وضح مفهوم الشباب.
- ٢- اذكر أهم ثلاث خصائص يمتاز بها الشباب.
- ٣- التدبر والانطلاق خاصية من خصائص الشباب المسلم. وضح ذلك.
- ٤- اهتم النبي ﷺ بالشباب اهتماماً كبيراً. وضح ذلك.
- ٥- كيف اعتمد النبي ﷺ على الشباب؟ هات مثالين على ذلك.
- ٦- هات مثالا على تضحيات الشباب المسلم في سبيل الله.

نشاط

ارجع إلى كتاب (رجال حول الرسول) ﷺ لخالد محمد خالد، واكتب عن واحد من الصحابة الشباب ممن أدوا دوراً متميزاً في تاريخ الإسلام.

توجيه طاقات الشباب

بيّنّا في الدرس السابق خصائص الشباب، وأن من أبرز هذه الخصائص تلك الطاقة الهائلة المختزنة لديهم، وفي هذا الدرس سنتحدث عن توجيه الإسلام لهذه الطاقات لثمر خيراً في حياتهم وفي مجتمعهم الذي يعيشون فيه. لقد اهتم الإسلام بالشباب ليجعل منهم رجالاً يُعتمدُ عليهم في تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم، وقد تقدم بيان اهتمام الرسول ﷺ بالشباب، واعتماده عليهم، ودورهم في حمل الدعوة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامي، ولما كان للشباب هذه الطاقات الهائلة والقدرات العالية، فقد عنيت الشريعة الإسلامية بتوجيه هذه الطاقات الوجهة الإيجابية الصحيحة، بما يعود عليهم وعلى أسرهم ومجتمعهم بالخير والنفع العميم. ولتسهيل الحديث عن ذلك بصورة أوضح يمكننا تقسيم هذه الطاقات إلى قسمين:

القسم الأول: الطاقات المعنوية، كالشجاعة والإقدام والتضحية والفداء والنشاط والحيوية وما شابه ذلك.

القسم الثاني: الطاقات المادية، كقوة البدن، وغريزة الجنس ونحوهما. وقد وجه الإسلام هذه الطاقات توجيهاً سليماً واقعياً يتناسب مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، ووفق بين متطلبات الروح والجسد، وإليك تفصيل ذلك:

توجيه الإسلام لطاقات الشباب المعنوية

الطاقات المعنوية الهائلة لدى الشباب، كالشجاعة والجرأة والإقدام، طاقات خطيرة إن لم تُوجَّه توجيهاً صحيحاً وسليماً، إذ يمكن استعمالها في اتجاهات خاطئة، كالبطش بالناس والاعتداء عليهم، وأكل أموالهم بالباطل، والاعتداء على حرمتهم، وأعراضهم، واستعمال هذه الطاقات لكسب الحرام بشتى أنواعه وأشكاله.

نشاط

اذكر ثلاث طاقات معنوية أخرى لدى الشباب.

لذلك فقد اهتمت الشريعة الإسلامية بتوجيه هذه الطاقات توجيهاً يحقق الغاية من وجودها في الإنسان، وذلك لاستعمالها بما ينفع الناس في الدنيا والآخرة، وتوظيف المؤسسات التوجيهية والإعلامية والتربوية بكل وسائلها وأساليبها لتحقيق ذلك.

فالجهد في سبيل الله ونصرة الحق والعدل، ومقاومة الظلم بأشكاله، والاستبداد بأنواعه، وتحقيق الخير

للمجتمع ، وإبعاد الشر عنه من الأهداف التي وجه الإسلام شبابها إليها، لاستغلال تلك الطاقات الكامنة فيهم، حتى لا تُستغل في أعمال الشر والاعتداء والظلم والتهور والطيش، ونحو ذلك.

وإذا استعرضنا التاريخ الإسلامي، نجد أن الإسلام وجه هذه الطاقات الفاعلة لدى الشباب، لتحقيق هذه الغايات وأمثالها، ففي الفترة الزمنية القصيرة التي عاشها المسلمون في عصر النبوة في المدينة المنورة، والتي لم تتجاوز العشرة أعوام - بعد أن أذن الله لهم بقتال المشركين كافة - كان عدد الغزوات والسرايا يزيد على أربع وسبعين ما بين غزوة وسرية، وهو ما يعادل غزوة أو سرية في كل أربعين يوماً تقريباً، وفي ذلك ما يدل دلالة واضحة على توجيه الإسلام لهذه الطاقات عند الشباب في هذا الاتجاه الإيجابي السليم، الذي يحقق عزة الأمة، ورفع شأنها، ونشر تعاليم الله في الأرض.

أما طاقة النشاط والحيوية لدى الشباب، فوجهها الإسلام نحو البناء والإعمار والإنتاج. ومساعدة الآخرين في الأعمال التطوعية التي تعود على المجتمع بالنفع والفائدة، ورغبتهم في الإقبال على ذلك ببيان الأجر والثواب للعاملين المخلصين، بالإضافة إلى المنافع المادية المكتسبة في الإعمار والإنتاج. وكل ذلك يؤدي إلى تحقيق التكامل والتكافل والتعاون في المجتمع، وهذا بدوره ينمي العلاقات الإنسانية الحميدة، كالثقة والمحبة، وشيوع الخير والرضى النفسي لدى أفراد المجتمع المتعاون، إضافة إلى تحقيق الرفاه الاقتصادي.

توجيه الإسلام لطاقات الشباب المادية

اهتم الإسلام بتوجيه الشباب للإفادة من القوى المادية التي يتمتعون بها، كقوة البدن، وقوة الغريزة الجنسية ونحوهما لتحقيق غايات سامية تلبى حاجة الجسد، كما تلبى حاجة المجتمع.

فقوة البدن يمكن توجيهها في المجالات نفسها التي وجهت إليها الطاقات المعنوية كالشجاعة والجرأة والإقدام، نحو العمل والبناء والإنتاج، والكسب الحلال في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة، وقد حثت النصوص الشرعية الكثيرة المسلم على العمل والاعتماد على النفس في الكسب.

قال ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده»^(١).

كما وجه الإسلام هذه الطاقات، نحو أنشطة أخرى مفيدة، كالرياضة بأنواعها لبناء القوة الجسدية الهادفة، والمهارات الفردية لدى الشباب، فالمؤمن القوي أحب إلى الله وأنفع للمجتمع من المؤمن الضعيف.

أما الطاقة الجنسية، فستحدث عنها بشيء من التفصيل، وذلك لخطورتها وأثرها البالغ في حياة الفرد والمجتمع إذا ما أسيء استعمالها، وتُركت من غير تنظيم وتوجيه، فإطلاق الغرائز على سجيته يؤدي إلى إغراق أصحابها في متاهات لا حدود لها من المشكلات الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، ولا يقف الشاب الذي يسير في هذا الاتجاه عند حد إذا أطلق لشهوته العنان، لأنه يظل في سعار جنسي محموم يلهث وراءه، فلا يرى إلا شهوته ولذته ومتعته، ولا يبالي في سبيل تحقيقها بأي شيء، سواء أكان عرضاً أم أرضاً أو مالا أم كرامةً، وماذا ينتظر من شاب وصل به الأمر إلى هذه الحال من البؤس والشقاء؟!!

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.

ما الأضرار الناجمة عن جريان بعض الشباب وراء شهواتهم وغرائزهم الجنسية؟ واكتبها في دفترك.

وينظر الإسلام إلى الغريزة الجنسية بأنها غريزة فطرية في الإنسان السوي الذي يتمتع بصحة جيدة، وهي حاجة من الحاجات الإنسانية التي أودعها الله في النفس البشرية لحفظ النسل، وبقاء الإنسان، وعمارة الأرض، ولذلك فهو ينظر إليها نظرة تكريم، ونظمها بما يوافق الفطرة الإنسانية، ويحقق الغاية التي من أجلها كانت هذه الغريزة. وذلك بالزواج الشرعي، الذي أمر به الرسول ﷺ الشباب وحثهم عليه. فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، . . . ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»^(١).

كما أمر أولياء الأمور بتيسير سبل الزواج، وعدم المغالاة في المهور وتبعات الزواج ليتمكن كل شاب من الزواج ببسر وسهولة.

وقد يظن بعض الناس أن المغالاة في المهور، وكثرة تكاليف الزواج، من الأمور التي ترفع من شأن أصحابها، وهذا خطأ فادح، والعكس هو الصواب فقلة تكاليف الزواج وتيسير أمره، يدل على حسن الإيمان والاقتداء بالسنة النبوية المطهرة، كما يدل ذلك على رجحان العقل، وعدم التقليد الأعمى للمعادن السيئة. قال ﷺ: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»^(٢).

وقد زوج النبي ﷺ بناته على مبلغ يسير، وقال لرجل يريد الزواج: «انظر ولو خاتماً من حديد»^(٣).

كما وجه الإسلام الشباب الذين لا يستطيعون الزواج ولا يقدرّون على تكاليفه، إلى الانصراف للطاعات، وإلى تقوى الله عز وجل، والصبر والصلاة والصوم وغيض البصر، والبعد عن بيئة الفساد والإفساد والإثارة، والاختلاط المحرم. وإشغال أنفسهم بممارسة الأعمال المفيدة، والرياضات البدنية النافعة، واختيار الصحبة الصالحة التي تعينهم على الخير، وتنفرهم من الشر، ومجانبة رفاق السوء، وحرص إلى جانب ذلك على طهارة المجتمع، وإبعاد عوامل الفساد عنه، وتخليصه من عوامل إثارة الجنس، وطالب الرجال والنساء بغض البصر، وعدم الخلوة، وحدد للمرأة اللباس الساتر ومنع التبرج لغير الزوج، كل ذلك من أجل إبعاد الفساد عن المجتمع الإسلامي، ليبقى نظيفاً طاهراً من كل الشوائب والمفسدات.

(١) رواه ابن ماجة، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح.

(٢) رواه أحمد، ٨٢/٦ و١٤٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج المعسر.

الأسئلة

- ١- اذكر خمساً من طاقات الشباب المعنوية مرتبة حسب الأهمية.
- ٢- لقد وجه الإسلام طاقات الشباب المعنوية توجيهاً إيجابياً مفيداً. بين كيف وجه الإسلام الشباب للإفادة من الشجاعة والإقدام.
- ٣- وضح نظرة الإسلام إلى غريزة الجنس.
- ٤- ما الأخطار المترتبة على عدم تنظيم غريزة الجنس، وترك الشباب على رغباتهم، يفعلون ما يشاؤون؟
- ٥- من أساليب العدو إغراق الشباب في حياة اللهو والجنس فما الفائدة التي يجنيها من ذلك؟
- ٦- كيف نظم الإسلام الغريزة الجنسية؟
- ٧- ما تقول في عائلة تقيم عرساً لابنها فتسرف في نفقاته، وتبذر في الولائم، ولا تدعو إليها إلا أصحاب الجاه والثروة؟
- ٨- كيف وجه الإسلام غير القادرين من الشباب على الزواج؟
- ٩- بين بعض التشريعات الإسلامية التي تحافظ على طهارة المجتمع، وإبعاد عوامل الفساد الاجتماعي عنه.

نشاط

اكتب فائدة واحدة تعود على الشباب إن هم استثمروا في توجيه طاقاتهم كل عمل من الأعمال الآتية:

الفوائد	الأعمال والأنشطة
	١- قراءة القرآن الكريم
	٢- أداء الصوم
	٣- ممارسة الرياضة
	٤- المشاركة في أعمال تطوعية
	٥- قراءة الكتب الثقافية

لقد عني الأطباء بأمراض البدن، كأمراض الرأس وما فيه من أعضاء، وأمراض القلب والرئتين والكلى والكبد وآلام الظهر والصدر والمعدة وغيرها، وأولوها عناية بالغة وتقدموا في علاجها وإيجاد الأدوية لكثير منها، كما اهتموا كذلك بالأمراض النفسية، كالقلق والأناية والتملق والتردد والغرور، والوساوس والهستيريا وغيرها من الأمراض التي ينتج عنها مشكلات اجتماعية تؤدي إلى خلل في وظيفة الإنسان وفي بنيته، وإلى انتشار كثير من الأمراض التي تؤدي بالإنسان إلى نهاية غير سليمة، وتجعله غير قادر على إعمار الأرض حسب شرع الله تعالى . ولا بد أن نشير هنا إلى أن الإنسان يولد سليماً من أي مرض نفسي، ولكنه يصاب بها بتأثير المشكلات الأسرية والمجتمعية، ويتغذى بما يزوده به المجتمع، فإذا كثرت مشكلات الأسرة والمجتمع، انعكست نتائجها على الإنسان سلباً ولمس آثارها في حياته. فما أسباب هذه المشكلات؟ وكيف عالجها الإسلام؟

أسباب المشكلات النفسية

مما لا شك فيه أن المشكلات النفسية، الفردية منها والجماعية، ليست وليدة سبب واحد، بل تكاد أسبابها تتعدد بتعدد الأمراض التي تنشأ عنها، إلا أننا نستطيع أن نحدد أسباباً وعوامل عامة للمشكلات النفسية منها:

١- البعد عن الإيمان: إن أهم ما يميز الفرد والمجتمع المسلمين، هو أنهما يعيشان في الدنيا حياة آمنة مطمئنة، ليس فيها توتر ولا اضطراب ولا قلق، وذلك أن الإسلام بما فيه من مبادئ عقائدية وأخلاقية وتشريعية، هيأ للفرد حياة مستقرة بعيدة عن القلق والاضطراب. قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِينُ الْقُلُوبِ﴾^(١)

وكالما وعى الإنسان هذه التعاليم وتمسك بها، ازدادت حياته سعادة واستقراراً، وكلما ابتعد عنها لم يزد من الله إلا بعداً، ولم يزد البعد عن الله إلا قلقاً واضطراباً وشقاءً وتعاسة، وتكاثرت عليه الأمراض النفسية.

٢- الظروف الاجتماعية: قد يكون للظروف الاجتماعية أثر كبير في نشوء المشكلات النفسية، فالإنسان ابن مجتمعه، تنعكس مشكلات المجتمع عليه سلباً، وإيجاباً، وأهم ما تفرزه الظروف الاجتماعية من مشكلات، ذلك التناقض الذي يلمسه الفرد بين المبادئ والقيم التي تنادي لقيام مجتمع مسلم، خال من الأمراض والمشكلات، وبين واقع الأمر الذي يعيشه الفرد، وما فيه من فساد وسوء سلوك وانحرافات بأشكال متعددة، وإهمال ما يحدث في الأسر، من تشاجر ونزاع بين الأزواج يؤدي إلى الطلاق وتشرد الأطفال، والتأثير في نفسياتهم.

(١) سورة الرعد، الآية (٢٨).

وربما كان التناقض هذا نتيجة كثرة الأنظمة والقوانين البشرية، التي ليس فيها ثبات ولا شمول ولا مساواة ولا عدل، بل تخضع في صياغتها وتطبيقها لعقول بشرية قاصرة، تتغير تصوراتها من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، وتتحكم فيها الأعراف والعادات والتقاليد التي قد تحتوي على تناقضات كبيرة. كل ذلك يؤثر في النفس بصورة سلبية.

وهكذا تتعدد القوانين والأنظمة التي تصوغ المجتمع، وتشكل هويته، فيؤدي هذا إلى ازدياد المشكلات والانحرافات والأمراض المستديمة، وتفشيها في المجتمع، مما يؤدي إلى وجود مجتمعات مريضة مفككة، لا يدوم وجودها طويلاً ولو وصلت إلى مراحل متقدمة في العلم والمدنية.

٣- الظروف الاقتصادية: إن الخلل الذي يفرزه البعد عن الدين، وتساعد الظروف الاجتماعية على تقويته وسيطرته، قد يؤدي إلى ظروف اقتصادية صعبة، تولد كثيراً من التناقضات، وتؤدي إلى نشوء أمراض نفسية وخلل في بنية المجتمع، فالغنى والفقر أمران طبيعيين في الناس، وإذا ما آمن الناس بأن الرزق من عند الله، وَلَدَّ هَذَا طَمَأْنِينَةً فِي النَّفْسِ بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ مِنْ رِزْقٍ، فَقَدْ رَوَى أَبُو أَمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلُنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

وإذا عرف الإنسان أن المال مال الله تعالى، وأنه مستخلف فيه، حرص على حفظ هذه الأمانة وتأديتها لأصحاب الحقوق فيها، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾^(٢). أما إذا كان بعيداً عن الدين، ورأى الغني يزداد غنى، والفقير يزداد فقراً، فإنه حينئذ ينظر إلى من دونه نظرة ازدراء واحتقار واستعلاء إن كان غنياً، وينظر إلى من فوّه نظرة حقد وحسد إن كان فقيراً، وكلا الأمرين يسببان مشكلات سلوكية خطيرة لا يسلم منها الفرد والمجتمع، فقد يحاول الغني أن يزيد في غناه بأنواع من المعاملات تحوله إلى إنسان جشع، وأناني، لا يهمله إلا نفسه، كأن يحتكر أو يراعي أو يغش أو يتأمر على غيره ليبقى مسيطراً، وقد يحاول الفقير بما تولد عنده من أمراض، الوصول إلى الغنى والسعي للحصول على الثروة من أي طريق كأن يسرق، أو يخادع أو يغش، أو يحتال، أو يتعامل بتجارة ممنوعة أو محرمة، وغير ذلك من الطرق التي تؤدي إلى نشوء حالات من الفوضى الاجتماعية، وعدم الاستقرار، وعدم الأمان والطمأنينة، وتجلب غضب الله سبحانه وتعالى.

نشاط

اذكر سببين آخرين من أسباب نشوء المشكلات النفسية، وبين مدى أثرهما في الفرد والمجتمع.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة. انظر: الجامع الصغير وزيادته، (٢٠٩/٢).

(٢) سورة الحديد، الآية (٧).

خطورة الأمراض النفسية

إن الخطورة التي تكمن في الأمراض النفسية، أخطر على الإنسان والمجتمع من خطورة الأمراض البدنية، فأعراض البدن يمكن علاجها، وإن وصل العلاج إلى البتر والاستئصال، أما أمراض النفس، فإن سيطرت على النفس وتمكنت منها، ولم تعالج أو لم يكن علاجها سليماً، أدت إلى آثار لا تقف عند المريض نفسه، بل تتعداه إلى من حوله من أفراد أسرته ومجتمعه وأمتة، فيعم المرض، وتكثر الفتن ويعم الفساد.

الأنظمة الحديثة ومعالجتها للأمراض النفسية

حرصت الأنظمة الحديثة على معالجة أمراض النفس، وحل المشكلات التي تنشأ عنها، ويعاني منها كثير من أفراد المجتمع بوضع أسس تربوية، ومبادئ اجتماعية بشرية، ولكن هذه المعالجات والحلول لم تثمر في إعادة الإنسان إلى سويته كما ينبغي، وسبب ذلك يعود إلى التناقض القائم بين الواقع العملي الذي تعيشه المجتمعات من تحرر وانفلات، والنظم الأخلاقية التي تدعو إليها الديانات الإلهية، وقد أدرك بعض علماء النفس أن المجتمعات لا يمكن أن تعيش دون ضوابط أخلاقية، سواء التعليمات الأخلاقية التي بنيت على مبادئ إلهية أو على نظريات ثابتة بعيدة المدى، تأمر بالابتعاد عن الرذائل والمنكرات وكل ما من شأنه أن يبتعد بالإنسان عن إنسانيته. وإذا فقد الإنسان الوازع الديني الذي يضبط جميع تصرفاته، تهاون في جميع المبادئ الإيمانية، وأصبح تابعاً لأهوائه ونزعاته وشهوته، يعيش في فراغ روحي، يؤدي به إلى عدم الاستقرار النفسي الذي ولد المشكلات التي لا مفر منها.

ونحن نرى كثيراً من المجتمعات على الرغم من توافر الأنظمة ووسائل العلاج الحديثة تنتشر فيها الأوبئة الجسدية، والأمراض النفسية، فالانتحار والإدمان على الكحول والمخدرات، والقلق والحيرة والاضطراب، وما يرافق ذلك من نهايات مؤلمة. أصبحت من سمات المجتمعات الغربية رغم وصولها ذروة الرقي العلمي والمادي. فقد عجزت وأصبحت غير قادرة على معالجة المشكلات النفسية وإن أهم أسباب ذلك الفشل هو الفراغ الروحي الذي تعيشه تلك المجتمعات.

نظرة الإسلام إلى المشكلات النفسية وعلاجه لها

والإسلام بما فيه من شمول وثبات وعالمية وخلود، راعى في تعاليمه الإنسان في كل زمان ومكان، وجعل نظام الأخلاق فيه ثابتاً لا يختلف من حين إلى آخر، أو من إنسان إلى آخر، أو من بيئة إلى أخرى.

وراعى الإسلام الإنسان في أبعاده الثلاثة: الجسد والروح والعقل، فلم يهمل أيّاً منها، ولم يهتم بجانب على حساب الجانب الآخر، بل أعطى لكل جانب حقه، ليظل الإنسان سوياً، سليماً معافى في بدنه وروحه وعقله، وهذه

المراعاة هي الأساس في إيجاد الشخصية السوية، كذلك فقد حرص الإسلام على وضع الحلول للوقاية من أي علة يمكن أن تنفث في المجتمع، كما وضع حلولاً وقائية وعلاجية لما يقع من المشكلات النفسية في المجتمع وإليك بيان ذلك:

١- الحلول الوقائية أو الاحترازية: ونعني بها الأوامر والنواهي والتوجيهات التي تربي النفس الإنسانية، وتبعدها عن الوقوع في أي مخالفة للشريعة الإسلامية التي تسود المجتمع وتحكم سلوكه، وإن صغرت تلك المخالفة، لذلك نرى أن رسول الله ﷺ يحذر المسلمين من أمر قد يظن أنه لا غضاضة فيه لأنه مجرد مزاح، فقال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له»^(١).

وعندما منع الوقوع في رذيلة الزنا منع الدواعي إليها، فوجه النفس للابتعاد عنها وبين خطورتها فقال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢)

وأمر بغض البصر لأنه من مقدماته فقال تعالى:

﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٣)
 وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(٣)

وهناك آيات وأحاديث كثيرة تمنع دواعي الزنا قبل وقوعه، وتعالج هذه المشكلة وقائياً فتحض القادر على الزواج أن يتزوج، وتأمروا ولي الفتاة أن لا يغالي في شروطه عند تزويج ابنته، وتحثه على أن يزوج صاحب الخلق والدين. كما أنها ترشد الشاب إلى الزواج ممن تتصف بالدين وتمسك به فقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع، لجمالها، ولحسبها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٤).

ومن لا يستطيع الزواج فقد وجهه الرسول ﷺ إلى الصوم في قوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج... ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٥).

وعندما عالج مشكلة التطلع إلى ما في أيدي الآخرين وما هم عليه من نعم قال ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»^(٦).

وهكذا وضع الإسلام حلولاً وقائية مما يمكن حصوله من مشكلات، هذه الحلول الوقائية لم تخص شخصاً بعينه أو مجتمعاً بذاته. بل هي عامة لكل الناس في كل زمان ومكان.

٢- الحلول العلاجية: ونعني بها تلك الحلول التي عالج بها النبي ﷺ الذين شكوا من أمراض نفسية، وكان العلاج مباشراً، اتسم بالحكمة المتناهية وبعُد النظر، فقد روت كتب السنة أن فتى شاباً جاء إلى الرسول ﷺ، ويطلب منه أن يأذن له بالزنا، فأقبل عليه الصحابة يزجرونه بشدة، ولكن الرسول ﷺ أدناه منه برفق، وسأله

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٢).

(٣) سورة النور، الآيتان (٣٠، ٣١).

(٤) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين.

(٥) رواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح.

(٦) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب القناعة.

إن كان يحب ذلك لأمه أو ابنته أو أخته أو عمته أو خالته، وكان الفتى يجيب في كل مرة أن «لا» ويجيبه الرسول بقوله ﷺ: «وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أو بناتهم أو أخواتهم أو عماتهم أو خالاتهم» فخرج الشاب وهو مقتنع بكلام الرسول ﷺ بل خرج والزنا أبغض شيء إلى نفسه.

وحدث أن أتى رجال إلى النبي ﷺ يطلبون منه أن يوصيهم وهو عالم بما يصلحهم ويشفي أمراض نفوسهم أو أبدانهم، وربما يظنون أن وصيته ﷺ سهلة وميسورة، ولكنها في الحقيقة تحتاج إلى جلد ومصابرة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «أوصني» قال: «لا تغضب فردد ذلك مراراً، قال: لا تغضب»^(١) وفي حديث آخر قال رجل: يا رسول الله أوصني، قال: «لا تغضب»، وفي حديث آخر، قال رجل: يا رسول الله أوصني، قال: «لا تغضب»، قال: ففكرت حين قال رسول الله ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله^(٢).

وقد عالج الرسول ﷺ الغضب علاجاً عملياً إذ طلب من الغضبان أن يستعين بالله من الشيطان الرجيم ويغير الحال الذي هو عليه، أو أن يتوضأ أو يغتسل، وفي ذلك تهدئة لغضبه وسكون لنفسه. وعالج الرسول ﷺ المشكلات الفردية بما يتفق مع نفسية صاحبها ويعينه على ألا يعود إليها مرة أخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة.

نشاط

طبق العلاج النبوي لمشكلة الغضب على نفسك، ودوّن في دفترك إحساساتك نتيجة تجربتك.

٣- تهيئة الجو الإيماني السليم: إن الأساس في وجود مجتمع خال من المشكلات النفسية، وما يترتب عليها، هو شيوع الجو الإيماني السليم فيه، بحيث يكون المجتمع متكاملًا متضامناً متراحماً، يطبق حديث الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٣).

وإذا كان المجتمع إيمانياً، فإن مظاهر الفساد والانحراف تقل وتكون محدودة فيه، وإن ظهرت منها بوادر يسارع القوم إلى وأدها في مهدها، ومعالجتها بحكمة وروية، ذلك أن المؤمن أخ للمؤمن، لا يُسلمه ولا يظلمه، فلا يغتابه ولا يشي به، ولا يحقد عليه ولا يحسده ولا ينم عليه، ولا يؤذيه ولو بكلمة، لأن هذه كلها وغيرها أمراض نفسية، تتسبب في حدوث مشكلات سلوكية تؤذي الفرد والمجتمع على السواء.

وإذا تهيأ الجو الإيماني للفرد والمجتمع، فإن تعاليم الإسلام كفيلاً بإيجاد الإنسان السوي في سلوكه وترده أخلاقه عن كل فعل سيء، وتمنعه تقواه من اقتراف أي ذنب، فهي المنبه له إذا سولت له نفسه شراً أو حدثته بسوء. ومن ميزات المجتمع الإيماني أن التعاليم والمبادئ الأخلاقية الراقية فيه، تطبق كما هي في الواقع، بحيث تنفي التناقض بين النظرية والواقع، فالمسلم يؤمن بمبدأ الصدق، يطبقه في واقع حياته مهما كانت نتيجة هذا التطبيق.

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب.

(٢) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

وإذا آمن المسلم بقول الرسول: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا» فإنه ينفي الحسد والبغض للمسلمين من قلبه، وهكذا في بقية الأمراض النفسية الكثيرة، فيكون المجتمع بحسن سلوك أفراده سليماً من المشكلات، نقياً من الآفات، والأمراض النفسية والاجتماعية.

نشاط

بين كيف يمنع الجو الإيماني الفرد من سلوك سبل غير قويمة، وكيف يؤدي إلى منع الأمراض النفسية.

الأسئلة

- ١- عرف المشكلات النفسية، واذكر مرضاً من الأمراض النفسية، وما يترتب عليها من مشكلات سلوكية.
- ٢- من أسباب ظهور المشكلات النفسية البعد عن الإيمان، اشرح هذه القضية مع الاستشهاد عليها.
- ٣- قارن بين مريض مصاب بالألم في ظهره «الديسك» مثلاً، ومريض مصاب بمرض الكذب من حيث خطورة المرض عليه.
- ٤- أي الجملتين الآتيتين صحيحة؟ ولماذا؟
 - أ - الظروف الاقتصادية السيئة من العوامل التي تؤدي إلى نشوء مشكلات نفسية عند الإنسان المؤمن.
 - ب- الظروف الاقتصادية ليس لها أثر كبير في المجتمع الذي يطبق مبادئ الأخلاق والعقيدة الإسلامية.
- ٥- قارن بين شخصيتين: إحداهما متمسكة بالمبادئ الإسلامية، والأخرى غير منضبطة بأي مبدأ أخلاقي، من حيث تعرضهما للأمراض النفسية.

المشكلات السلوكية وعلاج الإسلام لها

تناولنا في الدرس السابق المشكلات النفسية وأسبابها وعلاج الإسلام لها، وفي هذا الدرس سنتناول المشكلات السلوكية، مفهومها، وأسبابها، وعلاج الإسلام لها.

نعني بالسلوك: مجموعة من الأفعال التي يقوم بها الإنسان تحت تأثير موقف معين، ليحاول تحقيق أمر ما. والمشكلات السلوكية: هي مجموعة الأعراض والظواهر التي تترتب على الأفعال السلوكية السلبية، وتحتاج إلى دراسة وبحث وعلاج وحلول.

أسباب حدوث المشكلات السلوكية

من المؤكد أن المشكلات السلوكية هي أثر من آثار المشكلات النفسية، والمشكلات في مجموعها تنشأ عن مجموعة أسباب أشرنا إليها في الدرس السابق، ولكن أهم هذه الأسباب الابتعاد عن الدين، وعدم فهم تعاليم الإسلام ومبادئه فهماً سليماً، وعدم تطبيقه في الحياة، مما يؤدي إلى نشوء تصورات للسلوك مبنية على هوى أو فهم خاطيء، أو عُرف أو عادة سيئتين، فإن عدم رضا الإنسان بما قسم الله له، ناتج من عدم فهم الإسلام فهماً صحيحاً، وهذا يؤدي إلى نوع من الانحراف السلوكي، بمحاولة تقليد غني من الأغنياء أو بمضاهاة حالة اجتماعية معينة، أو لسد عجز دون بذل جهد، كل هذا قد يدفعه إلى السرقة أو الاختلاس أو الغش أو الاحتيال، أو سلوك سبيل أخرى غير شريفة ليصل إلى ما يريد.

وكذلك المصاب بمرض العجب، فإنه يصل إلى مرحلة ينظر فيها إلى الناس بمنظار الفوقية، فيظن أنه أعلى منهم قدراً أو أهمية، وهم دونه في ذلك. سواء أكان مصدر هذا العجب الجاه أم المنصب أم المال أم العمل أم الجمال، ويترتب على هذا المرض مشكلات كثيرة وخطيرة، من أهمها: الخوف والتملق والحقد والحسد والغيرة والمكر، وكذلك فإن الكذب والقلق والرياء وحب الظهور وغيرها تؤدي كلها إلى مشكلات سلوكية تخرج الإنسان عن احترام الآخرين له، فضلاً عن تعرضه للمساءلة والمحاسبة والازدراء من المجتمع.

علاج الإسلام لهذه المشكلات

حرص الإسلام على معالجة المشكلات السلوكية، كما حرص على معالجة المشكلات النفسية، بتوفير بيئة إيمانية صالحة، تحكمها مبادئ الإسلام ومعتقداته، والناس فيها سواء، لا تفاضل بينهم إلا في العمل الصالح، وليس لأحد ميزة على غيره، بل هم أمام الأحكام الشرعية سواء، حقوقهم محفوظة، وواجباتهم مؤداة كما يجب، ومجتمع هذا شأنه ليس فيه تناقض بين المبادئ التي ينادي بها، وبين واقعها العملي الذي تطبق فيه هذه المبادئ،

يكون مجتمعاً مستقراً، راقياً، صالحاً لإعمار الأرض.

ومن المؤكد أن تكون الأمراض والمشكلات التي قد فيه تحدث قليلة ومحدودة، ليس كالمجتمعات التي ليس فيها أثر العدالة الاجتماعية، ولا كفالة لحقوق الأفراد، ولا ثبات.

وقد راعى الإسلام وهو يهيم جوياً إيمانياً وَضَعَ عدد كبير من المبادئ الأخلاقية التي تخص الفرد وحده، أو المجتمع برمته، تتضمن في علاجها للمشكلات السلوكية حلولاً وقائية وعلاجية، وإليك تفصيل ذلك:

١- **الحلول الوقائية**، وهي حلول وضعتها النظم الإسلامية للمشكلات التي يتوقع أن تحصل، إذا ما خرج بعض أفراد المجتمع عن جادة الحق، وارتكبوا سلوكاً سلبياً مؤثراً في الفرد أو الجماعة. وهذه الحلول تتمثل فيما يأتي:

أ - توجيهات مربية سامية مباشرة لإبعاد المجتمع عن كل عوامل الفساد، بإيجاد الوازع الديني الداخلي الذي يوجه الفرد نحو الطاعات، ويكون حارساً أميناً له من أن يقع في الانحراف أو الخروج عن الطريق المستقيم الذي حدده الإسلام في عقيدته وشريعته.

ب - التوجيه غير المباشر، لقد حرص النبي ﷺ على توجيه المسلمين توجيهاً غير مباشر فإن كان هذا التوجيه يخص فرداً بعينه يعممه ﷺ ويقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، أو يفعلون كذا وكذا...»^(١).

ج - إيجاد الرقابة الذاتية ومحاسبة النفس، فقد كان المسلم يجعل من دينه رقيباً عليه، ويجعل مخافة الله نصب عينيه، فإن شعر أنه مال إلى الدنيا وزخرفها، أو راودته نفسه لارتكاب معصية أو شهوة محرمة، يحاسب نفسه ويروضها على ما لا ترضاه فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر «بالصلاة جامعة»، فلما اجتمع الناس، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: «يا أيها الناس لقد رأيتموني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبض لي القبضة من التمر والزبيب، فأظل اليوم وأي يوم»، فقال له عبد الرحمن بن عوف: «والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قصرت بنفسك»، فقال عمر: «ويحك يا ابن عوف، إني خلوت فحدثتني نفسي فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا الذي أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها». وأما إن وقع في سلوك منحرف، فقد كان عامل التقوى والخوف من الله أقوى على نفسه من محبة الدنيا والاستمرار في هذا السلوك، فيذهب الواحد منهم إلى رسول الله ﷺ ويطلب منه أن يطهره - يقيم عليه الحد - ولو كان فيه إزهاق روحه أو إتلاف عضو من أعضائه، وتحمله من الأذى الجسدي ما يوافق هذه الجريمة.

د - عقوبات رادعة محددة، وضعت حدوداً ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، للمحافظة على دين الإنسان وعقله وعرضه وماله، يستحقها كل من ارتكب فعلاً مخالفاً بالمبادئ والتشريعات الإسلامية، كحد السرقة، وحد الزنا، وحد شرب الخمر، وتعاطي المخدرات، والمسكرات وحد القذف... وغيرها. وإلى جانب عقوبات الحدود، فقد شرع الإسلام عقوبة القصاص حفاظاً على الإنسان، وجعلها محددة، وشرع عقوبة التعزير للمحافظة على كرامة الإنسان، وشخصيته، وجعل أمر تقديرها لولي الأمر حسب خطورتها وضررها على الفرد والمجتمع.

(١) رواه ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب حدثنا شديد بن سعيد.

فالغيبة مثلاً هي: «ذكرك أخاك بما يكره» سواء أذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو خَلَقه أو فعله، أو في دينه أو دنياه، حتى في ثوبه وداره ودابته. وهو وباء اجتماعي، وسلوك غير سليم ناتج من مرض قلبي. وقد صور القرآن الكريم هذا المرض لصورة بشعة جدا، فقال:

﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (١)

وصوره الرسول ﷺ بقوله: «لما عرج بي، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» (٢). وقد عالج الإسلام هذا السلوك السلبي ونفّر منه بتصويره هذا التصوير البشع وشرع توجيهات وقائية للحد منه بآيات كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، فقال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣)

وقال الرسول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (٤)، ولما سئل عليه الصلاة والسلام أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٥). وكذلك الحال بالنسبة للمشكلات النفسية المماثلة التي تسبب سلوكيات سلبية كالغش والخداع والسخرية والاستهزاء بالآخرين، والحقد والحسد والكذب والنفاق، وغيرها من المظاهر التي تسيء للمجتمع.

نشاط

الانميمة سلوك منحرف، اذكر ثلاثة آثار تترتب عليها.

٢- **الحلول العلاجية**، وقد لمسنا هذه الحلول حية في سيرة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، فقد كان الرسول ﷺ أو أحد صحابته يعالجون شخصاً بعينه، بإعطائه حلاً لما يعاني منه، كما مر بنا في قصة الفتى الذي جاء ليستأذن النبي ﷺ في الزنا، وكالذي جاء يطلب من النبي ﷺ أن يوصيه فأوصاه بأن لا يغضب، وهكذا.

وقد أشرنا إلى أن هناك مشكلات سلوكية وضع لها الإسلام علاجاً حاسماً محدداً.

٣- **تفريغ الطاقة**، استغل الإسلام طاقات الشباب بالعمل النافع وعدم هدرها فيما لا فائدة فيه، وحث على ذلك وطبقه عملياً حتى صار شباب الإسلام رجالاً وهم فتیان في أول شبابهم مما يجعل رسول ﷺ يؤمر أسامة بن زيد على جيش من كبار الصحابة كأبي بكر وعمر، وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.

(١) سورة الحجرات، الآية (١٢).

(٢) رواه الترمذي، باب الآداب.

(٣) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

(٤) رواه أبوداود، كتاب الآداب، باب الغيبة.

(٥) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم الناس من لسانه ويده.

كما حث الإسلام على العناية بالجسم عن طريق ممارسة أنواع من الرياضة الهادفة: كالمبارزة وركوب الخيل والكر والفر والرمي والسباحة والمصارعة ونحوها وكلها تؤدي إلى شباب سليم من الآفات والعيوب السلوكية والمرضية، إذ هي جميعها وسيلة لتفريغ طاقة الإنسان فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير العميم، وتربيته على الاعتماد على النفس وتزويدها بالثقة في مواجهة الصعاب.

الأسئلة

- ١- اذكر خمساً من المشكلات السلوكية.
- ٢- بين أثر تطبيق الحدود في المشكلات السلوكية في المجتمع الإسلامي.
- ٣- وضح الحلول التي طرحها الإسلام لمعالجة السلوك المنحرف.
- ٤- اذكر ثلاث وسائل يمكن أن تُستعمل بها طاقات الشباب في العطلة المدرسية.
- ٥- أي الجماليتين الآتيتين صحيحة؟ ولماذا؟
 - أ - البعد عن الإيمان الحقيقي، يؤدي إلى مشكلات سلوكية تهدد أمن المجتمع واستقراره.
 - ب - إقامة الحدود في الوقت الحاضر، تؤدي إلى زيادة البطالة في المجتمع، وظهور فئة عاجزة عن خدمة المجتمع ورفده بالكفاءات السليمة.

المشكلات الاجتماعية وعلاج الإسلام لها

تحدثنا في الدرسين السابقين عن المشكلات النفسية والسلوكية، وكيفية علاج الإسلام لها، ونتحدث في هذا الدرس عن المشكلات الاجتماعية وعلاجها.
ونعني بالمشكلات الاجتماعية، تلك القضايا التي تترتب على مجموع الأفعال السلوكية للمجتمع وتكون عامة، تشمل المجتمع كله، فما أسباب حدوثها؟ وكيف علاجها الإسلام.

أسباب المشكلات الاجتماعية

- ١- تنشأ المشكلات الاجتماعية نتيجة البعد عن المبادئ الأخلاقية التربوية التي تنظم علاقة الإنسان مع غيره مما يؤدي إلى التناقض بين النظرية والتطبيق.
- ٢- العرف والعادة والتقاليد الموروثة المبنية على هوى نفسي أو رأي شخصي.
- ٣- الظروف الاقتصادية والسياسية التي تطرأ على المجتمعات نتيجة الحروب أو الكوارث الطبيعية.
- ٤- سيطرة القوي على الضعيف: فإن المجتمع القوي يستطيع فرض آرائه وأفكاره على المجتمع الضعيف.
- ٥- التحولات الاجتماعية، وما يطرأ على الأمم والشعوب من تطور مادي، إذ يرافق الانفتاح الاقتصادي جنوح إلى سلوكيات في الغالب.
- ٦- الابتعاد عن تعاليم الدين، هو أهم سبب في نشوء المشكلات الاجتماعية، والتناقض الحاصل بين تعاليم الدين وبين ما هو مطبق في الواقع الاجتماعي من أنظمة بشرية لا تضع حداً لأسباب الفساد الاجتماعي والانحراف الأخلاقي.

نشاط

حدد مشكلة اجتماعية عامة يعاني منها المجتمع الأردني، وبين أسباب نشوئها.

معالجة الإسلام للمشكلات الاجتماعية

وضع الإسلام قواعد عامة تنظم المجتمع تنظيمًا سليماً، وتبعده عن المشكلات الاجتماعية من مختلف درجاتها

ومستوياتها، سواء تعلقت بآداب الجلوس في الطرقات، أو بالمحافظة على نظافة المجتمع وسلامته من الآفات، أو تعلقت بتحديد الواجبات بين المسلمين وآداب سلوك الفرد في عمله وفي تجارته، وفي لقاءاته وأحاديثه، وفي كل شيء يمس المجتمع، ومعرفة ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

فإذا حرص كل فرد على سلامة مجتمعه، يكون المجتمع حينئذ سليماً من الآفات، خالياً من المشكلات، نظيفاً في كل شيء فيه، فلقد كان مجتمع الصحابة، رضوان الله عليهم، مجتمعاً نظيفاً، كاد يصل إلى حد المثالية. وقد وضع الإسلام لهذه المشكلات حلولاً وقائية وعلاجية فلنتعرف هذه الحلول:

١- **الحلول الوقائية:** يحرص الإسلام في كل حلوله للمشكلات على منع وقوع المشكلة، فيعرض حلولاً وقائية بعد أن يطلب من كل فرد أن يطبق الإسلام على نفسه أولاً، ثم على من يعولهم، ثم في مجتمعه، فالفرد خادم للمجتمع، والمجتمع كافل للفرد وحافظ له، فالأممؤمنون متكافؤاً دماً وهم وأموالهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ومن أهم الحلول الوقائية التي يعرضها الإسلام ما يأتي:

أ - الدعوة للتمسك بالترية المبنية على القيم الإسلامية التي تسمو بالفرد المسلم في مدارج الكمال البشري، وتعلو به عن المستوى الذي يقتصر على الماديات من طعام وشراب ومتع زائلة. كما أنها تحقق الأمن والأمان للمجتمع، وتقيم الصلات بين الأفراد والجماعات على أسس سليمة نبيلة، تعتمد على الإيثار والتفاني في سبيل خير المجموع، وتجعل الأثرة والأنازية بعيدة عن نفس المؤمن. انظر قوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿ وَلَا تَمْسِفِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۗ ﴾ (١)

فقد حرم الله عقوق الوالدين، وأمر أن يُؤتى ذوو القربى واليتامى والمساكين حقوقهم، وحرّم التبذير كما حرم التقدير، وحرّم قتل الأولاد خشية الفقر، وحرّم الزنا والطرق المؤدية إليه، وحرّم قتل النفس إلا بالحق، وحرّم أكل مال اليتيم فضلاً عن استغلاله، وأمر بالفداء بالعهود، وإيفاء الكيل والوزن بالعدل، وعدم الغيبة والنميمة، والتدخل فيما لا يعني، وحرّم الكبر والعُجب، ونهى عن إيذاء الجار، وسوء الظن بالآخرين، وعن الغش والاحتكار، وحرّم الربا والقمار وشرب الخمر، وحرّم السخرية بالآخرين والغمز واللمز والتناوب بالألقاب، وحرّم التدابر والتناحر وكل ما من شأنه أن يسيء إلى كرامة المجتمع، وإثارة المشكلات فيه، كإثارة الطائفية والعنصرية والفتن التي تؤدي إلى انهياره.

نشاط

اذكر آية كريمة أو حديثاً شريفاً يشير إلى الحلول الوقائية لمشكلة اجتماعية في المجتمع، وبين الحل الموجود فيها، واكتبها في دفترك.

(١) سورة الإسراء، الآيات (٢٣-٢٧).

ب - وفي مقابل التوجيهات التي أشارت إلى كل ما من شأنه أن يسيء إلى المجتمع ، وأن يسبب له أمراضاً ومشكلات عامة، فقد حرص الإسلام أيضاً على إعطاء البدائل لهذه الموضوعات، وطمأنة الإنسان في مجتمعه بأن من يتمسك بها سيفوز في الآخرة، ويعيش في الدنيا حياة رغدة هائلة مطمئنة لا تكدير فيها ولا اضطراب، وحض على المحبة والرحمة، وإكرام الضيف، والتعاون والإيثار وحسن الجوار، ونظافة البدن والقلب واللسان، ونظافة المكان، وعيادة المريض، وصلة الأقارب والأرحام، والتودد إلى الناس وإعطاء كل ذي حق حقه، والإنفاق في سبيل الله وأوجب كثيراً من المبادئ السامية التي توجد مجتمعاً راقياً، خالياً من العيوب والآفات.

لكن هذه المبادئ والتوجيهات السامية، لا يمكن أن تطبق إلا في مجتمع إسلامي وجو إيماني، وتكون مقياساً لمدى تأثير العقيدة في المجتمع، وبمعنى آخر، فإنه إن تطابق الواقع مع هذه المبادئ يكون المجتمع إيمانياً، وبالتالي تكون هذه المبادئ موجّهات تمنع من وقوع الجرائم والمشكلات، وكلما اختلف الواقع عن هذه المبادئ، كان ذلك إشعاراً بأن المجتمع قد انحرف فلم تعد هذه المبادئ تؤثر فيه.

ج - المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على الواقع والحقائق واليقين، ولا يقوم على الظن والشك والريبة. مجتمع متماسك أساسه التقوى التي تحث على التسامح والمحبة والإيثار، رائده في ذلك قول الرسول ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»^(١) وقوله «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا ويشير إلى صدره - ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(٢). فهذه المبادئ إن طبقتها المسلمون في حياتهم، كفيلة بإيجاد مجتمع صالح متماسك، خال من عيوب الحقد والحسد، واتباع عورات الناس أو احتقارهم أو الاستهانة بأرواحهم أو خدش أعراضهم، واستغلال أموالهم. وإذا امتنع المسلم عن إيذاء أخيه المسلم، وبذل له من نفسه وماله ما يشعره بمحبته، كان المجتمع فضلاً يعيش دون خوف أو قلق.

٢- الحلول العلاجية: يحرص المجتمع المسلم على التمسك بتعاليم دينه، ويجاهد في هذا الشأن جهاداً كبيراً، ومع ذلك، فلا يعدم المجتمع في مسيرة حياته من وقوع مشكلات من هنا وهناك، وهي إذا وقعت يقدم الإسلام لها الحلول النافعة، ويعالجها علاجاً فاعلاً كما حدث بين الأوس والخزرج لما تناوروا وهموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم بينهم يهدوهم حتى سكنوا، قال جابر بن عبد الله، رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع^(٣) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية»: قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة»^(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٣) ضرب دبره وعجزته بيد أو رجل أو سيف.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

وكان الصحابة يمثلون لقول الرسول ﷺ وينتهي الأمر عند هذا الحد، وتعود الأمور كما كانت في أول عهدها، فليس للحقد ولا للحسد في قلوبهم مكان. وإن من الطبيعة البشرية أن يختلف الناس، وأن ينزع الشيطان بينهم، ولكن المسلم يعرف قدر أخيه المسلم، ويعرف ماذا أعد الله من ثواب لمن يكظم غيظه، ويسارع إلى لقاء أخيه، امتثالاً لقول الرسول ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»^(١).

كما واجه الإسلام المشكلة الاقتصادية مواجهة واضحة، فعقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة، وعالج مشكلة الفقر بأمور منها: أخذ الزكاة من الأغنياء، وردها على الفقراء، وفرض ما يكفي المحتاجين من بيت المال سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ما داموا تحت لواء الدولة الإسلامية. وواجه ﷺ المشكلات الاجتماعية، وعالجها علاجاً شافياً، بالتربية الإيمانية التي تنفر من الفساد، وبالمعالجات الشافية للانحراف بتطبيق أحكام العقوبات والحدود مما أدى إلى استقرار المجتمع، وتهيئة الحياة الآمنة له، وأبعدت عنه عوامل الاضطراب والقلق والأمراض النفسية.

نشاط

مشكلة إطلاق النار في الأفراح مشكلة اجتماعية غير سليمة، ما أسبابها برأيك، وكيف تعالجها؟

الأسئلة

- ١- اذكر سببين من أسباب نشوء المشكلات الاجتماعية.
- ٢- ظاهرة الأنانية في المجتمع ظاهرة مَرَصِيَّة. حرص الإسلام على علاجها علل ذلك.
- ٣- قارن بين مجتمع إيماني، وبين مجتمع غير منضبط من حيث التعاون والإيثار.
- ٤- أي الجملتين الآتيتين أصح؟ ولماذا؟
 - أ - المجتمع السليم هو الذي لا تحدث فيه أي مشكلات على الإطلاق.
 - ب - المجتمع السليم هو الذي تحدث فيه بعض المشكلات الطارئة التي لا تؤثر في تقدمه وسلامته من التفكك والانحلال.

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجرة فوق ثلاثة أيام.

في ضوء دراستك لمشكلات الشباب بين مخاطر انتشار المخدرات في المجتمع ، والجهود التي تبذل لمكافحةها.

الجهود المبذولة لمكافحةها	
	-١
	-٢
	-٣
	-٤

مخاطر انتشار المخدرات	
	-١
	-٢
	-٣
	-٤

علّمت في درس سابق كيف وجه الإسلام الشباب للإفادة من طاقاتهم الهائلة كما يعود عليهم وعلى أسرهم ومجتمعهم بالخير والفائدة. وفي هذا الدرس سنتحدث عن مفهوم العمل التطوعي، وأهميته، وصوره، وآثاره.

مفهوم العمل التطوعي

المراد بالعمل التطوعي، العمل المفيد الذي يحقق منفعة لصالح الفرد والأسرة والمجتمع، يقوم بأدائه فرد أو مجموعة من الناس عن طيب نفس منهم، دون أن يتقاضوا أجوراً ماديةً عليه، وقد يكون ذلك بالقيام بالعمل كاملاً، أو بمساعدة أهله على إنجازها، وهو أمر معروف لدى كثير من الناس، وبخاصة في الأماكن الريفية وعند الفلاحين، إذ يقوم أهل القرية مثلاً بالمساعدة في بناء بيوت بعضهم بعضاً، أو في جني المحصول الزراعي في موسم الحصاد، ولا يتقاضون على هذه الأعمال مع مشقتها أي أجر مادي، وإنما تكون الأعمال تطوعية يساعد الناس بعضهم بعضاً.

أهمية العمل التطوعي

العمل التطوعي ظاهرة صحية في المجتمع، وهي عادة محمودة معروفة في المجتمعات العربية والإسلامية منذ فجر التاريخ، وقد شجعها الإسلام وحث عليها في كل المجالات مهما صغرت، وطلب إليهم التعاون في كل ما فيه منفعة للناس.

قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»^(١).

وقا أيضاً: «كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل الرجل في دابته فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعاً صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وخطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»^(٢).

وفي حديث آخر قال ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك فأخره، فشكر الله له، فغفر له»^(٣).

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب. وأبوداود، كتاب الألباس.

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب إمطة الأذى عن الطريق.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق.

وفي العمل التطوعي طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، وفيه نماء للخير ومزيد من العطاء والإنتاج، وتوطيد للعلاقات الإنسانية، وتنمية للروح الجماعية وتماسك الأفراد في المجتمع، إضافة إلى الشعور بالرضى النفسي، والاطمئنان القلبي والمشاركة الوجدانية التي يشعر بها الإنسان المشارك المتفاعل إيجابياً مع البيئة والمجتمع . وإن المجتمع الذي يكثر فيه المتطوعون، وينمو فيه العمل التطوعي سيكون مجتمعاً متماسكاً قوياً مزدهراً.

مشاركة الصحابة الكرام في بناء المسجد النبوي الشريف

منذ اللحظة الأولى التي قَدِمَ فيها رسول الله ﷺ المدينة المنورة قاد العمل التطوعي بنفسه الشريفة، فقد شرع ﷺ ببناء المسجد ليكون بيتاً لله تعالى، تقام فيه الصلوات، ويلتقي فيه المسلمون معظم أوقاتهم، يتعلمون أمور دينهم، ويتشاورون في شؤونهم السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في القدوة، وربط القول بالعمل، فهو عندما أمر أصحابه بالعمل التطوعي كان أول المتطوعين بجد وتشاط.

روى ابن اسحاق في السيرة النبوية أن النبي ﷺ أمر المسلمين ببناء المسجد، وعمل فيه بنفسه ليرغب المسلمين في العمل التطوعي فحمسهم ذلك فقالوا :

لئن قعدنا والنبي يعمل
فذلك منا العمل المضلل

فكان الجميع يعمل بهمة ونشاط في بناء المسجد حتى أنجزوه، وشارك في ذلك الرجال والنساء والكبار والصغار.

صور العمل التطوعي المعاصر

العمل التطوعي له صور كثيرة، وكلما ازداد الناس واتسعت رقعة سكناهم ازدادت الحاجة إلى العمل التطوعي، وفيما يأتي بعض الصور المعاصرة لهذه الأعمال:

- ١- مساعدة الفقراء والأيتام والأرامل والمسنين وذوي الحاجة وأسرههم، فهؤلاء جميعاً يحتاجون إلى مد يد العون والمساعدة ليتمكنوا من العيش بكرامة، ويمكن تحقيق ذلك بالتطوع لجمع الأموال لهم، عن طريق العمل في لجان صناديق الزكاة المنتشرة في معظم المدن الأردنية، وهي تجمع الأموال وتوزعها على الأسر الفقيرة والمحتاجة، بالتنسيق مع المديرية العامة لصندوق الزكاة التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة، والمشاركة في اللجان التطوعية من خلال الجمعيات الخيرية التي تشرف عليها المؤسسات الرسمية التي تقوم على تنظيم أعمال اللجان، وضمان سلامة العمل التطوعي، وعدم استغلاله للأغراض الشخصية.
- ٢- المشاركة في بناء المساجد، والمدارس، والمستشفيات، وصيانتها والمحافظة عليها سليمة ونظيفة وجميلة بالاشتراك مع اللجان المشرفة على بناء هذه المؤسسات العامة سواء بجمع التبرعات أو بتقديم المعونة المادية أو بالأعمال الفعلية فيها.

- ٣- العناية بنظافة البيئة، والحد من التلوث، وذلك بزراعة الأشجار والعناية بها، والمحافظة عليها، وتنظيف البيئة، وتنقيتها من المخلفات الضارة بأنواعها عن طريق المشاركة في الأعمال التطوعية لإنجاز هذه المهمات.
- ٤- التعليم والتأهيل والتدريب: ويتم ذلك بتطوع المدرسين والمؤهلين والمدربين للتعليم والتأهيل والتدريب، وعقد دورات ودروس مجانية بالتعاون مع الجهات المعنية التي تشرف على هذه الأمور وتدعمها.
- وهكذا يتبين أن العمل التطوعي يمكن أن يشارك فيه أي إنسان مهما كان موقعه وسنّه، لأن العمل التطوعي يدخل في كل مجالات الحياة الإنسانية في المجتمع .

نشاط

اذكر ثلاث صور من العمل التطوعي التي يمكن أن تشارك فيها، ضمن بيئتك المحلية.

آثار العمل التطوعي في الفرد والمجتمع

لا شك أن الإنسان السوي يسره أن يكون عضواً نافعاً في أسرته ومجتمعه، فإذا قام بالمشاركة بالعمل التطوعي لخدمة بيئته ومجتمعه، فلا بد له من أن يحس بالراحة النفسية، والرضا القلبي، ويكسبه ذلك رضى الله تعالى وثقة الناس واحترامهم ومحبتهم، إضافة إلى ما يمكن أن يحققه للمحتاجين والراغبين في المساعدة، من نفع مادي ومعنوي يرفع من سويتهم، ويسد حاجاتهم، وبذلك يكون عضواً نافعاً في بيئته ومجتمعه.

وهذا بدوره ينعكس على المجتمع بالازدهار والإنتاج والتماسك، والقوة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وسلامة البيئة ونظافتها، يضاف إلى ذلك أن القيام بالأعمال التطوعية يجعل من فاعلها شخصاً ذا روح إيجابية، وصاحب مبادرة خيرة، وهو إلى جانب ذلك فرد مهم يتمتع بروح المسؤولية، إذ يدفعه هذا الإحساس إلى مد يد العون للآخرين كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ويسهم في خدمة المؤسسة العامة (الدولة) في تغطية الجوانب التي قد لا تقوى إمكاناتها أو أجهزتها على إتمامها أو القيام بها بصورة كاملة.

الأسئلة

- ١- وضح مفهوم العمل التطوعي .
- ٢- مثل للعمل التطوعي بمثالين من بيئتك المحلية .
- ٣- بين أهمية العمل التطوعي في المجتمع .
- ٤- اذكر ثلاثة من الأعمال التطوعية المعاصرة، وكيفية المشاركة فيها .
- ٥- ما آثار العمل التطوعي في الفرد؟
- ٦- ما آثار العمل التطوعي في المجتمع؟
- ٧- اذكر عملاً تطوعياً شاركت فيه، وحدد آثاره النفسية عليك .

نشاط

من الأفكار الإبداعية لتنمية العمل التطوعي لدى الشباب في الأردن جائزة سمو الأمير حسن . اكتب مجالين من مجالات العمل التطوعي فيها .

معاذ بن جبل (رضي الله عنه)

إن المواقف الإيجابية للشباب من سلفنا الصالح، والمتمثلة في حرصهم على العلم وتولي المهمات الصعبة، ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى، هي المثل الطيب لشبابنا اليوم ذكوراً وإناثاً في مسيرتهم في هذه الحياة، ولن تصلح الأمة اليوم إلا بما صلح به أولها.

وفي درسنا هذا وما يليه من الدروس، سنتحدث عن أبرز هذه المواقف لعلنا نسترشد بأعمالهم ونحقق بعض ما حققوه، فنكون كما كانوا خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ. ونبدأ بالصحابي الشاب معاذ بن جبل، رضي الله تعالى عنه.

التعريف به

هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، أسلم وهو في الثامنة عشرة من عمره، وشهد بيعة العقبة الثانية في نحو سبعين من الأنصار، كما شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخى النبي الكريم بينه وبين عبد الله بن مسعود يوم آخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة ليكونوا درع الإسلام وحصنه الحصين، وأساسه المتين. وقد أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن ليدعوهم إلى الله، ويعلمهم شرائع الإسلام وتعاليمه، وقد شيعه ﷺ يوم سفره إلى اليمن ماشياً على قدميه، وكان معاذ راكباً، ولم يزل باليمن حتى توفي النبي ﷺ فرحل إلى بلاد الشام، والتحق بجند الإسلام يجاهد في سبيل الله حتى وافاه الأجل وتوفي بطاعون عمواس سنة (١٨) للهجرة عن (٣٧) عاماً، ودفن في غور الأردن.

كان رضي الله عنه حَسَنَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ، كريماً معطاءً، أحبه كل من عرفه حتى قال فيه النبي ﷺ: «يا معاذ، والله إنني لأحبك»^(١) ومحبة النبي ﷺ لا تكون إلا للمؤمن التقي المتبع لأوامر الله وهدى النبوة القويم، وكل هذا يؤدي إلى محبة الله تعالى ومرضاته. قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٢)

نشاط

ماذا يعني خروج كثير من الصحابة وموتهم بعيداً عن المدينة المنورة، مع أن الموت فيها، والصلاة في مسجدها فيه أجر وفضل كبيران؟

(١) رواه أحمد، (٢٤٧/٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٣١).

تتلمذ معاذ بن جبل، رضي الله عنه، كغيره من الصحابة الكرام على يد رسول الله ﷺ وقد حرص، رضي الله عنه، على أخذ القرآن الكريم عن الرسول مباشرة فحفظه، وأتقن تلاوته، وعرض أحكامه وعلومه حتى أثنى عليه النبي ﷺ، وحث المسلمين على أخذ القرآن الكريم والعلم عن أربعة من الصحابة منهم معاذ بن جبل، رضي الله عنه.

كان معاذ، رضي الله عنه، حريصاً على السنة النبوية، وتتبع أقوال النبي ﷺ، وأعماله للتأسي به، والأخذ عنه فبرز في الفقه، وفي الحلال والحرام بصورة خاصة. وكان من القلة القليلة الذين كانوا يفتون في حياة النبي ﷺ وهذا يدل دلالة واضحة على علمه العزير، وفقهه الواسع، ويؤكد هذا الأمر ثقة الناس بعلمه وفقهه، حتى أخذ عنه كبار الصحابة منهم، عمر بن الخطاب وابنه عبد الله، وأبو قتادة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وأبو أمامة الباهلي، وغيرهم من الصحابة إضافة إلى بعض كبار التابعين.

قال فيه النبي ﷺ: «أعلم الناس بالحلال والحرام معاذ»^(١) وقال عمر بن الخطاب: «من أراد الفقه فليأت معاذاً»^(٢) وقال أيضاً: «عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، ولولا معاذ لهلك عمر»^(٣).

وهذا يدل على فضله ومنزلته العلمية الرفيعة، ومقدرته على بيان الأحكام الشرعية على وجهها الصحيح.

روى من الأحاديث (١٥٧) حديثاً ولذا فهو من غير المكثرين من الرواية كأبي هريرة وابن عمر، وعائشة أم المؤمنين، وغيرهم الذين زادت رواية كل منهم عن ألف حديث.

مواقف من حياته

على الرغم من حياة معاذ بن جبل القصيرة في الإسلام، التي لم تتجاوز الخمسة عشر عاماً، إلا إنها مليئة بالمواقف الكبيرة التي يتمنى المرء أن تكون له واحدة منها.

ومن أهم هذه المواقف حبه لله ولرسوله الكريم، حتى قال فيه ﷺ: «يا معاذ، والله إنني لأحبك» فكانت هذه المحبة متبادلة، وهي محبة تعني الكثير، إنها تعني شهادة النبي ﷺ لمعاذ بمواقفه الكبيرة، مواقف الإيمان والاتباع والجهد والعلم، والتفاني في خدمة الإسلام والمسلمين.

أما صلته بالله تعالى واجتهاده في الطاعات، ومناجاته لربه سبحانه وتعالى فهي تدل على الإخلاص والصدق والخوف من الله عز وجل.

كان رضي الله عنه يكثر من قيام الليل ويناجي ربه فيقول: «اللهم نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي الجنة بطيء، وهربي من النار خفيف، اللهم اجعل لي عندك هدى ترده إلي يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد».

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب.

(٢) أمهات الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، (٢٧٦/٤).

(٣) المرجع السابق.

ولما حضرته الوفاة جعل يبكي، ف قيل له: أتبكي وأنت صاحب رسول الله ﷺ وأنت وأنت! قال: «ما أبكي جزءاً من الموت إن حل بي، ولا دنيا تركتها بعدي، ولكن إنما هي القبضتان، فلا أدري فمن أي القبضتين أنا» يشير إلى قبضتي الرحمن وأن إحداهما في الجنة والأخرى في النار.

قال عنه ابن مسعود: «كان معاذ أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين، ف قيل له: إنما قال الله هذا في إبراهيم، عليه السلام، فقال ابن مسعود: الأمة: الذي يعلم الخير ويؤتمُّ به، والقانت: المطيع لله عز وجل. وكذلك كان معاذ معلماً للخير مطيعاً لله عز وجل ولرسوله».

هنيئاً لمعاذ بن جبل هذه المنزلة الرفيعة، وهذه الشهادات الصادقة التي ما جاءت إلا لمواقفه الإيمانية الكبيرة التي عاشها بصدق وأمانة وإخلاص لله رب العالمين.

الأسئلة

- ١- لماذا أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن؟
- ٢- ماذا تعني محبة رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه؟
- ٣- بين منزلة معاذ بن جبل، رضي الله عنه، العلمية، مع الاستشهاد بأحاديث نبوية وأقوال الصحابة.
- ٤- هل يعد معاذ بن جبل من المكثرين من رواية الحديث؟ ولماذا؟
- ٥- هات موقفاً يدل على تقوى معاذ بن جبل، رضي الله عنه.
- ٦- استنتج عبرتين من دراستك لسيرة معاذ بن جبل رضي الله عنه.
- ٧- كيف توفي معاذ بن جبل؟ ومتى؟ وأين دفن؟

نشاط

ارجع إلى كتاب (رجال حول الرسول) ﷺ واستخرج منه موقفاً أعجبك لمعاذ بن جبل ودونه في دفتر.

عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)

التعريف بها

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي ﷺ، لذا فهي أم المؤمنين جميعاً لقوله تعالى:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (١)

وهذا اللقب يشمل جميع زوجات النبي ﷺ تشریفاً لهن وتعظيماً لمنزلة النبي ﷺ. كُنَّاها رسول ﷺ بأم عبدالله، أسلمت وهي صغيرة، وهي من السابقين الأولين للإسلام، كان ﷺ يحبها لكثرة ما اجتمع فيها من خصائل حميدة، ومزايا كثيرة، ولكونها ابنة صديقه وأحب الناس إليه أبي بكر، رضي الله عنهما، الذي آمن به، وواساه بنفسه وماله في أشد الظروف وأصعب المواقف في الدعوة الإسلامية.

اتصفت، رضي الله عنها، بالذكاء والعلم، وكانت كريمة زاهدة صابرة، أنزل الله في شأنها قرآناً يتلى، برأها فيه من حديث الإفك الذي أشاعه عنها المنافقون حسداً من عند أنفسهم، وما نزل فيها أمر إلا جعل الله لها منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة، ومن ذلك أنها كانت سبباً في نزول آية التيمم لمن لم يجد الماء، وأن الله تعالى بين حكم القاذف الذي يتهم الناس في أعراضهم.

كانت شديدة الحياء، كثيرة الصيام والصلاة، سخية كريمة لا تجارى، توفيت، رضي الله عنها وأرضاها، سنة (٥٧هـ). وصلى عليها أبو هريرة، ودفنت بمقبرة البقيع في المدينة بوصية منها.

علمها

فضائل السيدة عائشة أم المؤمنين ومزاياها كثيرة، ومن أبرزها العلم، فقد كانت عالمةً فقيهةً محدثةً، تربت في بيت النبوة، فأخذت القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ فحفظت ووعت الكثير، وساعدها في ذلك صغر سنها وذكائها، فتميزت بالحفظ والفهم والاستنباط، حتى أنها حفظت كثيراً من سور القرآن الكريم في صلاتها خلف رسول الله ﷺ.

توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت تعلم ما لا يعلمه كثير من الصحابة من أمور

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦).

النساء، فكان الصحابة يرجعون إليها بعد وفاة النبي ﷺ في مثل هذه الأمور، وكانت تستدرك على علماء الصحابة كثيراً من المسائل الفقهية، جمعها الإمام الزركشي في كتاب سماه: «الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة».

نشاط

علام يدل استدراك السيدة عائشة أم المؤمنين مسائل علمية على علماء الصحابة؟ وضح ذلك.

تعدُّ السيدة عائشة من المكثرين في رواية الحديث النبوي، فقد روت (٢٢١٠) أحاديث، وهي من السبعة المكثرين للرواية، وهم الذين رووا أكثر من ألف حديث فصاعداً. روت الحديث عن أبيها، وعن عمر وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم، وروى عنها من كبار الصحابة، أبو هريرة وأبو موسى الأشعري، وزيد بن خالد الجهني وغيرهم، ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب، وعائشة بنت طلحة، وعمرة بنت عبد الرحمن، وحفصة بنت سيرين، وهؤلاء النسوة الثلاث كن من فضليات تلميذاتها الفقيهات. جمعت السيدة عائشة إلى جانب الحديث والفقه علم اللغة والأنساب والشعر والطب، شهد لها الصحابة والتابعون بذلك، قال أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا - أصحاب محمد ﷺ - أمر قط، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علماً».

وقال عروة بن الزبير: «ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة ولا بحلال ولا حرام ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا ينسب من عائشة رضي الله عنها»^(١). وقال مسروق وهو من علماء التابعين: «لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض»^(٢) والمراد بالفرائض مسائل الميراث. ويوضح عروة بن الزبير - ابن أختها أسماء - مصادر علوم خالته عائشة في سؤاله لها إذ يقول: «يا أمها، لا أعجب من فقهك، فأقول: زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر، وأيام الناس فأقول: ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس في ذلك، ولكن أعجب من علمك بالطب. قالت: أي عروة، إن رسول الله ﷺ كان يسقم في آخر عمره، وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل جهة، فتنعت له الأنعام، فكنت أعالجها، فمن ثم»^(٣).

هكذا كانت أم المؤمنين عائشة، المرأة المؤمنة الشابة العالمة الفاضلة مثلاً يحتذى لكل مؤمنة على مر العصور والأيام.

مواقف من حياتها

إن حياة السيدة عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، حافلة بالمواقف الكبيرة منذ بدايتها، وهي مواقف تنم عن ذكاء وفطنة، وإيمان وشجاعة وصبر وأخلاق، وغير ذلك من صفات حميدة اتصفت بها، رضي الله عنها وأرضاها.

(١) صفوة الصفوة، لابن الجوزي (١٦/٢).

(٢) صفوة الصفوة، (١٧/٢).

(٣) المصدر السابق، (١٤/٢).

ومن أبرز هذه المواقف ما يأتي:

١- موقف من ذكائها وقوة إيمانها: لما هاجر أبوها الصديق مع رسول الله ﷺ فزع جدها أبو قحافة خوفاً من فقدان ولده، ومن تركهم من غير عائل، وقد كان شيخاً كبيراً كف بصره، ولم يكن قد أسلم بعد، فطمأنته حفيدته عائشة ومعها أختها أسماء بأن أباه ترك لهم مالاً وفيراً، فقادته إلى كوة في البيت وضعت فيها صرة مملوءة بالحصى وغطتها بلحاف، وطلبت منه أن يتحسسها، فطمأن عند ذلك وقال: «الحمد لله الذي لم يفجعنا بماله كما فجعنا برحيله». وهذا الموقف من فتاة لم تتجاوز الثامنة من عمرها يدل على ذكاء وفطنة وقوة إيمان وثقة بالله تعالى وأنه الرزاق الكريم الذي لا ينسى عباده المؤمنين، وهو الذي يرزق الآباء والأبناء والخلق جميعاً.

٢- موقف من علو أخلاقها: موقفها رضي الله عنها، من الذين أساءوا لها في حديث الإفك، وحاولوا تشويه سمعتها وتلويث طهارتها، وكذلك من الذين نقلوا هذا الإفك بالظن دون التثبت والتأكد من الحقيقة، موقفها هذا كان موقفاً عظيماً، فقد ترفعت، رضي الله عنها، عن السفه ورد الإساءات بمثلها، فكانت مثال المؤمنة التقية النقية المهذبة التي تخلقت بأخلاق القرآن، وتحلت بأداب الإسلام، وظلت كذلك حتى برأها الله مما قالوا، وأنزل في براءتها وطهارتها قرآناً يتلى، ويخلد ذكراها ويرفع منزلتها إلى يوم القيامة.

٣- مواقف من كرمها وزهدها، وخشيتها لله تعالى: أما مواقف كرمها، وإنفاقها المال في طاعة الله تعالى ثقة به سبحانه، وامتنالاً لأمره، وأمر رسوله الكريم، فهي مواقف كثيرة منها أن معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، أرسل إليها بطوق من ذهب فيه جوهر، قوّم بمائة ألف، فقسّمته بين أزواج النبي ﷺ. وبعث إليها ابن أختها عبد الله بن الزبير بمائة وثمانين ألف درهم فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة وعندها امرأة يقال له أم ذرة، فجلست عائشة تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم واحد، فلما غابت الشمس طلبت طعاماً لتفطر عليه، فأحضرت لها الخادمة خبزاً وزيتاً، فقالت لها أم ذرة: «أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟!» فقالت لها عائشة: «لا تعنيني، لو كنتِ ذكرتني لفعلت»^(١).

قال عروة بن الزبير: رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها.

ولما حضرته الوفاة، جاء عبد الله بن عباس يواسيها ويذكر محاسنها ومواقفها لتطمئن نفسها عند لقاء ربها، فقالت له: «دعني منك يا ابن عباس، فوالذي نفسي بيده لو ددت أنني كنت نسياً منسياً»^(٢).

ولم تقتصر مواقف السيدة عائشة على ما تقدم من أمور علمية، وأخلاق وزهد، بل تعدت ذلك إلى السياسة، والوقوف إلى جانب ما تراه حقاً، ومن ذلك أنها كانت تنقد بعض أعمال الخليفة الثالث عثمان بن عفان في حياته، فلما قتل غضبت لمقتله، ووقفت تطالب بدمه، وقصتها في معركة الجمل مشهورة ومعلومة، فقد تحملت مشاق السفر وعناء المشاركة في ما ترتب على هذا الموقف السياسي من مخاطر ومسؤوليات.

(١) صفة الصفوة، (١٤/٢).

(٢) المرجع السابق، (١٩/٢-٢٠).

- ١- لماذا لقبت السيدة عائشة رضي الله عنها بأُم المؤمنين؟ وهل هذا اللقب خاص بها وحدها؟
- ٢- لِمَ كانت عائشة رضي الله عنها أَحَبَّ نساء النبي ﷺ إليه؟
- ٢- بَيِّن المنزلة العلمية للسيدة عائشة رضي الله عنها.
- ٤- كانت السيدة عائشة، رضي الله عنها، محدثة بل من المكثرين لرواية الحديث وضح ذلك.
- ٥- اذكر بعض من روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها، ومن روت عنهم.
- ٦- ما أنواع العلوم التي برزت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها؟ وعلام تدل كثرة علومها؟
- ٧- تحدث عن موقفين للسيدة عائشة رضي الله عنها في نفسك.

نشاط

عُد إلى أحد كتب التفسير، وقف على تفسير الآيات الآتية من سورة النور:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّمَّكَ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ..... أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١)

وبَيِّن مَنْ كان وراء إشاعة حادثة الإفك، وسبب ذلك.

(١) سورة النور، الآيات (١١-٢٢).

أسامة بن زيد (رضي الله عنهما)

التعريف به

هو أسامة بن زيد بن حارثة، ويقال له أسامة الحب، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، صحابي جليل، ولد بمكة ونشأ على الإسلام، فأبوه زيد بن حارثة من أول الناس إسلاماً، أحبه النبي الكريم حباً عظيماً كما كان يحب أباه زيداً، وكان ينظر إليه نظرته إلى سبطيه الحسن والحسين ابني فاطمة الزهراء. قال ﷺ فيه: «وإنه لمن أحب الناس إليّ، وكان أبوه من أحب الناس إليّ، ألا فأوصيكم بأسامة خيراً»^(١). دخل أسامة على رسول الله ﷺ وهو في مرضه الأخير، وكان لا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء، ثم يضعها على أسامة يدعو له^(٢).

كان رضي الله عنه شجاعاً منذ صغره، محباً لله تعالى ولرسوله ﷺ حسن الأخلاق، كريماً، باراً بالديه، يبادر إلى خدمة المسلمين كلما احتاجوا إليه، أحب علياً، رضي الله عنه، لكنه لم يشارك في الفتنة، واعتزلها لعهدده مع النبي ﷺ أن لا يسفك دم من قال لا إله إلا الله^(٣). روى من الأحاديث (١٢٨) حديثاً، رحل إلى دمشق أيام معاوية، ثم رجع إلى المدينة، فأقام فيها إلى أن توفي سنة (٥٥٤هـ).

نشأته وتميزه

نشأ أسامة بن زيد في كنف والديه بمكة أم القرى في رعاية النبي ﷺ فأبوه زيد بن حارثة، كان غلاماً للسيدة خديجة أم المؤمنين، رضي الله عنها، فوهبته للنبي ﷺ الذي أعتقه وخيَّره بين نفسه وأهله، فاخترت صحبة النبي الكريم، فتبناه ﷺ وأشهد الناس على ذلك، فكان يدعى زيد بن محمد، كان ذلك قبل إبطال التبني في الإسلام لقوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾^(١)

(١) صفوة الصفوة، (١٢٧/٢).

(٢) مختصر سيره ابن هشام، ص (٣٠٧).

(٣) أسد الغاية، (٦٥/١).

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ (١)

ولذلك كان زيد بن حارثة من أحب خلق الله إلى قلب رسول الله ﷺ، زوجته من أم أيمن حاضنته ﷺ. وكان لها محباً عطوفاً، فلما ولد أسامة اجتمعت فيه عناصر المحبة الكاملة في قلب النبي الكريم ﷺ فرعاه حق الرعاية، وجعله بمنزلة الحفيد الغالي، فنشأته في كنف النبي ﷺ وعلى عينه، ومحبة النبي الكريم ﷺ لوالديه جعلته في مكانة مرموقة متميزة، وكل من أحبه النبي ﷺ يحبه المؤمنون ويكرمونه، وقد أكسبته هذه النشأة إيماناً ومحبة لله تعالى ولرسوله ﷺ ومحبة للمؤمنين، وزودته بالأخلاق الفاضلة والآداب الحسنة، والخلق القويم، كما تربي على الشجاعة والجرأة في الحق، والجندية، كما أكسبته مهارات شتى رغم صغره وحادثة سنه، فكان أسامة بن زيد رجلاً في سن الشباب له حكمة الشيوخ، وشجاعة الأبطال، وإقدامهم، ولا عجب أن نرى النبي الكريم ﷺ يختاره لمهمات وأعمال جليلة.

قيادته للجيش الإسلامي

إن الصفات المميزة التي اتصف بها أسامة بن زيد، والكفاءة القيادية التي تمتع بها ذلك الصحابي الشاب، وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من أهم الأسباب التي حدثت بالنبي ﷺ لأن يختاره لمهمة عظيمة، ووظيفة جسيمة هي قيادة الجيش الإسلامي الكبير الذي كلف بالإغارة على الروم في الكرك، حيث وقعت معركة مؤتة التي استشهد فيها أبوه، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وعدد من المسلمين، رضي الله عنهم.

ففي شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة وفي أواخر أيام رسول الله ﷺ أعدَّ المسلمين لغزو الروم، وأمر عليهم أسامة بن زيد، وأمره بالإغارة على (أبني)، وهي منطقة حشود الجيوش الرومية قرب مؤتة في جنوب الأردن قاتلاً له: «أَغْرَ عَلِيَّ أَبْنِي صَبَاحًا وَحَرَّقَهَا» (٢).

لقد جاء توقيت بعث جيش أسامة إلى بلاد الروم في غاية الصعوبة والحرص، فالنبي ﷺ كان في مرضه الأخير، والمسلمون في غاية القلق عليه وعلى مستقبل هذا الدين الذي لا يزال في بداية الطريق، وبعض القبائل تتحين الفرص للنكوص على أعقابها للارتداد عن الإسلام، إضافة إلى وجود العدو وكثرة عدده وعدده.

لقد أصر النبي ﷺ على إنفاذ جيش أسامة، وأصر خليفته من بعده على ذلك، مع وجود آراء أخرى نظراً للظروف الصعبة التي كان المسلمون يمرون فيها في تلك الفترة. فما الحكمة إذاً من بعث هذا الجيش؟

إن الدارس الخبير لأحداث تلك الفترة يجد أن المسلمين حققوا مكاسب عديدة من إرسال ذلك الجيش، الذي خطط لمهمته بحكمة وبعد نظر، وبهدف الإبقاء على وحدة المسلمين، وفيما يأتي أهم هذه المكاسب.

- ١- إظهار قوة المسلمين لأعدائهم، وبخاصة الروم، والقبائل العربية المعادية للمسلمين حتى لا يظنوا أن المسلمين قد ضعفوا بعد وفاة النبي ﷺ فيطمعوا بالإغارة عليهم.
- ٢- إرهاب القبائل العربية التي تفكر بالردة عن الإسلام.

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجهاد، حديث (٢٠).

٣- الانتصار لشهداء مؤتة وتأديب القبائل التي كانت تحالف الروم.

ولم يكتف النبي ﷺ بأمر أسامة بالإغارة على (أبني) وتحريقها، بل وجهه التوجيه المناسب للظفر بالعدو، وتحقيق أهداف السرية فقال: «سر موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، وأسرع السير لتسبق الأخبار فإن أظفرك الله فأقل اللبث فيهم، وخذ الأدلاء وقدم العيون والطلائع معك» ثم عقد له اللواء وقال: «اغز باسم الله في سبيل الله، وقاتل من كفر بالله»^(١).

نشاط

استنتج من وصية النبي ﷺ لأسامة رضي الله عنه أربعة مبادئ عسكرية تساعد على كسب المعركة.

فانظر إلى هذه المهمة الجسيمة التي أنيطت بأسامة بن زيد، وهو لا يزال في الثامنة عشرة من عمره، يواجه جيوش الروم على أراضيهم، وبينه وبينهم تلك المسافة البعيدة، والصحراء القاحلة، ووسائل النقل لا تعدو جملاً أو فرساً وربما مشى بعضهم على قدميه، أضف إلى هذا إمرته على نخبة كبيرة من أجلاء الصحابة وعلمائهم، رضي الله عنهم وذوي السن والفضل والسابقة في الإسلام، وهذا أمر له رهيبته وجلاله، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدمه أبو بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة مع أبي عبيدة عامر بن الجراح ليبايع المسلمون أحدهما بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ: «والله لئن أُلِّمْتُ فَنُضِرْتُ عُنُقِي فِي غَيْرِ إِثْمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُنَامَرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ»^(٢).

فإذا علمت الحالة النفسية الشديدة التي كان أسامة يعانيها لفقدته رسول الله ﷺ، فإنك ستدرك تلك المهمة الصعبة التي قام بها هذا الصحابي الشاب، وقد اجتمعت عليه هذه الخطوب وغيرها في آن واحد. إن قوة الإيمان الكبيرة بالله تعالى، وامتنال أمر الرسول الكريم، والأخذ بأسباب القوة والتخطيط الجيد، كل ذلك أدى إلى نجاح مهمة جيش أسامة الذي عاد ظافراً منتصراً في مدة زمنية وجيزة مما أفرح المسلمين، وزاد في قوتهم المادية والمعنوية، وساعدهم ذلك على إخماد فتنة المرتدين من أعراب الجزيرة العربية، فاستقرت الأمور بعد ذلك، واستتب الأمن وأحكمت الدولة الإسلامية قبضتها على جميع القبائل العربية وسكان الجزيرة زمن أبي بكر، رضي الله عنه، واتجهت بعد ذلك الفتوحات إلى الخارج لنشر الدعوة الإسلامية، وإبلاغ رسالة الله تعالى للناس في الأرض.

(١) نور اليقين، الخضري، ص ٢٦١.

(٢) سيرة ابن هشام، (٢٢٧/٤).

الأسئلة

- ١- من هي أم أسامة بن زيد؟ وما علاقتها بالنبي ﷺ؟
- ٢- ما سر محبة النبي لأسامة بن زيد؟
- ٣- وضح أثر البيئة التي تربى فيها أسامة بن زيد في تكوين شخصيته.
- ٤- ماذا تعني قيادة أسامة بن زيد للجيش الإسلامي؟ وكيف كانت قيادته؟
- ٥- ما الحكمة في إصرار النبي الكريم ﷺ وهو مريض ، وأبي بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ على إرسال جيش أسامة على الرغم من الظروف الصعبة التي كانوا يمرون فيها؟
- ٦- ما العبرة المستفادة من اختيار أسامة لقيادة الجيش، وتوجيهه إلى البلاد التي استشهد فيها أبوه زيد بن حارثة؟
- ٧- ما نتائج الحملة العسكرية التي قادها أسامة بن زيد؟
- ٨- وضح أسباب نجاح تلك الحملة.

التعريف به

هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي، من قبيلة ثقيف، ولد سنة (٧٢هـ) في الطائف ثم انتقل مع أبيه القاسم بن محمد إلى البصرة، حيث عينه ابن أخيه الحجاج بن يوسف الثقفي والياً عليها. اتصف محمد بن القاسم منذ صغره بالذكاء والجرأة، وكان محباً للخير، شجاعاً شغوفاً بركوب الخيل، والتدرب على وسائل القتال، كالسيف والرمح، والقوس، ونحوها، وكانت هذه الأمور تشغله عما يشغل أقرانه من أمور تناسب حياة الصغر والأطفال، فأهلهته هذه الصفات ليكون قائداً فذاً فتح الله على يديه بلاد السند، وأصبحت ولاية من ولايات الدولة الإسلامية، فخلد التاريخ بطولته وإنجازاته الكبيرة على الرغم من قصر حياته، فقد توفي في ريعان الشباب سنة (٩٨هـ).

نشأته وتميزه

نشأ محمد بن القاسم وترعرع في كنف والديه في البصرة، ثم في واسط، وهي مدينة عسكرية تقع ما بين الكوفة والبصرة، بناها الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقصد ببنائها أن تكون مقراً لجند الإسلام الذين يعتمد عليهم في الفتوحات الإسلامية. بلغ محمد بن القاسم الحادية عشرة من عمره وهو يسمع أخبار الجند والفتوحات، وكان منذ صغره يتطلع إلى أن يكون جندياً يخدم دينه وأمه من خلال رغبته الجامحة في المشاركة بأعمال الفتوحات والجهاد في سبيل الله، وقد أفاد كثيراً من أحاديث القادة في مجلس أبيه، وهم يتحدثون عن أنباء القتال والفتوحات، وإعداد الخطط العسكرية وتفصيلاتها، مما زاد في حبه ورغبته في المشاركة بالأعمال العسكرية والفتوحات لنشر الإسلام وتعاليمه، خاصة في البلاد التي ما زال أهلها يعيشون حياة الجاهلية وعبادة الأوثان في القارة الهندية المترامية الأطراف. ومما ساعد محمد بن القاسم على تحقيق رغبته في أن يكون قائداً متميزاً، اهتمام الحجاج بن يوسف الثقفي به، ورعايته له لما رأى فيه من الذكاء والفطنة والشجاعة، وحب الجهاد، وإتقان كل ما يتعلمه من فنون القتال على الرغم من حداثة سنه، وكان الحجاج والي العراق القوي يتطلع إلى فتح بلاد السند المتاخمة لحدود الدولة الأموية، وخاصة بعد فشل حملتين كان قد أرسلهما لهذه الغاية، وقد أسر كثير من المسلمين وفيهم النساء المسلمات، وحُبسوا في بعض الحصون السندية وامتنع ملك السند عن إطلاق سراحهم.

كل ذلك جعل الحجاج يتطلع إلى ابن عمه الفتى الشجاع، والشاب المتحمس الذي أحبه لاتصافه بتلك الصفات المميزة، فقرّبه إليه، وزوّجه من ابنته، وصار يعده لتحمل المسؤولية الكبيرة، وهي قيادة الجيش الكبير الذي قرر أن يرسله لفتح بلاد السند وما حولها.

لقد أصبح محمد بن القاسم قاب قوسين أو أدنى من تحقيق حلمه الكبير، ولم يكن قد جاوز السابعة عشرة من عمره يوم أن كلفه الحجاج بقيادة جيش قوامه اثنا عشر ألف مقاتل في مهمة خطيرة وجسيمة، هي نشر الإسلام وتعاليمه في أقوام يعبدون ما ينحتون، وهي مهمة في غاية الصعوبة والخطورة لسعة بلاد السند وكثرة أهلها، وتمسكهم بتقاليدهم ومعتقداتهم المتأصلة في نفوسهم منذ العصور الغابرة، إضافة إلى مسؤوليته المباشرة وإمرته على رجال لهم من الخبرات ما ليس له، وهذا أمر ليس باليسير.

وفي سنة (٥٩٠هـ) استعد الجيش للانطلاق في مهمته الجليلة، ووقفت جموع المسلمين لتوديع القائد الشاب محمد بن القاسم وجيشه الكبير وعلى رأسهم أمير العراق الحجاج بن يوسف، الذي أوصى صهره وابن عمه قائلاً: «امض لوجهك على بركة الله، وكن أميراً على بلاد السند، وسيأتيك كتاب أمير المؤمنين الخليفة الوليد بن عبد الملك بإقرار العهد لك.

نشاط

علام يدل انبعاث روح الجهاد في نفس محمد بن القاسم، واختيار الحجاج له لتولي مهمة فتح بلاد السند؟

قيادته للجيش وبعض مواقفه الشجاعة

يُعد محمد بن القاسم بطلاً من أبطال الإسلام الذين حققوا انتصارات باهرة في الفتوحات الإسلامية، وساهم في اتساع رقعة الدولة الإسلامية، فهو فاتح بلاد السند والبنجاب، ومؤسس الدولة الإسلامية فيها. لقد امتدت حركة الفتوحات الإسلامية في بلاد السند، واستغرقت مدة أربع سنوات، استطاع خلالها القائد المسلم الشاب محمد بن القاسم الثقفي أن يبسط راية الإسلام على تلك البقاع التي تسمى اليوم بباكستان، وقد استبشر معظم أهلها بالفتح الإسلامي الذي حمل عقيدة التوحيد التي نعموا في ظلالها بالعدل والأمن، والمساواة، والحرية، وكانوا من قبل عبداً لطوائف وأشخاص تدّعي السيادة والتميز العرقي، أو الاستغلال والتسلط الديني. ولم تكن مهمة محمد بن القاسم مهمة سهلة، فقد استغرق إعداده للجيش ورسم الخطط والتمهيد لمباشرة القتال ما يقارب السنتين، فقد كان عليه أن يعد العدة لمواجهة عدوه في أول لقاء له، فنظّم الجيش، وقسّمه إلى فرق، وأمر بإعداد المناجق، والتزود بالأسلحة والمؤونة، وبدأ بالمدن الواقعة غربي نهر السند، تمهيداً لنقل قواته عبر النهر للوصول إلى شرقه حيث العاصمة، وملك السند (داهار) القوي.

تمكن القائد محمد بن القاسم بذكائه، وأخلاقه، ومعاملته الحسنة للمسكان أن يستميل كثيراً منهم، بل إن بعض الطوائف من البراهمة دخلوا في الإسلام، لما رأوا من سماحة الإسلام، وأخلاق المسلمين وعدلهم، وبساطتهم وعدم تمييزهم فيما بينهم، وأنه لا أسياد ولا عبيد، إنما هي الأخوة الإيمانية التي تسود المجتمع، كأنهم أسرة واحدة تعيش في محبة ووئام وتراحم وانسجام.

ولا شك بأن العدل، وعدم الظلم سبب في تأييد الله للجيش المسلم، الذي تمكن بقيادته الشجاعة، والتخطيط السليم، والإعداد المناسب أن يفتح مناطق وأقاليم كثيرة حتى وصل إلى إقليم (الديبل)، الذي كان فيه أسرى المسلمين، فحررهم محمد بن القاسم من الأسر، وكان فيهم النساء العربيات المسلمات. وقد توج هذه الانتصارات، انتصار المسلمين على ملك السند داهار وجيشه الكثيف الذي بلغ عدده أكثر من (١٢٥) ألفاً، تتقدمهم الفيلة المدربة التي كانت سبباً في تأخير نصر المسلمين، وفي مقتل عدد كبير منهم لما سببته من ذعر للمخيول العربية التي لم تألف مثل هذه الوسائل القتالية من قبل.

وفي النهاية كانت الغلبة للمسلمين، وكان النصر حليفهم، وقتل الملك (داهار) السندي وتفرق جيشه، واستسلم عدد كبير منهم، وتتابعت الانتصارات والفتوحات حتى تم للمسلمين بقيادة محمد بن القاسم الثقفي رفع راية الإسلام عالية خفاقة على بلاد السند والبنجاب، فعمل على بناء المساجد، وإعادة تنظيم البلاد وتعيين الولاة من المسلمين، الذين تولوا وضع النظم والتنظيمات الإدارية والمالية والعسكرية فيها حسب تعاليم الإسلام، حتى غدت بلاداً تزدهر بالحضارة الإسلامية العريقة، وظهر فيها بعد ذلك كثير من العلماء في شتى العلوم والمعارف مما أسهم في رفد الحضارة الإسلامية إلى يومنا هذا.

الأسئلة

- ١- عرّف بنسب محمد بن القاسم، والبيئة التي نشأ فيها.
- ٢- تحدث، عن أثر البيئة التي عاش فيها محمد بن القاسم في صقل شخصيته العسكرية.
- ٣- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
لقد اختار الحجاج بن يوسف الثقفي محمد بن القاسم لقيادة الجيش لغزو السند بسبب :
أ - صلة القرابة التي تربطه به.
ب - كونه زوج ابنته.
ج - لكفاءته العسكرية، وشجاعته الشخصية.
د - صغر سنه وحبه للمغامرة.
- ٤- ما أسباب سرعة انتصار الجيش المسلم في بلاد السند والبنجاب؟
- ٥- كيف استقبل الجيش المسلم في بعض المدن السندية؟ ولماذا؟
- ٦- ما أثر الفتوحات الإسلامية في بلاد السند على سكانها ومواطنيها؟
- ٧- لم كانت الفيلة سبباً في تأخر نصر المسلمين؟

أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)

التعريف بها

هي أسماء بنت أبي بكر الصديق، ذات النطاقين، صحابية قرشية من أفضل نساء المسلمين، ولدت بمكة المكرمة قبل البعثة النبوية بسبع عشرة سنة، وهي أخت عائشة أم المؤمنين لأبيها، وأكبر منها بنحو عشر سنين. أسلمت أسماء ثم عائشة، فهما من السابقين الأولين إلى الإسلام، تزوجت الصحابي الجليل الزبير بن العوام، وولدت له عبد الله وغيره، كانت قوية الشخصية صابرة جريئة، تناقش الأمور بوعي، وتتخذ قرارها بحكمة وروية، وتمسك بالحق الذي تراه لا تحيد عنه، وإن كلفها الكثير من العناء والمشقة والتضحية والألم، وهذا ما اكتسبته أسماء من حياة والدها الصديق، رضي الله عنه.

هاجرت إلى المدينة المنورة وهي حامل بابنها عبد الله بن الزبير، ووضعت بقباء، فهو أول مولود في المدينة بعد الهجرة من أبوين مسلمين.

روت من الأحاديث (٥٦) حديثاً، عمّرت السيدة أسماء بنت أبي بكر فعاشت مائة عام، وظلت محتفظة بذاكرتها القوية إلى أن توفيت سنة (٧٣هـ).

دورها في الدعوة

الدعوة إلى الله تعالى ووظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ورسالة محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات السماوية، وهو مكاف بتبليغها إلى الناس كافة، فهي رسالة عالمية مستمرة إلى يوم القيامة، فكيف يتم تبليغها إلى الناس، وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى؟!!

لقد شرف الله تعالى هذه الأمة وأكرمها بحمل رسالة الإسلام. قال تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)

والدعوة إلى الله تعالى لا تقتصر على جانب واحد من جوانب العمل الإسلامي، بل هي متعددة، تشمل كل جهد أو عمل، أو قول مباشر وغير مباشر فيه خير للإسلام والمسلمين، وللناس كافة.

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

ولقد فهم الصحابة الكرام رجالهم ونسأؤهم هذا الأمر فهماً صحيحاً، وقاموا به خير قيام، ولم يكن ليعيب أحدهم على غيره جهداً بذله، أو عملاً قدّمه وإن قلّ، وكانوا يتعاونون في هذا السبيل انطلاقاً من قوله تعالى

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١)

وأسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما، لم تأل جهداً في الدعوة إلى الله تعالى، وقد اقتحمت المصاعب والمخاطر لتشارك في إنجاح هجرة النبي الكريم إلى المدينة المنورة، فحملت له ولصاحبه الطعام والشراب، وهما في الغار، وأخفت آثارهما وأخبارهما عن العدو، ويوم أن فقدت ما تربط به الزاد والماء على الراحلة شقت نطاقها الذي تشد به ثيابها نصفين لتربط بأحدهما الطعام والماء، وتحتزم بالشق الآخر. إنها روح الشباب المؤمن الذي عرف قيمة التضحية في سبيل الدعوة إلى الله، وحماية الدين وأهله وخدمتهم.

موقفها من أمها

إن الداعية إلى الله تعالى يجدر به أن يكون مثلاً للمخلوق الرفيع، والمعاملة الإنسانية الكريمة، وأن يجعل رابطة العقيدة فوق كل الروابط، وهذا ما تجلّت به أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما يوم أن زارتها أمها قبيلة وهي مشركة، فاستشارت أسماء رسول الله ﷺ في استقبالها، وبرّها والإحسان إليها، فأمرها بذلك فاستجابت أسماء لتوجيه النبي ﷺ فرحبت بأمها وهي مشركة، وأكرمتها واعتنت بها عناية فائقة، وهذا أمر في غاية الأهمية، وينبغي على الداعية أن يتمثله، وهو إكرام والديه وإظهار المودة مهما كان حالهما العقدي، وكذلك الإحسان إلى الناس جميعاً لاستمالة قلوبهم لمحبة الدين، والدخول فيه عن رغبة وقناعة.

موقفها من ولدها

كان ولدها عبد الله بن الزبير، قد بويع له بالخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية، فأرسل له عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي، فحاصره الحجاج بمكة، وشدّد عليه الحصار إلى أن عرض عليه الأمان فدخّل ابن الزبير على أمه أسماء يستشيرها في ذلك، فقالت له قولاً بليغاً يدل على رجاحة عقلها، وقوة دينها، وصبرها على احتمال الشدائد وثباتها على المبدأ والحق، قالت رضي الله عنها:

«يا ولدي إن كنت على حق فامض إليه، وإن كنت على باطل فبئس العبد أنت، فقد هلكت وأهلك من معك، فقال: يا أمّاه، أخشى أن يمثل بي، فقالت: يا ولدي، فإن الشاة لا يضيرها سلبها بعد ذبحها»^(٢).

(١) سورة المائدة، الآية (٢).

(٢) مجمع أبوفارس، طلة من الأولين، ص ٣٥٦.

اذكر مجالين آخرين يمكن أن يكون للمرأة فيهما دور فاعل في الدعوة.

الأسئلة

- ١- من هي أسماء بنت أبي بكر؟ ولِمَ لُقِّبَت بذات النطاقين؟
- ٢- بين أثر أسرة أسماء في تكوين شخصيتها الفدّية.
- ٣- تحدث عن دور أسماء بنت أبي بكر في الدعوة.
- ٤- اذكر موقفاً مؤثراً لداعية تأثرت به حياتك.
- ٥- ما العبرة التي تستخلصها من موقف أسماء عندما استشارها ولدها في قبول الأمان من الحجاج؟

الرَّبِيعُ بِنْتُ مَعُوذٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا)

التعريف بها

الرَّبِيعُ (تصغير الربيع) هي بنت مَعُوذِ بن الحارث بن رفاعة الأنصارية، وأمها أم يزيد بنت قيس بن النجدية، صحابية جليلة من بني النجار أخوال رسول الله ﷺ، من ذوات الشأن في الإسلام. كان النبي ﷺ كثيراً ما يَغْشَى بيتها، فيتوضأ ويصلي ويأكل عندها، تزوجها إياس بن البكير الليثي، فولدت له محمد بن إياس الليثي. أسلمت الربيع وباعته النبي ﷺ وروت عنه عدة أحاديث، وعاشت إلى أيام معاوية بن أبي سفيان، وتوفيت سنة (٤٥هـ).

دورها في الدعوة

لقد كان للربيع بنت معوذ دور كبير في الدعوة إلى الله تعالى بالمفهوم الذي أوضحناه في الدرس السابق، فكانت، رضي الله عنها، من الصحابة الكرام الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة في بيعة الرضوان تلك البيعة التي وقف فيها الصحابة رضي الله عنهم وقفة رجل واحد خلف النبي ﷺ يعاهدونه على الموت في سبيل الله، وتقديم أرواحهم وأموالهم، وأنفسهم رخيصة للدفاع عن هذا الدين وحمایته، والذود عنه وحمایة قائد الدعوة ونبيها الكريم، فكانت الربيع بنت معوذ من هؤلاء الذين حموا هذا الدين، وقدموا هذه التضحيات ليصل إلينا بكل سهولة ويسر. يقول الله تعالى في هذه البيعة العظيمة :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ (١)

إن الذين شاركوا في بيعة الرضوان، رضي الله عنهم في الدنيا، فأعطاهم النصر والفتح المبين، وفي الآخرة يدخلهم جنات الخلد ومقاماً كريماً جزاء إيمانهم، وأعمالهم وتضحياتهم في سبيل دين الله تعالى. إن الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الثبات وعدم الفرار من العدو يوم الحديبية، عندما أرادت قريش أن تقف في وجه المسلمين وهم يقصدون زيارة البيت الحرام بمكة، إنما بايعوا الله تعالى الذي كان معهم ينظر إليهم ويرعاهم

(١) سورة الفتح، الآيتان (١٨، ١٩).

ويمددهم بنصر من عنده ، وينزل عليهم سكينته لتطمئن قلوبهم وتستقر نفوسهم .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١)

ما أعظمها من بيعة . فازت بها الرُّبِيع بنت معوذ ومن معها من الصحابة الكرام ، لقد كانت الرُّبِيع في مقدمة النساء اللواتي كن يستجبنَ لنداء الجهاد ، فكانت تصاحب المجاهدين لتقدم لهم ما تستطيعه ، فتصنع لهم الطعام ، وتقدم لهم الماء ، وتداوي الجرحى ، وتقف من ورائهم مع أخواتها المؤمنات . تقول رضي الله عنها: «كنا نغزو مع رسول الله نسقي القوم ونخدمهم ، ونداوي الجرحى ، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة»^(٢) .
وهذه المهمات لها قيمتها في الحروب ، إذ يجد المجاهدون من يوفر لهم الطعام والماء ، ويغنيهم عن مهمة الانشغال بالجرحى والشهداء ، وبهذا يتفرغون لقتال العدو ويتمكنون من مضاعفة جهودهم في القتال ، وينصرفون إلى مهمتهم بكل نشاط وحيوية .

نشاط

اذكر بعض الأعمال الأخرى التي يمكن أن تشارك فيها المرأة اليوم في الجهاد .

أهمية دور المرأة في الدعوة

النساء شقائق الرجال ، وهن مكلفات في معظم الأحكام الشرعية بما كُلف به الرجال ، إلا أن للمرأة في الإسلام أحكاماً خاصة تتعلق بطبيعتها تكوينها الجسدي والنفسي .
وكما أن الرجل مكلف بمهمة الدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكذلك المرأة مكلفة بذلك ، ولها دور كبير في المهمة الجميلة ، فهي أم ومربية ومعلمة تصنع الرجال ، وتضع اللبنة الأولى في بناء شخصية الإنسان منذ طفولته وتوجهه نحو الفضيلة والخلق الكريم ، وتغرس فيه محبة الخير والعلم والدين ، واحترام غيره ، ولذلك قالوا:
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
هذا الدور تقوم به الأم والمربية والمعلمة ، وكل امرأة لها عمل مماثل ، وهي كذلك أخت أو زوجة أو قريبة ، تسعى إلى الإصلاح والدعوة إلى الخير والمعروف ، وتحث على البر والصلة والاستقامة ، والابتعاد عن الشر والفساد ، فالزوجة التي تنهى زوجها عن كسب الحرام ، والبعد عنه مهما كثر وأغرى ، والاكتفاء بالحلال وإن قل ، إنما تؤدي دوراً كبيراً في تماسك أسرتها وبناء المجتمع .
والأم التي تربي طفلها على الصدق والأمانة ، وحب الخير ، ومساعدة غيره واحترام الآخرين ، إنما تبني جيلاً يكبر به الوطن وتقوى بأمثاله الأمة .

(١) سورة الفتح ، الآية (١٠) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الجهاد ، باب غزوة النساء مع الرجال .

إن مجالات المرأة في الدعوة واسعة ومتنوعة إذا أدركنا المعنى الحقيقي للدعوة، وكيف يمكن لكل فرد من الرجال والنساء أن يؤدي دوره المناسب له في مجالاتها الواسعة المتشعبة التي تشمل مختلف نواحي الحياة، وبخاصة المجالات النسائية، كالمدارس والجمعيات والاتحادات النسائية والبيوت، حيث تلتقي النساء في اجتماعاتهن في المناسبات المختلفة، فهناك موضوعات خاصة تكون المرأة الداعية المتعلمة، أقدر من الرجل وأنسب في بيانها وإيضاحها لبنات جنسها.

كما أن لها دوراً مميزاً في المجالات النسائية، ومؤسساتها المختلفة التي يمكنها أن تكون أكثر عطاءً وإيجابية من الرجل في أمور المرأة الخاصة.

وهكذا يتبين أن المرأة والرجل يكمل كل منهما دور الآخر في مسيرة الحياة بكل أبعادها ومجالاتها، فالله تعالى جعل لكل منهما خصائص تناسب دوره في هذه الحياة، والذين يريدون للمرأة أن تكون رجلاً، أو للرجل أن يكون امرأة، يخالفون الفطرة التي فطر الله الناس عليها، سيبقى الأمر عند هؤلاء معوجاً لا يستقيم بحال ما دام يخالف هذه الفطرة الربانية السليمة.

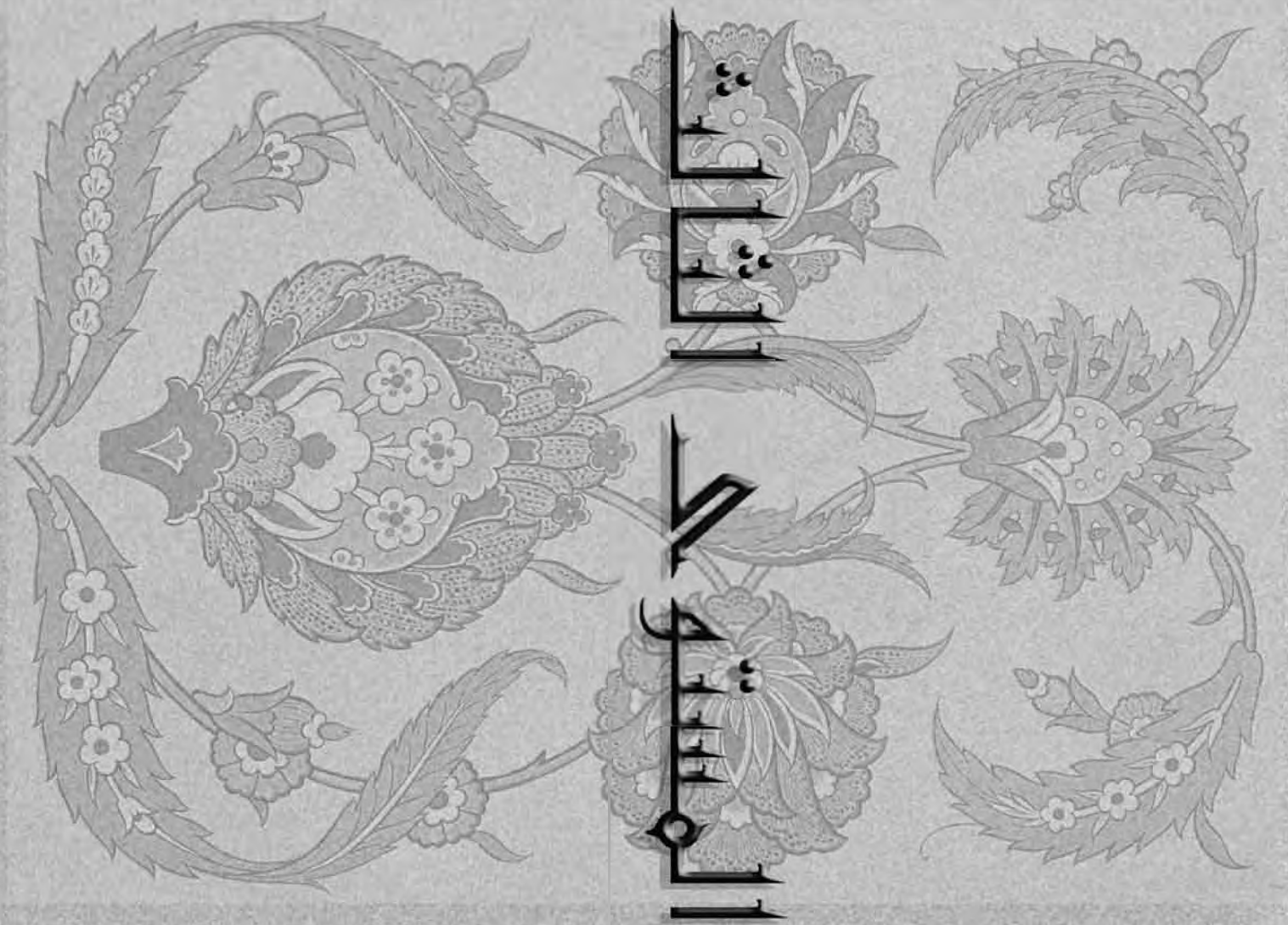
فالمسلم والمسلمة لا ينبغي أن يكون إمعة لا يدري أحدهما ماذا يصنع، حيران لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بل إن لكل منهما شخصيته الإسلامية المستقلة التي تميزه عن غيره ممن لا يدينون بهذا الدين الرباني القويم، تمكنه هذه الشخصية الكاملة المتميزة من القيام بدوره، سواء أكان في الدعوة أم في غيرها من مجالات الحياة المتنوعة.

الأسئلة

- 1- اضبط اسم الربيع بنت معوذ بالحركات.
- 2- بين صلة قرابة الربيع بنت معوذ برسول الله ﷺ.
- 3- كان للصحابية الجليلة الربيع بنت معوذ دور كبير في الدعوة، وضح ذلك.
- 4- تحدث عن تكامل دور المرأة والرجل في الجهاد في سبيل الله تعالى.
- 5- قامت الربيع بنت معوذ بدور المرأة المسلمة المكمل لدور الرجل زمن النبي ﷺ، وضح هذا الدور.

نشاط

ارجع إلى كتاب (المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله) للدكتور علي عبد الحليم محمود، واخص في نقاط أهم ما جاء في الفصل الأول من الباب الثالث.



الوحدة الثامنة

مدخل إلى دراسة العلوم الإسلامية

وتشتمل هذه الوحدة على:

- طلب العلم .
- أقسام العلم عند المسلمين .
- مناهج البحث عند المسلمين (المفهوم والخصائص).

امتازت الشريعة الإسلامية باهتمامها بالعلم، وحثها على تعلمه وتعليمه، فكانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً تدعو إلى العلم والتعلم. قال الله تعالى:

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾

فكانت هذه الآيات إيذاناً بنشر العلم بين الناس، وإخراجهم من ظلمات الجهل الذي كانوا فيه، فما معنى العلم؟ وما فضله؟ وما حكمه؟ وما مصادره؟ وما طرق تحصيله؟

أولاً : معنى العلم

العلم لغة: نقيض الجهل
العلم اصطلاحاً: إدراك الأشياء وفهمها على حقيقةتها.

ثانياً : فضل العلم

دعا الإسلام إلى العلم، لفضله العظيم الذي يعود على المجتمع والأفراد، بالفضائل الآتية :

١- القضاء على الجهل، فقد منَّ الله تعالى على الإنسان بتعليمه الخط والكتابة،

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ (٢)

٢- فهم حقائق الأشياء وإدراك ما يحدث في الكون، فيسهل التعامل معه، والإفادة مما أودعه الله تعالى فيه من منافع .

٣- تأهيل الإنسان للاستخلاف في الأرض وتمكينه من الانتفاع بموجودات الكون بتسخير ما فيه لمصلحته قال الله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣)

وقال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ. وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَسَلَّكُمُ نَسُكُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾

(١) سورة العلق الآيات (١-٥)

(٢) سورة العلق الآيات (٤)

(٣) سورة البقرة الآية (٣١)

(٤) سورة الجاثية الآيات (١٢، ١٣)

- ٤- تفعيل دور الأمة في بناء الحضارة الإنسانية وازدهارها وحفظ هويتها وسيادتها بين الأمم.
- ٥- إعطاء العلماء منزلة رفيعة بين الناس من خلال ما يقدمون من خدمات جليلة لأمتهم. من نشر للعلم بين الناس، وإزالة للجهل، وتعريفهم أحكام دينهم، وكشف أسرار الكون ليسهل عليهم تسخير موجوداته لمنفعتهم.
- قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)

ثالثاً : حكم طلب العلم وأدلته

يعني طلب العلم: دراسة العلوم والإلمام بها من جوانبها جميعها، وفهمها على حقيقتها وفهم القصد منها. وطلب العلم فرض عين على كل مسلم ومسلمة في العلوم الدينية التي يجب على كل مسلم معرفتها مثل العلم بأن الله واحد، وحكم تعلم ما عداها من العلوم الدينية فرض على الكفاية، أما العلوم الدنيوية فتعلمها فرض كفاية على الأمة الإسلامية، فلا يجوز أن تخلو الأمة من هذه العلوم.

الأدلة على طلب العلم

جاءت النصوص الشرعية تحث على طلب العلم، إذ بدأ القرآن الكريم الأمر بالقراءة والتعلم في سورة العلق، وجاء الأمر بالاستزادة من العلم، فقال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢)

وجعل الشرع العلم سبباً لدخول الجنة، قال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٣)، وفضل الشرع العلماء على غيرهم، ونوّه بفضلهم، فقال الله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)

رابعاً : مصادر العلم

مصادر العلم في الإسلام ثلاثة هي السمع والبصر والفؤاد، وفيما يأتي تعريف عام بها.

١- السمع: السمع نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، فعن طريقه يستطيع الإنسان الحصول على كثير من المعارف، وعن طريقه وصل إلينا كثير من معارف الأمم حديثها وقديمها، من الأحداث التاريخية، وعن طريقه وصل الوحي الإلهي للإنسان، ويتعلم الإنسان عن طريق السمع المعلومات التي لم يرها، ولكن رآها غيره، أو انتقل خبرها إليه.

ويدخل في ذلك عالم الغيب الذي يعجز العقل عن إدراكه، وهو الوحي الإلهي الذي جاء به الأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام، فمجال السمع هو الخبر الصادق الذي لا يقع تحت التجربة والاختبار.

٢- البصر: ومن فضل الله تعالى على الإنسان أن وهب له البصر حتى يرى الأشياء ويعرفها ويتدبرها.

(١) سورة المجادلة الآية (١١)

(٢) سورة طه الآية (١١٤)

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم. سنن الترمذي، كتاب القراءات، باب ١٢.

(٤) سورة الزمر الآية (٩)

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ ﴾ (١)

٣- الفؤاد: (العقل): إذ به تدرك الحقائق والأشياء التي تصله عن طريق السمع والبصر وغيرها من الحواس. وقد ربط الإسلام بين مصادر العلم السابقة قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُورًا ﴾ (٢)

خامساً : طرق طلب العلم

حث الإسلام على طلب العلم لمكانته العظيمة، وقد تنوعت طرق طلب العلم قديماً وحديثاً وفيما يأتي بيان لبعض طرق طلب العلم قديمها وحديثها.

١- الرحلة

اهتم العلماء المسلمون بالانتقال من بلد إلى بلد في طلب العلم لفوائده العجمة، ومن هذه الفوائد:

أ - التحقق والتثبت من المعلومات التي تصل إلى العلماء، وبخاصة علم الحديث، إذ كان علماء الحديث ينتقلون من مكان إلى آخر، ومن إقليم إلى آخر، قاطعين المسافات الشاسعة، متحملي المشاق لأجل التثبت من حديث أو خبر.

ب - نشر العلم الذي حصله العالم، فبخروج العالم إلى بلد آخر يحمل معه علمه، ويلقيه على الآخرين فينتفعون به.

ج - التمكن من الجوانب العلمية، إذ بالرحلة يتسع أفق الإنسان ويطلع على مسائل جديدة لم تكن معروفة لديه، لعدم توافرها في بلده أو بيئته، ويؤدي هذا الاطلاع إلى تغيير الاجتهادات مثلما حصل مع الإمام الشافعي الذي أفتى في مسائل في العراق، ولما انتقل إلى مصر أفتى بغير ما أفتى به في العراق، لاختلاف البيئة.

ومن الصور المعاصرة للرحلة في طلب العلم السفر إلى المؤتمرات العلمية والندوات والمجامع الفقهية التي تعقد في البلاد المختلفة ويدعى إليها المختصون وكذلك السفر لإكمال الدراسة خارج البلد الواحد.

د - إتاحة الفرصة للتعرف بين العلماء، وهذا يقوي الصلة والتعاون بين العلماء المسلمين ويثمر نتائج طيبة للعالم الإسلامي.

وقد صنّف العلماء المسلمون اهتماماً منهم بالرحلة في طلب العلم مؤلفات في ذلك منها: (الرحلة في طلب الحديث) للخطيب البغدادي.

وقيل في فوائده السفر:

سافر، تجد عوضاً عما تفارقه
أنّي رأيت وقوف الماء يفسده
والأسد لولا فراق الغاب ما افترست
والتبر كالترب ملقى في أماكنه
وانصب، فإن لذيد العيش في النصب
إن سال طاب، وإن لم يجر لم يطب
والسهم لولا فراق القوس لم تصب
والعود في أرضه نوع من الحطب

(١) سورة الفاشية الأيتان (١٧، ١٨)

(٢) سورة الإسراء الآية (٣٦)

٢- الملازمة: وهي الجلوس إلى العلماء لتحصيل العلم، وتكوين الشخصية العلمية للمتعلم، وقد كان المتعلم في العصور الإسلامية الأولى يلازم عالماً يأخذ عنه العلم ثم ينتقل إلى غيره وقد سار على هذا النهج فقهاء المسلمين وعلمائهم فعلى سبيل المثال سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى كيف تعلم ودرّس؟ فقال: «كنت في معدن العلم والفقّه فجالست أهله، ولزمت فقيهاً من فقهاءهم».

وينبغي على طلبة العلم ملازمة معلمهم والإفادة منهم والحرص على حضور دروسهم ومحاضراتهم.

٣- الالتحاق بالمؤسسات التعليمية: يمكن للطالب الالتحاق بواحدة من هذه المؤسسات أو بها كلها طالباً للعلم حسب قدراته العلمية، والمؤسسات التعليمية متنوعة ومتعددة بحيث تناسب كل فئات الأعمار، وقدرات الطلبة على التحصيل العلمي، فهناك الكتاتيب (دور تحفيظ القرآن الكريم في عصرنا هذا) التي تعنى بتعليم القرآن الكريم وهناك المدارس الأساسية والثانوية، ثم المعاهد المتوسطة والجامعات، وتعمل هذه المؤسسات التعليمية على تقديم العلم والمعارف للطلبة على اختلاف أنواعها، والارتقاء بالمستوى التعليمي للطلبة حتى يكونوا على درجة كبيرة من الوعي والمعرفة.

٤- التعلم عن طريق وسائل الاتصال المعاصرة: نظراً لتطور الحياة فقد ظهرت وسائل معاصرة يمكن الاستفادة منها لنشر العلم بين الناس ليصل إلى كل فئات المجتمع، ومن هذه الوسائل الإذاعة، والتلفاز، والصحافة، وأشرطة التسجيل، والحاسوب، والشبكة المعلوماتية (الإنترنت)، إذ يمكن بهذه الوسائل وغيرها نشر العلوم الشرعية منها والدينية، فتصل إلى كل أفراد المجتمع، فيفيدون منها بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير.

الأسئلة

- ١ - ما المقصود بالمفاهيم الآتية: العلم، طلب العلم، الملازمة؟
- ٢ - اذكر ثلاثاً من فضائل العلم تعود على المجتمع.
- ٣ - اذكر دليلين شرعيين يحثان على طلب العلم.
- ٤ - ما حكم الشرع في تعلم العلوم الدينية، والعلوم الدنيوية؟
- ٥ - السمع من مصادر العلم ونشره، بين ذلك.
- ٦ - من طرق طلب العلم الرحلة، وضح ذلك.
- ٧ - من فوائد الرحلة في طلب العلم التمكّن من الجوانب العلمية، وضح ذلك.
- ٨ - الملازمة لطلب العلم من طرق تحصيل العلم، بين ذلك.
- ٩ - كيف تفيد من وسائل الإعلام في نشر العلم؟
- ١٠ - قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

أخي لن تنال العلم إلا بسة
دكاء وحرص واجتهاد وبلغه
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
وصحبة أستاذ وطول زمان
- وضح من خلال البيتين السابقين متطلبات التعلم الجيد في نظر الإمام الشافعي.

أقسام العلوم عند المسلمين

يعتمد الباحث في أي علم من العلوم إلى تحديد مكوناته، وعلاقته بالعلوم الأخرى معتمداً في ذلك على الوحدة الموضوعية أو التشابه بين أصناف العلوم المتعددة، فيجعل كل صنف من العلوم المتشابهة في قسم مستقل ويعطيه اسماً خاصاً، وقد قام العلماء المسلمون بتقسيم العلوم إلى عدة أقسام هي:

أولاً: أقسام العلوم من جهة الموضوع

- ١- علوم دينية: وهي التي تتعلق بأمور الدين وتعاليمه وقيمه وأحكامه، وتنظم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وبالآخرين أفراداً وجماعات، وتنظم العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول.
- ٢- علوم دنيوية: وهي التي تتعلق بأمور الدنيا التي يحتاج الناس إليها حتى تستقيم حياتهم وتزدهر، ويتمكنوا من الاستمرار في عيشتهم، مثل علم الطب، والهندسة، والصناعات المختلفة التي لا غنى للأفراد والمجتمع عنها، ودونها يقع الناس في المشقة والحرَج.

ثانياً: أقسام العلم من جهة وجوب التعلم

- قسم العلماء العلم من هذه الجهة إلى قسمين هم:
- ١- ما كان تعلمه فرض عين على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى، مثل العلم بأن الله واحد، واتصافه بصفات الكمال، والعلم بفرائض الإسلام، وحلاله وحرامه مما يحتاج إليه المسلم في حياته ومعاملاته، فكل ما كان معلوماً من الدين بالضرورة كان تعلمه واجباً على كل مسلم مكلف.
 - ٢- ما كان تعلمه فرض كفاية، وهو العلم الذي ترتبط به مصالح الناس والمجتمع ويترتب على تركه حرج للناس، كالطب، والحساب، والصناعات، والهندسة، والفلك، فلا يجوز أن يخلو بلد من هذه العلوم حتى لا يقع الناس في حرج، لأن الشريعة جاءت لرفع الحرج عنهم، قال الله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١)

وبتعلم هذه العلوم تقوى الأمة وتكون لها الرفعة والتقدم وتكون عزيزة مهيبة الجانب.

(١) سورة الحج، الآية (٧٨)

ناقش مع زملائك الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية.

ثالثاً : أقسام العلوم من جهة مصدرها

قسم العلماء العلوم من هذه الجهة إلى قسمين هما:

- ١- علوم نقلية: وهي التي وصلت إلينا عن طريق الوحي، وأصل هذه العلوم كلها الكتاب والسنة وقد تفرع عنها علومٌ كثيرة، منها علوم التفسير، والحديث، وأصول الفقه، والفقه، والقراءات. وسميت هذه العلوم علوماً نقلية على اعتبار أن مصدرها الكتاب والسنة وهما الدليلان المثنوقلان عن الوحي.
- ٢- علوم عقلية: وهي التي يهتدي إليها الإنسان بفكره وتجاربه، فيعرف موضوعاتها، ومسائلها، وبراهينها، ووجوه تعليمها، مثل الرياضيات، والهندسة، والحساب، وغيرها، والتي تخاطب العقل وتحثه على التفكير، بخلاف العلوم الغيبية المتعلقة بالملائكة والجنة والنار والآخرة التي لا قبل للعقل بالوصل إليها منفرداً.

الأسئلة

- ١- بين أقسام العلوم من الوجوه الآتية:
الموضوع، وجوب التعلم، المصدر
- ٢- عرّف المفاهيم الآتية:
أ - العلوم النقلية.
ب - العلوم العقلية.
- ٣- بيّن العلماء أن بعض العلوم لا يجوز أن تخلو منها الأمة حتى لا يقع الناس في الحرج، وضح ذلك.

مناهج البحث عند المسلمين (المفهوم والخصائص)

الدرس الثالث

يحتاج الكشف عن حقيقة علمية، أو بيان حكم شرعي في مسألة معينة، أو الحكم على قضية منطقية إلى منهج محدد يتبعه العالم للوصول إلى هذه الأمور، فما المراد بمنهج البحث؟ وما خصائصه؟

أولاً: مفهوم المنهج

المنهج لغة: الطريق، قال الله تعالى ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾^(١) والمنهج اصطلاحاً: الطريق الذي يسلكه العالم في تقصّيه للأمر في أي فرع من فروع المعرفة، وفي أي ميدان من ميادين العلوم النظرية والعملية. ويفهم من ذلك أن لكل علم من العلوم سواء كانت نظرية أو تطبيقية منهجه الخاص بالبحث فيه.

ثانياً: خصائص مناهج البحث عند المسلمين

امتازت مناهج البحث عند المسلمين بعدة ميزات منها:

١- **ربانية الغاية:** ويقصد بذلك أن الدافع إلى البحث لدى المسلمين هو امتثال أمر الله عز وجل وطلب مرضاته حيث جعل طلب العلم فرضاً على كل مسلم ومسلمة، ودعا الإسلام الإنسان إلى التفكير في الظواهر الكونية، وربط الأحداث بعضها ببعض للوصول إلى النتائج حتى يكون الإنسان على بينة من أمره، وقد تعددت الآيات الكريمة الداعية إلى ذلك منها قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٢)

وقد فهم المسلمون هذا التوجه الإلهي فجعلوه منطلقهم في البحث، وساروا على نهجه في دراستهم للعلوم على اختلافها، فكان الدين منطلقهم لدراسة العلوم وفهمها وتسخيرها لمصلحة البشرية ونفعها.

(١) سورة المائدة، الآية (٤٨). والشرعة في اللغة الطريق الذي يوصل إلى الماء، والشرعة ما شرع الله للناس من أحكام.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

٢- الواقعية: حثّ الإسلام على البحث في الأمور ذات الصلة بواقع الحياة، بحيث يمكن للعقل الإنساني إدراكها، أما عالم الغيب، فلم يكن من الأمور الخاضعة للبحث العلمي عند المسلمين لأن الإنسان لا يصل فيه إلى نتيجة بعقله المجرد مثل الجنة والنار والملائكة، ويعتمد المسلمون في أمور الغيب على الوحي الذي هو المصدر الوحيد لها، وما عدا ذلك من العلوم يخضع للبحث العلمي دراسة وتحقيقاً وتمحيصاً.

٣- الموضوعية: يؤكد الإسلام على الباحث أن يرى الحقيقة كما هي لا كما يريد أن يراها، بمعنى أن يكون الباحث محايداً، لأن الهدف من البحث الوصول إلى الحقائق سواء أوافقت هواه أم لم توافقه، فالعلم عبادة، ويحتاج ذلك إلى الإخلاص والتجرد، ولقد نهى الإسلام عن اتباع الهوى، قال الله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

نشاط

هل تستلزم الموضوعية تجرد المرء عن كل فكرة عقلية سابقة خاصة بالشيء المراد ملاحظته أو إجراء التجارب عليه؟ ولماذا؟

٤- الشمول: امتازت مناهج البحث، عند المسلمين بالشمول، فقد وضع العلماء المسلمون قواعد لتحصيل شتى العلوم، مراعين في مناهجهم طبيعة كل علم من العلوم على حدة، فكان لكل مجال من مجالات العلوم منهج خاص للوصول إلى حقائقه، فهناك المنهج القياسي، والمنهج الاستقرائي، وغيرهما مما عرف المسلمون من مناهج البحث، ولقد كشفت البحوث العلمية الحديثة حقيقة تنوع المناهج بتنوع البحوث والغايات.

الأسئلة

- ١- عرّف المنهج لغة واصطلاحاً.
- ٢- عدّد ميزات مناهج البحث عند المسلمين.
- ٣- من خصائص مناهج البحث، عند المسلمين ربانية غايتها، وموضوعيتها، وضّح هاتين الخاصيتين.
- ٤- امتازت مناهج البحث عند المسلمين بالشمول، بيّن ذلك.

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٥).

الوحدة التاسعة

علم التوحيد (العقيدة الإسلامية)

وتشتمل هذه الوحدة على:

- توحيد الله تعالى .
- العقيدة الإسلامية (مفهومها ، منهج القرآن في بنائها) .
- التقليد في العقيدة .
- الأدلة على وجود الله تعالى (١) (دليل الفطرة ودليل السببية) .
- الأدلة على وجود الله تعالى (٢) (دليل الإتيان) .
- ارتكاب الكبائر .
- عصمة الأنبياء .
- عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وختمها للرسالات .
- دعاء الأحياء للأمم وقبول الصدقات عنهم .

توحيد الله تعالى

توحيد الله عز وجل هو الهدف العظيم الذي نزلت من أجله الرسائل الإلهية إلى الأمم والشعوب، ليكونوا عباداً لله تعالى وحده، فما معنى التوحيد؟ وما أنواعه؟ وكيف نرد على من ينكر وحدانية الله تعالى؟

أولاً: تعريف التوحيد

التوحيد لغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد. التوحيد اصطلاحاً: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى واحد في ذاته وأفعاله وصفاته، فهو الخالق المتصرف في الوجود، المستحق للطاعة المطلقة، المتصف بصفات الكمال، المنزه عن صفات النقص والاحتياج.

ثانياً: أنواع التوحيد

الإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيداً في ثلاثة أمور، في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، وفيما يأتي تبين لذلك:

- ١- توحيد الربوبية: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق في الكون بالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، وغير ذلك من الأفعال، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه وتعالى.
- ٢- توحيد الألوهية: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو وحده المستحق للعبادة، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، وهذا التوحيد مبني على إخلاص العبادة لله في كل عمل يقوم به المسلم. وتوحيد الألوهية يتضمن جميع أنواع التوحيد، فهو يتضمن توحيد الله في ربوبيته، وتوحيد الله في أسمائه وصفاته، والسبب في ذلك أن من يفرد الله في العبودية يؤمن بأن الله رب العالمين، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة.
- ٣- توحيد الأسماء والصفات: ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال، وأنه منزّه عن جميع صفات النقص ويتحقق ذلك بأن ثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه في القرآن الكريم، وما أثبتته له الرسول ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في السنة النبوية الشريفة، فيجب علينا أن نثبت لله أنه سميع بصير، عليم، رحيم، قال الله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) وقال تعالى ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢)

(١) سورة الشورى، الآية (١١).

(٢) سورة الإخلاص، الآية (٤).

ثالثاً: الرد على منكري وحدانية الله تعالى

عرفت أن صفة الوحدانية من أهم صفات الله تعالى فهو واحد في ذاته وصفاته وفي أفعاله، وهو - وحده - الإله الحق، وهذا يعني نفي التعدد عنه. والأدلة على منكري التوحيد كثيرة من النقل والعقل، أما الأدلة النقلية من القرآن فهي كثيرة. منها قوله تعالى:

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١﴾ ﴾

وتدل هاتان الآيتان أنه لا توجد آلهة تشارك الله في خلق الكون وتدييره، وذلك أن وجود الآلهة المتعددة يؤدي إلى فساد الكون كله، فلو كانا اثنين وأراد أحدهما أمراً، فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعتها، كان الثاني قوياً قاهراً، والأول ضعيفاً قاصراً. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٢)

ومنها قوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَافَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٣﴾ ﴾

وتنفي هذه الآية وجود آلهة متعددة، ذلك أنه لو كان مع الله إله خالق، لجمع كل خالق مخلوقاته، وتصرف بها كما يشاء تصرفاً مستقلاً، ولا بد أن يحدث خلاف بين الآلهة المتعددة، فقد يريد واحد منهم أمراً ويريد آخر عكسه فيكون النزاع، ثم يكون علو بعضهم على البعض الآخر، إذ يتغلب الأقوى على الأضعف، ولا يستحق الأضعف أن يكون إلهاً.

وهذه الأدلة النقلية تخاطب العقل الإنساني كما ترى، فهي أدلة نقلية وعقلية، وهناك أدلة عقلية كثيرة في هذا الكون شاهدة على وحدانية الله رب العالمين

الأسئلة

- ١- ما المقصود بالمصطلحات الآتية:
- التوحيد، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات؟
- ٢- ما السبب في أن توحيد الألوهية يتضمن أنواع التوحيد الأخرى؟
- ٣- اذكر دليلاً من القرآن، ودليلاً من العقل على وجوب التوحيد.

(١) سورة الأنبياء، الآيتان (٢٢، ٢١).

(٢) سورة الإخلاص، الآيات (١ - ٤).

(٣) سورة المؤمنون، الآية (٩١).

العقيدة الإسلامية (مفهومها، منهج القرآن الكريم في بنائها)

العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية، مصدرها الوحي الإلهي، أنزلها الله تعالى لتوجيه الناس إلى الهدى والنور، وإنقاذهم من الضلالات والأوهام، فما العقيدة؟ وما منهج القرآن الكريم في بنائها؟

أولاً : مفهوم العقيدة الإسلامية

يُقال في اللغة عقد الشيء، أي اشتد وصلب، ويقال: اعتقد فلان الأمر أي صدقه، وعقد عليه قلبه. وأما معنى العقيدة في الاصطلاح: فهي الإيمان الجازم الذي لا يخالطه شك أو ريب. وقد ورد الإيمان في الحديث الشريف بمعنى العقيدة، عندما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

والعقيدة الإسلامية وحدها هي التي تجيب عن التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل بال الإنسان وفكره: من أين جئت؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ ومن الموجد؟ وما صفاته؟ ولماذا خلقنا؟ ولماذا خلق الكون؟ وما دورنا في هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا؟ وهل هناك عوالم غير منظورة وراء هذا العالم المشهود؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها؟ وكيف تكون تلك الحياة؟ كل هذه الأسئلة وأمثالها لا توجد عقيدة تجيب عنها إجابات صادقة مقنعة سوى العقيدة الإسلامية.

والاعتقاد السليم يركز في النفس الإنسانية سبب وجودها ودورها في هذا الوجود، وفرق كبير بين من يعلم فيعيش مطمئناً، وبين من لا يعلم فيعيش في بؤس وشقاء، وصدق الله العظيم:

﴿ أَقْنِ يَمْشِيَ مُكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ ۖ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾^(٢)

واعتماد المسلم بأركان الإيمان يجيب عن كل التساؤلات السابقة، وهذه الأركان في نظر الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، وكل من كفر بواحدة منها، أو بجزئية من لوازمها مما ثبت في القرآن صراحة أو في السنة، فقد حبط عمله، ولا يقبل منه إيمانه ببقية الأركان، وذلك لأنها سلسلة مترابطة الحلقات.

ثانياً : منهج القرآن الكريم في بناء العقيدة الإسلامية

بنى القرآن الكريم العقيدة في النفس الإنسانية على أساسين، الفطرة، والعقل، وفيما يأتي توضيح ذلك:

١- الفطرة: وهي الإحساس الذي خلقه الله في النفس الإنسانية بوجود الله والحاجة إليه، قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾^(٣)

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان.

(٢) سورة المالك، الآية (٢٢).

(٣) سورة الروم، الآية (٣٠).

٢- العقل: يولد القرآن الكريم لدى الإنسان ملكة التدبر لما حوله، ويدعو العقل إلى النظر والتأمل في مظاهر عظمة الله تعالى عن طريقين هما:

أ - النظر في الكون: نصوص القرآن الكريم تبين أن في الكون حشداً هائلاً من الظواهر التي تدل على الله، وتطلب إلى العقل الإنساني النظر والتفكير في هذه الظواهر حتى يصل الإنسان إلى خالقه عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) وقال عز وجل:

﴿وَأَيَّةٌ لَّهُمَّ الْبَلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّارَ فَإِذَا هُمْ مِّنْهَا مُنْجَبُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآءَ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٢)

ب- النظر في النفس: دعا الله سبحانه الإنسان إلى التفكير في النفس الإنسانية، يقول الله عز وجل

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣)

فالتناسق الذي نراه في كل مخلوق يدل على الإبداع الإلهي، قال الله تعالى:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٤)

ثالثاً: منهج الصحابة في تلقي العقيدة عن الرسول ﷺ

كان الرسول ﷺ المرجع في بيان العقيدة، وقوله الفصل في كل سؤال واستيضاح فيها، معتمداً على ما يوحى إليه من ربه، وقد تلقى الصحابة رضوان الله عنهم العقيدة بصفات ونقائنها من رسول الله ﷺ، وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى بقي المسلمون يسيرون على سنن الرسول ﷺ فيما علمهم، ويمكن تلخيص منهج الصحابة في تلقي العقيدة وفهمها فيما يأتي:

- ١- عدم الخوض في الأمور التي يعجز العقل الإنساني عن إدراكها، مثل البحث في ذات الله تعالى.
- ٢- الأخذ بالمعنى اللغوي للآيات المتشابهات في صفات الله دون تشبيه أو تجسيد، وكان دستور الصحابة في ذلك قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٥) لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.
- ٣- الاعتماد على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- ٤- الابتعاد عن الجدل في قضايا العقيدة.
- ٥- جعل العقيدة أساساً لكل أعمالهم في الحياة، فلم يكن الإيمان عندهم مجرد كلمات ينطقونها أو مجرد علم يتدارسونه بينهم، بل كان يقيناً ظهرت آثاره في سلوكهم في الحياة.

(١) سورة النازيات، الآية (٢٠).

(٢) سورة يس، الآيات (٣٧ - ٣٩).

(٣) سورة النازيات، الآية (٢١).

(٤) سورة السجدة، الآيات (٧ - ٩).

(٥) سورة الشورى، الآية (١١).

١- عرّف المفهومين الآتيين:

أ - العقيدة

ب - الفطرة

٢- بيّن أهم التساؤلات التي تجيب عليها العقيدة الإسلامية.

٣- بيّن وسيلة القرآن الكريم في بناء العقيدة في النفس الإنسانية.

٤- وضح منهج الصحابة في تلقي العقيدة الإسلامية عن رسول الله ﷺ.

التقليد في العقيدة

إن معرفة الله هي أسمى المعارف وأجلها، وهي الأساس الذي تقوم عليه العقيدة كلها، فمنها تفرعت المعرفة بالأنبياء والرسل، وعنها تشعبت المعرفة بعالم الغيب من الملائكة والجن والروح، وعنها انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة وما وراءها من الحياة الأخروية، والعقل من أهم الوسائل التي توصل الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى، فلا يسوغ لعاقل أن يلجأ في ذلك إلى التقليد، لما فيه من كف للعقل عن العمل والنشاط، فما معنى التقليد؟ وما حكم التقليد في العقيدة؟ وما موقف القرآن الكريم من التقليد في العقيدة؟

أولاً : مفهوم التقليد في العقيدة

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق.
التقليد اصطلاحاً: الاتباع والمحاكاة في القول والعمل دون حجة أو دليل.

ثانياً : موقف القرآن الكريم من التقليد في العقيدة

رفض القرآن الكريم التقليد في العقيدة وعدّه مانعاً للعقل من الانطلاق، ومعوفاً عن التفكير، ولذلك فقد أثنى الله على الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين يخلصون في طلب الحقائق، ويميزون بين الأشياء بعد البحث والتحصيل، فيأخذون ما هو حسن ويدعون غيره بعيداً عن التقليد الأعمى دون تبصّر يقول الله تعالى:

﴿..... فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَٰئِبِ ﴿١٨﴾﴾ (١)

كما ندد القرآن الكريم بالمقلدين الذين لا يفكرون إلا بعقول غيرهم، ويجمدون على القديم المألوف، يقول الله عز وجل:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ لَافْعَلُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢)

لقد كان التقليد وما زال من أقوى الأسباب التي تصرف الناس من اتباع الحق بالرغم من وضوح آياته ودلائله، والتمسك بالموروث مع وضوح زيفه وبطلانه، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الله تعالى عن حال الأقوام السابقين الذين رفضوا الإيمان وتمسكوا بالموروث الباطل قال الله تعالى:

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ﴾ (٣)

(١) سورة الزمر، الأيتان (١٧، ١٨).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٠).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٧٠).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

ثالثاً : حكم التقليد في العقيدة

لقد أجمعت الأمة على وجوب معرفة الله تعالى معرفة يقينية لا تحصل بالتقليد، لأن المقلد ليس معه إلا الأخذ بقول من يقلده، ولا يدري أهو صواب أم خطأ؟
وأيضاً فإن عموم قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْغُولًا ﴾ (٢)

وقوله عز وجل : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٣) يقضي بمنع التقليد، لأن التقليد هو الأخذ بقول الآخر من غير معرفة دليله، وهو لا يفيد العلم، ومعرفة الناس بخالقهم من الأمور التي فطرت عليها نفوسهم، وجبلت عليها طباعهم، والتقليد مناف تماماً للفترة، ومناقض للعقل. ولا يجهل فضل العلم، إلا الذين فقدوا عقولهم، أو لا يستعملونها وهؤلاء في حكم الدواب، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا نَعْمًا بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (٤)

ويجدر بالمسلمين أن لا يكونوا مقلدين في إيمانهم، بل عليهم أن يعلموا الأدلة ولو إجمالاً.

الأسئلة

- ١- ما معنى التقليد في العقيدة؟
- ٢- بين موقف القرآن الكريم من التقليد، مع الأدلة.
- ٣- وضح حكم التقليد في العقيدة، مع التعليل.

(١) سورة هود، الآية (٥٢).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

(٣) سورة محمد، الآية (١٩).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٧٩).

الأدلة على وجود الله تعالى (١) (دليل الفطرة ودليل السببية)

الإيمان بوجود الله تعالى هو المحور الذي تدور حوله أمور العقيدة كلها، والأدلة على وجود الله تعالى كثيرة، لا حصر لها، فإن في كل ذرة من ذرات الكون خلقاً متقناً، ونظاماً بالغ الدقة، لا يملك كل ذي عقل أمام ذلك إلا أن يخسر ساجداً لمن خلق وأبدع. ومن أدلة وجود الخالق دليل الفطرة الإنسانية، ودليل السببية، فما الفطرة؟ وكيف تدل الفطرة الإنسانية على وجود الله تعالى؟ وما السببية؟ وكيف نستدل بها على وجود الخالق عز وجل؟

أولاً: مفهوم الفطرة

الفطرة لغة: هي الخلق التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، والطبيعة السليمة التي لم يشبها عيب. الفطرة اصطلاحاً: الإحساس الذي خلقه الله في النفس الإنسانية بوجود الله والحاجة إليه.

ثانياً: الإيمان بوجود الله أمر فطري في النفس الإنسانية

إذا تأمل الإنسان في نفسه وفي الكون من حوله يعثره شعور بوجود قوة كبرى، هو في حاجة إليها مهيمنة على الكون، تدبره وتنظمه، وتتصرف فيه بالحياة والموت، والبقاء والفناء، والحركة والسكون، وجميع أنواع التغييرات الحكيمة التي تجري فيه.

إن الإنسان يشعر بهذه الحقيقة، ويؤمن بها إيماناً عميقاً، سواء استطاع أن يقيم الدليل العقلي على صدق هذا الشعور أم لم يستطع، فدليل الفطرة شاهد حق يسبق كل الأدلة على وجود الله تعالى.

ومن الأمثلة الفطرية الشاهدة على وجود الخالق عز وجل هداية الطفل حديث الولادة بفطرته الأولى إلى الرضاعة، دون أن يتعلم ذلك من معلم، ودون أن يدركه بدليل عقلي.

وإقدامنا على الأكل بإحساس الجوع سواء علمنا أن الأكل وسيلة من وسائل حياتنا أم لم نعلم. ومن الإحساسات الفطرية الصادقة فينا، إحساس الإنسان بوجود الخالق، وتلهفه دائماً لمعونته وإمداداته، وشعوره بحاجة هذا الكون الكبير إلى قدرته، وعلمه وحكمته سبحانه.

إنه شعور فطري تشترك بالإحساس به جميع الخلائق المدركة، على اختلاف نزعاتها، ومستويات ثقافتها، إنه شعور مشترك بين جميع الناس، يقوم في نفس الطفل الصغير، والإنسان البدائي، والإنسان المتحضر، والجاهل، والعالم، كل هؤلاء يشعرون بشعور مشترك، أن الله هو حقاً واجب الوجود.

ثالثاً: الفطرة في القرآن والسنة

أثبت القرآن الكريم الفطرة الإنسانية في آيات كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ فَأَتَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (١)

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن المؤثرات التي تحيط بالإنسان كثيرة، قد تجعله ينحرف عن تلك الفطرة السليمة ومن هذه المؤثرات: التربية الأسرية، قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (٢).

والفطرة التي طمسها الذنوب، قد تتهدد عنها الغيوم، وتنقشع عنها السحب إثر الوقوع في مآزق لا تجد فيه من البشر عوناً، فكم من ملحد عاد إلى الله بعد الضلال، عندما وقع في مصيبة، ولم يجد إلا فطرته الأصيلة ترجعه إلى ربه، فلا يجد نفسه إلا وقد رفع يديه يطلب العون والنصرة، يقول الله تعالى عن مثل هذه المواقف:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلْكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرْيَجَٰ طَيِّبَةً وَفَرَّجُوا بِهَا جِآنَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣)

رابعاً: مفهوم السببية

يشير مفهوم السببية إلى أن شيئاً من المخلوقات لا يحدث بنفسه من غير مُحدث، لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده، ولا يستقل بإحداث شيء، لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه هو. وقد صيغت هذه العلاقة في قانون عرف باسم: (قانون السببية).

خامساً: السببية تدل على وجود الخالق

لقد تقرر في العقول أن المخلوق لا بد له من سبب لوجوده، وهذا ما أردكه راعي الإبل في الصحراء عندما قال: (البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير).

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة عندما أقامت الحججة على المكذبين المنكرين بأمر لا بد للعقول السليمة من

الإقرار به وعدم رفضه، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ أَنْخُلِقُونَ ﴾ (٤)

والناظر في هذا الكون الرحيب، يرى فيه نجوماً وأنهياراً، وبحاراً وأشجاراً، وشمساً وقمرًا وهذه كلها قد أتت من أسباب قد أتت من الأسباب إلى أن تصل إلى السبب الأول الذي أوجد هذه الكائنات كلها وهو الله تعالى.

(١) سورة الروم، الآية (٣٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسام الصبي فمات.

(٣) سورة يونس، الآية (٢٢).

(٤) سورة الطور، الآية (٣٥).

الأسئلة

- ١- ما معنى الفطرة؟
- ٢- اذكر ثلاثة أمثلة على وجود أمور فطرية في الإنسان.
- ٣- اكتب آية من القرآن الكريم تتعلق بدلالة الفطرة على وجود الله تعالى.
- ٤- كيف صَوَّرَ القرآن الكريم وضع الإنسان عندما يقع في إحدى المصائب؟ هات آية كريمة تدل على ذلك.
- ٥- قال عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة» وضح معنى الفطرة في الحديث الشريف.
- ٦- على ماذا ينص قانون السببية؟
- ٧- كيف تستدل بقانون السببية على وجود الخالق؟

نشاط

اكتب مقالة في حدود صفحة واحدة تبين فيها كيف يتفق العقل مع الفطرة على وجود الله تعالى.

الأدلة على وجود الله تعالى (٢) (دليل الإتيان)

هذا الكون الفسيح آية كبرى تنطق بوجود الله سبحانه، فهذا الكون لوحة رائعة، متقنة، صنعها الباري سبحانه وتعالى، والإتيان من سمات هذا الوجود جملة وتفصيلاً، وفي موضوعنا هذا نلمس بعضاً من مظاهر الإتيان في الكون مما يقدمه لنا القرآن الكريم ويكشف عنه العلم الحديث .

أولاً : دليل الإتيان في الكون

هذا الكون الذي نعيش فيه، والنجوم التي تتراءى لنا تبهر الأنظار، والأرض وما عليها من عوالم، وبديع تكوينها ببحرها ويابسها، وجبالها وأغوارها، ووديانها وسهولها وصخورها، وعالم النبات الذي يغطي بقاعها، كل ذلك تقف النفس أمامه حائرة تعتربها الرهبة، ويسيطر عليها الإعجاب بالقوة التي تقف وراء تنظيمه بهذه الدقة الظاهرة لكل ذي بصيرة.

والقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التفكير في الكون، للوصول إلى سر هذه القوة المنظمة قال عز وجل :

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١)

ولا بد أن يقف المتأمل لأسرار هذا الوجود على جملة من الحقائق منها :

- ١- الدقة البالغة في تنظيم هذا الكون، بحيث إن أي تغيير فيه يؤدي إلى الخلل والنقص، والخراب والفساد، فلولا الجاذبية مثلاً لاصطدمت الكواكب والنجوم ولتحطم الكون.
- ٢- الإتيان المدهش في تكوين الإنسان وخلقها، فعالم التشريح لو أخبرنا عن مخطط جسم الإنسان ومدى الإتيان فيه، لدهشت العقول، فأنت تأكل الطعام مركباً من عناصر زلالية ونشوية ودهنية، فالريق يهضم المواد النشوية، والمعدة تهضم المواد الزلالية كاللحم وغيره، والصفراء تهضم الدهون وتحولها إلى زاد للجسم يتغذى به، ويتقوى بما يتولد عنه من طاقة تساعده على القيام بشؤون حياته، فهذا الإتيان والتكامل لا يصدر إلا من إله واحد قادر.

- ٣- الإتيان البديع في عالم الحيوان، وعالم النبات، فالزهرة مثلاً خلقها الله تعالى بألوان زاهية حتى يأتي النحل فيمص رحيقها، وتأخذ معها حبوب اللقاح لتوصلها إلى زهرة أخرى ليتم التلاقح ويكتمل نمو الأزهار.
- والمتبصر في هذا الكون وما فيه من بديع الصنع يستدل على وجود الله تعالى، ويؤمن به، وقد أكد القرآن الكريم ذلك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾^(٢)

(١) سورة يونس، الآية (١٠١).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٩٥).

إن العقل الإنساني إذا لاحظ الإتقان والحكمة في تنظيم هذا الكون، سيدرك أن الخالق أتقن ترتيبه، وأحسن تنظيمه على هذه الصورة التي تدهش الألباب.

ثانياً : دليل الإتقان في القرآن الكريم

لقد نبّه القرآن الكريم إلى مضمون هذا الدليل في عديد من آياته، منها قوله عز وجل:

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُغِرَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١)

وقوله تبارك وتعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَنَاشًا ﴿١١﴾ وقوله تبارك وتعالى:

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ

يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ (٣)

ثالثاً : مظاهر الإتقان التي كشفها العلم الحديث

كلما تقدم العلم، وازدادت المعارف التجريبية، تعرّف الإنسان على دقائق عجيبة من إتقان الصنع في هذه الموجودات الكونية، وازداد إيماناً بالخالق العظيم.

إن هذا الكون يسير وفق نظام دقيق، بل وفق نظام هو غاية في الدقة، ويتمثل هذا النظام بسنن الله الكونية التي وضعها في هذا الكون، والكائنات كلها خاضعة لهذه السنن والقوانين لا تخرج عنها، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

١- إن الشمس تبعد عن الأرض (٩٣) مليون ميل تقريباً، وكلنا يشعر بها وهي ترسل بإشعاعاتها إلينا، ووجود الشمس على هذا البعد المكاني، كما يقرر العلم الحديث أمر ضروري لا بد منه، لتكون الأرض صالحة للعيش عليها، ذلك أنها لو كانت أقرب إلينا مما هي عليه الآن إلى النصف مثلاً، لأحرقت كل شيء. وعلى العكس من ذلك، فلو كانت بعيدة عنا أكثر من بعدها الحاضر، لصارت الكرة الأرضية كلها قطعة جليد متجمدة، لا يستطيع الإنسان ولا الحيوان ولا النبات العيش عليها، قال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (٤) أي وضعها لكل الخلائق الحية النامية.

٢- إن الأرض التي نعيش عليها تدور دورتها اليومية حول محورها بسرعة تبلغ ألف ميل في الساعة الواحدة، وسرعة الأرض بهذه الصورة لا بد منها لبقاء على الأرض، ذلك أن هذه السرعة لو قلت، لصار النهار طويلاً جداً، وفي هذه الحالة تؤثر حرارة الشمس على الأرض لطول النهار، فتحرق النباتات.

(١) عبورة النمل، الآية (٨٨).

(٢) عبورة النمل، الآيات (٦ - ١١).

(٣) عبورة عيس، الآيات (١٧ - ٢٢).

(٤) عبورة الرحمن، الآية (١٠).

٣- ولو كان حجم الأرض أكبر من حجمها الحاضر أو أصغر لاختل نظام الكون، ذلك لأن حجمها متناسب مع سرعتها ومع دورتها.

٤- ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه الآن بمقدار بضع أقدام لامتصت ثاني أكسيد الكربون والأوكسجين، وعند ذلك لا يمكن العيش عليها.

٥- الهواء الذي نستنشقه يشكل الأوكسجين منه (٢١٪)، فلو زادت نسبته في الهواء لما استطاعت الكائنات الحية العيش على وجه الأرض.

٦- قانون الجاذبية، أساس في استقرار الإنسان على وجه الأرض، وبقاء النجوم والكواكب في مجراتها، إذ لولاها لاختل نظام الكون الدقيق وتهدم، وانعدمت الحياة.

ألا يحق لنا أمام هذا الكون وما تكشف لنا من حقائقه أن نؤمن إيماناً راسخاً عن عقل واقتناع بخالقه؟! وزرد ما جاء في قوله تعالى لتقرير هذه الحقيقة:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

٧- أنظمة جسم الإنسان كل واحد منها يدل على عظمة الخالق لها، ودقة صنعه وتنظيمه، فهذه الكلية وما تقوم به بشكل منتظم من فصل البول عن الدم بالرغم من حجمها المحدود دليل على الإتقان، وهذا الدماغ وما يقوم به من ملايين الوظائف وما يحتوي من ملايين الخلايا التي تقوم بهذه العمليات دليل على الإتقان. وهذه الحواس وتركيبها وكيفية عملها، وغيرها الكثير من أعضاء جسم الانسان يدل على عظمة الخالق الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، ونظم جسمه أحسن تنظيم، ووهب له هذه الأجهزة الدالة على إتقان الله تعالى في خلقه.

نشاط

اكتب في دفترك ثلاثاً من الحقائق العلمية التي تدل على الإتقان في هذا الكون غير ما ورد في الدرس.

الأسئلة

- ١- بين ثلاثة من مظاهر الإتقان في خلق السماوات والأرض.
- ٢- نبه القرآن الكريم على الإتقان في الكون في كثير من آياته، هات دليلاً واحداً على ذلك.
- ٣- هناك العديد من الأدلة العلمية على وجود الإتقان في الإنسان، بين ثلاثة منها.

ارتكاب الكبائر

الإنسان مخلوق لديه الاستعداد أن يكون مطيعاً لله أو عاصياً له، وقد قسم العلماء المعاصي التي تقع من المسلم إلى صغائر وكبائر، فما الكبيرة، وما الصغيرة؟ وما حكم مرتكب كل منهما؟ وهل يجوز للمسلم أن يكفر مسلماً إذا ارتكب كبيرة؟

أولاً : تعريف الكبيرة ومعيارها

يُعرّف العلماء الكبيرة بأنها كل ذنب قرن به وعيد شديد كاللعنة، أو الغضب، أو العذاب الشديد في النار مثل الزنا والسرقه والقذف...

وقد شدّد الله سبحانه وتعالى على بعض المعاصي، وتوعد عليها، وهدد من يفعلها بأشد العقاب كالربا، والسرقه، والقذف. وقد أخبر الرسول ﷺ عن بعض المعاصي أنها من الموبقات، أي المهلكات، وذكر شيئاً منها وسماها الكبائر في عدد من الأحاديث، فعن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه قال: كُنّا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر «ثلاثاً»: الإشراف بالله وعقوق الوالدين، وشهادة الزور»^(١) وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات»^(٢).

ثانياً: حكم مرتكب الكبيرة

هناك صنفان من الناس ممن يرتكب الكبائر، صنف يعمل الكبيرة وهو معتقد حرمتها، فإن مات من غير توبة، فإنه يُعذب في النار حسب معصيته، ثم يدخل الجنة، فهو لا يدخل في النار، ولكن إذا تاب مرتكب الكبيرة توبة نصوحاً أو وقعت عليه العقوبة الدنيوية الخاصة بالكبيرة فإن الله يغفر له ذنبه ويدخله الجنة دون عقاب، والصنف الثاني يعمل الكبيرة وهو مستحل لها غير مؤمن بحرمتها، فإن مات وهو على هذه الحال، مات كافراً وخُلد في النار.

ثالثاً : أثر ارتكاب الكبيرة في الإيمان

وإذا كان أهل السنة يقرّون بأن المعاصي من كبائر الذنوب لا تُوقع صاحبها في الردة، إن لم تقترن بسبب من

(١) صحيح مسلم، باب الكبائر وأكبرها.

(٢) صحيح مسلم، باب الكبائر وأكبرها.

أسباب الكفر فإنهم يقولون: إنَّ فعل المعاصي يؤثر في الإيمان، ويؤدي إلى نقصه، بل إن الإكثار من مقارفة المعاصي قد يؤدي إلى الوقوع في الكفر والردة، بإنكار بعض ما جاء به الرسول ﷺ لتبرير مقتضيات الهوى والشهوة، ولأن اتباع الشهوات، واقتراف الذنوب والمعاصي يميت القلب إذا كثرت، فيغدو العاصي يسوغ لنفسه كل ما يفعله، حتى يوقعه في استحلال المعاصي، فيؤدي بصاحبه إلى الكفر.

رابعاً : الاحتياط في تكفير المسلم

ينبغي على المسلم أن لا يتعرض أو ينشغل بتكفير المسلمين أشخاصاً أو هيئات لمجرد أفعال أو أقوال صدرت عنهم، لأن أمر التكفير ليس سهلاً فهو يتطلب التثبت، والاطلاع على نياتهم وسرائرهم وهذا أمر لا يطلع عليه إلا الله تعالى . وقد حذرت الشريعة من الوقوع فيه .
ومن هنا وجب الاحتياط في تكفير المسلم، إلا أن يصدر منه الكفر الصريح الذي ليس له تأويل معقول سوى الكفر كأن ينكر أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، أما من الناحية العملية، فإن الحكم بالكفر على شخص معين في المجتمع الإسلامي يكون من جهات مختصة كالقضاء .
تعلم:
الصغيرة: هي الذنب الذي لا يكون فيه ترك فريضة، ولا ارتكاب ما فيه حدّ.

الأسئلة

- ١- عرف الكبيرة اصطلاحاً.
- ٢- هل اقتراف المعصية يؤدي بصاحبه إلى الكفر؟ لماذا؟ وضح ذلك مع الدليل.
- ٣- هل يؤثر اقتراف المعصية على الإيمان؟
- ٤- بين الحكمة من الاحتياط في تكفير المسلم.

نشاط

ارجع إلى كتاب الكبائر للذهبي، واكتب عدداً من الكبائر ذكرت في الآيات والأحاديث .

يتصف الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بصفات تميزهم عن بقية البشر، ومن الصفات المهمة التي يتصفون بها صفة العصمة، فما معنى العصمة؟ وما الحكمة منها؟ وما الأمور التي تكون فيها؟ وما ضرورتها للرسل والأنبياء؟

أولاً : معنى العصمة

العصمة في اللغة: المنع . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾^(١) أي يمنعك من القتل ويحفظك من أن تقتل، وأما العصمة في الشرع فهي: حفظ الله لأنبيائه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي، ومما لا يليق بهم من الصفات والأفعال كالتقصير في التبليغ، أو كتمان الرسالة، والبخل والجبن، والخيانة وما شابه ذلك. فالرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون، وتتمثل عصمتهم في بعدهم عن اقتراف المعاصي، وعزوفهم عن المحرمات، واجتنابهم لكل ما يخل بالكرامة، أو يحط من قدر الإنسان، فهم صلوات الله عليهم أكمل الناس خلقاً، وأزكاهم عملاً، وأعظمهم سيرة.

ثانياً : الحكمة من العصمة

شاءت حكمة الله تعالى أن يكون الأنبياء معصومين، لأنهم القدوة لأقوامهم في تمثل ما أمرهم الله به، وما يصدر عنهم من أقوال وأفعال، وهم الأسوة الحسنة بشهادة الله لهم، ولذلك أمر الله عز وجل بالافتداء بهم، والتخلق بأخلاقهم، والسير على مناهجهم في جميع شؤون الحياة قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾^(٢)

لذا وجب أن تكون كل اعتقادات الأنبياء، وأفعالهم، وأقوالهم وأخلاقهم بعد الرسالة نابعة من أوامر الله تعالى وشرائعه، من غير أن يداخلها شيء من معصية الله تعالى .

(١) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٢) سورة الممتحنة، الآية (٦).

ثالثاً : الأمور التي تكون فيها العصمة

وعصمة الأنبياء في عدة أمور منها :

١- الأمانة في التبليغ: ويقصد بها أن يبلغ الرسل ما أنزل عليهم من الوحي فلا يكتُمون شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم، فكل رسول مكلف بتبليغ الدعوة والرسالة، ولا يمكن لأحد من الرسل أن يزيد حرفاً على ما نزل عليه أو ينقص حرفاً مما نزل عليه، لأنه يكون قد خالف أمر الله تعالى في التبليغ، وخان الأمانة التي عهدت إليه. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(١)

٢- العصمة من الوقوع في المعاصي: فالأنبياء جميعاً معصومون من ارتكاب المعاصي، فلا تجوز المعاصي بحقهم لأنهم قدوة للناس، ولا يتنافى مع عصمة الأنبياء صدور بعض الأمور التي عاتبهم الله عليها، والتي هي من باب خلاف الأولى مثل موقف النبي ﷺ من عبد الله بن أم مكتوم، وموقفه من الأخذ بفداء الأسرى يوم بدر. لأن هذه الأمور تأكيد على بشرية الرسل عليهم السلام، وأنهم يتلقون من الله تعالى، وأنهم قد يغيب عنهم ما لم ينبههم إليه الوحي الإلهي، وهم غير معصومين من الوقوع في الخطأ فيما يتعلق بأمور الدنيا مثل قصة تأبير النخل.

رابعاً : ضرورة العصمة للرسل والأنبياء

إن العقل والشرع يؤكدان ضرورة العصمة للأنبياء والرسل لما يأتي :

- ١- سمو رسالة الرسول التي تدعو إلى الفضيلة والأعمال (الصالحة) تقتضي أن لا يقوم صاحبها بعمل المعاصي والمنكرات.
- ٢- كونهم قدوة للناس في أقوالهم وأفعالهم، ولن تتحقق القدوة إلا بعصمتهم حيث يسارع الناس إلى الاستجابة لهم والتأثر بهم.

نشاط

بيِّن سبباً آخر لضرورة العصمة واكتبه في دفترك.

(٢) سورة النجم، الآيات (٣ - ٤).

- ١- العقل والشرع يُلزمان القول بعصمة الأنبياء، وضح ذلك.
- ٢- علّل ضرورة موافقة اعتقادات الأنبياء وأفعالهم لأوامر الله تعالى.
- ٣- وضح سببين لضرورة عصمة الرسل والأنبياء.
- ٤- عصمة الأنبياء تكون في عدة أمور منها: العصمة في التبليغ، بين ذلك.
- ٥- الأخطاء البشرية لا تنافي العصمة، وضح ذلك.

خص الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بعدة مزايا وخصائص منها: عموم دعوته لجميع الأمم إلى يوم القيامة، وعالمية رسالته، وختمها للرسالات الإلهية السابقة. فما معنى ذلك؟ وما الذي يميز رسالته عليه الصلاة والسلام لتكون لكل الأمم؟

أولاً : عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وأدلته

عموم الرسالة: يعني أن رسالة سيدنا محمداً ﷺ - وهي الإسلام - جاءت للناس جميعاً، وأنه مبعوث إلى عامة الجن. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١) وقال: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢) وقال ﷺ: (فضلت على الأنبياء بسبب: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون) (٣). وحكى القرآن قول الجن: ﴿ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٤)

نشاط

اكتب في دفترك آية كريمة أخرى تدل على عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ.

واقترضت حكمة الله تعالى أن تكون رسالات الرسل السابقين خاصة بأقوامهم قال تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ (٦) وقال تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (٨)

(١) سورة سبأ، الآية (٢٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب المسجد وموضع الصلاة.

(٤) سورة الأحقاف، الآية (٣١).

(٥) سورة الرعد، الآية (٧).

(٦) سورة هود، الآية (٢٥).

(٧) سورة هود، الآية (٦١).

(٨) سورة هود، الآية (٨٤).

وأن يكون لكل رسالة من الرسائل السابقة شريعة للحياة تناسب حالة القوم الذين أنزلت عليهم وزمانهم وبيئتهم وظروفهم، لصعوبة الاتصال فيما بينهم. لأن النبي لا يقوى على الوصول إليهم جميعاً في آن واحد، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (١)

وقد وَفَّت الشرائع السابقة بحاجة من أنزلت إليهم، ونظمت حياتهم في مرحلة زمنية محددة، لكنها لم تشمل كل الحلول التي تتطلبها حاجة الناس في كل عصر وزمان، ولما استوى للبشرية تلاقى مجتمعاتهم، ونمو علاقاتها، وانتقالها من المرحلة القبلية إلى المرحلة القومية، كانت الحاجة ماسة إلى شريعة شاملة متكاملة تحقق الغاية من جميع الرسائل، وتنظم جوانب الحياة المتعددة للناس جميعاً على مر العصور والأزمان، وهي الشريعة التي جاءت بها رسالة سيدنا محمد ﷺ .

فعالمية رسالة سيدنا محمد ﷺ تعني أنها رسالة عالمية في أحكامها وتنظيمها جوانب الحياة، ومخاطبتها للناس جميعاً حيثما كانوا على مستوى العالم، دون أن تكون لمرحلة زمنية محددة، أو مقصورة على قوم أو جنس معين من البشر، وهي مستمرة باقية، تكفل الله بحفظها من الزيادة أو النقص إلى يوم القيامة، قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢)

وتتحقق عالمية رسالة الإسلام بحملها رسالة هدى وخير إلى العالم لإخراجه من الظلمات إلى النور، ومن ثم على المسلم أن يدرك واجب الأمة الإسلامية في حمل هذه الرسالة وتبليغها إلى العالم من جديد.

ثانياً : رسالة سيدنا ﷺ خاتمة الرسالات الإلهية

أرسل الله تعالى كثيراً من الأنبياء والرسل إلى الأمم السابقة، وختم النبوات والرسالات السابقة بنبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته، فكان عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء، ورسالته خاتمة الرسالات، فلا نبي بعده، ولا رسالة بعد رسالته.

ويعني ختم النبوة: الاعتقاد الجازم أن الله تعالى جعل نبوة سيدنا محمد ﷺ آخر النبوات فلا نبي بعده، وكل من ادعى النبوة بعده فهو كذاب، قال تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٣)

وقال ﷺ: (وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي) (٤). أما ختم الرسالة فيعني: الاعتقاد الجازم أن الله تعالى جعل الرسالة الإسلامية آخر الرسالات الإلهية فلا رسالة بعدها.

(١) سورة المائدة الآية، الآية (٤٨).

(٢) سورة الحجر، الآية (٩).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

(٤) مختصر صحيح مسلم، ج ٢، ص ٢٩٥ .

والحكمة من ختم النبوة بمحمد ﷺ أن العالم أصبح لا يحتاج إلى بعث أنبياء، وإرسال رسل، وتجديد شرائع للناس بعد محمد ﷺ، لأنه لو بُعث رسلٌ وأنبياءُ فلن يُحدثوا شيئاً، ولن يزيدوا على ما جاء به الرسول ﷺ من أسس العقيدة والشريعة، فقد أكمل الله الدين وأتم الشريعة، وحفظها من التحريف والتبديل والضياع .
ومن البدهي الذي لا يقبل الاعتراض أن استمرار القرآن محفوظاً كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ مع استمرار بقاء سيرة الرسول وسنته الميمنة لمعاني القرآن يمثل استمرار وجود الرسول ﷺ فينا، ولهذا يصح أن نقول إن رسول الله موجود بيننا بما أنزل عليه من قرآن ووحى، وبما أثر عنه من قول وعمل وتشريع .
واعتقاد المسلم الجازم بأنه لا نبي بعد محمد ولا رسالة بعد رسالته، يحصنه ضد ادعاءات المكذبين الذين يدعون النبوة بين الحين والآخر، ويجعله أكثر قدرة على رد أكاذيبهم ودحضها.

الأسئلة

- ١- ما معنى عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ؟
- ٢- اذكر دليلاً من القرآن الكريم، ودليلاً من السنة الشريفة على عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ .
- ٣- طبيعة رسالة سيدنا محمد ﷺ جعلت منها رسالة عالمية. وضح هذا القول.
- ٤- ما معنى كل من: ختم النبوة، ختم الرسالة؟
- ٥- لماذا لم يعد العالم بحاجة إلى إرسال الرسل بعد سيدنا محمد ﷺ؟
- ٦- ماذا تستنتج من قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾؟

دعاء الأحياء للأموات وقبول الصدقات والعبادات عنهم

هناك الكثير من الأعمال التي يقوم بها الأحياء من المسلمين تقرباً إلى الله تعالى، رجاء أن يصل ثوابها إلى موتاهم، كالدعاء لهم، وتقديم الصدقات عنهم، وقراءة القرآن على أرواحهم، والحج عنهم، وغير ذلك، فهل يصل ثواب هذه الأعمال للأموات؟ وما حكم استئجار بعض الناس لقراءة القرآن الكريم عن الأموات؟

أولاً: دعاء الأحياء للأموات وتقديم الصدقات وأداء العبادات

ذهب جمهور العلماء من أهل السنة إلى أن الأموات من المؤمنين ينتفعون بأمرين هما:

١- ما فعله الميت في حال حياته من الأعمال الصالحة، واستمر بعد وفاته، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعوا له»^(١).

٢- دعاء المسلمين واستغفارهم للميت، وأداء بعض العبادات عنه، كالصدقة والحج والصيام وغير ذلك.

وأما أداء العبادات ووصول ثوابها للميت، فقد ذهب جمهور العلماء إلى وصولها، ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾^(٢)

فأنتى سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

ودل على انتفاع الميت بالدعاء، الدعاء له في صلاة الجنازة، وكذلك الدعاء له بعد الدفن، وكان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»^(٣).

ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ما ورد أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، إن أمي افتلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها، قال: نعم»^(٤).

ويدل على وصول ثواب الصوم ما ورد عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام، صام عنه وليه»^(٥).

والمقصود بذلك من مات وكان عليه صيام لم يصمه، بسبب مرض أو سفر، ومات دون أن يقضيه، صام عنه وليه من الأحياء.

(١) سنن الترمذي، أبواب الأحكام، باب ما جاء في الوقف.

(٢) سورة العشر، الآية (١٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم.

ويدل على وصول ثواب الحج، أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: «إن أمي نذرت أن تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقصوا الله فإله أحق بالوفاء»^(١).

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢) فهو أمر من الله تعالى للمسلم بالدعاء لوالديه ليصل ثوابه إليهما، ولم لم يكن هذا الدعاء مشروعاً لما أمر به الله تعالى.

ثانياً: حكم قراءة القرآن عن الميت

قراءة القرآن الكريم وإهداء ثوابه للميت أمر مشروع كما تقدم، وبخاصة من الولد لوالديه. وأما استتجار من يقرأ القرآن وإهداء القراءة للميت، فهذا لم يفعله أحد من السلف، وهي من العادات والبدع التي ليس عليها دليل من الشرع. وأما قراءة القرآن وإهداؤه للميت تطوعاً بغير أجره فهو أمر مشروع، فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج.

وقد يتساءل بعض الناس، كيف يمكن التوفيق بين وصول ثواب العبادات من دعاء وصدقة وحج إلى الميت مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤) والجواب: إن ذلك لا يتنافى مع الآيتين الكريمتين المذكورتين، وذلك لأن ما يقوم به الناس من دعاء واستغفار وحج عنه هي من آثار سعيه في حياته، فقد ربي ولدًا صالحًا، وأسدى خيراً لإخوانه المسلمين مما جعلهم يذكرونه بعد وفاته بالدعاء والاستغفار، وأداء بعض العبادات عنه.

تعلم.

افتلتت: ماتت فجأة.

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج والنذور عن الميت.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٤).

(٣) سورة النجم، الآية (٣٩).

(٤) سورة يس، الآية (٥٤).

- ١- إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة أمور، اذكرها.
- ٢- ما الدليل على وصول ثواب الحج إلى الميت؟
- ٣- من مات ولم يستطع صوم رمضان بسبب مرضه، فهل يصل ثواب الصوم عنه؟ ما الدليل على ذلك؟
- ٤- هل يجوز استئجار قوم لقراءة القرآن عن لميت؟ وضح ذلك مع الدليل؟
- ٥- لا يتنافى وصول ثواب الدعاء، وعمل الطاعات للميت، مع قوله تعالى:
﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ^(١) وضح ذلك.

(١) سورة النجم، الآية (٢٩).

الوحدة العاشرة

كلوه القرآن الكريم

وتشتمل هذه الوحدة على:

- علم التفسير .
- ترجمة معاني القرآن الكريم .
- أقسام التفسير .
- نماذج من كتب التفسير .
- إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز البياني) .
- إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز التشريعي) .
- إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز العلمي)
- إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز بالإخبار عن الغيب) .

أمر الله تعالى المسلمين بتدبير آيات القرآن الكريم والعمل بها، ولا يتم ذلك إلا بفهم معانيها، والكشف عن مدلول آياتها، والناس بحاجة إلى تفسير القرآن الكريم، فكان بعض الصحابة يفسرون القرآن، وجاء من بعدهم طائفة من العلماء أسهموا في تفسير القرآن الكريم، حيث نشأ علم خاص بذلك سُمِّي علم التفسير، فما مفهوم علم التفسير؟

أولاً : مفهوم علم التفسير

التفسير لغة: الإيضاح والتبيين، ومنه قول الله تعالى:

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (١)

علم التفسير: هو علم يبيِّن معاني آيات القرآن الكريم ويعين على استخراج الأحكام الشرعية منها.

ثانياً : نشأة علم التفسير

١- بدأ علم التفسير في عصر النبي ﷺ إذ كان الصحابة، رضي الله عنهم، يسألونه عن تفسير بعض الآيات فيفسرها

لهم، ومن ذلك أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (٢)

قال الصحابة: وأينا لم يظلم؟! ففسر النبي ﷺ الظلم الوارد في الآية الكريمة بالشرك مستدلاً

بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣)

وكذلك كان يبادر النبي ﷺ بتفسير آيات القرآن الكريم مثل تفسيره ﷺ للقوة في قوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٤) بالرمي، في قوله ﷺ: (ألا إن القوة الرمي) (٥).

٢- ولما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى أخذ الصحابة يفسرون القرآن الكريم، ويبينون أحكامه للناس، ومن

الأمثلة على ذلك ما روى ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه وقال:

لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من أعلمكم، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت

(١) سورة الفرقان، الآية (٣٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(٣) سورة لقمان، الآية (١٣).

(٤) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.

أنه دعاني فيهم إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان تواباً، فقال عمر لا أعلم منها إلا ما تقول» (٢).

٣- وبعد اتساع البلاد الإسلامية انتقل الصحابة إلى أرجائها حاملين معهم ما حفظوه عن الرسول ﷺ وما وعوه من العلم، وجلس إليهم الكثير من التابعين، يأخذون عنهم العلم، وينقلونه لمن بعدهم، وفي هذه المرحلة كان التفسير مختلطاً بالحديث النبوي الشريف فلم يكن علماً مستقلاً بذاته. ثم بدأ فصل الحديث النبوي عن التفسير في القرن الثالث الهجري حيث جمعت الروايات الخاصة بالتفسير في كتب مستقلة على غرار كتب الحديث، ثم أصبح التفسير علماً قائماً بنفسه، مستقلاً عن الحديث، بوضع التفسير لكل آية من القرآن بحسب ترتيب المصحف، ولم يعتمد المفسرون في تفسيرهم على الروايات وحدها، بل جمعوا إضافة إلى ذلك قضايا اللغة والإعراب والقراءات، واتسع علم التفسير بعد ذلك اتساعاً عظيماً، ويعد الإمام الطبري شيخ المفسرين، يشهد له بذلك كتابه (جامع البيان).

ثالثاً: مصادر التفسير

اعتمد المفسرون عند تفسيرهم للقرآن الكريم المصادر الآتية:

١- القرآن الكريم: هو المصدر الأول للتفسير، فمن أراد أن يفسر كتاب الله تعالى عليه أن ينظر في القرآن الكريم أولاً، فيجمع ما ورد منه في موضوع واحد. ثم يقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً في مكان على ما جاء موجزاً في مكان آخر، وبما جاء مبيناً في موضع على ما جاء مجملاً في موضع آخر، وهكذا. وبذلك يكون القرآن الكريم قد فسر نفسه بنفسه، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد الإعراض عنها وتخطيها إلى

مرحلة أخرى، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْمَةَ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (٣)

وقد فسر قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (٤) بقوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ

وَالْمُتْرَبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ (٥)

ثم إن الدم في الآية الكريمة الأخيرة يشمل الدم المسفوح وغيره فجاءت آية كريمة أخرى وبيّنت أن المحرم من الدم هو الدم المسفوح، قال الله تعالى:

(١) سورة النصر، الآية (١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة إذا جاء نصر الله والفتح.

(٣) سورة المائدة، الآية (١).

(٤) سورة المائدة، الآية (١).

(٥) سورة المائدة، الآية (٣).

﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

٢- السنة النبوية الشريفة: كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى النبي ﷺ ليبين لهم ما أشكل عليهم من القرآن الكريم، لأن وظيفته ﷺ البيان، قال الله تعالى:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

ومن يرجع إلى كتب السنة النبوية يجد أنها أفردت للتفسير باباً من الأبواب التي اشتملت عليها، ذكر فيه ما أثار عن النبي ﷺ من التفسير، ومثال ذلك ما روى البخاري في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (٣)

فقد فسر النبي ﷺ السبع المثاني بأنها الفاتحة بقوله ﷺ: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني) (٤). وقد بينت السنة النبوية ما جاء مجملاً في القرآن الكريم كالصلاة حيث بينت أركانها وشروطها وعدد ركعاتها وغير ذلك مما يتصل بها، وكالزكاة حيث فصلت السنة النبوية مقاديرها وشروطها والأموال التي تجب فيها، وكذلك الصوم وغير ذلك بكثير.

٣- اللغة العربية: يعتمد تفسير القرآن الكريم على اللغة العربية لأنه نزل بها، قال الله تعالى:

﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٧٠﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧١﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٥)

وهذا يتطلب من المفسر أن يكون عالماً باللغة العربية ودلالاتها، وأساليبها، وعلومها، ليتمكن من تفسير كتاب الله تعالى. وقد ذكر العلماء أن كل تفسير يخالف اللغة العربية لا يعتد به، وحتى يكون مقبولاً لا بد أن يكون موافقاً للغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

٤- الاجتهاد: يعد الاجتهاد مصدراً من مصادر التفسير إذا كان قائماً على أسس صحيحة، تقوم على معرفة المفسر ما يتصل بالقرآن الكريم، مثل: أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والقراءات، والمجمل والمبين وغيرها.

رابعاً: الحاجة إلى علم التفسير

تتمثل الحاجة إلى علم التفسير فيما يأتي:

١- فهم معاني آيات القرآن الكريم، ومقاصده لأنه أساس الحياة الإسلامية. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم وهم أهل البلاغة والفصاحة يفهمون ظاهر القرآن الكريم، ويسألون النبي ﷺ عن الأمور الدقيقة فيه، مثل سؤالهم

(١) سورة الأنعام، الآية (١٤٥).

(٢) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٣) سورة الحجر، الآية (٨٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم).

(٥) سورة الشعراء، الآيات (١٩٣ - ١٩٥).

النبي ﷺ عن الظلم لما نزل قول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْسُوا إِعْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(١)

ففسره بأنه الشرك، وإذا كان الصحابة وهم يعلمون اللغة العربية محتاجين إلى التفسير فنحن أشد احتياجاً إليه.

٢- بيان المراد من الألفاظ المحتملة لأكثر من معنى، مثل الألفاظ المُجملة التي لا يقطع الناس فيها بوجه من وجوه البيان، ومثال ذلك الصلاة التي تحتمل أن يراد بها معنى الدعاء، وأن يراد بها الصلاة المفروضة، فجاءت السنة النبوية وبيّنت أن المراد بالصلاة معناها الشرعي، فقال ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي»^(٢) وبيّن عدد ركعات الصلاة وأركانها وكيفية أدائها وكل ما يتعلق بها.

٣- استخراج الأحكام الشرعية والعملية والاعتقادية من ألفاظ الآيات الكريمة.

٤- الاسترشاد بتعاليم القرآن الكريم ونُظْمِهِ بشكل عملي في حياة الفرد والجماعة والتي من شأنها أن تحقق الخير والسعادة والطمأنينة.

خامساً: شروط المفسر

اشترط العلماء في المفسر عدة شروط منها:

- ١- صحة الاعتقاد، واستقامة السلوك وفق ما جاء به الدين، والبعد عن الهوى، فإن كان غير مؤتمن في دينه فلا يقبل قوله في التفسير، لأنه إن كان متهماً بالإلحاد لا يؤمن أن يبغى من التفسير الفتنة بين الناس، وإن كان متهماً بالهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على تفسير القرآن بما يراه موافقاً لبدعته وهواه.
- ٢- معرفة علوم القرآن التي لا غنى عنها لتفسيره، كالناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، وأسباب النزول، وغير ذلك من العلوم التي لا يمكن تفسير القرآن الكريم بمعزل عنها.
- ٣- معرفة السنة النبوية والعلوم المتعلقة بها، مثل التواتر، وتاريخ الرواة، والناسخ والمنسوخ في السنة النبوية الشريفة، وغير ذلك، وما صحّ من تفسيرات الصحابة والتابعين، والقدرة على التمييز بين الصحيح والضعيف منها.
- ٤- معرفة اللغة العربية دلالاتها وأساليبها وعلومها. وفروعها من نحو وصرف، وبلاغة وأساليب بيان، حتى لا يخرج تفسيره عن وجوه اللغة حقيقة أو مجازاً.
- ٥- العلم بأحوال الناس، لأن القرآن الكريم يبيّن كثيراً من أحوال الخلق، وطبائع البشر فلا بد لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم من المعرفة بأحوال البشر وطبائعهم، وطرق معاشهم، وما في الكون من أسرار أودعها الله تعالى، وتوصل إليها العلم بالكشف عن بعض حقائق هذا الكون.
- ٦- القدرة على الموازنة بين أقوال العلماء في التفسير والجمع بينها إن أمكنه ذلك، والترجيح بينها، وردّ الأمر إلى ما ثبت بالدليل الشرعي، واعتماد ما قوّته الأدلة.

(١) سورة الأنعام الآية (٨٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان.

- ١- وضح ما يأتي: التفسير، علم التفسير.
- ٢- وضح كيف نشأ علم التفسير زمن الصحابة، رضي الله عنهم.
- ٣- يقول العلماء: (القرآن يفسر بعضه بعضاً) وضح هذا القول، واضرب مثلاً على ذلك.
- ٤- السنة النبوية الشريفة من مصادر التفسير، وضح ذلك مع ذكر مثال لما تقول.
- ٥- ما أهمية اللغة العربية في فهم القرآن الكريم؟
- ٦- لم يحتاج الناس إلى علم التفسير؟ بين ذلك.
- ٧- وضح لماذا لا يقبل تفسير المتمهم بالإلحاد، وصاحب الهوى.
- ٨- يشترط في المفسر أن يكون عالماً بأحوال الناس ومتطلبات حياتهم، وضح ذلك.
- ٩- عدد ثلاثة من الشروط الواجب توافرها في المفسر.

ترجمة معاني القرآن الكريم

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليكون كتاب هداية للبشرية جمعاء، وقد أوجب الله تعالى على المسلمين تدبر آيات القرآن الكريم. والعمل بما جاء فيها، وهذا يحتاج إلى فهم دقيق للغة العربية، وليس كل مسلم قادراً على ذلك، بل من المسلمين من لا يعرف اللغة العربية، ولم تتح لهم فرصة تعلمها، فكيف يمكن لهؤلاء أن يتفهموا آيات القرآن الكريم، ويتدبروا معانيها؟

ذهب جمهور العلماء إلى القول بجواز ترجمة معاني القرآن الكريم للمسلمين من غير العرب حتى يتسنى لهم فهم أحكام دينهم وفهم معاني القرآن الكريم، فما المراد بترجمة معاني القرآن الكريم؟ وما شروطها؟ وما حكمها؟

أولاً: مفهوم ترجمة معاني القرآن الكريم

الترجمة لغة: تطلق على معنيين، الأول: نقل الكلام من لغة إلى أخرى. والثاني: تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى.

الترجمة اصطلاحاً: تطلق على معنيين :

١- الترجمة الحرفية: وتعني نقل الكلام من لغة إلى أخرى مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني الأصل المترجم. وهذه الترجمة غير ممكنة بالنسبة للقرآن الكريم، لأنها تُضيع خواص القرآن الكريم البلاغية، وتذهب إعجازه.

٢- الترجمة التفسيرية: وتعني شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى دون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، ودون المحافظة على جميع معانيه المرادة وهذه الترجمة ممكنة بالنسبة للقرآن الكريم لأنها مجرد ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلغة غير لغته التي نزل بها، وهذا هو المراد بترجمة معاني القرآن الكريم.

ويظهر الفرق بين الترتيبين بالتطبيق العملي، ومثال ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (١)

فلو أراد المترجم ترجمة هذه الآية الكريمة ترجمة حرفية لقال: «لا تربط يدك إلى عنقك ولا تمدها غاية المد» وهذا تعبير بعيد عن المقصود الحقيقي للآية الكريمة، يثير استنكار القارئ غير العربي، ويجعله يتساءل لم النهي عن ربط اليد بالعنق وعن مدها غاية المد؟ ولا يفهم المعنى الذي قصده القرآن- وهو النهي عن التقتير والتبذير- بهذا التشبيه البليغ.

(١) سورة الإسراء، الآية (٢٩).

أما إذا أراد المترجم ترجمة الآية الكريمة ترجمة تفسيرية، فإنه بعد فهمه المراد من الآية الكريمة وهو النهي عن التقتير والتبذير وقد عرضها القرآن في صورة شنيعة تنفر الإنسان منهما، فإن المترجم يأتي بعبارة تدل على هذا النهي المراد في أسلوب يكون مفهوماً للقارىء غير العربي ومقبولاً عنده ومؤثراً فيه.

نشاط

بين الفرق بين الترجمة الحرفية والترجمة التفسيرية واكتبه في دفترك.

ثانياً : حكم الترجمة التفسيرية

الترجمة التفسيرية جائزة بوصفها بياناً لمعاني القرآن الكريم وأحكامه، مع التأكيد على أن هذه الترجمة لا تعد قرآناً، ولا تصح الصلاة بها، ولا يتعبد بتلاوتها لا في الصلاة ولا في خارجها.

ثالثاً : شروط الترجمة التفسيرية

يشترط لقبول الترجمة التفسيرية شروط عدة منها :

- ١- أن تكون موافقة للأصول الشرعية ومتفقة مع علوم اللغة العربية.
- ٢- أن يكون المترجم مسلماً، سليم العقيدة بعيداً عن الأهواء والبدع.
- ٣- أن يكون المترجم على معرفة تامة باللغة العربية، واللغة المترجم إليها، ومعرفة أساليبهما وخصائصهما.

الأسئلة

- ١- عرف ما يأتي: الترجمة الحرفية، الترجمة التفسيرية.
- ٢- أيّ الترجمات ممكنة للقرآن الكريم؟ اذكر مثلاً يوضح ذلك.
- ٣- ما حكم الترجمة التفسيرية؟
- ٤- عدد شروط الترجمة التفسيرية.
- ٥- ما الفرق بين الترجمة التفسيرية والقرآن الكريم؟
- ٦- الترجمة الحرفية للقرآن الكريم غير ممكنة، علل ذلك.

عرفت سابقاً أن الصحابة تفرقوا في البلاد الإسلامية يعلمون المسلمين أحكام دينهم، وكان التفسير من القضايا التي قام الصحابة بتعليمها للمسلمين، إذ كانوا يفسرون القرآن بالقرآن، وبما أخذوا عن النبي ﷺ، ثم إنهم لحاجتهم إلى فهم القرآن الكريم وتدبر آياته، اجتهدوا في تفسير آيات القرآن الكريم مستعينين بالعلوم التي يحتاج إليها المفسر، فصار للتفسير طريقتان، التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي (الاجتهاد)، وفي هذا الدرس بيان لهذين النوعين من التفسير.

أولاً: التفسير بالمأثور

١- مفهوم التفسير بالمأثور: هو ما جاء من البيان والتفصيل لآيات القرآن الكريم في القرآن نفسه، وما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم، مما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم. والمثال على ما جاء في تفسير القرآن بالقرآن: قول الله تعالى:

﴿ وَأَسْمَاءُ وَالطَّارِقُ ﴿١٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢٠﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٢١﴾ ﴾ (١) فإن عبارة «النجم الثاقب»

بيان لكلمة الطارق، وقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٢)

فإن قوله تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٣) بيان لقوله تعالى: ﴿ هَلُوعًا ﴿٤﴾ ﴾

ومن السنة النبوية تفسيره ﷺ القوة بالرمي في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴿٥﴾ ﴾

وأما جعل تفسير الصحابة من قبيل التفسير بالمأثور، فلأنهم شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا أسباب النزول التي تكشف النقاب عن معاني القرآن الكريم، إضافة إلى صفاء النفوس والفصاحة والبيان، مما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله تعالى، ويجعلهم أقدر من غيرهم على فهم معانيه.

٢- نشأة التفسير بالمأثور: مر التفسير بالمأثور بمرحلتين، الأولى مرحلة الرواية، والثانية مرحلة التدوين.

وفيما يأتي توضيح ذلك:

(١) سورة الطارق، الآيات (١ - ٣).

(٢) سورة المعارج، الآيات (١٩ - ٢١).

(٣) سورة المعارج، الآيات (٢٠ - ٢١).

(٤) سورة المعارج، الآية (١٩).

(٥) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

أ - مرحلة الرواية: كان الرسول ﷺ يبين لأصحابه ما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم، وكان الصحابة ينقلونه بعضهم لبعض، وإلى من جاء بعدهم من التابعين.

ب- مرحلة التدوين: كان التفسير بالمأثور جزءاً من كتب الحديث الشريف، فلم يتخذ له شكلاً مستقلاً، بل كان يُدَوَّنُ على أنه باب من أبواب الحديث المختلفة، يجمع فيه أصحاب كتب الحديث ما روي عن النبي ﷺ والصحابة، رضي الله عنهم، في تفسير آيات القرآن الكريم. ثم استقل تدوين التفسير عن الحديث وأُفرد بتأليف خاص، وبعد ذلك وجدت الكتب المؤلفة في التفسير فجمعت ما روي عن النبي ﷺ في التفسير مثل كتاب (جامع البيان) لابن جرير الطبري، الذي يُعد بحق شيخ المفسرين، وما زال كتابه مرجعاً لكل من أراد التفسير.

٣- مكانة التفسير بالمأثور: علمت أن التفسير يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة النبوية، وما كان تفسيراً للقرآن بقول الصحابة، أما تفسير القرآن بالقرآن أو السنة الصحيحة فهو مقبول دون خلاف في ذلك لعدم تطرق الضعف إليه ولا يجد الشك إليه سبيلاً.

وأما ما أضيف إلى النبي ﷺ وفي سنده أو متنه ضعف، فهو مردود غير مقبول لعدم صحة نسبته إلى الرسول ﷺ وأما تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة فقد تطرق إليه الضعف في غالبه، ولم يسلم إلا بعضه الذي يمكن أن يعد مقبولاً. وترجع أسباب الضعف في التفسير بالمأثور إلى أسباب عدة منها:

أ - كثرة الوضع في التفسير: ظهر الوضع في التفسير عند ظهور الفرق والأحزاب السياسية وأهل البدع، فقد وُجد من أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم، وتعصبوا لأهوائهم، ودخل في الإسلام من أخفى الكفر في باطنه، وأظهر إسلامه بقصد الكيد لإسلام، وتضليل أهله فوضعوا الروايات الباطلة التي تعينهم على هدفهم.

ب- دخول الإسرائيليات: المراد بها الأخبار والروايات المنقولة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى في توضيح بعض القضايا، وسميت بالإسرائيليات لاعتمادها على ما ورد في كتب اليهود والنصارى، وقد بدأ دخول الإسرائيليات في التفسير في عصر الصحابة الذين كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو توضيحاً للقصة، وبيانا لما أجمله القرآن منها، مع عدم الحكم عليه بصدق أو كذب ما دام يحتمل الأمرين، متمثلين قول الرسول ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله ما أنزل إلينا)^(١).

ولم يسأل الصحابة، رضي الله عنهم، أهل الكتاب شيئاً يتعلق بالعقيدة، أو يتصل بالأحكام ثم جاء عصر التابعين الذين توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، وكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام. وقد امتلأت كتب جماعة من المفسرين بالإسرائيليات التي تلقفوها من أهل الكتاب.

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها.

حكم الإسرائيليات في التفسير:

تنقسم الإسرائيليات ثلاثة أقسام هي:

١- ما يعلم صحته بالنقل عن النبي وهو صحيح مقبول.

٢- ما يعلم كذبه فلا يصح قبوله ولا روايته.

٣- ما لا يعرف صحته أو كذبه فلا نصدقه ولا نكذبه، ولا نأخذ به في التفسير.

ويجب على المفسر إزاء الإسرائيليات أن يكون يقظاً جداً فلا ينقل عن أهل الكتاب، ولا يعتمد أقوالهم في تفسير آيات القرآن الكريم إذا وجد في سنة النبي ﷺ بياناً للقرآن، على أنه من الخير للمفسر الإعراض عن الإسرائيليات حتى لا يشغله ذلك عن التدبر في حكمة القرآن الكريم وأحكامه.

ثانياً: التفسير بالرأي

معنى التفسير بالرأي ونشأته:

التفسير بالرأي هو قيام المفسر بالنظر العقلي في الآيات القرآنية الكريمة لاستخراج معانيها ودلالاتها مستنداً إلى معرفة اللغة العربية وألفاظها، ومعرفة أسباب النزول، وغيرها من العلوم التي تعينه على فهم معاني الآيات ودلالاتها. ملاحظاً ظروف الحياة وواقع المجتمع، بعيداً عن الهوى. وقد نشأ هذا التفسير زمن الصحابة وإن كان على نطاق ضيق، ثم ترعرع فيما بعد زمن التابعين ومن بعدهم من القرون.

أنواع التفسير بالرأي: تعددت أنواع التفسير بالرأي ومنها:

- أ- التفسير الفقهي: وهو الذي يبحث في الأحكام الفقهية التي وردت في القرآن الكريم، مثل تفسير القرطبي، وتفسير «أحكام القرآن» لابن العربي.
- ب- التفسير الموضوعي: وهو منهج يتخذه المفسر للكشف عن مراد الله من خلال الموضوعات والقضايا المطروحة في القرآن الكريم توضيحاً لهدايته، وتجلية لوجوه إعجازه، ومثاله كتاب أقسام القرآن لابن القيم، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا.
- ج- التفسير العلمي: وهو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن الكريم في ضوء ما أثبتته العلم، من حيث تضمنه هذه المعلومات العلمية التي لم تكن معروفة للبشر وقت نزول القرآن الكريم. فدل ذلك على أن القرآن الكريم ليس من كلام البشر إنما هو من عند الله تعالى، ومثاله كتاب الجواهر في تفسير القرآن، لطنطاوي جوهرى.

- ١- وضح المفاهيم الآتية:
التفسير بالمأثور، التفسير بالرأي، التفسير الفقهي، التفسير الموضوعي، التفسير العلمي.
- ٢- مر التفسير بالمأثور بمرحلتين، وضحهما.
- ٣- ما المقبول من التفسير بالمأثور؟
- ٤- كثرة الوضع في التفسير من أسباب ضعف التفسير بالمأثور، بين ذلك.
- ٥- ما حكم رواية الإسرائيليات في التفسير؟

تنوعت كتب التفسير، فمنها التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وهناك كتب فسرت آيات الأحكام، ومنها من اعتنى صاحبها بنواحي اللغة العربية في القرآن من بيان ونحو وإعراب، وهناك كتب اهتمت ببيان إعجاز القرآن الكريم، وغير ذلك من الموضوعات، وسنعرض - في هذا الدرس - لنماذج من كتب التفسير نتعرف عن طريقها مناهج المفسرين في تفسير القرآن الكريم، وهي تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، وتفسير في ظلال القرآن.

أولاً: تفسير ابن كثير

- ١- **التعريف بابن كثير:** هو الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير، ولد سنة (٧٠١هـ) في إحدى قرى بصرى، ثم انتقل إلى دمشق وله من العمر سبع سنين، أخذ العلم عن عدد من العلماء، منهم الأمدي، والمزي، وابن تيمية، وكان رحمه الله تعالى ذا مكانة علمية رفيعة، فقد شهد له العلماء بسعة علمه، لا سيما في التفسير والحديث والتاريخ، قال عنه الحافظ ابن حجر «اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، وجمع التفسير، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية... وشرع في شرح البخاري... وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته». وقد كُفَّ بصره في آخر عمره، توفي سنة (٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى.
- ٢- **التعريف بتفسير ابن كثير:** (تفسير القرآن العظيم): يُعد تفسير ابن كثير من أشهر ما دُوِّن في التفسير بالمأثور. شهد له العلماء بذلك. قال الإمام السيوطي: «لم يؤلف على نمط مثله». ويتسم تفسير ابن كثير بما يأتي:
- ١- ذكر الآية وتفسيرها بعبارة سهلة موجزة، وتوضيحها بآية أخرى إن أمكن ذلك، وبعقد مقارنة بين الآيتين حتى يتبين المعنى الصحيح.
- ٢- ذكر الأحاديث المرفوعة المتعلقة بالآية، وإتباع ذلك بذكر أقوال الصحابة والتابعين.
- ٣- الترجيح بين الأقوال، من خلال الكشف عن الروايات الضعيفة والروايات الصحيحة.
- ٤- تعديل بعض الروايات وتجريح بعضهم الآخر، وهذا راجع لمعرفته بفنون الحديث وأحوال الرجال.
- ٥- الإفادة من التفاسير الأخرى لمن سبقه من المفسرين مثل ابن جرير الطبري.
- ٦- ذكر المسائل الفقهية وأقوال العلماء فيها مع أدلتهم فيما ذهبوا إليه، وترجيح ما يراه مناسباً، دون إسهاب مُمل أو اختصار مخل.

ثانياً : تفسير القرطبي

١- التعريف بالإمام القرطبي: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، كان ورعاً، زاهداً، عالماً، له كتب عدة منها «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» وكتاب «التذكار في أفضل الأذكار» وكتاب «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان» المعروف بتفسير القرطبي، وقد كان رحمه الله تعالى، مثلاً للأمانة العلمية، فقد كان يعرض في تفسيره لأراء العلماء ويناقشها ويرجح ما يستحق الترجيح سواء في التفسير أو اللغة أو الإعراب وغيرها، متبعاً للدليل، آخذاً بالراجح من الأقوال دون تعصب، توفي سنة (٦٧١) هـ، رحمه الله تعالى.

٢- التعريف بتفسير القرطبي: يُعد كتاب الجامع لأحكام القرآن من أوسع كتب التفسير التي عنيت ببيان أحكام القرآن، فقد تضمن الكتاب إضافة إلى التفسير اللغوي والإعراب والقراءات، والأحاديث الشاهدة للأحكام الواردة فيه، والأحاديث المبينة لأسباب النزول للآيات الكريمة، وأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف، وقد أفاد القرطبي في تفسيره من المؤلفات التي سبقته سواء من كتب التفسير أو من القراءات أو الحديث، أو اللغة، أو النحو، أو الفقه، أو التاريخ.

وقد بين الإمام القرطبي منهجه في التفسير بقوله: «... فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع... رأيت أن أشتغل به مدى عمري، واستفرغ فيه منّي (قوتي) بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير، واللغات، والإعراب، والقراءات والرد على أهل الزيغ والضلال، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ما أشكل منهما بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف».

ويتسم هذا التفسير بما يأتي:

أ - إسناد الأقوال إلى قائلها حتى يكون الإنسان على دراية بأقوال العلماء، وهذا دليل على الأمانة العلمية التي يتصف بها الإمام القرطبي.

ب - تخريج الأحاديث النبوية، وردّها إلى مظانها لئتمكن من لا خبرة له بكتب الحديث من معرفة الصحيح من الضعيف، فلا يبقى حائراً، ويقبل قوله في الاحتجاج به.

ج - خلو التفسير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين، إلا ما لا غنى عنه للتبيين.

ثالثاً : تفسير في ظلال القرآن

١- التعريف بسيد قطب: هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد سنة (١٩٠٦م) في إحدى قرى أسبوط في صعيد مصر، نشأ في أسرة مساهمة كان لها تأثير في صقل شخصيته، تلقى دراسته الأولية في القرية، وحفظ

القرآن الكريم الذي كان له الأثر الكبير في نمو مواهبه الأدبية في وقت مبكر، ثم رحل إلى القاهرة لإتمام دراسته الجامعية، عمل في الصحافة والتعليم وكان له أثر كبير في الدعوة الإسلامية، توفي رحمه الله سنة (١٩٦٦م) وله من العمر ستون عاماً.

٢- سمات تفسير في ظلال القرآن: يُعد تفسير الظلال نقلة جديدة في التفسير، إذ سار فيه صاحبه على منهج خاص وطريقة فريدة، إذ إنه كتاب تفسير وكتاب دعوة.

ويتسم تفسير «في ظلال القرآن» بمزايا عدة منها:

أ - ملاحظته للغرض الأساسي للقرآن وهو إقامة الشخصية الإسلامية، وبناء أمة لها خصائصها وميزاتها، وإنشاء جيل على قواعد من التربية الربانية تجعله صورة ناطقة عن الحق الذي نزل به القرآن الكريم ليكون خير أمة أخرجت للناس، وقد بيّن صاحب الظلال طريقة القرآن في بناء الشخصية الإسلامية ودعوتها لأخذ دورها في المجتمع الذي أنشأه القرآن في بناء الشخصية الإسلامية ودعوتها لأخذ دورها في المجتمع الذي أنشأه القرآن الكريم ويوضح ما يجب على الأمة الإسلامية القيام به لتعود إلى مكانها الصحيح الذي أراده الله تعالى لها.

ب - تجاوزه الأساطير والإسرائيليات الواردة في التفاسير، وعدم إثبات شيء منها فيه، ومثال ذلك أنه عند

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١) قال سيد قطب: «وتختلف الروايات والمفسرون في شأن هذه الألواح، ويصفها بعضهم أوصافاً مفصلة نحسب أنها منقولة عن الإسرائيليات، التي تسربت إلى التفسير ولا نجد في هذا كله شيئاً عن رسول الله ﷺ، فنكتفي بالوقوف عند النص القرآني الصادق لا نتعداه، وما تزيد الأوصاف شيئاً أو تنقص من حقيقة هذه الألواح، أما ما هي؟ وكيف كتبت؟ فلا يعنيننا هذا في شيء، بما أنه لم يرد فيها من النصوص الصحيحة شيء».

ج- إبرازه الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وتطبيقها على سور القرآن الكريم وآياته، وبيان التناسب

الموضوعي في موضوعات السورة، والتناسق الفني في صياغتها وأساليب عرضها.

ولذا ترى صاحب الظلال يُعرّف بالسورة ويقدم لها، ويقسمها إلى دروس موضوعية متناسقة، ويعد صاحب الظلال من المفسرين الذين أبرزوا الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت.

(١) سورة الأعراف، الآية (١٤٥).

- ١ - عرّف بالإمام ابن كثير مراعيًا الأمور الآتية:
اسمه، مكانته العلمية، صفاته.
- ٢ - عدد ثلاثًا من سمات تفسير ابن كثير.
- ٣ - عرّف بالإمام القرطبي مراعيًا الأمور الآتية: اسمه، ومكانته العلمية.
- ٤ - بيّن منهج الإمام القرطبي في التفسير.
- ٥ - وضح سمتين من سمات تفسير القرطبي.
- ٦ - يعد تفسير القرطبي من أوسع كتب التفسير التي عُنيت ببيان أحكام القرآن الكريم، وضح ذلك.
- ٧ - عرّف بسيد قطب مراعيًا الأمور الآتية: نشأته وثقافته.
- ٨ - بيّن سمتين من سمات تفسير «في ظلال القرآن».
- ٩ - من سمات تفسير «في ظلال القرآن» تجاوزه الأساطير والإسرائيليات، بيّن ذلك.
- ١٠ - إبراز الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من سمات تفسير «في ظلال القرآن»، وضح ذلك.

إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز البياني)

الدرس الخامس

القرآن الكريم معجزة نبينا محمد ﷺ التي تحدى بها الثقلين الإنس والجن، والإعجاز صفة اختص بها القرآن الكريم دون سواه من الكتب المتقدمة، فما معنى إعجاز القرآن؟ وما أدلته؟ وما أنواعه؟

أولاً: معنى الإعجاز

الإعجاز لغة: لفظ مشتق من عجز يعجز. يقال عجزت عن الأمر أي قصرت وضعفت عنه. ويقال أعجزني فلان بمعنى فاتني وسبقني وامتنع علي إدراكه، والإعجاز قمة الإتقان الذي يُعجزُ عن الإتيان بمثله، والإعجاز القرآني مصطلح ينبىء عن قصور الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بمثل سورة من سورته.

ثانياً: أدلة إعجاز القرآن الكريم

إعجاز القرآن الكريم حقيقة ثابتة قررها النص القرآني بكل قوة، وتأكيد. وجاء التحدي الرباني للثقلين صريحاً بأن معارضة القرآن (أي الإتيان بمثله) أمر مستحيل التحقيق. فقد تحداهم أولاً أن يأتوا بمثل القرآن فقال تعالى:

﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١)

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فقال تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢)

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فقال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣)

ومن المعلوم أن التحدي يعظم كلما عظم مقدار الأمر المتحدى به وإن قلت كميته. وما يزال القرآن يقرع سمع الناس متحدياً أن يأتوا بمثله أو ببعض سورته، وهيئات!!

ثالثاً: أنواع الإعجاز القرآني

ما يزال العلماء والمحققون يكشفون لنا بين فترة وأخرى من وجوه الإعجاز القرآني شيئاً جديداً فقد اهتم

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

(٢) سورة هود، الآية (١٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٣).

العلماء الأولون بالإعجاز البياني وألفوا فيه رسائل عدّة، منهم الجرجاني والكرماني والخطابي، واهتم آخرون بالإعجاز الخاص بالإخبار عن الغيب، ونجد العلماء المعاصرين يولون اهتمامهم لنوعين آخرين من الإعجاز، هما الإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي. وفي هذا الدرس بيان إجمالي بأوجه الإعجاز البياني.

١- الإعجاز البياني: برز العرب من بين أمم الأرض وتميزوا بالفصاحة والبيان، حتى كان لهم من اسمهم نصيب، إذ إن كلمة (أعرب) تفيد الإفصاح عن الشيء وفي هذا يقول الشاعر:

نحن أبناء يعرب أعرب الناس
لساناً وأنصر الناس عوداً

وكانوا ينظمون في جاهليتهم مهرجانات ثقافية ويعقدون الأسواق الأدبية في عكاظ، وذي المجاز، ومجنة، يلقون فيها أشعارهم فتعرض على خبراء النقد، ثم ينتقون أجمل القصيد فيعلقونه في أقدم مقدساتهم وهي الكعبة، وقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين يتحدى هذه الأمة التي أوشك أن يكون فيها البيان والفصاحة سجية وفطرة، فأنزل بلغتها ما أعجز تلك الفطرة، فها هو الوليد بن المغيرة يقرّ بفصاحة القرآن وبلاغته ويقول مخاطباً قومه (والله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه).

نشاط

تأمل العبارات الأخيرة من قول الوليد بن المغيرة ثم بين معناها.

ونورد فيما يأتي بعض الصور البلاغية في القرآن الكريم مما يؤلف في مجموعة مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني:

١- تألف الكلمات القرآنية مع معانيها المحددة لها: ترد في القرآن الكريم كلمات يتراءى للقارئ العادي أنها كلمات مترادفة، ومع ذلك نجد استعمال إحدى هذه الكلمات في القرآن في موضع لا يصلح معه استعمال الكلمة الأخرى. فمثلاً كلمة (الحمد) قد تستوي ظاهراً في معناها مع كلمة (الشكر) ولكن القرآن الكريم يستعمل كلاً من هاتين الكلمتين استعمالاً مابيناً فنحن، نقرأ قوله تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾^(٢)

وقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) ونقرأ من جانب آخر قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(٥)

(١) سورة الفاتحة، الآية (١)

(٢) سورة الأعراف، الآية (٤٣).

(٣) سورة فاطر، الآية (١).

(٤) سورة النمل، الآية (١٩).

(٥) سورة إبراهيم، الآية (٧).

فهل كان استعمال هاتين الكلمتين في موضعهما اتفاقاً تحكمه الصدفة؟ ليس الأمر كذلك، فالحمد لله الذي يحمد على السراء والضراء أما الشكر فيكون في معرض ذكر النعمة حصراً، والحمد يكون باللسان، أما الشكر فيعم اللسان والقلب والجوارح، ثم إن الله تعالى يحمد نفسه ويمدحها، ولا يشكرها، والشكر لله تعالى يكون من العبد، ومن هنا تدرك الفرق في الاستعمال.

٢- التقديم والتأخير: نلاحظ عند التأمل في الآيات القرآنية أن هناك كلمات تتقدم في بعض الآيات وتتأخر في غيرها، وهذا التقديم والتأخير فن بلاغي في السياق القرآني، نشهد من خلاله دقة البيان القرآني بصورة توصلنا إلى الحكم بإعجازه.

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (٢) نجد أن الآية الأولى قد قدمت رزق الآباء على رزق الأولاد بخلاف الأخرى. فما السر وراء هذا التقديم والتأخير؟

إن الآية الأولى تشير إلى فقر واقع بالآباء يدل عليه قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ﴾ ولذا جاء نهيهم عن قتلهم أولادهم بسبب هذا الفقر الذي يعانون منه، مطمئنة آباءهم بأن الرزق بيد الله رب العباد قبل رزق الأبناء، فعلام يقتلون أولادهم؟

أما الآية الثانية فتشير إلى فقر متوقع يدل عليه قوله تعالى: ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ فناسب البدء بذكر الأولاد الذي دعا بوالديهم إلى التخلص منهم تحسباً من عوادي الزمن المنتظرة.

٣- دقة الفاصلة القرآنية (أواخر الآيات): الفاصلة القرآنية اصطلاح يراد به تلك الكلمات التي تختم بها الآيات القرآنية باختيار رباني ينسجم مع سياق الآيات الكريمة ومضمونها فلا يصلح استعمال كلمات أخرى بدلاً منها. وهي من دلائل الإعجاز الرباني.

روى أن الأصمعي التقى أعرابياً راح يتلو عليه الآية الكريمة:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣)

ولكن الأصمعي أخطأ فقرأ: (والله غفور رحيم) بدلاً من (والله عزيز حكيم)، فدهش الأعرابي فقال: كلام من هذا؟ فرد الأصمعي: كلام رب العالمين، فقال له الأعرابي: أعد. فأعاد الأصمعي الآية دون أن يتنبه للخطأ. واستوقفه الأعرابي مجدداً ليسأله: كلام من هذا؟ ثلاث مرات، ففطن الأصمعي فقال: (والله عزيز حكيم). فقال الأعرابي: الآن هذا كلام رب العالمين أمر بالقطع من موضع القدرة والعزة فهو عزيز، وما كان لعقوبة أخرى أن تسد مسدها فهو حكيم. ولو قال: (والله غفور رحيم) لهن من شأن العقوبة، ولما كان هناك موجب للقطع.

٤- الإيجاز في مواطن والإطناب في أخرى: لا يجري السياق القرآني على نمط واحد من الإيجاز والإطناب، فلكل منهما موقعه الذي هو به أليق وألزم.

(١) سورة الأنعام، الآية (١٥١).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٣١).

(٣) سورة المائدة، الآية (٣٨).

فهذه آيات المواريث لا تتجاوز بضع آيات، وقد فجر الفقهاء من خلالها بحوراً من العلم يعرف بعلم الفرائض، وما أكثر ما صنّف فيه من المؤلفات، وقد جاء إعجازها في إيجازها فضلاً عما كان هناك من إعجاز تشريعي فيها. ونجد الإيجاز أحياناً في آية أو بعض آية كقوله تعالى:

﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَّةٌ يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (١)

فلو وضعنا هذه الآية الكريمة مقابل تلك العبارة المشهورة التي افتتن بها بعض العرب وهي قولهم (القتل أنفى للقتل)، لحكمنا بتفوق القرآن بصورة مطلقة.

فقد تضمنت الآية الكريمة المعنى المائل في تلك العبارة وزيادة، إذ نصت على مبدأ العدل في لفظ (القصاص) وهو ما لم يرد في تلك العبارة، ثم إن القتل خاص بالاعتداء على النفس، أما القصاص فيشمل الاعتداء على النفس والأطراف وهو أشمل، ومن بعد ذلك فإن العبارة تفصح عن نفي القتل فحسب، بينما التعبير القرآني جاء ليؤكد أن في القصاص حياة.

الأسئلة

- ١- وضح معاني المفاهيم الآتية: إعجاز القرآن، معارضة القرآن.
- ٢- بيّن لِمَ كان التحدي بالسورة الواحدة أعظم من التحدي بالقرآن جميعه.
- ٣- اذكر أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.
- ٤- بيّن الفرق بين الحمد والشكر بالرجوع إلى الآيات الكريمة.
- ٥- بيّن ما هنالك من دلالات بيانية في التقديم والتأخير في بعض كلمات الآيتين الكريمتين:
﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ﴾ ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ** ﴾
- ٦- قارن بين مدلول الآية الكريمة ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَّةٌ** ﴾ وقول العرب (القتل أنفى للقتل).

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٩).

إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز التشريعي)

تحتكم المجتمعات البشرية في حياتها إلى نوعين من التشريعات: تشريعات مصدرها الإنسان، وهي التي اصطلح على تسميتها بالتشريعات الوضعية: وتشريعات مصدرها خالق الإنسان، وهي المعروفة بالتشريعات الإلهية...

أما التشريعات الوضعية فقد يصوغها فرد أو حزب أو هيئة باسم المجتمع، وهي في أي من صنوفها هذه تتصف بالنقص البشري أو التحيز، فما يرتضيه فرد أو حزب، غير ما يرتضيه فرد أو حزب آخر، وما يرضي جماعة أو مجتمعا قد يتعارض مع ما يرضي جماعة أو مجتمعا آخر، وذلك بالنظر إلى اختلاف الفلسفات والنظم، والأمزجة والعقول.

أما التشريعات الإلهية فقد شرعها رب العالمين بما يصلح الناس أجمعين، وهو أعلم بما يصلحهم

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١)

وهي تمتاز عن غيرها بأنها أقوم قيلا، وقد وصف الله سبحانه وتعالى، شريعة القرآن بأنها الشريعة الأمثل

والأقوم، وفي هذا يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٢)

ولا يملك البشر بما أتوا من قدرة على تصريف الأمور وجودة النظر أن يضاهوا ما شرع الله، وهم لا ينفكون يشبتون عجزهم عن محاكاة تشريعات هذا القرآن العظيم. فما سمات التشريع القرآني المعجز؟ وما الأمثلة الدالة على هذا الإعجاز؟

أولاً: سمات الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

يتسم التشريع القرآني بسمات عدة يظهر معها عجز البشر عن الإتيان بمثله، ومنها:

١- الشمول: فهي تشريعات تشمل كل شؤون الحياة الإنسانية، فلم تدع جانباً إلا ونظمته، ولا مجالاً إلا وبينته، ولا عملاً يصدر عن الإنسان، ولا علاقة بينه وبين غيره إلا ولها فيها حكم، سواء في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق أو المعاملات أو الشؤون الأخرى من سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ودولية... الخ.

٢- العموم: فتشريعات القرآن الكريم جاءت لعموم البشر، ولم تأت لطائفة معينة، وليست خاصة بأمة من الأمم،

ولا بأهل بلد معين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣)

(١) سورة تبارك، الآية (١٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٩).

(٣) سورة سبأ، الآية (٢٨).

بين الفرق بين شمول التشريعات القرآنية وعمومها. واكتبه في دفترك.

٣- الكمال والسمو: فتشريعات القرآن الكريم لا تناقض فيها ولا تعارض، وهذه مسألة توجب على أتباع هذه الملة الافتخار والاعتزاز بها، وحمد الله على هذه النعمة كما قال تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا ﴾ (٢)

فهي الشريعة الكاملة القويمة، وليست تشريعات العباد هكذا، والله تعالى يقول:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (٣)

٤- التكامل والتناسق: فالتشريعات القرآنية يكمل بعضها بعضاً وتتضافر جميعها لبناء الصرح التشريعي الإسلامي، فالجانب الأخلاقي يعضد الجانب القانوني، وفي الجانب القانوني الإسلامي تتناسق لبنات البناء بصورة يظهر معها بهاء هذا الدين، فنظام الإرث ذو صلة بنظام النفقات، والتشريعات الخاصة بالمرأة تتناسق مع نظائرها في الرجل بوصفهما نوعين لجنس واحد هو الإنسان، وهكذا.

٥- التيسير ورفع الحرج: فقد شرع الله تعالى هذه الأحكام من أجل خير الناس، وجعلها سهلة ميسرة على

الجميع، تراعي قدراتهم، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٤)

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٥)

ومن هنا نجد في التشريع القرآني ما يتجه للغني والفقير، والمسافر والمقيم، والصحيح والمريض، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، وبما يتلاءم مع استعداداتهم وقدراتهم من غير تجاوز لأحوالهم وفطرتهم.

٦- الجمع بين الثبات والتطور: فأحكام القرآن جاءت لتلبي مصالح الإنسان في كل زمان ومكان، فهي لم تأت

لمرحلة زمنية تنقضي بانقضائها، ومن أجل ذلك لم يكن هنالك توسع كبير في الأحكام التفصيلية الجزئية في القرآن، وقد ورد هذا التفصيل في بعض المسائل مثل الإرث والمحرمات من النساء ومصارف الزكاة وقضايا الديون، كما حفل القرآن الكريم بوفرة من القواعد والمبادئ العامة التي لا تقبل التبديل والتغيير مثل قواعد الشورى والعدل والمساواة، وإن كانت مما يمكن أن تختلف تطبيقاتها ووسائلها باختلاف الزمان والمكان، بحيث يكون التشريع القرآني من الاتساع بما يلائم أحوال المجتمعات عبر العصور.

(١) سورة الكهف، الآية (١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٤٣).

(٣) سورة النساء، الآية (٨٢).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

(٥) سورة الحج، الآية (٧٨).

ثانياً: أمثلة على الإعجاز التشريعي

إن كل ما في القرآن الكريم من أحكام شواهد صدق على الإعجاز التشريعي، ونكتفي هنا بذكر المثال الآتي:
الإرث: إذا أردنا أن نتبين وجه الإعجاز في تشريع الإرث نقارنه مع التشريعات الأخرى، حيث تتضح الصورة بالمقارنة، ففي الجاهلية كان العرب يورثون الأبناء دون البنات، وكانوا يحرمون الزوجات كذلك، وكان حق المرأة في الميراث مهضوماً.

وفي مجتمعاتنا المعاصرة نجد أن الشيوعية تنكر الإرث، وتعدّه ظلماً تأباه فلسفتهم، ونظرة الشيوعيين إلى الإرث جزء من نظرتهم إلى الملكية الفردية التي ينادون بالقضاء عليها بهدف العودة إلى الحياة الشيوعية الأولى كما يزعمون.

أما المجتمعات الغربية فإنها تتباين في نظرتها إلى الإرث، فلو أخذنا التشريع الإنجليزي مثلاً لوجدنا أنهم يجعلون التركة للابن الأكبر دون سواه.

أما تشريع الإرث في الإسلام فيقرر للمرأة حقوقها أمماً وزوجة وبناتاً وأختاً وجدّة، كما يقرر للكبير والصغير حقهما حتى لو كان الصغير جنيناً، ويجعل أسباب الإرث وجود علاقة من قرابة أو زوجية.
ويظهر الإعجاز التشريعي في مسألة الإرث أن القرآن الكريم سطر نظام الإرث في صفحة واحدة راعت الجوانب الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية للأسرة والمجتمع.

الأسئلة

- ١- ما الفرق بين شمول الأحكام القرآنية وعمومها؟
- ٢- وضح الفرق بين كمال التشريع الإسلامي وتكامله.
- ٣- تتسم التشريعات القرآنية باليسر ورفع الحرج. وضح ذلك.
- ٤- وضح معنى الثبات والتطور في القواعد التشريعية العامة كالعدل والشورى.
- ٥- قارن بين النظرة الشيوعية والنظرة الإسلامية للإرث.

إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز العلمي)

الدرس السابع

جاء في القرآن الكريم إشارات إلى حقائق علمية تكشفت للناس بعد زمن طويل نتيجة للتقدم العلمي، فلم يكن العقل البشري غداة نزول القرآن الكريم في وضع يمكنه من إدراك هذه الحقائق، أو يتحسس مواطن العظمة والإعجاز في الآيات الكريمة نتيجة لمحدودية قدرته، فكيف تأتي لمحمد النبي الأمي أن يقدم لنا هذه الكشوف العلمية وهو ابن الجزيرة العربية التي لم يكن للمعمل فيها موضع معتبر. إن هذا دليل على مصدر القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى، فصار ذلك الإعجاز العلمي من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهذا ما نتعرفه في هذا الدرس.

أولاً : الحقائق العلمية والنظريات العلمية

يجدر التنبيه إلى أن الإعجاز العلمي يكون بالنسبة للحقائق العلمية التي توصل إليها العلم بصورة قاطعة، وأصبحت حقيقة غير قابلة للنقاش، ولا يمكن أن تبطل وتنقض مهما تقدمت علوم الإنسان ومكتشفاته ومعارفه، ومثالها الزوجية، فهي حقيقة علمية تقوم على أن المخلوقات وجدت على أساس النظام الزوجي بدءاً من الخلية وانتهاء بالإنسان، أما إذا لم تتعد الكشوف العلمية حدود النظريات والفرضيات فإن من الخطأ المجازفة بحمل آيات القرآن الكريم عليها، استباقاً للزمن في محاولة لبيان السبق العلمي في القرآن الكريم، وربما انهارت النظرية فكيف يكون موقف هؤلاء المتعجلين حينذاك، وهم يعلمون أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ونبين في هذا المجال أن العلم الحديث قد أثبت أن لا تصادم بين حقائق الكون وما جاء في القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم كلام الله، والكون صنع الله تعالى، وكلام الله وصنعه لا يتصادمان أبداً، بل يصدق أحدهما الآخر، لأن مصدرهما واحد، وإذا بدا للإنسان تصادم بين الحقائق العلمية والقرآن من تعارض ظاهري فمنشؤه أحد أمرين: ١- إما ضعف في الإدراك حيث قدم النظرية العلمية في ثوب الحقائق العلمية القاطعة. ٢- أو تأويل غير سديد للآيات القرآنية جعل التعارض قائماً بين النص القرآني والحقيقة العلمية. ومما ينبغي التنبيه إليه أن القرآن وإن احتوى بعضاً من الإشارات العلمية إلا أنه لا يمكن القول بأنه كتاب علوم، بل هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانياً : أمثلة من الإعجاز العلمي

١- الزوجية: فقد ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى خلق من كل شيء زوجين، وأن الكون كله قائم على الزوجية

وهو علم لم يوثق بحقائق علمية إلا بعد تقدم العلوم المعاصرة، قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

٢- تطور الجنين: قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عِلْقَةً مَّخْلُوقَةً مُّضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢)

وقال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (٣)

لقد كان الاعتقاد السائد عند العلماء أن الإنسان يخلق دفعة واحدة في رحم أمه، ثم يبدأ النمو شيئاً فشيئاً، وقد تغير هذا الاعتقاد بعد التقدم العلمي، إذ اكتشف علماء الأجنة أن الإنسان إنما يخلق نطفة أولاً، ثم يصير علقة، ثم مضغة وهي - ما يشبه اللحم الممضوغ - وفي المضغة يتطور الهيكل العظمي، وبعد تشكل العظام تغطي بالعضلات وتكسى باللحم، إن الذي توصل إليه العلم الحديث نطق به القرآن على لسان النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، فتبارك الله أحسن الخالقين.

٣- فائدة الرياح : قال الله تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِحَ فَاذْلُنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ (٤)

سبقت هذه الآية ما وصل إليه العلم بشأن الرياح، وأنها عامل مهم في نقل حبوب اللقاح إلى أعضاء النبات المؤنثة ليتم بذلك عقد الثمار، إضافة إلى أن الرياح تنقل النويات التي تتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون نقطاً من الماء نامية داخل السحب، هي المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحاب، وتتكون هذه النويات من أملاح البحار وما تذرره الرياح من سطح الأرض، والأكاسيد والأترية ونحوها وكلها لازمة للمطر.

وفي الآية معنى آخر وهو أن الرياح تسوق السحب سالبة التكهرب وتلقي بها في السحب موجبة التكهرب، فيحدث البرق والرعد والمطر وهي بهذا المعنى لوائح أيضاً.

(١) سورة يس، الآية (٣٦).

(٢) سورة المؤمنون، الآيات (١٢ - ١٤).

(٣) سورة الحج، الآية (٥).

(٤) سورة الحجر، الآية (٢٢).

الأسئلة

- ١- ما المقصود بالإعجاز العلمي؟
- ٢- ما الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية؟
- ٣- لا تصادم بين حقائق الكون وما جاء في القرآن الكريم، وضّح ذلك.
- ٤- من الأمثلة على الإعجاز العلمي، تطور الجنين، بيّن ذلك.
- ٥- قال الله تعالى:

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَائِفِينَ ﴾^(١)

بيّن أوجه الإعجاز العلمي في الآية الكريمة.

(١) سورة الحجر، الآية (٢٢).

إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز بالإخبار عن الغيب)

درست سابقاً ثلاثة من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وفي هذا الدرس بيان لنوع آخر منه، وهو الاعجاز بالإخبار عن الغيب، فما المراد بهذا النوع من الإعجاز؟ وما الأمثلة الدالة عليه؟

أولاً : معنى الإعجاز بالإخبار عن الغيب

هو إخبار القرآن عن أمور غيبية في الماضي أو الحاضر أو المستقبل في أمور الدنيا أو أمور الآخرة لا يعرفها أحد من الناس.
ووجه الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، أن ما ورد ذكره من أمور الغيب لم يكن الرسول ﷺ ولا قومه على دراية ومعرفة بها، فدل ورودها في القرآن الكريم على أن مصدرها الوحي.

ثانياً : أنواع الإخبار عن الغيب

إخبار القرآن بالغيب أنواع ثلاثة هي:

١- الإخبار عن غيب الماضي: والمراد به أخبار الأقسام السابقين كقوم عاد وثمود وقوم فرعون، وقصص الأنبياء والمرسلين السابقين مثل: آدم ونوح وإبراهيم ويوسف وغيرهم، وأخبار الصالحين مثل: لقمان ومريم وأصحاب الكهف. فقد صرح القرآن الكريم بأخبار هؤلاء في أماكن متعددة من الآيات الكريمة، ووجه الإعجاز في هذه الأخبار أن النبي ﷺ وقومه لا علم لهم بأخبار الماضين، فجاء القرآن الكريم يعلمهم بها من عند الله تعالى في قومه :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَسْمَعُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ (١)

٢- الإخبار عن غيب الحاضر: المراد بغيب الحاضر، المغيبات التي حدثت في عهد رسول الله ﷺ، لا سيما الإخبار عن ما كان يخفيه المنافقون من تأمر على رسول الله ﷺ، ومن ذلك إخباره عن أهداف المنافقين من قيامهم ببناء مسجد الضرار زاعمين أنه للصلاة ولإيواء المساكين، وطلبوا إلى الرسول ﷺ أن يصلي فيه والحقيقة أنهم بنوه للتأمر على رسول الله وعلى الإسلام والمسلمين، فكشف الله خبيث نياتهم وأعلم رسوله

(١) سورة هود، الآية (٤٩).

بذلك فأنزل قوله تعالى: .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أُرِدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَسْهَدُ لَهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٥٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (١)

٣- الإخبار عن غيب المستقبل: فقد ورد في القرآن الكريم أخبار عن أمور غيبية ستقع في المستقبل، وقد وقعت كما أخبر الله تعالى، فهذه الأخبار مما اختص الله تعالى بعلمه لأنها من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، وإن وقوعها دليل على إعجاز القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك: إخباره - سبحانه وتعالى - بأن الروم ستغلب الفرس في بضع سنين، حيث كانت الحرب دائرة بين الفرس والروم، فغلب الفرس الروم مما أفرح المشركين لأنهم وثنيون مثلهم، وحزن المسلمون لهزيمة الروم لأنهم أهل كتاب، فنزلت الآيات الكريمة تخبر بانتصار الروم في المستقبل، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ (٢)

وتحقق النصر للروم بعد تسع سنين من نزول الآيات الكريمة.

ومن الأمثلة على الإخبار عن غيب المستقبل إخبار القرآن الكريم عن النهاية البائسة لعدد من زعماء المشركين الذين حاربوا الدعوة الإسلامية بأنهم سيموتون على الكفر وتحقق ذلك والرسول لا علم بنهاياتهم، ومنهم أبو لهب الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿٣﴾ إِذْ مَاتَ كَافِرًا. وَأَبُو جَهْلٍ الَّذِي قُتِلَ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ كَافِرًا، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ الَّذِي مَاتَ كَافِرًا.

نشاط

ارجع إلى تفسير ابن كثير ولخص في دفترك تفسير الآيات الكريمة من (١١-٣٠) من سورة المدثر.

(١) سورة التوبة، الآيتان (١٠٧، ١٠٨).

(٢) سورة الروم، الآيات (١-٥).

(٣) سورة المدثر، الآية (١).

الأسئلة

- ١- ما المقصود بالإعجاز بالإخبار عن الغيب؟
- ٢- ما وجه الإعجاز في الإخبار عن الغيب؟
- ٣- عدد أنواع الإخبار عن الغيب .
- ٤- من أنواع الإخبار عن الغيب، الإخبار عن غيب الحاضر، وضح ذلك .
- ٥- الإخبار عن غيب المستقبل من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، بين ذلك .

الوحدة الـعاشرة

علم الفقه

وتشتمل هذه الوحدة على:

- علم الفقه (تعريفه، موضوعه، أهميته).
- نشأة المذاهب الفقهية.
- المذاهب الفقهية.
- تقنين الفقه الإسلامي.
- التأمين.
- النذر.
- الكفارات.
- التسعير.
- بيع التفسير.
- التبرع بالأعضاء.
- طفل الأنابيب.
- الضرورة الشرعية.

الدرس الأول

علم الفقه (تعريفه، موضوعه، أهميته)

علم الفقه هو أحد العلوم الشرعية الأساسية، وقبل البحث في مسأله، لا بدّ من بيان تعريفه، وتحديد موضوعه، لأن العلوم تتميز عن بعضها بتمايز موضوعاتها. ولا بدّ من إدراك أهمية هذا العلم، وحاجة الناس إليه، فما حقيقة هذا العلم؟ وما أهميته؟

أولاً: تعريف علم الفقه

أطلق الفقه في العصور الأولى للإسلام، على العلم بجميع أحكام الإسلام الاعتقادية: كوجوب الإيمان بالله تعالى، والأحكام الوجدانية: كالالتزام بالأخلاق الفاضلة من صدق وأمانة. والأحكام العملية: كالصلاة والصيام، والبيع والزواج، وذلك لأن المعنى اللغوي لكلمة الفقه يشمل جميع هذه الأحكام وغيرها.

نشاط

اذكر معنى الفقه في اللغة، واكتبه في دفترك.

وفي العصر العباسي عصر تدوين العلوم الشرعية، وتصنيفها طراً تطور على مفهوم الفقه، فأصبح له معنى خاص وهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية والمراد بالأحكام الشرعية العملية الأحكام المتعلقة بعمل الإنسان: كالصلاة والصيام، وقراءة القرآن، والبيع والشراء، والإجارة والزواج وغير ذلك.

نشاط

اكتب في دفترك فائدة قيد «الشرعية» الواردة في تعريف الفقه.

ثانياً: موضوع علم الفقه

عرفت مما سبق أن الفقه الإسلامي يتعلق بأفعال الناس من صلاة وصيام وبيع وإجارة، من حيث بيان الحكم الشرعي لها: كوجوب الصلاة، وإباحة البيع، وشرط الوضوء للصلاة. وعليه فإن موضوع الفقه الإسلامي هو الأحكام المتعلقة بأفعال الناس. وهي شاملة لجميع أنشطة الفرد والجماعة، مثل العبادات كالصلاة والصيام

والحج، والمعاملات المالية التي تنشأ بين أفراد المجتمع من بيع وإجارة وهبة، ووديعة وشركة وغيرها من المعاملات المالية، والعلاقات الاجتماعية التي تنظم الأسرة من زواج وطلاق، ونسب ونفقة، والعلاقات السياسية التي تحدد علاقة الدولة بالأفراد من وجوب العدل والمساواة، واحترام حقوق الأفراد، وعلاقة الدولة بالدول الأخرى.

نشاط

اذكر موضعين آخرين من موضوعات علم الفقه واكتبهما في دفترك.

ثالثاً : أهمية علم الفقه

- ١- إن دراستك لعلم الفقه الإسلامي تحقق لك ولمجتمعك الذي تعيش فيه وللعالم بأكمله فوائد كبيرة نذكر منها:
- نيل رضا الله تعالى : إن دراسة هذا العلم تحقق للدارس رضا الله تعالى وتوفيقه، والهداية إلى الخير، قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين»^(١).
- ٢- تنظيم حياة الأفراد والجماعات : إن معرفة الأحكام الفقهية المتعلقة بأفعال الناس، تعين المسلم على الالتزام بتلك الأحكام، من حلال وحرام، وتضبط حياة الأفراد والجماعات بمنهج شرعي رشيد، بعيداً عن التأثر بالأهواء والشهوات، والوسوس الشيطانية.
- ٣- حل المشكلات الإنسانية : إن دراسة الأحكام الفقهية تزود المسلم بالحلول الشرعية للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية، التي تعاني منها المجتمعات، كمشكلة الفقر والبطالة وغيرها.
- ٤- معالجة القضايا المستجدة : إن الفقه الإسلامي بما تضمّنه من مناهج في استنباط الأحكام الشرعية يعين الدارس على معرفة الأحكام الشرعية للقضايا الحياتية التي تطرأ في المجتمع مثل حكم التأمين وأطفال الأنابيب.
- ٥- تأكيد صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان : الفقه الإسلامي بقدرته على معالجة القضايا المستجدة، يولد عند المسلم قناعة تامة بصلاحية الإسلام للتطبيق، في كل زمان ومكان، وبقدرته على استيعاب تطورات العصر، ومعطيات العلم.

(١) حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق.

١- انقل إلى دفترك العبارات الآتية ثم ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة:

أ - أصبح علم الفقه في عصر التدوين يطلق على:

١ . العلم بأحكام الدين من عقائد وعبادات ومعاملات .

٢ . العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية .

٣ . العلم بأعمال القلوب من المقاصد والنيات .

٤ . العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالعقائد فقط .

ب - المراد بالأحكام الشرعية العملية الأحكام المتعلقة:

١ . بأعمال الإنسان من صلاة وبيع

٢ . بعمل الإنسان بيده .

٣ . بالمعاملات المالية بين الناس .

٤ . جميع ما ذكر .

٢- بيّن مجالات الفقه الإسلامي المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية .

٣- بيّن أهمية الفقه الإسلامي بالنسبة للفرد المسلم .

٤- بيّن حول الفقه الإسلامي ادعاء قصوره عن معالجة قضايا العصر، ما ردك على هذه الشبهة؟

نشاط

اختر أحد النشاطين الآتيين:

- اكتب في دفترك مقالاً عن كيفية معالجة الإسلام لمشكلة الفقر .

- اكتب في دفترك مقالاً عن كيفية معالجة الإسلام لمشكلة البطالة .

نشأة المذاهب الفقهية

عرفت أن الفقه الإسلامي هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، فكيف نشأ علم الفقه، وكيف تكوّنت المذاهب الفقهية؟

أولاً : نشأة الفقه الإسلامي

ابتدأ الفقه الإسلامي منذ عهد النبي ﷺ فقد أنزل الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ القرآن الكريم، متضمناً لكثير من الأحكام العملية، التي يحتاجها الفرد المسلم، والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وقد تناولت آيات القرآن الكريم أحكاماً، مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج، والجهاد في سبيل الله، والزواج والطلاق، والميراث، وغير ذلك. والناظر في آيات الأحكام يجد أنها تعرضت للقضايا الكلية، دون أن تدخل في التفاصيل غالباً، ولهذا كان النبي ﷺ يفصل ما يحتاج إلى تفصيل، ويبيّن ما يحتاج إلى بيان، وقد يأتي بأحكام لم ترد في القرآن، وقد أعطي هذا الحق من الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١)

وقال الله تعالى مخاطباً المسلمين: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(٢) وقد ظل الوحي سواء أكان قرآناً أم سنة نبوية، المرجع الأساس للفقه الإسلامي ولاجتهادات الصحابة رضوان الله عليهم، فحينما كانت تعرض لهم قضية ويحتاجون للحكم فيها يرجعون للقرآن وإلى النبي ﷺ لبيان حكمها في دين الله تعالى.

روى النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل مما قلتهم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله تعالى:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٣)

(١) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٢) سورة الحشر، الآية (٧).

(٣) سورة التوبة، الآية (١٩).

ثانياً : الاختلاف الفقهي في عصر الصحابة رضوان الله عليهم

بعد وفاة النبي ﷺ ومجيء عهد الصحابة، رضوان الله عليهم، ونتيجة لاتساع رقعة الدولة الإسلامية بفتح بلاد الشام ومصر والعراق ظهرت وقائع جديدة تحتاج إلى أحكام شرعية، وكان منهج الصحابة، رضوان الله عليهم، في استنباط الأحكام يتمثل في:

١- الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإن وجدوا فيهما حكماً للواقعة عملوا بمقتضاه .
٢- وإن لم يجدوا فيهما حكماً اجتهدوا وأعملوا فكرهم لاستنباط حكم لها، فإن اتفقوا على رأي واحد، كان إجماعاً كإجماعهم على جمع المصحف في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وإجماعهم على مقاتلة المرتدين بعد التشاور وتداول الآراء في ذلك.

٣- وإن اختلفوا بقي كل صاحب رأي على رأيه، إلى أن يظهر لأحدهم أن الحق في رأي غيره لظهور دليل من الكتاب أو السنة، فإن ظهر له ذلك سارع بالرجوع إليه، والتسليم له، وخير مثال على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه كان يرى أن امرأة المقتول ليس لها نصيب في ديته، وإنما توزع الدية جميعها على أقاربه دون الزوجة. فلما كتب إليه الضحاک بن سفيان الكلابي أن رسول الله ﷺ: «ورث امرأة أشيم الضبابي، رضي الله عنه، دية زوجها»^(١) سارع عمر، رضي الله عنه، إلى الرجوع عن رأيه. وقال لو لم نسمع بهذا لقضينا بخلافه.

٤- وإذا لم يظهر دليل يستدعي الرجوع عن الرأي، بقي الاختلاف الفقهي بين الصحابة ولم يكن ذلك يؤثر في أخوتهم، وما أنشأه الإيمان فيهم من توادد ومحبة، فالاختلاف لا يفسد للود قضية، كما لا يفسد الاحترام المتبادل بينهم، ولو كان صاحب الرأي الآخر صاحب سلطة ونفوذ. فقد روي عن عمر، رضي الله عنه، في أثناء خلافته أنه لقي رجلاً له قضية فسأله ماذا صنعت؟ فقال الرجل: قضى علي بن أبي طالب بكذا. فقال عمر: لو كنت أنا لقضيت بكذا، فقال الرجل: ما يمنعك والأمر إليك، فأجابه عمر: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة رسول الله ﷺ لفعلت، ولكنني أردك إلى رأيي، والرأي مشترك، ولمست أدري أي الرأيين أحق؟
وبعد عصر الصحابة، رضوان الله عليهم، ازدادت الوقائع الجديدة، وكثرت الاجتهادات الفقهية، نتيجة وجود طرائق مختلفة لاستنباط الأحكام الشرعية، وتمايزت هذه الطرائق إلى أن ظهرت المذاهب الفقهية.

(٢) حديث حسن، رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب العقول، باب ميراث العقل، تقوير الجواك، ٢١٩٠ وابن ماجه في سننه، كتاب النديات، باب الميراث من الدية، ٨٨٣/٢ .

- ١- ما مصادر الفقه الإسلامي في عصر النبي ﷺ؟
- ٢- كيف كان الصحابة يحسمون الخلافات الفقهية فيما بينهم؟
- ٣- انقل إلى دفترك العبارات الآتية: ثم ضع كلمة (صح) أمام العبارة الصحيحة، وكلمة (خطأ) أمام العبارة الخاطئة.
 - أ - الجمع الأول للمقرآن الكريم حدث في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه.
 - ب - الرسول ﷺ يأتي بأحكام غير موجودة في القرآن الكريم.
 - ج - الجهاد في سبيل الله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.
 - د - نشأ الفقه الإسلامي بعد وفاة النبي ﷺ.

المذاهب الفقهية

عرفت أن الفقهاء اختلفوا في فهم النصوص واستنباط الأحكام، وقد كان لكبار هؤلاء الفقهاء قواعد ومناهج في الاستنباط واستخراج الأحكام، مما ترتب عليه ظهور مدارس فقهية تميز بعضها عن بعض، وأهم هذه المدارس هي:

- ١- المذهب الحنفي .
- ٢- المذهب المالكي .
- ٣- المذهبي الشافعي .
- ٤- المذهب الحنبلي .

وفي هذا الدرس تعريف بمؤسسي هذه المذاهب والأصول التي اعتمدها كل إمام في استنباط الأحكام الفقهية.

أولاً : المذهب الحنفي

١- مؤسس المذهب الحنفي: ينسب المذهب الحنفي إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، المولود في مدينة الكوفة بالعراق سنة (٨٠)هـ، نشأ الإمام أبو حنيفة في الكوفة وبغداد، واهتم بالعلم منذ الصغر، حتى بلغ في العلم منزلة عظيمة لم يصل إليها أحد من أقرانه.

وقد شهد له بذلك كثير من العلماء منهم الإمام الشافعي، الذي قال فيه: «ما رأيت أحداً أفقه من أبي حنيفة». وأخذ رحمه الله العلم عن عدد كبير من العلماء، منهم حماد بن أبي سليمان فقيه أهل الرأي في العراق، إذ لازمه الإمام أبو حنيفة ما يقرب من ثمانية عشر عاماً، وأخذ عن فقهاء أهل الحديث مثل عطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس، ونافع مولى عبد الله بن عمر.

اشتغل الإمام أبو حنيفة بتجارة الحرير، وكان أميناً في تجارته، صادقاً في تعامله، وكان رحمه الله تعالى، تقياً، ورعاً، فقد رفض منصب القضاء الذي عرض عليه مرات عدة خشية أن يحكم بحكم لا يرضى الله عنه، توفي رحمه الله ببغداد سنة (١٥٠) هـ.

٢- أصول مذهبه: اعتمد رحمه الله في استنباط الأحكام على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع وأقوال الصحابة والقياس، والاستحسان وغيرها، واشتد في مجال السنة شروطاً زائدة على غيره لقبول الحديث وعده حجة في الأحكام الشرعية، ومن هذه الشروط:

- أ - أن يكون الحديث مشهوراً إذا كان موضوعه مما يكثر وقوعه بين الناس، كرفع اليدين عند الركوع في الصلاة، ولذلك لم يعمل بما جاء في رفع اليدين من أحاديث لأنها لم تصل إلى حد الشهرة بين الناس.
- ب - أن لا يعمل راوي الحديث بخلاف ما يرويه، ولهذا لم يعمل أبو حنيفة بحديث: «إذا ولغ الكلب في أناء

أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب» لأن أبا هريرة راوي الحديث عمل بخلاف الحديث فغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب ثلاث مرات فقط .

وقد ترتب على هذه الشروط عدم العمل بكثير من أحاديث الأحاد، واللجوء إلى القياس والاجتهاد والإكثار منهما.

٣- تلاميذ الامام أبي حنيفة : للإمام أبي حنيفة عدد من الأصحاب والتلاميذ دونوا فقهه، ونشروه في بلاد المسلمين منهم: أبو يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الذي تولى القضاء حتى وصل منصب قاضي القضاة، ومحمد بن الحسن الشيباني.

٤- أهم كتب المذهب الحنفي : تنوعت كتب المذهب الحنفي، ومن أهمها: الهداية شرح بداية المبتدي لعلي المرغيناني .

ثانياً : المذهب المالكي

١- مؤسس المذهب المالكي: ينسب المذهب المالكي إلى الإمام مالك بن أنس، الذي ولد بالمدينة المنورة

سنة (٩٣) هـ، وعاش حياته فيها ولم يفارقها إلا للحج، تلقى العلم عن علماء المدينة مثل نافع وابن شهاب الزهري وغيرهما. وكان رحمه الله شغوفاً بطلب العلم، حريصاً عليه، صبوراً على المشاق في سبيله، حتى باع سقف بيته وأنفق في طلب العلم. وكان شديد الاحترام والتعظيم للعلم، فلا يجلس لرواية الأحاديث إلا بعد أن يغتسل، ويلبس أحسن ثيابه، ويضع الطيب. ولما تم تكوينه العلمي لم يتقدم للفتوى إلا بعد أن شهد له سبعون عالماً بأنه أهل لذلك. وكان رحمه الله، على درجة عالية من التقوى، حتى قال فيه ابن مهدي: «ما رأيت أحداً أتم عقلاً، ولا أشد تقوى من مالك»، توفي رحمه الله بالمدينة المنورة، ودفن بها سنة (١٧٩ هـ).

٢- أصول المذهب المالكي: يعتمد المذهب المالكي في الاستنباط الفقهي على الأصول نفسها التي اعتمدها الإمام أبو حنيفة إلا أن مذهب الإمام مالك اختص بعدة أمور منها:

أ - اشترط لقبول حديث الأحاد أن يكون موافقاً لعمل أهل المدينة، لقرب عهدهم برسول الله ﷺ ، ولأن أهل المدينة لا يقومون بأعمال تخالف الإسلام، لأن الرسول ﷺ عاش بينهم وكانت حياتهم تطبيقاً للإسلام. ولهذا لم يأخذ بحديث: «البيوع بالخيار ما لم يتفرقا»^(١) فالإمام مالك لم يعمل بمقتضى هذا الحديث، لأنه يخالف عمل أهل المدينة، فقد جرى العمل عندهم على لزوم العقد بعد انعقاده، ولا يحق لأحدهما الرجوع عنه. بينما أعطى هذا الحديث المتبايعين حق الرجوع عن العقد، وفسخه ما دام في المجلس الذي انعقد فيه العقد، أما إذا افترقا فلا يجوز لأحدهما الرجوع عن العقد.

(١) صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب ثبوت خيار المجلس

- ب - توسع الإمام مالك في العمل بالمصالح المرسلة، فقال في زوجة المفقود إن لها أن تعتد وتتزوج بعد أربع سنين من انقطاع أخبار زوجها، مرجحاً مصلحة الزوجة على مصلحة الزوج الغائب.
- ٣ - كتب الإمام مالك: ترك الإمام كتباً قيمة في الفقه والحديث نذكر منها:
- أ - المدونة الكبرى: وهي تشتمل على المسائل الفقهية التي رواها عنه تلاميذه، فقد رواها سحنون عن عبد الرحمن بن القاسم، وكان لها أكبر الأثر في حفظ المذهب.
- ب - الموطأ: وهو يشتمل على أحاديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم مرتبة على أبواب الفقه، وهو في الحقيقة ثروة غنية في الحديث والفقه.
- ٤ - تلاميذ الامام مالك: ترك الإمام مالك عدداً كبيراً من التلاميذ عملوا على نشر مذهبه منهم:
- أ - ابن القاسم: هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم، الذي روى عن الإمام مالك المدونة.
- ب - سحنون: هو عبد السلام بن سعيد التنوخي، الذي روى المدونة الكبرى عن ابن القاسم.
- ٥ - أهم الكتب في المذهب المالكي: بالإضافة إلى كتاب «المدونة الكبرى» يوجد كثير من الكتب المعتمدة في المذهب منها: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن عرفة الدسوقي.

ثالثاً: المذهب الشافعي

- ١ - مؤسس المذهب الشافعي: ينسب هذا المذهب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي ولد في مدينة غزة سنة (١٥٠ هـ)، نشأ يتيماً فقيراً حيث توفي والده بغزة والشافعي ابن سنتين، فانتقلت به أمه إلى مكة المكرمة موطن آبائه وعشيرته فنشأ بها وحفظ القرآن الكريم صغيراً، وأقام بالبادية مدة فأفاد الفصاحة والأدب والشعر، وتفقه في مكة على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة المكرمة في ذلك الوقت. ورحل الشافعي في طلب العلم إلى المدينة المنورة فتلقى الفقه والحديث عن الإمام مالك بن أنس، ثم سافر إلى العراق وأخذ الفقه عن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمه الله، ثم سافر إلى مصر وأقام فيها إلى أن توفي سنة (٢٠٤ هـ). قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «كان الشافعي كالشمس للدينيا وكالعافية للبدن، فانظر هل لهذين من عوض أو خلف». وقد كان رحمه الله غاية في الشجاعة والكرم.
- ٢ - أصول مذهب الشافعي: يتفق الإمام الشافعي في أصول أدلة الأحكام مع المذاهب الأخرى في اعتماد الكتاب والسنة والإجماع والقياس أصولاً لاستنباط الأحكام الشرعية، ومما يميز مذهب الشافعي عن المذاهب الأخرى ما يأتي:
- أ - أنه يقف عند ظواهر النصوص من القرآن والسنة، حتى يقوم دليل آخر على أن المراد غير ظاهر النص، فقد فسّر قوله تعالى: ﴿أُولَئِمُّمُ النِّسَاءِ﴾^(١) بالمباشرة باليد في حين فسرها أبو حنيفة بالجماع.

(١) سورة النساء، الآية (٤٣).

- ب - يأخذ بحديث الأحاد إذا كان راويه ثقة ضابطاً ما دام متصلاً برسول الله ﷺ .
- ج - يأخذ الشافعي بقول الصحابي في الأحكام إذا لم يعلم له مخالف . أما إذا كان للمصحابة أقوال مختلفة في المسألة ، فإنه يأخذ من تلك الأقوال ما يراه أقرب إلى القرآن والسنة .
- د - لم يأخذ بالاستحسان وكتب كتاباً في إبطاله ، بحجة أن الاستحسان لا ضابط له .
- ٣- كتب الإمام الشافعي : بالإضافة إلى كتاب «إبطال الاستحسان» ، كتب الشافعي كتباً عدة في الفقه والأصول منها .
- أ - كتاب الحجّة: وهو الكتاب الذي يشتمل على الأحكام الفقهية التي أفتى بها الإمام الشافعي في العراق .
- ب - كتاب الأم: وهو الكتاب الذي يشتمل على المسائل التي أفتى بها الإمام الشافعي في مصر ، وما استقر عليه من المذهب .
- ج - كتاب الرسالة: وهو الكتاب الذي وضع فيه علم أصول الفقه ، ويشتمل على أصول مذهبه .
- ٤- تلاميذ الإمام الشافعي: للإمام الشافعي تلاميذ أسهموا في نقل فقهه ونشر مذهبه منهم .
- أ - البويطي: يوسف بن يحيى البويطي .
- ب - المزني: إسماعيل بن يحيى المزني المصري ، له كتاب مختصر في الفقه الشافعي ، يعرف باسم مختصر المزني .
- ٥- أشهر كتب المذهب الشافعي: مغني المحتاج ، للخطيب الشربيني .

رابعاً : المذهب الحنبلي

- ١- مؤسس المذهب الحنبلي: ينسب المذهب الحنبلي إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، ولد ببغداد سنة (١٦٤ هـ) ونشأ بها . توفي أبوه وهو صغير فقامت أمه على تربيته وتنشئته . رحل في طلب العلم إلى الكوفة والبصرة ، والمدينة المنورة ، والشام واليمن ، وتلقى العلم من مشاهير علماء الأمصار ، التي رحل إليها ، مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعي .
- وكان الإمام أحمد يتمتع بقوة الفهم والإدراك والحفظ ، فقد حفظ عدداً كبيراً من أحاديث الرسول ﷺ ، وكان الإمام كثير التصديق بالمال على الفقراء والمحتاجين ، توفي رحمه الله ببغداد سنة (٢٤١ هـ) .
- ٢- أصول مذهب الإمام أحمد : يتفق المذهب الحنبلي في أصول أدلة الأحكام الشرعية مع بقية المذاهب فهو يعتمد على القرآن والسنة والإجماع والقياس ، ويضيف إليها الاستحسان والمصالح المرسلّة وسد الذرائع ، ولكنه يقدّم الأحاديث وأقوال الصحابة على الاجتهاد ، من قياس واستحسان ومصالح مرسلّة . ولو كان الحديث ينتابه بعض الضعف ، بشرط أن لا يكون الضعف شديداً يغلب على الظن أنه ليس من أحاديث النبي ﷺ .

٣- كتب الإمام أحمد: كتب الإمام أحمد كتباً عدة أهمها «مسند الإمام أحمد». جمع فيه ما رواه من أحداث، وهي تبلغ ما يقرب من (٤٠) ألف حديث انتقاهما من (٧٥٠) ألف حديث، والمسند مرتب على طريقة المسانيد المعروفة في علم الحديث.

٤- تلاميذ الإمام أحمد: تتلمذ على الإمام أحمد عدد كبير من التلاميذ منهم:

أ - ابنه صالح وعبد الله، فقد روى عبد الله عن أبيه المسند وقيل أنه هو الذي رتب على طريقة المسانيد، ثم زاد على ما جمعه أبوه من أحاديث، بقصد زيادة الفائدة.

ب - إسحاق التيمي وهو أبو يعقوب المروزي ولد بمرو، كتب عن الإمام أحمد كثيراً من مسائل الفقه.

٥- أشهر كتب المذهب الحنبلي: المغني: لابن قدامة المقدسي.

شرح منتهى الإرادات: لمنصور بن يونس البهوتي.

الأسئلة

- ١ - بماذا تعلل امتناع أبي حنيفة عن قبول منصب القضاء؟
- ٢ - بين أصول مذهب الإمام أبي حنيفة في الاجتهاد.
- ٣ - لماذا كثر استعمال القياس في المذهب الحنفي؟
- ٤ - ماذا يشترط الإمام مالك لقبول حديث الأحاد؟
- ٥ - اذكر مثلاً فقهياً على سد الذرائع الذي استخدمه الإمام مالك.
- ٦ - ما موقف الإمام الشافعي من الاستحسان؟
- ٧ - ما موقف الإمام الشافعي من أقوال الصحابة المختلفة؟
- ٨ - بين الأصول التي اعتمدها الشافعي في الاجتهاد.
- ٩ - بين موقف الإمام أحمد من العمل بالحديث الضعيف.
- ١٠ - ضع رمز الكتاب من القائمة الأولى في مربع العبارة التي تناسبه في القائمة الثانية:

- | | | |
|------------------------------------|--------------------------|---------------------------------|
| أ - كتاب الحجّة يشتمل على | <input type="checkbox"/> | المذهب الجديد من الفقه الشافعي. |
| ب - كتاب إبطال الاستحسان يشتمل على | <input type="checkbox"/> | أصول الفقه. |
| ج - كتاب الأم يشتمل على | <input type="checkbox"/> | المذهب القديم من الفقه الشافعي. |
| د - كتاب الرسالة يشتمل على | <input type="checkbox"/> | الرد على من قال بالاستحسان. |
| | <input type="checkbox"/> | بر الوالدين وبخاصة الأم |

١١- انقل إلى دفترك العبارات الآتية، ثم ضع دائرة حول الإجابة الصحيحة.

أ - لم يعمل أبو حنيفة بحديث ولوغ الكلب لسبب:

١- ضعف الحديث عنده .

٢- عدم اشتهاه الحديث .

٣- مخالفة الحديث للعقل .

٤- عمل راوي الحديث بخلافه .

ب - لم يتقدم الإمام مالك للمفتوى إلا بعد أن:

١- صنف كتاب الموطأ .

٢- سافر إلى العراق .

٣- شهد له سبعون عالماً بالقدرة على ذلك .

٤- صنف كتاب المدونة .

ج - لم يستدل الإمام مالك بحديث: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» لأنه:

١- ضعيف السند والمتن .

٢- غير مشهور .

٣- يخالف عمل الراوي .

٤- يخالف عمل أهل المدينة .

ترتب على اجتهادات الفقهاء وأصحاب المذاهب وجود ثروة كبيرة من الأحكام والمصطلحات الفقهية المنبثقة في ثنايا الكتب والموسوعات الفقهية، بحيث يصعب على القضاة الإلمام بتلك الأحكام، والرجوع إليها عند الحكم في قضية من القضايا، مما دفع بعض العلماء إلى التفكير بطريقة تسهّل على القضاة مهمتهم، فما هذه الطريقة؟ وما أهميتها بالنسبة للقاضي؟

أولاً : مفهوم تقنين الأحكام الفقهية

المراد بالتقنين: صياغة الأحكام الفقهية في صورة مواد قانونية ملزمة ومبوبة، بحسب الموضوعات التي تنتظمها.

وهذا العمل يحتاج إلى لجنة من العلماء تقوم بمراجعة الأحكام في المذاهب الفقهية المختلفة، ومناقشة أدلتها، والخروج بالرأي الراجح. وصوغ الآراء الراجعة في قواعد قانونية، وترتيبها ترتيباً حسب الموضوعات. وعرضها على الجهات المختصة في الدول من أجل اعتمادها ووضعها موضع التنفيذ. كي يلتزم بها جميع القضاة في تلك الدولة. مثل قوانين الأحوال الشخصية المطبقة في المحاكم الشرعية في المملكة الأردنية الهاشمية والبلاد العربية.

نشاط

اذكر موضوعاً من الفقه الإسلامي تم تقنينه في المملكة الأردنية الهاشمية واكتبه في دفترك.

ثانياً : نشأة التقنين

يُرجع العلماء نشأة تقنين الفقه الإسلامي إلى زمن أبي جعفر المنصور. إذ عرض عليه عبد الله بن المقفع تدوين مدونة فقهية تلزم الدولة بها جميع الأفراد، ولكن العلماء رأوا عدم الحاجة لذلك لأمرين:

- ١- قلة الاجتهادات الفقهية.
 - ٢- إن القاضي كان مجتهداً عارفاً بمواطن الاتفاق والاختلاف فلا داعي للتقنين.
- ولكن بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثرت الاجتهادات الفقهية، ظهرت الحاجة للتقنين بخاصة في القرنين الأخيرين، فقد اهتم السلطان عالمكير الهندي بهذا الأمر وشكل لجنة علمية لذلك، فوضعت كتاب الفتاوى

الهندية في المذهب الحنفي، إلا أن الدولة لم تلزم القضاة به، لأنه لم يكن تقنياً بالمعنى المقصود، وإنما كان كتاباً فقهياً تعليمياً ثم توالى الاهتمام بتقنين الأحكام الفقهية بعد ذلك، حتى ظهرت قوانين عدة في المعاملات المالية والأحوال الشخصية في عصر الدولة العثمانية، مثل مجلة الأحكام العدلية، والتي تعد أول تقنين للأحكام الفقهية في البلاد الإسلامية.

ثالثاً: أهمية تقنين الأحكام الفقهية

أدى تقنين الأحكام الفقهية إلى كثير من الفوائد نذكر منها:

- ١- تسهيل مهمة القاضي في الرجوع إلى الأحكام الفقهية: إذ إن تقنين الأحكام يؤدي إلى جمع تلك الأحكام وترتيبها ترتيباً موضوعياً يسهل على القاضي الرجوع إلى القاعدة التي يريد لها للحكم في القضية المعروضة عليه.
- ٢- تحديد الرأي المعتمد في الفقه الإسلامي: والتقنين كذلك يريح القاضي عن عناء المقارنة بين الآراء والمناقشة للأدلة والخروج بالرأي الراجح، فهو يجد الرأي الراجح المعتمد ويطبقه مباشرة.
- ٣- وحدة أحكام القضاة: إن ترك أمر تطبيق الأحكام الفقهية لاجتهاد القاضي واختياره من الآراء الفقهية، يؤدي إلى تباين الأحكام القضائية الصادرة عن القضاة في قضية واحدة، الأمر الذي يجعل الناس يشعرون بعدم تحقق المساواة بينهم، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى بلبلة واضطراب، وعدم الثقة بالقضاة، ولمنع ذلك لا بد من تقنين الأحكام الفقهية، وتحديد الآراء المناسبة للتطبيق في كل عصر، فتكون موحدة في جميع أرجاء الدولة التي تعتمد ذلك التقنين.

نشاط

اذكر فائدة أخرى لتقنين الأحكام الفقهية واكتبه في دفترك.

رابعاً: أمثلة تطبيقية

- ١- مجلة الأحكام العدلية صدرت سنة (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م): أحسّت الدولة العثمانية بحاجة القضاة إلى تقنين الأحكام الفقهية، فشكّلت لجنة من سبعة فقهاء بارزين برئاسة وزير العدلية سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٩)، لتقنين أحكام المعاملات المالية في الفقه الحنفي وتنظيمها. واستمرت اللجنة في عملها سبع سنوات استطاعت أن تضع مجلة الأحكام العدلية بعد المقارنة بين الأقوال في المذهب الحنفي، وترجيح الأقوال المناسبة فيه، وصياغة تلك الأحكام صياغة قانونية في شكل مواد متسلسلة، بلغت (١٨٥١) مادة اشتملت على أبواب في المعاملات مثل البيوع والإيجارات والكفالة. إضافة إلى اشتغالها على قواعد فقهية تعين القاضي في أداء مهمته، مثل قاعدة: «لا ضرر ولا ضرار».

وبعد انتهاء اللجنة من إعداد المجلة عرضتها على الجهات المختصة، وتم اعتمادها من قبل الدولة العثمانية سنة (١٢٩٣هـ-١٨٧٦م)، وصدرت الإرادة السلطانية بتطبيقها في جميع البلاد التابعة للدولة العثمانية، مثل تركيا وبلاد الشام والعراق وليبيا.

٢- القانون المدني الأردني (١٩٧٧م) : استمر تطبيق مجلة الأحكام العدلية في كثير من الدول العربية، ومع طول المدة أحست بعض الدول بضرورة إجراء تعديلات عليها، ومن بين هذه الدول المملكة الأردنية الهاشمية، التي رأت أن المجلة يلاحظ عليها الأمور الآتية:

أ- التزام المجلة بمذهب واحد وهو المذهب الحنفي. وهذا ما جعلها غير قادرة على مجاراة التطور والحاجات المتجددة للأمة.

ب- عدم اتفاق أسلوبها مع أسلوب التقنين التشريعي المعاصر.

ج- ظهور بعض المعاملات الجديدة، التي لم تكن موجودة وقت تدوين المجلة، ويحتاج القضاة إليها اليوم. وبناء على هذه الملاحظات قرّرت المملكة الأردنية الهاشمية، وضع قانون يعتمد على مجلة الأحكام العدلية، وأحكام الفقه الإسلامي على اختلاف مذاهبه، والإفادة من التقنيات المعاصرة فيما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية سُمي بالقانون المدني، وشكلت لهذا الغرض في سنة (١٩٦٥م) لجنة تتكون من بعض أعضاء مجلس الأعيان والنواب، والقضاة وعلماء الشريعة الإسلامية، على أن تستعين هذه اللجنة، بمن تشاء من علماء الشريعة والقانون.

ثم أعيد تشكيل هذه اللجنة في سنة (١٩٧١م)، وقد استطاعت اللجنة الجديدة وضع قانون مدني بعد خمس سنوات، ووضع موضع التنفيذ من قبل الدولة في سنة (١٩٧٧م)، ويقع في (١٤٤٩) مادة، في عقود البيع والإجارة والتأمين وغير ذلك.

وقد أفادت كثير من الدول العربية من هذا القانون واعتمده وزراء العدل العرب أساساً لمشروع قانون المعاملات المالية الموحد للدول العربية.

٣- قانون الأحوال الشخصية الأردني (١٩٧٦م) : كانت الأردن منذ تأسيس الإمارة تطبق قانون حقوق العائلة العثماني، المستمد من المذاهب الفقهية الأربعة الذي أصدرته الدولة العثمانية.

وفي سنة (١٩٤٧م) صدر قانون حقوق العائلة الأردني المؤقت. وفي سنة (١٩٥١م) صدر قانون حقوق العائلة، واستمر العمل به حتى سنة (١٩٧٦م) وهي السنة التي صدر فيها قانون الأحوال الشخصية الأردني الذي نحن بصدده، وما يزال هذا القانون ساري المفعول حتى يومنا هذا، وبموجبه تحكم المحاكم الشرعية الأردنية.

ويشتمل قانون الأحوال الشخصية على (١٨٧) مادة في أحكام الزواج والطلاق والنفقات والنسب والوصايا والميراث وغيرها، وفق المذاهب الفقهية الأربعة، وفي حالة عدم وجود نص فيه، يرجع القاضي إلى الرأي الراجح من المذهب الحنفي.

- ١ - بين المراد بتقنين الأحكام الفقهية.
- ٢ - كيف أدى تقنين الأحكام الفقهية إلى تسهيل مهمة القاضي؟
- ٣ - يؤدي تقنين الأحكام الفقهية إلى وحدة المجتمع ، بين هذا الأثر.
- ٤ - بين الأسباب الموجبة لإجراء التعديلات على مجلة الأحكام العدلية في المملكة الأردنية الهاشمية.
- ٥ - بين أثر القانون المدني الأردني في القوانين الأخرى.
- ٦ - انقل في دفترك العبارات الآتية ، ثم ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة:
 - أ - ترجع فكرة التقنين إلى عصر.
 - ١- هارون الرشيد.
 - ٢- عمر بن الخطاب .
 - ٣- أبي جعفر المنصور.
 - ٤- سليمان القانوني.
 - ب- يرجع سبب عدم التقنين في العصور الأولى إلى:
 - ١- قلة الاجتهادات الفقهية.
 - ٢- التزام القاضي بمذهب محدد.
 - ٣- عدم قدرة العلماء على الصياغة القانونية.
 - ٤- عدم اهتمام الفقهاء بالاجتهاد.
 - ج- طبقت المملكة الأردنية الهاشمية في بداية عهدها في مجال الأحوال الشخصية:
 - ١- قانون الأحوال الشخصية.
 - ٢- قانون حقوق العائلة الأردني.
 - ٣- قانون الأحوال الشخصية السوري.
 - ٤- قانون حقوق العائلة العثماني.

أدى التقدم العلمي إلى ازدهار المعاملات التجارية، حيث أقيمت المصانع، وتنوعت وسائل النقل، من قطارات وسيارات وطائرات وسفن ضخمة، وواكب هذا التقدم وجود مؤسسات مالية وشركات تجارية كبيرة. إن تعرض هذه المؤسسات إلى المخاطر يؤدي إلى فداحة الأضرار التي تلحق بالأفراد والمجتمعات، الأمر الذي أدى إلى التفكير في إيجاد وسيلة تعمل على تفتيت الأضرار الناتجة عن تلك المخاطر. ومن أهم هذه الوسائل التأمين، فما مفهوم التأمين؟ وما أهميته؟ وما أنواعه؟ وما حكم كل منها؟

أولاً : مفهوم التأمين

التأمين في اللغة: مأخوذ من الأمان، وهو زوال الخوف والفرع، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾^(١)

والتأمين في الاصطلاح: تفتيت آثار المخاطر والمصائب وتوزيعها على مجموعة من الناس المشتركين في التأمين فلا يتحمل عبئها المصاب وحده.

ثانياً : أهمية التأمين

للتأمين القائم على مبدأ التعاون والتكافل الاجتماعي فوائد عدة منها:

- ١- تخفيف آثار المصائب والنكبات التي تصيب الأفراد حيث يؤدي إلى معرفة المصابين والمنكوبين وقت البلاء عن طريق توزيع المخاطر والمصائب على مجموعة من الناس المشتركين فيه.
- ٢- طمأنة النفس وزوال الخوف من المخاطر المحتملة، فحينما يحس الفرد بأن حاجاته وحاجات أولاده مؤمنة في حالات الطوارئ والأحوال غير العادية ترتاح نفسه ويطمئن وتستقر حياته.
- ٣- ادخار الأموال وتوفيرها، فالموظف مثلاً يجد بعد انتهاء خدمته مبلغاً من المال يستعين به في شيخوخته.
- ٤- التحابب والتواد وتماسك المجتمع.

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

ثالثاً: أنواع التأمين وحكم كل منها

التأمين أنواع منها :

- ١- **التأمين التعاوني**: وهو الذي تقوم به الحكومات أو المؤسسات لتأمين الموظفين والعاملين لديها من إصابات المرض والعجز والشيخوخة، وهو يشتمل على صور عدّة منها :
 - أ - **نظام تقاعد الموظفين**: ويتم بموجبه إعطاء الموظف مرتباً شهرياً بعد بلوغه سنّاً معينة في الوظيفة مقابل اقتطاع جزء من راتبه يوضع في صندوق خاص يسمى صندوق تقاعد الموظفين .
 - ب- **نظام الضمان الاجتماعي**: ويتم بموجبه تعريض الموظف في حالة الإصابة بالمرض أو العجز أو الشيخوخة أو إعطاؤه راتباً شهرياً مقابل جزء من راتبه لصالح مؤسسة الضمان الاجتماعي حيث تقوم المؤسسة بإدارة هذه الأموال وتنميتها.
 - ج- **التأمين الصحي**: ويتم بموجبه تقديم العلاج لمن يصاب بمرض مقابل قسط شهري يقتطع من راتب المشترك .

حكم التأمين التعاوني :

هذا النوع من التأمين بجميع صورهِ جائز شرعاً لأنه ينسجم مع مقاصد الشريعة التي تدعو إلى التعاون والتكافل الاجتماعي لقوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾^(١) ولقوله ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٢) ولقوله ﷺ: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم)^(٣) .

ويقوم هذا النوع من التأمين على أساس كفالة الحكومة أو المؤسسة للعاملين فيها، ولا يقصد منه تحقيق الربح. وينبغي أن يراعى في استثمار الأموال المودعة في تلك الصناديق الابتعاد عن المحظورات الشرعية كالربا وغيره .

نشاط

اذكر أدلة أخرى على تأمين الحاجات الضرورية للإنسان.

- ٢- **التأمين التبادلي**: هو التأمين الذي تقوم به الجمعيات الخيرية والتعاونية لتأمين حاجات المنتسبين إليها، ولا يقصد من هذا النوع تحقيق الأرباح، ويقوم على أساس التبرع . ومن أمثلة ذلك الجمعيات الخيرية التي

(١) سورة المائدة، الآية (٢) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، ١٠٩/٣ .

تنشأ بين أهل بلدة معينة، فيجمعون من بعضهم أموالاً بصورة دورية توضع في صندوق يصرف منه لمن أصيب بضرر من المشتركين.

حكم التأمين التبادلي

هذا النوع من التأمين جائز شرعاً، لأنه يقوم على أساس التبرع والتكافل الاجتماعي بين الأفراد المشتركين في الجمعية، ولا مانع من استثمار الجمعية بما يعود عليها بالنفع شريطة أن تكون طرق الاستثمار مشروعة.

نشاط

ما الفرق بين التأمين التبادلي والتأمين التعاوني؟

٣- **التأمين التجاري:** وهذا التأمين نوعان هما: التأمين التجاري التقليدي، والتأمين التجاري الإسلامي.

النوع الأول: التأمين التجاري التقليدي: وهو النوع الذي تقوم به شركات متخصصة بقصد الحصول على الربح على أساس عقد بين طرفين هما: شركة التأمين، والشخص المؤمن، تتعهد الشركة بموجبه أو تؤدي إلى الشخص المؤمن له مبلغاً من المال في حالة وقوع الحادث المؤمن ضده مقابل أن يدفع الشخص المؤمن له قسطاً دورياً للشركة، وقد اصطلح على تسمية هذا العقد بوثيقة التأمين، أو بوليصة التأمين. والتأمين التجاري يشمل التأمين على ما يأتي:

أ - **الأموال:** وهو التأمين على الأموال من الأخطار التي تهدد سلامتها، كالتأمين على المحل التجاري من الحريق، والتأمين على وسائل النقل المختلفة، والبضائع التي تنقلها.

ب - **الأشخاص:** ويشمل التأمين من الإصابات والتأمين على الحياة. وتتعهد الشركة بموجبه أن تدفع مبلغاً من المال للمؤمن له عند وقوع إصابة بدنية مقابل دفعه أقساطاً معلومة، وفي حالة التأمين على الحياة تدفع الشركة مبلغاً مالياً لورثته عند وفاته.

حكم التأمين التجاري التقليدي

عقد التأمين التجاري عقد معاوضة ملزم لطرفي العقد، تأخذ الشركة بموجبه قسط التأمين، ويأخذ المؤمن له التعويض في حالة حصول المخاطر أو الحوادث وقد لا يحصل عليه، لأن حصوله عليه مرتبط بوقوع الحادث، وهو احتمالي قد لا يقع فالمعاوضة بين المتعاقدين في هذا العقد احتمالية لهذا فإن التأمين التجاري غير جائز شرعاً لما يأتي:

١- لأنه عقد معاوضة يتضمن الغرر الكثير، وقد نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر^(١).

٢- لأنه يشتمل على الربا، إذ الشركات تستثمر أموالها غالباً بطريق الربا.

(١) صحيح مسلم، كتاب البيوع ١١٥٢/٣.

النوع الثاني: التأمين التجاري الإسلامي

أنشئت شركات تجارية إسلامية للتأمين تتولى إدارة التأمين التعاوني بين حملة وثائق التأمين بموجب عقد وكالة بين حامل الوثيقة والشركة، وتتقاضى الشركة أجره معلومة على قيامها بهذا العمل باعتبارها وكالة عنهم لإدارة عملية التأمين، وعليه فإن الشركة تفصل بين حسابات المساهمين (المؤسسين للشركة) وحسابات المؤمنین (حملة الوثائق) فتدفع من حسابات المساهمين أجور الموظفين والمباني وثمان الأوراق اللازمة، وتستثمر الباقي من حسابات المساهمين. وأما حسابات حملة الوثائق المتعاونين فيما بينهم لدفع الأخطار التي قد تلحق بأحدهم، فتدفع منها الشركة قيمة الأضرار والأمور المستحقة الدفع بموجب وثيقة التأمين، فإن بقي شيء من حسابات المؤمنین فإنه يستثمر لصالح المؤمنین، وعليه فإن التأمين التجاري الإسلامي تأمين تعاوني وهو جائز من الناحية الشرعية، وتعين شركات التأمين الإسلامية هيئات رقابة شرعية تدرس نظامها وعقودها وحساباتها، وطرق استثمارها للأموال المتحصلة لديها وتتأكد من أنها لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية.

الأسئلة

- ١- ما الأسباب التي تدعو إلى التأمين؟
- ٢- ما مفهوم التأمين في اللغة والاصطلاح؟
- ٣- اذكر ثلاث نقاط تبين أهمية نظام التأمين.
- ٤- ما المقصود بالتأمين التعاوني؟ وما حكمه؟
- ٥- ما مفهوم التأمين التبادلي؟ وما حكمه؟
- ٦- اذكر دليلاً من القرآن الكريم وآخر من السنة النبوية على مشروعية التأمين التعاوني.
- ٧- عدد أنواع التأمين التجاري، وبين حكم كل منها.
- ٨- ميز بين التأمين التجاري التقليدي والتأمين التجاري الإسلامي.

عرف الناس النذر قبل الإسلام فقد جاء في القرآن الكريم :

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١)

فما المراد بالنذر؟ وما أحكامه؟

أولاً : مفهوم النذر

النذر في اللغة: الوعد بخير أو شر
والنذر في الاصطلاح: أن يلزم الشخص نفسه بأمر غير واجب من الطاعات تعظيماً لله تعالى ، كأن يقول لله عليّ أن أصوم شهراً، أو لله عليّ أن أتصدق بمائة دينار، أو أن أذبح شاة للفقراء .

ثانياً : أنواع النذر

النذر نوعان هما:

١- نذر مطلق: مثل أن يقول: لله عليّ أن أعتكف في المسجد عشرة أيام من رمضان. فهذا النذر مشروع لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا ﴾ (٢)

وقد امتدح تعالى المؤمنين الأبرار الذين يوفون بالنذر في قوله :

﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (٣)

وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» (٤).

٢- النذر المعلق: وهو أن يلزم نفسه بفعل طاعة معلقاً إياها على حصول شيء محبوب له. كأن يقول: لله عليّ أن أتصدق بألف دينار إن شفى الله مريضتي، أو إن نجحت في الامتحان. فهذا النوع من النذر كرهه العلماء لأن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخر، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل» (٥) ومع القول بكراهته فإذا ألزم الإنسان به نفسه، يجب عليه الوفاء به.

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٧٠).

(٣) سورة الإنسان، الآية (٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ٢٣٢/٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ٢٣٢/٧.

ثالثاً : الشروط الواجب توافرها في النذر

يشترط في النذر شروط عدة منها:

- ١- أن يكون الناذر مسلماً فلا يصح نذر غير المسلم، فلو نذر في أثناء كفره نذراً ما ثم دخل في الإسلام فلا يلزم به.
- ٢- أن يكون الناذر عاقلاً بالغاً فلا يصح نذر الصغير والمجنون لأنهما غير مكلفين بالأحكام الشرعية.
- ٣- أن يكون المنذور قربة لله تعالى، كالصلاة والصدقة، والاعتكاف والطواف حول الكعبة فلا يصح نذر المعصية، كمن نذر أن يشرب الخمر، أو أن يقتل فلاناً لقوله ﷺ «لا وفاء لنذر في معصية الله»^(١) كما لا يصح النذر لغير الله تعالى، كالنذر للأولياء وأصحاب القبور والأضرحة.
- ٤- أن يكون المنذور مما يملكه الناذر وقت النذر أو بعده.
- ٥- أن لا يكون المنذور واجباً على الناذر كمن قال لله عليّ نذر أن أصوم شهر رمضان، أو أن أحج حجة الإسلام.

نشاط

حدد الشروط المتعلقة بالناذر والشروط المتعلقة بالمنذور واكتبها في دفترك.

رابعاً : أحكام النذر

- ١- يجب على الناذر الوفاء بالنذر متى استوفى شروطه، لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾^(١).
- ٢- تجب كفارة يمين على من نذر نذراً لم يقدر على فعله، كأن يقول: لله عليّ نذر أن أصوم طوال حياتي إذا شفئ الله مريضاً، أو نجحت في الامتحان. وكفارة اليمين إطعام عشرة مشاكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فإن لم يقدر صام ثلاثة أيام.
- ٣- تجب كفارة يمين على من نذر نذراً مبهماً لا قربة فيه، أو لم يحدد فيه قربة، كمن قال: لله عليّ نذر إن رجعت أبي من السفر.

(١) صحيح مسلم، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ١٢٦٢/٣.

(٢) سورة الحج، الآية (٢٩).

الأسئلة

- ١- يبيّن المراد بالنذر في الاصطلاح.
- ٢- هات مثلاً على ما يأتي:
 - أ - النذر المعلق.
 - ب - النذر الذي لم يحدد فيه قربة.
 - ج- نذر المعصية.
- ٣- ما حكم النذر المعلق؟ وما الأدلة على هذا الحكم؟
- ٤- ماذا يجب على من نذر أن يصوم الدهر؟
- ٥- بيّن الحكم الشرعي مع التعليل لما يأتي:
 - أ - نذر صغير أن يتصدق بعشرة دنانير.
 - ب - نذر رجل أن ينفق على زوجته سنة.
 - ج- نذر مسلم أن يفطر يوماً من غير عذر في نهار رمضان.

نشاط

- ما حكم رجل نذر أن يصوم أياماً فوافق عيد الأضحى وعيد الفطر؟
- ارجع إلى صحيح البخاري (كتاب الأيمان والنذور) واستخرج حديثاً شريفاً في موضوع النذر.

عرفت في الدرس السابق أن الإسلام أوجب كفارة اليمين على من نذر نذراً لم يُطّقه، وعلى من نذر نذراً ولم يحدد فيه قرينة، كما أوجب الإسلام الكفارة في ذنوب أخرى حددها، فما الكفارة؟ وما أنواعها؟ وما أهم أحكامها؟

أولاً : مفهوم الكفارة

الكفارة في اللغة: مشتقة من الكفر بمعنى الستر والغطاء.
والكفارة في الاصطلاح: ما أوجبه الإسلام على المذنب ذنباً معيناً، من تصرفات تقع منه في الحياة الدنيا لمحو الذنب الذي اقترفه.
والكفارة تكفر الذنب وتُسهم في حل مشكلات الفقراء والمحتاجين.

ثانياً: أنواع الكفارات

تنقسم الكفارات إلى أنواع حسب الذنوب التي توجبها، عرفت منها كفارة الحنث في اليمين وكفارة الظهار، وفيما يأتي تبين لنوعين آخرين من الكفارات هما:

١- كفارة إفساد الصوم في نهار رمضان : وذلك بإتيان الرجل زوجته في نهار رمضان.

وكفارة هذا الذنب على الترتيب، تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد صام شهرين قمرين متتابعين، فمن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً.

ويدل على هذه الكفارة الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان قال: هل تجد ما تعتق رقبة؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال هل تجد ما تطعم ستين مسكيناً، قال: لا، قال: ثم جلس فأتي النبي ﷺ بعرق فيه تمر، فقال تصدق بهذا، قال على أفقر منا؟ فما بين لأبتيها أهل بيت أحوج إليه منا فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنياباه ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك^(١).

٢- كفارة القتل الخطأ : القتل الخطأ هو القتل غير المتعمد، كمن صوّب بندقية صيد نحو طائر على شجرة فأصاب إنساناً معصوماً فقتله. وكفارة هذا الذنب تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فكفارته صيام شهرين

(١) صحيح مسلم، كتاب الصوم، باب تغليظ تعريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة فيه وبيانها.

قمرين متتابعين، يدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رُقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمِ
عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رُقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ
وَتَحْرِيرُ رُقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١)

ثالثاً : أهم أحكام الكفارات

أحكام الكفارات متعددة، منها :

- ١- تجب كفارة الحنث في اليمين على (التخيير والترتيب)، فمن حنث في يمينه مخير بين إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام.
- ٢- تجب كفارة إفساد الصوم في نهار رمضان، والظهار على الترتيب، فيبدأ المذنب بتحرير رقبة مؤمنة، فإن لم يجد صام شهرين قمرين متتابعين، فإن لم يقدر على الصيام أطعم ستين مسكيناً.
- ٣- تجب كفارة القتل الخطأ على الترتيب الآتي: تحرير رقبة مؤمنة، فإن لم يجد المذنب صام شهرين متتابعين.
- ٤- إن الإسلام جعل تحرير رقبة مؤمنة كفارة لجميع الذنوب السابقة.
- ٥- إن مقدار الطعام للمساكين الذي يقدمه المذنب هو طعام يوم واحد، وجبتان من أوسط ما يطعمه أهله، وقدره بعض الفقهاء بمقدار صدقة الفطر، وهو صاع من غالب قوت البلد كالقمح والأرز، ويعادل بالأوزان الحديثة (١٧٦ و٢ كغم) ويمكن تقديره بالنقود بحسب قيمتها.
- ومقدار الكسوة لكل مسكين أن يكون لباساً ساتراً كثوب طويل للرجل أو المرأة.
- ٦- يجب على من حلف يميناً على قطع رحمه كمن حلف أن لا يزور أخته يوم العيد، أن يكفر عن يمينه ويزور أخته، ولا يتذرع على عدم الزيارة بحلف اليمين، لأن صلة الرحم خير من التمسك باليمين، قال ﷺ : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير) (٢).
- ٧- تداخل الكفارات: إذا ارتكب شخص أكثر من ذنب مما يوجب الكفارة فهل تتعدد عليه الكفارات بتعدد الذنوب؟ أم تكفي كفارة واحدة عن جميع الذنوب التي أذنبها؟ في هذه الحالة نفرق في الحكم بين ما إذا كانت موجبات الكفارات متحدة أو مختلفة، فإن كانت موجبات الكفارات مختلفة كمن أفسد صومه في نهار رمضان وظاهر من أمرته، فإن الكفارات تتعدد موجباتها، وتلزم الشخص كفارة كل ذنب. وإن كانت موجبات الكفارات متحدة كمن أفسد صومه بالمعاشرة الزوجية في يومين من أيام رمضان، فإن عليه كفارة واحدة.

(١) سورة النساء، الآية (٩٢).

(٢) صحيح مسلم، باب الأيمان.

الأسئلة

- ١- بيّن معنى الكفارة لغة واصطلاحاً.
- ٢- اذكر الذنوب التي توجب الكفارات مع التمثيل على كل منها.
- ٣- كفارة حنث اليمين تجب على التخيير والترتيب في البدائل وضح ذلك.
- ٤- ما حكم من حلف يميناً على عدم زيارة والدته في يوم عيد الاضحى؟ وكيف يتحلل من هذا اليمين؟
- ٥- بيّن متى تتداخل الكفارات ومتى لا تتداخل، مع مثال يوضح ذلك.
- ٦- انقل الى دفترك العبارات الآتية ثم ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة.

* مقدار الإطعام للمسكين .

- ١- وجبة فطور.
- ٢- وجبة عشاء
- ٣- طعام يوم واحد
- ٤- وجبة غداء

نشاط

اكتب مقالاً في حدود صفحة مبيناً فيه فوائد معالجة الإسلام مشكلة الرق .

نجد كثيراً من الدول اليوم تضع تسعيرة محددة لبعض السلع الضرورية، لا يجوز للتاجر أن يتعدها، فما حكم هذا الإجراء؟

أولاً : مفهوم التسعير

التسعير في اللغة: من سَعَّر الشيء إذا جعل له ثمناً معلوماً. والتسعير في الاصطلاح: ان يأمر الحاكم أصحاب السلع والخدمات أن لا يبيعوا سلعتهم أو خدماتهم بثمان أو أجر إلا بسعر معين، يحدده لهم مراعيًا في ذلك مصلحة البائع والمشتري، فيمنعون من الزيادة على ذلك السعر أو النقصان منه رفعا للضرر عن الجميع .

ثانياً : أحكام التسعير

للتسعير أحكام متعددة بينها العلماء أهمها:

١- لا يجوز للحكام تسعير السلع في الأحوال العادية، التي لا يتدخل فيها التجار لرفع الأسعار أو تخفيضها، كما لو ارتفع السعر أو انخفض تبعاً لقانون العرض والطلب، ففي حالة قلة وجود السلعة يرتفع سعرها، وفي حالة كثرتها ينخفض، هذا أمر لا يوجب تحديد أسعار السلع، ويؤيد ذلك:

أ - قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾^(١)

فالزام الناس ببيع السلعة بأقل من سعرها الأصلي فيه أكل لأموال الناس بالباطل، فالأصل أن الناس لهم سلطة على أموالهم، فلهم التصرف فيها بشرط عدم الإضرار بالآخرين، ولا يجبرون على بيعها بسعر معين، وإذا أخذها شخص بالسعر المكروه عليه منهم، أخذها بغير طيب نفس منهم.

ب- روى أنس رضي الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ . فقال الناس: يا رسول الله غلا السعر

فسعّر لنا. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله هو المسعّر القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس

أحد منكم يطلبني في دم ولا مال»^(٢) فقد امتنع النبي ﷺ عن التسعير عند غلاء الأسعار في الأحوال

العادية لأن غلاءها كان بسبب شح السلع دون تدخل من التجار بإغلاء أسعارها وهذا الأمر متعلق بالعرض

والطلب، وعدّ النبي ﷺ التسعير في هذه الأحوال مظلمة يطالب بها أصحاب السلع النبي ﷺ يوم القيامة.

(١) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٢) حديث حسن صحيح، رواه الترمذي في السنن، كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير، ٦٠٦/٢.

ج- إن التسعير دون حاجة أو ضرورة يضرّ باقتصاد البلد، حيث يمتنع التاجر عن استيراد السلع إذا كان سعرها في بلدها أكثر من سعر البلد الذي تجلب إليه، كما يمتنع المزارع من زراعة أرضه، لأن السعر المحدد لا يفي بنفقات الزراعة، كما يمتنع الصانع من تصنيع السلع إذا كان السعر المحدد أقل من الكلفة، ومحصلة ذلك الإقلال من السلع وغلاء سعرها، وإضعاف اقتصاد البلد.

٢- أما إذا كان ارتفاع الأسعار ناشئاً عن تدخل التجار الظالم، كالاحتكار فيجب عندئذ على الدولة أن تتدخل، لمنع هذا الظلم، ورفعها عن الناس، وذلك بتحديد سعر مناسب تراعي فيه مصلحة البائع والمشتري، وتستعين بأهل الخبرة في ذلك، وبناء على ذلك يجب التسعير في الأحوال الآتية:

أ - احتكار التجار للسلعة بقصد رفع سعرها على الناس، لنهي النبي ﷺ عن الاحتكار في قوله: «لا يحتكر إلا خاطيء»^(١).

ب - تواطؤ مجموعة من التجار على خفض سعر سلعة معينة، بقصد الإضرار بتجار آخرين صغار، أو الإضرار بالمزارعين، للمعزوف عن الزراعة، ومن ثم يقوم التجار بترويج ما يستوردونه من سلع.

ج- إذا كان المتحكم في السلعة تاجر واحد، أو وكيل واحد.

ثالثاً : حكمة وجوب التسعير في الأحوال غير العادية

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام يوجب التسعير لحكم كثيرة منها:

١- معاقبة المحتكرين الذين يقصدون رفع الأسعار بعقوبة خفضها، فكان الجزاء من جنس العمل، والمعاملة بخلاف قصد المحتكر.

٢- تيسير العيش لجميع الأفراد في المجتمع دون استغلال لحاجاتهم.

٣- حماية صغار التجار، من جشع التجار الكبار.

نشاط

استنتج فائدة أخرى للتسعير الواجب .

(٢) صحيح مسلم، كتاب العساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات.

- ١- عرّف التسعير لغة واصطلاحاً.
- ٢- كيف يحدد السعر المناسب للمسلع؟
- ٣- اذكر حالتين يجوز فيهما تسعير السلعة.
- ٤- ما فوائد التسعير؟
- ٥- بيّن الحكم مع التعليل:
 - أ - امتنع تاجر عن بيع سلعة ضرورية في شهر رمضان، بقصد رفع سعرها.
 - ب - سعّرت الدولة بيض الدجاج برفع ثمنه لئلا يمتنع أصحاب المزارع عن طرحه في السوق.
 - ج- حدّدت الدولة أسعار السلع الضرورية في أثناء الحرب.
 - د - أنقص بعض التجار أسعار بعض السلع في السوق.
- ٦- بيّن الحكم الشرعي المتعلق بتسعير السلع في الأحوال العادية مع ذكر الدليل.
- ٧- بيّن الحكم الشرعي المتعلق بتسعير السلع في الأحوال غير العادية مع ذكر الدليل.

بيع التقسيط

يكثر اليوم في المعاملات التجارية بيع التقسيط، ويشمل كثيراً من السلع، كالشقق السكنية، والأثاث، والأدوات الكهربائية، وغيرها، فما المراد ببيع التقسيط؟ وما حكمه؟

أولاً : مفهوم بيع التقسيط

التقسيط في اللغة: من القسط وهو الحصة والنصيب، فيقال قَسَطَ الثمن أي قَسَمَهُ على مُدَدٍ زمنية محددة. وبيع التقسيط: هو بيع السلعة بثمن مؤجل يزيد عن ثمنها نقداً، على أن يؤدي الثمن على دفعات معينة في أوقات محددة.

ثانياً : حكم بيع التقسيط

أجاز الفقهاء بيع التقسيط، واستدلوا لذلك بالأدلة الآتية:

أ - قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾^(١)

وبيع التقسيط بثمن مؤجل نوع من أنواع البيع يدخل في عموم هذه الآية.

ب - قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾^(٢)

فهذه الآية تدل على جواز البيع المتضمن تأجيل الثمن، وهذا أمر مشروع باعتبار أن بيع التقسيط يتضمن ديناً في الذمة ينبغي توثيقه حفظاً لحقوق الناس.

ثالثاً : شروط جواز بيع التقسيط

يشترط لجواز بيع التقسيط ما يأتي:

١ - أن لا يتضمن عقد البيع زيادة الثمن المؤجل، في حالة تأخر المشتري عن السداد في الوقت المحدد، لأن الزيادة في الدين مقابل التأجيل ربا نسبية، وهو محرم.

(١) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

ما المراد بالربا؟ واذكر دليلاً على تحريمه.

- ٢- أن تكون السلعة والتمن من جنسين مختلفين، حتى لا يقع البائع والمشتري في الربا، فإن كانا - السلعة والتمن - من جنس واحد فلا يجوز البيع مع التأجيل أو الزيادة في الثمن لأنه ربا وهو حرام.
- ٣- أن لا يتفق المشتري مع التاجر أن يبيعه السلعة بعد شرائها منه بالتقسيط بتمن حال أقل، لأن هذا هو بيع العينة الذي نهى عنه رسول ﷺ، ولأنه تحايل على الربا، مثل أن يشتري ثلاجة بألف دينار بالتقسيط لمدة سنتين من تاجر ثم يبيعهها له بتمن حال أقل من سعرها، فهذا لا يجوز لنهى النبي ﷺ عن مثل هذا البيع في الحديث: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(١).
- ٤- أن لا تكون الزيادة في ثمن السلعة فاحشة، لئلا يؤدي ذلك إلى استغلال حاجة الناس. ويرجع تقدير ذلك إلى عرف التجار الموثوقين.

رابعاً : أهمية بيع التقسيط

لبيع التقسيط للأفراد والمجتمع الفوائد الآتية:

- ١- يوفر للتاجر فرصة لاستثمار أمواله، فهو يشتري كمية كبيرة من السلع ويبيعهها بربح معقول بالتقسيط.
- ٢- يحقق للمستهلك غير القادر على الشراء بالنقد العاجل المصلحة، فهو يؤدي إلى حصوله على السلع التي لا يقدر على شرائها نقداً.
- ٣- تنشيط الحركة التجارية في المجتمع، فلا يقتصر دوران المال على فئة الأغنياء فقط وإنما يتعدى ذلك إلى الفقراء.

تعلم:

ربا النسبية له صورتان:

- الأولى: أن يتقرر في ذمة شخص لآخر دين سواء أكان منشؤه قرضاً أو بيعاً، فإذا حلَّ الأجل طالبه صاحب الدين، فقال المدين: زدني في الأجل زدك في المال.
- والثانية: أن يقرض شخص شخصاً آخر عشرة دنانير بأحد عشر إلى أجل.

(١) سنن أبي داود، كتاب البيوع، ٣/ ٢٧٤ .

- ١- ما المراد ببيع التقسيط؟
- ٢- اذكر الأدلة على جواز بيع التقسيط .
- ٣- بيّن أهمية بيع التقسيط بالنسبة للناس .
- ٤- ما الحكم الشرعي في المعاملات الآتية مع التعليل .
 - أ - اشترى تاجر عشرين كيلو غرام فضة مصنعة، بخمسة عشر كيلو غرام من الفضة مجوّد الصنع .
 - ب - اشترى شخص كيس أرز بخمسة وعشرين ديناراً إلى مدة سنة، وباعه إلى التاجر نفسه بخمسة عشر نقداً.
 - ج - باع تاجر دقيقاً بثمن مؤجل إلى محتاج، وزاد عليه زيادة كبيرة .
 - د - باع تاجر سيارة بالتقسيط، واشترط على المشتري إذا تأخر في سداد الثمن أن يزيد عليه نسبة ٢٠٪ من الثمن الأصلي .

التبرع بالأعضاء

تقدم علم الطب في هذا العصر تقدماً كبيراً، فتمكّن الأطباء من أن ينقلوا أعضاء سليمة من جسم إنسان إلى آخر، فما الحكم الشرعي في عملية نقل الأعضاء، والتبرع بها؟

أولاً : مفهوم نقل الأعضاء

المراد بنقل الأعضاء: هو عملية جراحية لاستئصال عضو تالف من جسم إنسان، ووضع عضو سليم مكانه، سواء أكان الشخص الذي أخذ منه العضو السليم هو المريض نفسه، أم إنساناً آخر. وهذا يستلزم إجراء عمليات طبية عدة هي:

- ١- استئصال العضو السليم المراد نقله من الإنسان.
- ٢- استئصال العضو المصاب من الإنسان المريض.
- ٣- زرع العضو السليم في الإنسان المريض.

ثانياً : حكم نقل الأعضاء وزرعها

أجاز العلماء نقل الأعضاء وزرعها للضرورة العلاجية، فكل ما يحفظ حياة الإنسان ويصونه أمر واجب شرعاً، ولو كان في ذلك عدم مراعاة لبعض الأحكام الشرعية الأخرى لأن حفظ الحياة من مقاصد الشريعة، والتبرع بالأعضاء يحفظ حياة الإنسان ويحقق مبدأ الإيثار والتعاون بين المسلمين فيما لا يضر أحداً.

ويشترط لذلك شروط عدة منها:

- ١- أن لا يوجد علاج آخر يقوم مقام عملية النقل.
- ٢- أن يغلب على ظن الطبيب المعالج نجاح العملية.
- ٣- أن يأذن صاحب العضو المراد نقله بذلك في أثناء حياته بالوصية، أما إذا كان ميتاً فلا بد من أخذ إذن وليه كالأب.
- ٤- أن لا يؤدي نقل العضو إلى إلحاق ضرر أكبر من الضرر المراد رفعه بالشخص الذي أخذ منه العضو.

ثالثاً : أحكام نقل الأعضاء

- ١- يجوز نقل عضو أو قطعة من جسم الإنسان، لغرسه في موضع آخر من جسم الإنسان نفسه، كنقل قطعة من فخذ المصاب لغرسها في رقبته المصابة بالحرق مثلاً.

- ٢- يجوز نقل عضو من جسم إنسان حي إلى جسم إنسان حي آخر، يحتاج إلى ذلك، كنقل كلية إنسان إلى آخر، ويشترط لذلك أن لا يؤدي إلى وفاة المأخوذ منه، أو تعرضه لضرر غالب أو متيقن، كإقتطاع قلب إنسان حي لنقله إلى إنسان مريض بالقلب.
- ٣- يجوز نقل عضو من جسم إنسان ميت إلى إنسان حي، قياساً على جواز أكل الحي من الميتة للضرورة، ولأن المحافظة على حياة الحي أولى من انتهاك حرمة الميت.

رابعاً : حكم بيع الأعضاء

لا يجوز للإنسان أن يبيع أعضائه في حال حياته، ولا بعد وفاته، لأن الإنسان موضع تكريم الله تعالى حال الحياة وبعد الممات. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾^(١)

وبيع الإنسان لأعضائه ينافي هذا التكريم الإلهي للإنسان، بل فيه امتهان له، والقول بجواز بيع الأعضاء يؤدي إلى انتشار عصابات لسرقة الناس بقصد بيع أعضائهم، فيحرم ذلك سداً للذرائع.

خامساً : حكم التبرع بالأعضاء

١- يجوز التبرع بالأعضاء من الإنسان حال حياته، إذا كان لا يترتب على ذلك وقوع ضرر غالب أم متيقن للمتبرع. لأن في التبرع إحياءاً لنفس إنسانية، وإنقاذاً لها من الهلاك. قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾^(٢)

كما أن في التبرع تطبيقاً عملياً لمعاني التضحية والإيثار والتعاون التي دعا إليها الإسلام.

٢- تجوز الوصية بالأعضاء البشرية، والوصية هي تبرع الإنسان حال الحياة، بعضو من أعضاء جسمه ولا يقتطع منه إلا بعد وفاته. فقد ثبت طبيياً أن بعض الأعضاء كالقرنية يمكن أن تبقى حية بعد الوفاة لفترة قصيرة.

(١) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣٢).

- ١- ما المقصود بكل مما يأتي: نقل الأعضاء البشرية، الوصية بالأعضاء البشرية؟
- ٢- ما الحكم الشرعي في نقل الأعضاء وزرعها؟
- ٣- اذكر شروط نقل الأعضاء وزرعها.
- ٤- انقل في دفترك العبارات الآتية ثم ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة:
 - أ - نقل الأعضاء يستلزم:
 ١. استئطاع العضو السليم المراد نقله.
 ٢. استئصال العضو المصاب.
 ٣. زرع العضو السليم في الإنسان المحتاج.
 ٤. جميع ما ذكر.
 - ب - بيع الأعضاء البشرية بقصد العلاج:
 ١. يجوز لإنقاذ حياة المريض.
 ٢. يحرم لأن الإنسان موضع التكريم.
 ٣. يكره لأن العضو المقتطع أصبح ميتاً.
 ٤. يجب للمضرورة العلاجية.
 - ج - واحد من الآتية ليس مشروطاً لنقل الأعضاء من إنسان حي:
 ١. أن يأذن الإنسان المتبرع.
 ٢. أن لا يوجد علاج آخر.
 ٣. أن لا يترتب على النقل ضرر غالب للمنقول منه.
 ٤. أن يكون المتبرع قريباً للمريض.
 - ٥- بيّن الحكم من التعليل:
 - أ - تبرعت أم بقلبها في حال حياتها لابنتها.
 - ب - تبرع أب بإحدى كليتيه السليمتين لابنه.
 - ج- تبرع أخ في حال حياته بقرنيته لأخيه.
 - د - أوصى صديق لصديقه بقرنيته.

نشاط

اكتب مقالاً في التبرع بالقرنية أو أحد أعضاء الجسم في حدود صفحة وقرأه في الإذاعة المدرسية.

طفل الأنابيب

مضى على زواج السيد عادل من السيدة عائشة سنوات عدة دون أن ينجبا أطفالاً. فالزوجة في حزن وألم، لكنها لم تفقد الأمل في الإنجاب، والزوج في قلق وخوف لكنه لم يصل إلى درجة اليأس. والأهل في ترقب ودعاء، فاقترح أحد الأقارب على الزوجين أن يذهبا إلى مركز طبي للتلقيح الصناعي وجرى الحوار الآتي:

القريب: إن أحد زملائي مضى على زواجه عشر سنين ولم ينجب، وقبل أيام رزق بطفل عن طريق عملية التلقيح الصناعي المعروف بطفل الأنابيب.

الزوجة (لزوجها): هل سمعت ذلك؟ فلنذهب إلى مركز أطفال الأنابيب.

الزوج: انتظري يا عائشة، القضية أكبر من الإنجاب.

الزوجة: ما القضية التي أكبر من الإنجاب؟

الزوج: لا بد من معرفة الحكم الشرعي في هذه الطريقة، وهل هي مشروعة أو غير مشروعة؟ لأنه لا يجوز للمسلم أن يقدم على أي أمر إلا بعد معرفة الحكم الشرعي له. فقد كان الصحابة، رضوان الله عليهم، لا يقدمون على عمل إلا بعد أن يسألوا الرسول ﷺ عن حكمه. فإن قضى بمشروعية ذلك، أقدموا، وإن قضى بخلاف ذلك أحجموا.

قامت الزوجة مسرعة إلى مكتبة المنزل، وأتت بصحيح البخاري).

الزوجة: انظر في هذا الكتاب لعلمك تجد حكم عملية طفل الأنابيب.

الزوج: يا عائشة هذه قضية مستجدة لم تكن موجودة زمن النبي ﷺ، ولا في زمن الإمام البخاري جامع هذا الكتاب.

الزوجة: إذا لم يكن فيها حكم شرعي، في هذا الكتاب أو غيره، هل نبقى بدون أولاد؟

الزوج: الفقه الإسلامي لم يجمد على ما في بطون الكتب، وإنما يستطيع العلماء والمفتون أن يجتهدوا في القضايا الجديدة، ويبيّنوا الحكم الشرعي فيها.

الزوجة: فلنذهب إلى المفتي، نعرض عليه هذه القضية، لكي نعرف الحكم الشرعي قبل الإقدام عليها.

الزوج: بارك الله فيك يا عائشة، هذا هو الطريق الصحيح الذي ينبغي أن نسلكه.

(وذهب الزوجان إلى المفتي في مكتبته).

الزوجان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المفتي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، تفضلاً.

الزوجة: بارك الله فيك، نريد أن تبين لنا الحكم الشرعي في عملية أطفال الأنابيب هل هي جائزة شرعاً أم لا، لأننا نفكر في إجرائها؟

المفتي: يا ابنتي إن الحكم الشرعي لا يكون بهذه السرعة، وإنما يحتاج إلى معرفة حقيقة هذه العملية من طبيب متخصص لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره .

المفتي: (رفع سماعة الهاتف واتصل تلفونياً بالطبيب المتخصص في ذلك. ووجه إليه السؤال التالي): ما حقيقة عملية طفل الأنابيب؟ وكيف تتم؟

الطبيب: إن عملية طفل الأنابيب تعتمد على الإجراءات الطبية الآتية:

١- إعطاء المرأة دواءً منشطاً لإفراز البويضات.

٢- شفط البويضات من الجهاز التناسلي للزوجة ووضعها في سائل خاص، للمحافظة على صلاحيتها ونموها.

٣- الحصول على الحيوانات المنوية من الزوج ووضعها في سائل خاص، بعد تنقيتها من الشوائب عن طريق المختبر.

٤- جمع الحيوانات المنوية المأخوذة من الزوج مع البويضات المأخوذة من الزوجة في طبق واحد، أو أنبوب واحد، لتتم عملية التلقيح أو الإخصاب .

٥- نقل البويضة الملقحة إلى داخل رحم الزوجة في مدة (٤٨-٩٦) ساعة .

فإذا نجحت هذه العملية وعلقت البويضة الملحقة برحم الزوجة، كانت هذه الزوجة حاملاً بجنين عن طريق الأنبوب في خارج الرحم، وهو ما يسمى بالتلقيح الاصطناعي الخارجي .

المفتي: بارك الله فيك، يا (دكتور) أريد أن أسأل لماذا يلجأ الأطباء إلى هذه العملية، هل هناك ضرورة؟
الطبيب: نعم، يلجأ إلى ذلك لأسباب عدة منها:

١- انسداد قناة فالوب عند الزوجة فلا تصل البويضة الملقحة إلى الرحم.

٢- قلة عدد الحيوانات المنوية عند الزوج.

٣- موت الحيوانات المنوية بسبب نسبة الحموضة في السائل الذي تفرزه الزوجة .

المفتي: إن حفظ الأنساب، مقصد شرعي وهذه الطريقة قد تؤدي إلى اختلاط الأنساب، فما الضمانات التي

تحفظ الأنساب وتمنع من اختلاطها، فقد يلجأ بعض الأطباء إلى تغيير بويضة الزوجة أو ماء الزوج؟

الطبيب: نحن في المركز نعمل كفريق عمل، ونختار من كان موثقاً في دينه وخلقه ولا نسمح بالتلاعب بأنساب الناس، ونفصل فصلاً كاملاً بين كل رجل وآخر. بوضع طابع على الأنبوب يبين اسمه كما في جواز السفر أو دفتر العائلة .

المفتي: شكراً يا دكتور وبارك الله فيك ونفع الناس بعلمك .

الطبيب: شكراً لفضيلتكم، ونحن مستعدون لاستقبالكم في المركز الطبي لإطلاعكم على العملية وكيفية إجرائها، والضمانات الكفيلة بمنع اختلاط الأنساب .

المفتي: (مخاطباً الزوجين) بإمكانكما الذهاب إلى البيت، وغداً سأوافيكم بالفتوى مكتوبة إن شاء الله تعالى . (ثم

ذهب إلى المركز الطبي لأطفال الأنابيب والتقى الطبيب المتخصص، وكان في صحبة المفتي عدد من العلماء الشرعيين، وأطلعهم الطبيب على الإجراءات).

- وبعد أن اتضح الأمر للمفتي وللعلماء الشرعيين تشاوروا في حكم هذه المسألة وأصدروا الفتوى الآتية:
- ١- يجوز إجراء عملية «التلقيح الاصطناعي» في أنبوب خارج الرحم إذا دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك، لأن من أهم مقاصد الزواج إنجاب الأولاد.
 - ٢- يشترط لجواز إجراء هذه العملية شروط عدة وهي:
 - أ - أن تكون العلاقة الزوجية قائمة بين الزوجين عند إجراء العملية.
 - ب- أن يتم إجراء هذه العملية برضا الزوجين.
 - ج- أن يؤمن اختلاط الأنساب بعدم استعمال غير بويضة الزوجة أو غير ماء الزوج.
 - د - أن يقوم بإجراء هذه العملية من يوثق بدينه وعلمه من الأطباء في مركز طبي موثوق.

الأسئلة

- ١- بيّن الإجراءات الطبية لعملية طفل الأنابيب .
- ٢- اذكر الأسباب التي تدعو الطبيب إلى إجراء عملية طفل الأنابيب .
- ٣- اذكر شروط جواز إجراء عملية طفل الأنابيب .
- ٤- بيّن الحكم الشرعي مع التعليل:
 - أ - امرأة طلبت من الطبيب أن يجري لها عملية طفل أنابيب باستعمال ماء من غير زوجها .
 - ب- امرأة جاءت للطبيب ليجري لها عملية طفل أنابيب ، بعد وفاة زوجها باستعمال حيوانات زوجها المجمدة .
 - ج- رجل طلب من الطبيب إجراء عملية طفل أنابيب لزوجته ، باستخدام بويضة غير بويضة الزوجة .

الضرورة الشرعية

عرفت أن التبرع بالأعضاء الأدمية، والإنجاب عن طريق الأنابيب جائز للضرورة، فما مفهوم الضرورة؟ وهل تقتصر الضرورة على هذين الحكمين؟ أم تتعلق بها أحكام أخرى؟

أولاً : مفهوم الضرورة الشرعية

الضرورة في اللغة من الضرر، ينزل بالإنسان ولا يستطيع دفعه كالجوع أو المرض. والضرورة في الاصطلاح: أن تطرأ على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة كالمرض الشديد يتعذر دفعها إلا بارتكاب ما هو ممنوع شرعاً، كفعل الحرام أو ترك الواجب، دفعاً للضرر الذي نزل به ضمن شروط معينة.

ثانياً : مشروعية الضرورة

ما من إنسان في هذا الوجود إلا وتحيط به ظروف تدفعه إلى الخروج عن بعض القواعد والأحكام الواجب احترامها، لأن الإنسان خلق ضعيفاً. والله تعالى الذي خلق الإنسان يعلم هذا الضعف فيه، ولذلك شرع له أحكاماً استثنائية، لرفع الحرج عنه ولحفظ حياته وحقوقه عند تعرضه للظروف الاضطرارية، كالمجاعات والحروب والأمراض وغير ذلك ومن الأدلة على ذلك :

أ - قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا آهَلَ بِهِ غَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(١)

ب - وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾^(٢)

ج - وروى جابر بن سمرة: «أن أهل بيت كانوا بالحرة محتاجين، فماتت عندهم ناقة لهم أو لغيرهم، فرخص لهم النبي ﷺ في أكلها، فعصمتهم بقية شتائهم أو سنتهم»^(٣)

ثالثاً : شروط الضرورة

يشترط لاعتبار الضرورة شروط عدة وهي :

١- أن تكون الضرورة حقيقية تتعلق بالضرورات الخمس، وهي حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال، أما

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١١٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده، ٨٧/٥.

إذا كانت لا تتعلق بشيء من ذلك، فلا يجوز ارتكاب الممنوع شرعاً، فشرب الخمر يجوز في حالة العطش الشديد المؤدي للمهلك، ولا يجوز لإشباع شهوة الإنسان، لأن إشباع الشهوة لا يتعلق بالضرورات الخمس، وكذلك إذا كانت الحاجة ماسة فتنزّل منزلة الضرورة.

٢- أن يكون الضرر اللاحق بالمضطر في حالة الضرورة، أشد من الضرر المترتب على ارتكاب المحظور شرعاً. ولذا لا يجوز ارتكاب المحظور للضرورة، إذا كان الضرر اللاحق بالمضطر، أخف من الضرر المترتب على ارتكاب المحظور.

٣- أن يتعين على المضطر مخالفة الممنوع شرعاً، وذلك بأن لا توجد وسيلة أخرى، لدفع الضرر الذي نزل به. ومثال ذلك، امرأة في حالة ولادة ذهبت إلى المستشفى، فلم تجد طبيبة الولادة، ووجدت طبيباً، فيجوز ذلك للضرورة، أما إذا كان الطبيبان موجودين فلا يجوز لها أن تترك الطبيبة، وتذهب إلى الطبيب، لوجود وسيلة أخرى.

٤- أن لا يترتب على ارتكاب المحظور إلحاق الضرر بغيره من الناس. فلا يجوز قتل إنسان سليم، أو مريض لنزع كليتيه وزرعهما في مريض آخر.

٥- أن يقتصر المضطر على الحد الأدنى، أو القدر اللازم لدفع الضرر، فيأكل المضطر من الميتة قدر ما يسد رمقه ولا يتجاوز ذلك. وينظر الطبيب إلى المرأة بقدر ما تحتاج إليه الضرورة الطبية، عملاً بالقاعدة الشرعية (الضرورة تقدر بقدرها).

تعلم:

الحرّة: أرض بالمدينة المنورة بها حجارة سود كثيرة.
عصمتهم: منعتهم من الهلاك.

الأسئلة

- ١- ما المراد بالضرورة الشرعية؟
- ٢- هات دليلاً من القرآن الكريم، وآخر من السنة الشريفة على اعتبار الضرورة.
- ٣- اذكر الضرورات الخمس.
- ٤- بيّن الحكم مع التعليل.
 - أ - قام طبيب بنزع قلب إنسان قارب على الوفاة لزرعه في مريض آخر.
 - ب - شخص أكل من الميتة ليتعرف طعمها.
 - ج - امرأة حامل بجنين ستة أشهر ذهبت للطبيب لإجهاضها وقتل الجنين، للمحافظة على رشاقة جسمها.
 - د - عطش شخص عطشاً متحملاً فشرب من الخمر.





الوحدة الثانية عشرة

كلوه الحديث النبوي الشريف

وتشتمل هذه الوحدة على:

- الحديث النبوي الشريف (مفهومه، أهميته والرحلة في طلبه).
- علم الحديث (مفهومه، أنواعه، أهدافه).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (١). (المنهج العلمي في تدوين الحديث).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٢). (التأليف في علم مصطلح الحديث).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٣). (تتبع أحوال الرواة).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٤). (قواعد الجرح والتعديل).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٥). (قواعد الحكم على الحديث).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٦). (الوضع في الحديث الشريف).
- أقسام الحديث حسب قائله.
- أقسام الحديث حسب عدد الرواة.
- أقسام الحديث حسب القبول والرد.

الدرس الأول

الحديث النبوي الشريف (مفهومه وأهميته ، والرحلة في طلبه)

الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للإسلام عقيدة وشريعة، فما مفهوم الحديث؟ وهل يوجد فرق بينه وبين السنة، والأثر، والخبر؟ وما أهمية الحديث النبوي؟

أولاً : مفهوم الحديث

الحديث لغة: الكلام، نقول تحدث فلان أي تكلم، والحديث أيضاً الجديد، نقول: جهاز حديث أي جديد. والحديث اصطلاحاً: ما نسب إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية. وقد مر معك في سنوات سابقة أمثلة على أنواع الحديث جميعها.

ثانياً : العلاقة بين الحديث والسنة والخبر والأثر

قد يخطر على بالك سؤال عن مدى العلاقة بين الحديث وبعض المصطلحات الأخرى التي نسمعها كثيراً مثل السنة والخبر والأثر، فهل من فرق بينها؟ يرى جمهور المحدثين أن هذه الكلمات (الحديث، السنة، الخبر، الأثر) تفيد المعنى نفسه، وأن لا فرق بينها اصطلاحاً، ولذلك فإنهم يستعملونها بمعنى واحد، ولكن بعض المحدثين يرون أن السنة أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية، ولكنها لا تشمل الصفات الخلقية. ويرى بعضهم أن الخبر يشمل ما نسب إلى النبي ﷺ وإلى غيره وأن الأثر ما نسب إلى الصحابي أو التابعي فقط.

ثالثاً : أهمية الحديث النبوي

هل تجد في القرآن الكريم عدد الصلوات المفروضة؟ وعدد ركعات كل صلاة؟ وشروط الصلاة وأركانها؟ إنك لا تجد ذلك في القرآن الكريم، وإنما تجدها مفصلة مبينة في السنة النبوية، فهي المصدر الثاني للإسلام في كل جوانب الحياة، وهي وحي من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣٠) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١) وفي السنة النبوية من التفصيلات والمعلومات ما لا تجد ذكره أو تفصيله في القرآن الكريم، سواء في مجال العقيدة أو العبادات، أو المعاملات، أو التشريعات أو الأخلاق وعليه فإن السنة النبوية الشريفة مبينة للقرآن الكريم

(١) سورة النجم، الآيتان (٢ - ٤).

ومفسرة لمعانيه. والذين يدعون إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم وترك السنة إنما يريدون بذلك هدم الإسلام، ويمكن رد هذه الدعوى بأمر منها:

١- إن القرآن الكريم يأمر باتباع السنة والاحتكام إليها عند الاختلاف، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) وقال الله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٢) فالذين يدعون إلى الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن، لا يأخذون بما أمر الله سبحانه في القرآن الكريم.

٢- إن عدم الأخذ بالسنة يعني أن لا نعرف كيفية أداء العبادات من صلاة وزكاة وحج وغيرها من تشريعات، ثم إن الرسول ﷺ أمر بالتمسك بالسنة فقال: «تركتُ فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما كتابَ اللهِ وسُنَّتِي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(٣).

وكذلك فإنه لا يمكن فهم الإسلام ولا تطبيقه لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة من غير الحديث النبوي الشريف، ولقد نبه النبي ﷺ إلى أنه سيكون من الناس من ينكر الأخذ بالسنة النبوية، ولقد حذر النبي ﷺ من هذه المقولة بقوله: «يوشكُ الرَّجُلُ متكئاً على أريكته يحدِّثُ بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتابُ اللهِ عز وجل، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرّمناه، ألا وإنَّ ما حرّمَ رسولُ اللهِ ﷺ مثل ما حرّمَ اللهُ تعالى»^(٤).

رابعاً : الرحلة في طلب الحديث

حث الإسلام على طلب العلم، وجعل السعي لتحقيقه فرض كفاية على المسلمين ومن أوجه السعي لطلب العلم الرحلة، قال تعالى:

﴿فَلَوْلَا نَفْرَمِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٥) وقال النبي ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٦).

وهكذا فإن الرحلة في طلب العلم بشكل عام، والحديث النبوي بشكل خاص، قد بدأت ونشطت في عهد النبي ﷺ، واستمرت كذلك في فترات التاريخ الإسلامي الحافل بالعلم والبحث العلمي. وللرحلة في طلب الحديث أهداف كثيرة من أهمها:

١- جمع الأحاديث النبوية الشريفة خشية ضياعها، لأن الأحاديث النبوية تفرقت بين المسلمين، مع انتشار الصحابة في البلاد الإسلامية الواسعة.

(١) سورة العنكبوت، الآية (٧).

(٢) سورة المائدة، الآية (٩٢).

(٣) رواه الحاكم.

(٤) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، سنن ابن ماجه، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه.

(٥) سورة التوبة، الآية (١٢٢).

(٦) حديث صحيح، سنن الترمذي، ابواب العلم، باب فضل طلب العلم.

٢- التثبت من الحديث، فقد كان الراوي عندما يسمع حديثاً يرتحل إلى من رواه، ليسمعه منه ويتثبت من صحته. ومن الأمثلة على ذلك :

قال أبو العالية: «كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ ونحن بالبصرة، فما نرضى حتى نركب إلى المدينة المنورة فنسمعها من أفواههم».

خامساً: نماذج من الرحلة في طلب الحديث

١- عن جابر بن عبد الله قال: «بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع منه، قال فابتعت بغيراً، فشددت عليه رحلي، فسردت إليه شهراً، حتى أتيت الشام فإذا هو عبد الله ابن أنس الأنصاري، فخرج إليّ فاعتنقني واعتنقته، قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم، لم أسمع، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمع، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وواحد من أهل النار يطالبه بمظلمة»^(١).

تأمل في هذه الرحلة الشاقة، التي تستغرق شهراً ذهاباً، وشهراً إياباً، من أجل حديث واحد، وانظر إلى عدل الله تعالى الذي يأبى أن يظلم أحداً من أهل النار لحساب شخص من أهل الجنة.

٢- خرج أبو أيوب الأنصاري من المدينة المنورة إلى عقبة بن عامر وهو بمصر، فقال عقبة بعد ما عانقه ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) فقال أبو أيوب: صدقت ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة المنورة.

(١) حديث صحيح، مسند الإمام أحمد، ٤٩٥/٣.

(٢) حديث حسن، مسند الإمام أحمد، ١٥٣/٤، ١٥٩.

- ١- بيّن المقصود بالمفاهيم الآتية:
الحديث، الصفة الخَلْقِيَّة، الصفة الخُلُقِيَّة.
- ٢- بيّن الفرق بين كل من الأثر والخبر، عند من يرى ذلك.
- ٣- وضح مخاطر الاكتفاء بالقرآن الكريم مصدراً للأحكام الشرعية.
- ٤- كيف تردّ على من ينكر أن السنة مصدر من مصادر الأحكام الشرعية؟
- ٥- ما أهم هدف من أهداف الرحلة في طلب الحديث الشريف في رأيك؟ ولماذا؟
- ٦- استنتج عبرتين تفيدهما في الوقت الحاضر من رحلة الصحابة للثبوت من صحة الحديث الشريف.
- ٧- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
أ - بدأت الرحلة في طلب الحديث الشريف في عهد:
١. النبي ﷺ
٢. الصحابة
٣. التابعين
٤. أتباع التابعين
ب- أهم هدف من أهداف الرحلة في طلب الحديث هو:
١. نشر العلم
٢. كسب صداقات جديدة
٣. جمع الحديث الشريف
٤. السياحة

الحديث النبوي الشريف (مفهومه وأنواعه وأهدافه)

كان رسول الله ﷺ يعيش بين أصحابه يعلمهم كل شؤون حياتهم، وكان اهتمام الصحابة بكل ما يصدر عنه ﷺ فريداً، ليس له مثيل في تاريخ البشرية، فهم يؤمنون بأنه لا ينطق عن الهوى، وأن ما ينزل عليه وحي من الله تعالى. وكان الرسول ﷺ يحثهم على سماع حديثه وتبليغه للناس فعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَضَّرَ اللهُ امرءاً سمع منا شيئاً فَبَلَّغَهُ كما سَمِعَهُ»^(١) وقد اهتم الصحابة، رضي الله عنهم، في تبليغ الحديث كما سمعوه من رسول الله ﷺ وقد وضع الصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء بعض الأسس والقواعد لتبليغه إلى من بعدهم دون زيادة أو نقصان.

أولاً: مفهوم علم الحديث وأنواعه

علم الحديث: هو العلم الذي يبحث في حديث رسول الله ﷺ من حيث نقله وضبط ألفاظه وتدوينه. وهو نوعان:

١- علم الحديث رواية

وهو العلم الذي يبحث في نقل الحديث من جيل إلى جيل بشكل منضبط، حفظاً في الصدور وكتابة في السطور وقد ساعد على حفظ الحديث أمور منها:

- أ - قوة الذاكرة التي امتاز بها العرب، لقلة الكتابة بينهم، فكانت الغالبية تعتمد على الذاكرة حتى نمت وقويت، ولقلة تعقيدات حياتهم التي يعيشونها في الجزيرة العربية.
- ب - اهتمام الصحابة بحفظ السنة لأهميتها في معرفة الأحكام الشرعية، وابتغاء الأجر في الآخرة.
- ج - أسلوب النبي ﷺ الذي كان يساعد على الحفظ، فقد كان يتحدث بتأن دون استعجال، وكان يكرر بعض العبارات للتأكيد بالإضافة إلى بلاغته ﷺ.
- د - قصر الحديث النبوي في أغلب الأحيان.

نشاط

اذكر سبباً آخر يساعد على حفظ الحديث الشريف.

٢- علم الحديث دراية

وهو العلم الذي يبحث في القواعد التي يعرف بها الحديث المقبول، من الحديث المرذود، فقد وضع العلماء مجموعة من الأسس والقواعد المتعلقة بسند الحديث ومتمنه، والتي تساعد في الحكم على

(١) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في البحث على قبيل السماع.

الحديث من حيث صححة نسبته إلى النبي ﷺ أو عدم صحتها، ويسمى علم الحديث درايةً علم مصطلح الحديث أو علم أصول الحديث .

ثانياً : أهداف علم الحديث

لعلم الحديث روايةً ودرايةً أهداف في غاية الأهمية منها:

- 1- حفظ الحديث النبوي من الضياع والاندثار، وذلك بروايته مشافهةً وكتابته جيلاً عن جيل، حتى وصل إلينا.
- 2- التمييز بين الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة، وقد منع هذا من دخول الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الدين .
- 3- بناء العقلية الإسلامية الناقدة الممحصمة، التي لا تأخذ كل ما تسمع وإنما تبحث وتتحرى وتنقب حتى تصل إلى الحقيقة، فإن صح الحديث عن رسول الله ﷺ قبلناه وإن لم يصح رددناه .
- 4- ابتغاء الأجر العظيم على بذل الجهد للمحافظة على سنة النبي ﷺ .
- 5- تسهيل مهمة المفسر والفقير لاستنباط الأحكام .

ثالثاً : نشأة علم الحديث

علمت أن علم الحديث نوعان هما: علم الرواية وعلم الدراية، وقد نشأ علم الرواية زمن النبي ﷺ لأن الصحابة، رضي الله عنهم، كانوا يسألونه ويبلغون ما يسمعون، فهل تعرف نشأة علم الحديث درايةً؟
لم تكن معرفة علم الحديث درايةً ذات إشكالية في زمن النبي ﷺ، لأن الصحابة، رضي الله عنهم، كانوا يسألونه عن أي حديث يشكون في نسبه إليه، وقد بدأت المشكلة بعد وفاته ﷺ، فكيف حافظ المسلمون على الحديث النبوي عبر القرون؟ هذا ما سنستعرضه على مرحلتين:

1- المرحلة الأولى : عصر الصحابة

بحث الصحابة، رضي الله عنهم، في القرآن والسنة عن القواعد التي يعرف بها الحديث الصحيح من غيره، فوجدوا توجيهات تدل على ذلك منها :

أ - الأمر باتباع السنة، وطاعة الرسول ﷺ وهذا لا يتم إلا بحفظ السنة النبوية .

ب - التحذير من الكذب في الحديث النبوي الشريف قال ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١) .

ج- طلب الثبوت من الأخبار قبل قبولها، واشتراط التقوى فيمن تقبل روايته، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾^(٢)

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب تغليب الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) سورة الحجرات، الآية (٦).

د - التحذير من نقل ما لا يعرف الراوي صحته، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(١) ولذلك بدأ الصحابة، رضي الله عنهم، يبنون على هذه الأسس علم الحديث الشريف، وكلما تعرضت السنة لخطر جديد وضعوا القواعد التي تكفل بقاءها نقية صافية.

لقد كان الخطر يتمثل في احتمال الخطأ في الرواية، أما الكذب فلم يثبت أن أحداً من الرواة كذب على رسول الله ﷺ، فكيف عالج العلماء احتمال وقوع الخطأ في هذه المرحلة؟

لقد استخدم العلماء أساليب عدة لمعالجة ذلك أهمها:

أ - اقتصر الراوي على رواية الأحاديث التي يطمئن إلى حفظها وضبطها، وعدم روايتها لما يشك في حفظه من الأحاديث، فكل راو معرض للنسيان.

وهذا الأسلوب يعالج الخطأ والنسيان بشكل وقائي، أي قبل أن يقع، وقد قلل من وقوع الخطأ في الرواية إلى حد كبير.

نشاط

بيّن الفرق بين الأسلوب الوقائي والأسلوب العلاجي وأهمية كل منهما.

ب - عرض رواية الراوي على القرآن الكريم، والثابت من السنة، فإن وجدوه يعارض شيئاً من القرآن أو الحديث، عرفوا أن الراوي قد أخطأ في الرواية.

ج - التثبت بشاهد أو يمين: فإن شهد مع الراوي شاهد آخر، أو طلبوا من الراوي اليمين فأقسم، تبين أنه متأكد من صحة ما روى، فيقبل حديثه.

ومثال ذلك أن عمر بن الخطاب طلب إلى أبي موسى الأشعري شاهداً على حديث: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع»^(٢) فشهد له الصحابة بذلك فقبله.

وهذا التثبت إنما يكون عند وجود شك في نسيان الراوي أو خطئه.

٢- المرحلة الثانية: عصر ما بعد الصحابة

في هذه المرحلة ظهر الكذب في الحديث، فاستحدث العلماء أساليب جديدة لحفظ الحديث منها:

أ - السؤال عن أسماء رواة الحديث للتأكد من مدى صدقهم ودقتهم، فنشأ علم الجرح والتعديل، وعلم الرجال.

ب - الرحلة إلى الراوي الذي سمع الحديث من النبي ﷺ للتأكد من صحة الحديث.

ج - المقارنة بين رواية الراوي ورواية غيره للحديث، لاكتشاف الكذب أو الخطأ. واستمرت هذه الأساليب وتوسعت على مرور الزمن إلى أن جمعت الأحاديث وكتبت، كما ستعرف في تدوين علوم الحديث.

(١) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان.

- ١- ما الفرق بين علم الحديث روايةً وعلم الحديث درايةً؟
- ٢- وضح بداية نشأة علم الحديث رواية.
- ٣- كيف ساعد أسلوب النبي ﷺ على حفظ الحديث الشريف؟
- ٤- بين كيف يعين علم الحديث الشريف على محاربة الخرافات والإشاعات في المجتمع.
- ٥- علل ما يأتي:
 - أ - لم تنشأ علوم الحديث دراسة في عهد النبي ﷺ.
 - ب - عدم قبول كل ما نسمع من الأحاديث.
- ٦- لعلم الحديث رواية ودراية أهداف كثيرة، اكتب أهمها في رأيك، ولماذا؟
- ٧- يقول الله سبحانه: ﴿إِنْ جَاءَكَ كُفْرٌ فَاسِقٌ بَدِيحًا فَتَبَيَّنُوا﴾ وقال كذلك ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ما القواعد التي يمكن أن تستنتجها من هاتين الآيتين الكريمتين في علم الحديث؟
- ٨- مقارنة ما يرويه الراوي برواية غيره من الرواة، لها أهمية في اكتشاف الكذب أو الخطأ، برأيك كيف يكون ذلك؟
- ٩- أسهم علم الحديث روايةً ودرايةً في بناء العقلية الإسلامية الناقدة، وضح ذلك.

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (١) (المنهج العلمي في تدوين الحديث)



لقد كانت الكتابة نقلة هامة كبيرة في تاريخ البشرية، وهي الوسيلة الأولى في القديم والحديث، لتدوين العلوم والمعارف، ونقلها من جيل إلى جيل، وبالتدوين انتقل الحديث النبوي الشريف من جيل إلى جيل حتى وصل إلينا، وقد تم ذلك على مراحل سنينها في هذا الدرس.

أولاً: مراحل كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه

لقد مرت كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه في عدة مراحل هي:

١- بداية العصر النبوي

في هذه المرحلة لاحظ الرسول ﷺ قلة عدد الكتابة بين الصحابة، وخشي من أمرين هما:

أ - أن ينشغل الكتاب، بكتابة الحديث الشريف عن كتابة القرآن الكريم، والأمر يستدعي أولاً تدوين القرآن الكريم.

ب - أن تختلط عند بعض الكتابة الآيات بالأحاديث، وبخاصة قبل أن تتقدم وسائل الكتابة، إذ كانوا يكتبون على الأحجار والجلود، وما شابه ذلك.

لهذا نهى النبي ﷺ الصحابة عن كتابة الأحاديث، وسمح لعدد قليل منهم فقط بالكتابة. ومن أشهرهم: الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص صاحب «الصحيفة الصادقة» قال أبو هريرة: «ليس أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب»^(١).

نشاط

لماذا سمح النبي ﷺ لعدد قليل من الصحابة بكتابة الأحاديث النبوية؟

٢- أواخر العصر النبوي

بعد سنوات من إقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، شجع الرسول ﷺ على التعلم بأساليب متعددة، فكثر عدد الكتاب، وزالت أسباب المنع، وسمح النبي ﷺ لمن شاء أن يكتب، بل وأمر بكتابة بعض الأحاديث أحياناً، وقد كتب في هذه المرحلة كثير من الأحاديث النبوية ومن ذلك:

(١) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب الرخصة في كتابة العلم.

أ- كتبه ﷺ إلى أمرائه وعماله، وهي تشتمل على أهم أمور الإسلام من عقيدة وأحكام، كأحكام الزكاة وأنصبتها ومقاديرها، والديات، والحدود، وبيان المحرمات.

ب- كتبه ﷺ إلى الملوك، ورؤساء الدول، وزعماء القبائل يعرض عليهم الدخول في الإسلام.

ج- العقود والمعاهدات التي أبرمها ﷺ مع الكفار.

د - كتب لأفراد من الصحابة في مناسبات مختلفة، كقوله ﷺ لبعض الصحابة: «اكتبوا لأبي شاة»^(١) وذلك في خطبة حجة النبي ﷺ.

هـ- صحائف، كثيرة بالحديث النبوي كتبها كثير من الصحابة لأنفسهم مثل: علي بن أبي طالب، وسعد بن عباد، وجابر بن عبد الله، وسمرة بن جندب، وغيرهم.

٣- بعد وفاة الرسول ﷺ وحتى نهاية القرن الهجري الأول

اشتدت حاجة المسلمين إلى كتابة الحديث بعد وفاة النبي ﷺ فازدادت كتابتهم له، وقد كتب منهم في هذه المرحلة عشرات من الصحابة والتابعين، ولكن الكتابة كانت تتم بجهود فردية، حتى جاء عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى، فأمر الإمام محمد بن شهاب الزهري بجمعها وكتابتها، فانتقل الأمر من الكتابة الفردية إلى الكتابة الرسمية، التي تشرف عليها الدولة الإسلامية.

٤- القرنان الثاني والثالث الهجريان

في هذه المرحلة تمت كتابة الحديث وتدوينه في مصادر كبيرة، لا زالت هي المصادر المعتمدة حتى الآن، مثل الموطأ للإمام مالك، والجامع الصحيح للبخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد بن حنبل.

ثانياً : تصنيف الحديث الشريف

لم تكن الأحاديث النبوية في بداية عهد الكتابة ترتب، ترتيباً معيناً، بل كانت تسرد سرداً دون أي ترتيب، ولكن حينما ظهرت الكتب الكبيرة التي تحتوي آلاف، بل عشرات الآلاف من الأحاديث كان لا بد من ترتيب الأحاديث بطريقة علمية تسهل على الباحث الوصول إلى الحديث الذي يبحث عنه. فما أهم طرق التصنيف في الحديث؟ لقد اعتمد علماء الحديث طريقتين رئيسيتين في التصنيف هما:

١- التصنيف بحسب الموضوع

وفي هذه الطريقة توضع الأحاديث الخاصة بالعلم وحدها وتسمى كتاب العلم، وأحاديث الإيمان وحدها، وأحاديث الصلاة وحدها، وأحاديث الجهاد منفردة وهكذا. ثم تقسم أحاديث كل موضوع رئيس إلى موضوعات فرعية كثيرة، ويسمى كل موضوع فرعي «باباً» فنقول كتاب الإيمان باب بُني الإسلام على خمس، وباب حلاوة الإيمان، وباب الحياء من الإيمان، وهكذا، وهذه هي أكثر طرق التدوين انتشاراً بين العلماء، وعلى هذه الطريقة الكتب الستة.

(١) صحيح البخاري، باب كتابة العلم.

٢- التصنيف بحسب الصحابي الذي روى الحديث

وفي هذه الطريقة تكتب الأحاديث التي رواها أبو بكر أولاً، ثم الأحاديث التي رواها عمر، ثم الأحاديث التي رواها عثمان، فالأحاديث التي رواها علي، رضي الله عنهم جميعاً، وهكذا حسب ترتيب معين للصحابة. وتكتب عند كل صحابي منهم جميع الأحاديث التي رواها بغض النظر عن موضوعها، وتسمى الكتب المؤلفة على هذه الطريقة «المسانيد»، ومن أمثلة هذه الكتب مسند الإمام أحمد بن حنبل.

نشاط

كيف رتب الإمام البخاري والإمام مسلم الأحاديث الشريفة في صحيحيهما؟

ثالثاً : شروط مصادر الحديث الشريف

هناك طريقة أثبتها علماء الحديث الشريف في تدوين الحديث الشريف في كتبهم التي أصبحت مصادر للحديث الشريف وهذه الطريقة هي:

١- ذكر سند الحديث

يشترط في كتاب السنة النبوية حتى يكون مصدراً من المصادر المعتمدة في الحديث الشريف، ذكر كل حديث بسنده من مؤلف الكتاب إلى الرسول ﷺ، فصحيح الإمام البخاري يعد مصدراً من مصادر السنة النبوية، لأنه يقول حدثنا فلان حتى النبي ﷺ. ومن جانب آخر، فإن كل كتاب جمع مجموعة من الأحاديث من غير ذكر أسانيدها، لا يعد من مصادر الحديث النبوي.

٢- ذكر درجة الحديث

هناك شروط خاصة انفرد بها كل مؤلف في كتابه، فمنهم من اشترط أن لا يذكر في كتابه إلا الحديث الصحيح، كالإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما ومنهم من اشترط أن تكون أحاديث كتابه من الأحاديث المقبولة، وهي تشمل الأحاديث الصحيحة والحسنة، كأبي داود، والنسائي في سننهما، ومنهم من ذكر مع الأحاديث المقبولة بعض الأحاديث الضعيفة وبين ضعفها كالترمذي في سننه.

الأسئلة

- ١- علّل ما يأتي:
 - أ - خشى الرسول ﷺ من كتابة الحديث الشريف في بداية العهد النبوي .
 - ب - سمح ﷺ لبعض الصحابة بكتابة الحديث الشريف في بداية العهد النبوي .
- ٢- بيّن الفرق بين بداية العصر النبوي وآخره في تدوين الحديث الشريف .
- ٣- في نهاية القرن الأول الهجري انتقلت كتابة الحديث الشريف من الكتابة الفردية إلى الكتابة الرسمية - في رأيك - ما أهمية ذلك؟
- ٤- استنتج ثلاث فوائد لتصنيف الأحاديث في كتب السنة النبوية .
- ٥- ما رأيك بطريقة تصنيف الأحاديث النبوية الشريفة بحسب الصحابي الراوي؟
- ٦- بيّن متى يعد الكتاب في السنة النبوية مصدراً من المصادر المعتمدة في الحديث الشريف .
- ٧- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
* كانت بداية كتابة الحديث الشريف في زمن:
 - أ - النبي ﷺ .
 - ب - أبي بكر رضي الله عنه .
 - ج - عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 - د - عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٢) (التأليف في علم مصطلح الحديث)

وضعت قواعد علم مصطلح الحديث تدريجياً وبشكل تراكمي كالبناء توضع لبناته واحدة فوق الأخرى، وكان العلماء يتداولونها مشافهة، وبعد أن استقرت هذه القواعد عندهم أقبلوا على تدوينها وإليك بيان ذلك.

أولاً: بداية الكتابة في علم مصطلح الحديث

بدأت عملية مراعاة قواعد علوم الحديث دراية قبل كتابتها، وكان من أشهر من وعى هذه القواعد ودرسها الإمام الزهري، ولكنه لم يكتب فيها كتاباً. وقد ألف الإمام الشافعي كتابه المشهور (الرسالة) في أصول الفقه ضمنه شروط الحديث المقبول وشروط الراوي الذي يقبل حديثه، ويعتبر هذا أول تدوين لقواعد علم مصطلح الحديث. وأما التأليف في علم مصطلح الحديث بشكل مستقل، عن غيره من العلوم فقد بدأ في القرن الرابع الهجري، ومن أشهر ما كتب في تلك الفترة: «الكفاية في علم الرواية» ومؤلفه: أحمد بن علي بن ثابت، «الخطيب البغدادي».

وامتاز التأليف في تلك الفترة بأمرين هما:

- أ - فصل علم مصطلح الحديث عن العلوم الأخرى في التأليف.
- ب - جمع كل ما أمكن من المعلومات في هذا العلم من المؤلفات الصغيرة، حتى لا تضيع، وقد طغى الجمع على التنقيح والتمحيص، والموازنة بين الآراء والترجيح بينها في هذه المرحلة.

ثانياً: ازدهار التأليف في علوم الحديث

وصل التأليف في علم مصطلح الحديث إلى مرحلة النضج والاكتمال ابتداء من القرن السابع الهجري، إذ تمكن العلماء - بعد تمام عملية الجمع - من ضبط التعريفات، كتعريف الحديث الحسن، والتفريق بينه وبين الحديث الصحيح في هذا العصر، والترجيح بين الآراء، ومن أهم المؤلفات في هذا القرن «علوم الحديث» ومؤلفه عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح.

ثالثاً: عصر الركود

وقد بدأ هذا العصر من القرن العاشر الهجري، وكانت المؤلفات فيه كثيرة، ولكنها كانت في كثير منها تكراراً لما سبق من المؤلفات، قلَّ فيها الابتكار وكثر فيها التقليد.

وكثير في هذا العصر شرح المختصرات، واختصار المطولات، ونظم بعض الكتب شعراً، ولكن دون إبداع في المضمون.

رابعاً : عصر الصحوة

أفاق العالم الإسلامي في هذا العصر، على احتلال الأعداء لبلاد المسلمين واستعمارها لها، وتقسيمها إلى دويلات صغيرة ضعيفة في قدراتها، وقد سبق هذا الغزو العسكري غزو أكثر خطراً، وهو الغزو الثقافي الذي يستهدف عقيدة المسلمين ومصادر دينهم، وطمس شخصيتهم الحضارية.

وقد أثرت شبهات حول السنة النبوية، لتشكيك المسلمين في المصدر الثاني لدينهم، فهب عدد من العلماء يدافعون عن السنة النبوية، ويردون على هذه الشبهات ويكشفون زيفها وتناقضها، وما تنطوي عليه من أخطاء علمية. ومن أهم ما أُلّف في هذا العصر كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» للدكتور مصطفى السباعي.

ثم توالى بعد ذلك المؤلفات في مختلف بلدان العالم الإسلامي، وهي مؤلفات لا تكاد تحصى، وانكشفت افتراءات المفتريين على الحديث النبوي الشريف، واكتسبت الأمة مناعة ضد التشكيك في مصادر دينها قرآناً وسنة.

الأسئلة

- ١- ما الفرق بين ازدهار التأليف في علم مصطلح الحديث واستقلاله؟
- ٢- لماذا كان الغزو الثقافي أخطر من الغزو العسكري؟
- ٣- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
أ - أول من كتب في علم مصطلح الحديث مستقلاً عن غيره من العلوم هو:
 ١. الزهري.
 ٢. الشافعي.
 ٣. البغدادي.
 ٤. ابن الصلاح.
- ب - تميز عصر الركود ب:
 ١. قلة المؤلفات.
 ٢. انعدام التأليف.
 ٣. قلة المؤلفين.
 ٤. قلة الإبداع في التأليف.

نشاط

ارجع إلى أحد كتب عصر الصحوة مثل كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» واكتب بحثاً في حجية السنة النبوية وأنها المصدر الثاني للتشريع .

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٣) (تتبع أحوال الرواة)

معرفة أحوال رواة الحديث النبوي الشريف من أهم ركائز الحكم على الحديث من حيث صحته أو ضعفه، فما هي أحوال الرواة التي تركزت عليها جهود علماء الحديث؟
نظر العلماء في أمور الرواة فوجدوا أن رواية الراوي للحديث النبوي كما سمعه تقتضي أن لا يحدث تغييراً في الحديث، لا عمداً (وهو الكذب)، ولا دون عمد (وهو الخطأ أو النسيان)، ولذلك جعلوا الشروط التي تشترط في كل راوٍ قسمين هما:

- ١- شروط تنفي عن الراوي احتمال الكذب، وتسمى العدالة.
 - ٢- شروط تنفي عن الراوي احتمال الخطأ والنسيان، وتسمى الضبط.
- وسمى العلماء المجموعة الأولى العدالة، والثانية الضبط، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً: العدالة

العدالة صفة تحمل الراوي على الصدق في رواية الحديث وتعرف بأنها: استقامة الراوي التامة في شؤون الدين وسلامته من الفسق كله وسلامته من خوارم المرءة^(١). وللمعدالة المعتبرة في رواية الأحاديث النبوية شروط لا بد من اجتماعها هي:

- ١- الإسلام: لأن الكافر ربما حملته كفره على الكذب في الحديث النبوي الشريف.
 - ٢- العقل: لأن المجنون لا يعي ما يقول.
 - ٣- البلوغ: لأن الصغير لا يدرك مخاطر الكذب في الحديث النبوي الشريف.
 - ٤- التقوى: وهي اجتناب الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر، فإن الإصرار على الصغائر قد يقود إلى الكبائر. والذي يتجرأ على فعل كبيرة ربما يتجرأ على الكذب في الحديث النبوي.
 - ٥- المرءة: وهي الالتزام بالعادات المباحة في الإسلام وهي تختلف بين عصر وآخر، وبين بيئة وأخرى، ومن أمثلة ذلك أن الرجال في القرن الهجري الأول اعتادوا على تغطية رؤوسهم، ولم يرد فيه أمر ولا نهْي، فكان من المرءة أن يغطي الرجل رأسه، وأما الآن فقد اعتاد الرجال كشف رؤوسهم، فلا يعد من كشف رأسه من الرجال فاقداً للمرءة.
- فإذا اجتمعت كل شروط العدالة السابقة في الراوي كان عدلاً.

(١) صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص ١٢٩

لماذا لم يدخل العلماء في المروءة العادات التي أمر الإسلام بها، والابتعاد عن العادات التي نهى الإسلام عنها؟

ثانياً: الضبط

وهي صفة إذا توافرت في الراوي حالت بينه وبين الخطأ في رواية الحديث النبوي وهي تتطلب ما يأتي:

١- التيقظ، وهو قسمان :

أ - التيقظ الحسي: ويتحقق ذلك بأن لا يكون الراوي شارد الذهن في أثناء سماع الحديث، وأن لا يكون في حالة بين النوم واليقظة.

ب- التيقظ المعنوي: بأن لا يكون الراوي ضعيف الفهم، فيفهم الكلام على غير وجهه الصحيح وما شابه ذلك.

٢- عدم مخالفة الرواة الموثوقين

فإن الراوي إذا كثرت مخالفته - لمن هو أوثق منه من الرواة الموثوقين في روايته - دل ذلك على خطئه، وعدم ضبطه لما يروي.

فإذا اجتمع الأمران السابقان في الراوي سمي ضابطاً، وإن اجتمعت كل شروط العدالة والضبط فإن الراوي يسمى (ثقة)، فالثقة هو: العدل الضابط.

ثالثاً: المؤلفات في رواية الحديث

تتبع علماء الحديث أحوال الرواة من حيث العدالة والضبط وكل ما يتعلق بهما، وقد وصلوا في الدقة منزلة لم يعرفها التاريخ البشري كله، ودونوا ذلك في كتب خاصة لتمكين الباحث من تمحيص الروايات والحكم عليها من خلال روايتها ومن أهم هذه الكتب كتاب «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر العسقلاني.

وقد رتبت هذه الكتب أسماء الرواة حسب الحروف الهجائية ليسهل الوصول إلى المعلومات المتعلقة بكل راوٍ من رواة الحديث النبوي الشريف.

وتشتمل هذه الكتب على اسم الراوي وكنيته ولقبه ونسبه وولادته، وشيوخه وتلاميذه، وبلده ليمتاز عن غيره من الرواة فلا يختلط ضعيف بثقة.

وتشتمل هذه الكتب كذلك على أقوال العلماء في الراوي من حيث عدالته وضبطه، وتتفاوت هذه الكتب في الرواة تطويلاً واختصاراً، فبعضها يقع في عدد محدود من المجلدات وبعضها يقع في عدد كثير من المجلدات يصل أحياناً إلى أكثر من عشرين مجلداً.

- ١- قسّم علماء الحديث شروط الراوي إلى مجموعتين. وضحهما.
- ٢- تختلف مقاييس المروءة من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى آخر، وضح ذلك.
- ٣- قارن بين مقياس التقوى والمروءة كشرطين لا بد من توافرهما في راوي الحديث.
- ٤- بيّن أربعة من الأمور التي تحويها كتب الرواة عن كل راوٍ من الرواة.
- ٥- في رأيك. ما أهمية ذكر ما يأتي عن راوي الحديث؟

أ - ذكر تلاميذه وشيوخه.

ب - ذكر ولادته وبلده ورحلاته ووفاته.

٦- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

أ - مما يعين على عدم الخطأ في رواية الحديث الشريف:

١. الإسلام

٢. التقوى

٣. التيقظ

٤. المروءة

ب - الثقة في اصطلاح المحدثين معناها:

١. التقي البالغ

٢. العدل الضابط

٣. المتيقظ

٤. المسلم التقي

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٤) (قواعد الجرح والتعديل)

بعد تتبع أحوال الراوي، يصل العلماء إلى حكم محدد بشأنه، فيما أن يكون مقبول الرواية أو أن يكون مردود الرواية، وهذا الحكم على الراوي هو الذي يُطلق عليه في علم مصطلح الحديث الجرح والتعديل، فما الجرح؟ وما التعديل؟ وما شروطهما؟ وما مراتبهما؟

أولاً : تعريف الجرح والتعديل

الجرح لغة: مصدر من جَرَحَ، وجرحه إذا أحدث في بدنه جرحاً يسمح بسيلان الدم منه، ويقال جرح الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره .
والجرح اصطلاحاً: هو ظهور وصف في الراوي يثلم عدالته أو يخل بحفظه وضبطه مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها وردها.
والعدل لغة: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، ورجل عدل: مقبول الشهادة، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه .
والتعديل اصطلاحاً: هو توثيق الراوي، أي الحكم عليه بأنه عدل ضابط مما يترتب عليه صحة روايته وقبولها.

ثانياً : مشروعية الجرح والتعديل

إن الجرح والتعديل أمران ضروريان لحفظ الحديث النبوي الشريف من الأحاديث المكذوبة، والأحاديث التي وقع فيها الخطأ والنسيان، ولولا الجرح والتعديل لاختلطت الأحاديث المقبولة بالأحاديث غير المقبولة، وهذا له أثره في الأحكام الشرعية والعقائد الإسلامية، لذا أجمع العلماء على وجوب الجرح والتعديل، وأنه ليس من الغيبة المحرمة، لأنه لا مجال لحفظ الدين إلا به، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ومن الأدلة النقلية التي تثبت مشروعية الجرح والتعديل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ^(١) وقوله سبحانه:

﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاءِ ﴾ ^(٢)

أي ممن ترضون دينه وأمانته.

(١) سورة الحجرات، الآية (٦).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

ثالثاً : شروط الجرح والتعديل

لا بد من توافر شروط عدة في الجرح والتعديل، وهذه الشروط هي :

١- أن يكون «الجرح والمعدّل» ثقة - أي عدلاً ضابطاً - فإنه لا يمكن قبول حكم غير الثقة، إذ فاقد الشيء لا يعطيه وعدالة الجرح والمعدّل تجعلنا نثق بصدقه وأمانته، كما أن ضبط «الجرح والمعدّل» يجعلنا نثق بأنه لم يخلط بين راو وآخر، وأنه على درجة ممتازة من الثقة في حكمه.

٢- أن يكون «الجرح والمعدّل» عالماً بقواعد الجرح والتعديل، أما الجاهل بقواعد الجرح والتعديل فلا يقبل حكمه.

٣- أن يكون عالماً بمصطلحات الجرح والتعديل، حتى لا يستعمل اللفظ لغير معناه الذي تعارف عليه العلماء.

٤- أن يبيّن سبب الجرح فلا يكفي أن يقول الجرح فلان غير ثقة، بل لا بد أن يذكر سبب عدم ثقته، كأن يقول: «فلان يُخطئ كثيراً، أو فلان يكذب» وما شابه ذلك، وبهذا يتم التأكد من هذا الجرح، فلا يلتبس راو بآخر، ولا يجرح بما تاب عنه من المعاصي. وأما المعدّل فلا يجب عليه ذكر سبب التعديل لأن الأصل في الإنسان العدالة.

هذه هي شروط «الجرح والمعدّل». ونلاحظ أنه لا يشترط أن يكون «الجرح والمعدّل» رجلاً، فالجرح والتعديل يقبل ممن اجتمعت فيه الشروط الأربعة سواء أكان رجلاً أو امرأة وسواء أكان واحداً أم أكثر.

نشاط

ماذا تعني كلمة ثقة عند علماء الحديث؟ وماذا تعني عند الناس في عصرنا؟

رابعاً: مراتب الجرح والتعديل

كما أن مستويات الطلبة تنقسم إلى أقسام متعددة، مثل ممتاز، وجيد جداً، وجيد ومقبول، فإن مستويات رواة الحديث كذلك، وقد قسّمها العلماء عدة تقسيمات، ولكل قسم عدة ألفاظ اصطلاحية تدل عليها، لا نستطيع أن نذكرها كلها خشية الإطالة، ولذلك سنقسمها إلى ثلاثة أقسام فقط وهي :

١- من يقبل حديثهم وهم درجات، ويعبر عن هذا القسم بالمصطلحات الآتية:

أ - أوثق الناس. ب - ثقة ثقة.

ج - ثقة د - صدوق

٢- من يرد حديثهم وهم درجات أيضاً ويعبر عنهم بمثل المصطلحات الآتية :

أ - ضعيف جداً .

ب - متهم بالكذب .

ج - كذاب .

د - أكذب الناس .

٣- من يكتب حديثهم و ينظر فيه، فإن وجدنا حديثاً آخر يقويه قبلناه، وإن لم نجد رددناه، فهو بين القسمين

السابقين لا يقبل وحده، ولا يرد فوراً، ويعبر عن هذا القسم بمثل المصطلحات الآتية:

أ - يكتب حديثه .

ب - لا بأس به إن شاء الله .

ج - ليس بالقوي .

د - له ما يُنكر .

الأسئلة

١- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كيف تفهم مشروعية الجرح في ضوء ذلك؟

٢- لماذا أجاز العلماء الجرح مع أنه في الظاهر من الغيبة؟

٣- ما معنى أن يكون الجرح مفسراً؟

٤- لماذا لا يشترط في التعديل أن يكون مفسراً؟

٥- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي :

أ - حكم الجرح والتعديل هو :

١- مباح

٢- مندوب

٣- واجب

٤- حرام

ب - أشد درجات من يرد حديثهم :

١- كذاب

٢- ضعيف جداً

٣- متهم بالكذب

٤- أكذب الناس

ج - من المصطلحات الدالة على قبول حديث الراوي :

١- يكتب حديثه

٢- لا بأس به إن شاء الله

٣- ثقة

٤- ضعيف

جهود علماء المسلمين في خدمة
الحديث النبوي الشريف (٥)
(قواعد الحكم على الحديث)

يتكون الحديث من سند ومتن، وللحكم عليهما قواعد اتفق عليها المحدثون، فما هذه القواعد التي تميز بين الحديث المقبول والحديث المردود؟

أولاً: شروط الحديث المقبول

اشترط المحدثون شروطاً عدة للحديث المقبول وهي :

١- أن يكون كل رواه ثقات

أي أن تجتمع في كل واحد منهم أركان العدالة والضبط، فإن كان واحد منهم، أو أكثر غير ثقة، فإن الحديث يعد غير مقبول.

٢- أن يكون سنده متصلًا

أي أن يروي كل راو الحديث عن شيخه، بطريقة مقبولة، وبذلك يكون الرواة في سند الحديث، قد سمع كل منهم الحديث من شيخه أو تلقاه بإحدى الطرق المقبولة عند أهل الحديث.

٣- أن لا يخالف متن الحديث شيئاً أقوى منه

والقوة تتمثل في أحد الأمور الآتية:

أ- آية من كتاب الله تعالى : ومثاله حديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة ويحيى في الألف السابعة^(١) وهذا من أبين الكذب لأنه لو كان صحيحاً لكان كل شخص عالماً بوقت قيام الساعة

والله تعالى يقول:

﴿سَأَلُونكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۗ سَأَلُونَكَ كَمَا تَأْتِيكَ مَا تَكُنُ بَالِغَةً قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ...﴾^(٢)

ب- حديث نبوي آخر أقوى منه: ومثاله قولهم: «إذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به

أو لم أحدث» فإنه مخالف للحديث المتواتر في قوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من

النار»^(٣)

ج- حقيقة قاطعة: أن لا يخالف الحديث حقيقة قاطعة لم يعد أي مجال لنقضها أو بطلانها.

فإذا اجتمعت في الحديث كل الشروط السابقة فهو حديث مقبول.

(١) أي تكون نهاية عمر الدنيا في الألف السابعة

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).

(٣) صحيح مسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: طرق رواية الحديث

ويمكن أن نقسم طرق رواية الحديث إلى قسمين رئيسين:

١- رواية الحديث مشافهة

وذلك إما بأن يروي الشيخ الحديث من حفظ، أو من كتابه، والطالب يسمع فيحفظ، أو يكتب. وتسمى هذه الطريقة "السمع". وإما بأن يقرأ الطالب على شيخه الحديث، فيقره الشيخ على صحة ما قرأ. وتسمى هذه الطريقة "العرض".

وقد نقلت أكثر الأحاديث النبوية بالمشافهة (سماعاً و عرضاً) وهي أقوى طرق الرواية عند المحدثين.

٢- رواية الحديث كتابة

أي دون أن يسمع الطالب من شيخه أو يعرضها عليه، ويكون ذلك بأن يعطي الشيخ لتلميذه كتاباً يحوي مجموعة من الأحاديث دون أن يقرأها عليه، أو أن يرسل له رسالة مع شخص فيها مجموعة من الأحاديث، أو أن يجد الطالب كتاباً بخط أحد العلماء وفيه مجموعة من الأحاديث، وما شابه ذلك.

وهذه الطريقة دون الطريقة الأولى في القوة، ولكنها مقبولة بشرط التثبت من نسبة المكتوب إلى العالم الذي نسبت الأحاديث إليه، فإن نقلها شخص فلا بد من أن يكون أميناً، أو أن يعرف الطالب خط شيخه فلا يلتبس عليه. فإن تأكد من صحة نسبة المكتوب إلى كاتبه، فطريقة الرواية مقبولة، وإلا فلا. فإذا روى كل راوٍ من رواة السند الحديث عن شيخه فالسند متصل، وإن سقط أحد رواة السند فالسند غير متصل، ويعد الحديث غير مقبول.

الأسئلة

- ١- ما المقصود بالمصطلحات الآتية:
السند، المتن، طريقة العرض؟
- ٢- ما المقصود باتصال السند كأحد شروط قبول الحديث؟
- ٣- وضح الفرق بين رواية الحديث مشافهة وكتابة، وما حكم كل منهما؟
- ٤- وضح أهمية وضع قواعد لمعرفة الحديث المردود.

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٦) (محاربة الوضع في الحديث الشريف)

مضى عصر الصحابة، رضي الله عنهم، وهم الأمناء على كتاب ربهم وسنة نبيهم، فكانوا عدولاً ثقات، روايتهم للحديث الشريف مقبولة دون توقف، ولكن ما أن انقضى هذا العصر حتى ظهر بعض الناس، ممن سولت لهم أنفسهم وضع أحاديث، نسبوها إلى رسول الله ﷺ لسبب أو لآخر، فما معنى الوضع؟ وما الأمور الدالة في الكشف عن الحديث الموضوع؟ وما جهود علماء الحديث في محاربته؟

أولاً: معنى الوضع في الحديث

الوضع في الحديث: هو الكذب في نسبة الحديث إلى النبي ﷺ، بأن ينسب إليه ما لم يقله، سواء أكان المنسوب إليه حكمة لأحد الحكماء، أم مثلاً من الأمثال. أم كلاماً من نسج خيال الوضّاعين. ولقد بذل علماء الحديث جهوداً كبيرة لمحاربة الوضع في الحديث النبوي الشريف لكي تبقى السنة النبوية صافية نقية، لا تشوبها شائبة. وإليك أهم ما فعله علماء الحديث في هذا المجال:

١- درس علماء الحديث أسباب الكذب في حديث النبي ﷺ وصنفوا الوضّاعين حسب هذه الأسباب، لأن ذلك يساعد على كشف الأحاديث المكذوبة، وقد تبين لهم أن أسباب الكذب في الحديث تتأخذ فيما يأتي:

أ- الانتصار للمذهب، مما يلاحظ في الحياة أن يكون للناس مذاهب واتجاهات عقائدية، وفقهية، وسياسية، لذلك حاول صاحب كل اتجاه ترجيح مذهبه على غيره، وقد اتخذ بعض الناس الكذب على النبي ﷺ، طريقاً لانتصار مذهبه.

ومن أمثلة الكذب في الحديث انتصاراً للمذهب السياسي في مسألة الخلافة، الأحاديث الموضوعة الآتية:

«أبو بكر يلي أمتي بعدي»، و«علي خير البشر، من شك فيه فقد كفر» و«الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية».

ب- العداة للإسلام، وقد كان يقوم بهذا المنافقون والزنادقة الذين فشلوا في محاربة الإسلام، بالحجة والبرهان وكذلك بالقوة والسلاح، فلجأوا إلى الدس في الأحاديث لمحاولة تشويه الإسلام، وتحريفه من داخله، ومن أمثلة ذلك أن أحدهم زاد جملة مكذوبة على حديث صحيح فغير معناه فقال: «أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله»، فجملة إلا أن يشاء الله كذبة أضيفت إلى الحديث.

نشاط

أين الكلمات المكذوبة في الحديث «أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله»؟ وما الهدف من هذا الوضع؟

ح- التوصل إلى الأغراض الدنيوية، كالمال والتقرب إلى بعض الأمراء، فقد روي أن شخصاً اسمه غياث ابن إبراهيم حين دخل على الخليفة المهدي وهو يمارس هواية اللعب بالحمام قال: حدثنا فلان أن النبي ﷺ قال: «لا سَبَقَ إلا في نصل أو حُفٍّ أو حافر أو جناح» والحديث صحيح إلا «أو جناح» زادها غياث ليسوع فعل الخليفة، فلما ذهب قال المهدي: أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله ﷺ ثم ترك ما كان فيه، وأمر بذبح الحمام.

د- الترغيب والترهيب، وقد فعل ذلك قوم جهلة رأوا تقصير الناس في بعض أعمال الخير فوضعوا أحاديث للحث عليها، وأحاديث أخرى للتحذير من بعض المعاصي، فكانت نيتهم حسنة، لكن أسلوبهم كان محرماً، وهو الكذب على النبي ﷺ ومن أمثلة ذلك، الحديث الطويل الذي وضعه نوح بن أبي مريم في فضائل قراءة سور القرآن، من أولها إلى آخرها، واعتذر عن ذلك بأنه رأى الناس قد أعرضوا عن القرآن، فوضع هذا الحديث حسبة لله تعالى. هذا ولا ينبغي أن يفهم أن كل ما ورد في فضائل السور غير صحيح.

٢- رفض كل حديث ليس له سند، قال عبد الله بن المبارك «الإسناد من الدين ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

٣- تتبع أحوال رواة الحديث المروري بالسند، وتطبيق معايير العدالة والضبط عليه، كما سبق ذكره. فإن وجدنا فيه من أتهم بالكذب فهو حديث موضوع.

٤- التحذير من الوضّاعين والاستماع إليهم، والتعلم منهم.

٥- بيان حكم الكذب على النبي ﷺ وأنه من أكبر الكبائر فقد قال ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

وبيان حكم رواية الحديث الموضوع، وأنه أيضاً من الكذب على النبي ﷺ، انطلاقاً من قوله عليه السلام: «من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»^(٢).

ولذلك فإنه لا تجوز رواية الحديث الموضوع، إلا لبيان أنه موضوع مكذوب على النبي ﷺ.

وقد وضع علماء الحديث علامات للحديث الموضوع، استنتجوها من بحوثهم الطويلة، ومعرفتهم الواسعة بهذه الأحاديث، وهذه العلامات هي خلاصة جهود طويلة في هذا المجال، وهي إما أن تدل على أن الحديث موضوع قطعاً، أو تشكك فيه كثيراً فتجعله غير مقبول.

ثانياً: الأمور الدالة على أن الحديث موضوع

من أهم ما يدل أن الحديث موضوع :

١- إقرار الراوي بأنه وضع الحديث. كما حدث من عبد الكريم بن أبي العوجاء لما اكتشف أمره، وحوكم، وصدر الحكم بقتله، قال: والله لقد وضعت فيكم أحاديث أحرّم فيها الحلال وأحل فيها الحرام. ولذلك فكل حديث في سنده هذا الراوي فهو حديث موضوع.

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) صحيح مسلم، المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات.

- ٢- المخالفة الصريحة للقرآن الكريم أو السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ وذلك كالأحاديث التي تذكر السنة التي ستقوم فيها القيامة، فهذا يناقض قطعاً ما ورد في القرآن والسنة من أن الساعة لا يعلم وقتها إلا الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْ قَتَبَهَا إِلَّا هُوَ﴾ (١)
- ٣- مخالفة الحقائق العقلية المتفق عليها بين العلماء، فإن اختلفوا في أمر ما فلا يعد من الحقائق العقلية، بل هو من الآراء، ولا يرد الحديث إذا خالف رأي شخص أو مجموعة من الأشخاص.
- ٤- مخالفة الحقائق الحسية التي لا يختلف فيها اثنان من أصحاب الحواس السليمة كالحديث الذي يذكر أن الأرض تقف على قرن ثور. فإن الأرض أصبحت الآن مشاهدة من كل جهاتها، وترى وهي تسبح في الفضاء لا تقف على شيء.
- ٥- مخالفة الحقائق العلمية التي لا يختلف فيها المختصون والتي خرجت من نطاق الفرضيات والنظريات إلى نطاق الحقائق التي لا شك فيها، وذلك كحديث «المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش» ومن ذلك ما يعارض الحقائق التاريخية، كالكتاب الذي أخرجه بعض اليهود بإسقاط الجزية عنهم وأن النبي ﷺ أعطاهم هذا الكتاب عام خيبر وقدموه للموزير، فعرضه الوزير على أحد علماء الحديث وهو الخطيب البغدادي سنة (٤٤٧ هـ) فلما نظر فيه قال: هذا مزور. قيل: كيف قلت هذا؟ قال: فيه شهادة معاوية وقد أسلم بعد فتح خيبر، وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل خيبر بسنتين.
- ٦- ركاكة الحديث إما في اللفظ أو في المعنى، وذلك لأن النبي ﷺ أفصح العرب، فلا يمكن أن يكون أسلوبه ركيكاً، كأن تجد في الحديث أخطاء لغوية، ليس لها وجه في اللغة العربية، أما الركاكة في المعنى فمعناها أن يكون الحديث متعارضاً مع الحقائق التي ذكرناها سابقاً.
- ٧- أن لا يوجد الحديث في أي مصدر من مصادر الحديث، وليس له سند عن النبي ﷺ فمن أين إذن جاءنا هذا الحديث، وكيف وصل إلينا بعد كل هذه القرون الطويلة؟

نشاط

ما رأيك فيما يوزعه الناس، من أنه رأى النبي ﷺ في المنام، وأمره أن يبلغ الناس أن ينسخوا ذلك (١٣) مرة، فمن نسخها فله السعادة في الدنيا والآخرة، ومن لم ينسخها فله الويل؟ فيم تستدل على رأيك؟

ومن الجهود التي بذلها علماء الحديث جمع الأحاديث الموضوعية في كتب خاصة لتحذير الناس منها، ولتكون مرجعاً لطلاب العلم كلما سُئلوا عن حديث وَيُشَكُّ فِي أَنَّهُ مَوْضُوعٌ . وقد كان كل مؤلف منهم يجمع الأحاديث الموضوعية في عصره، المنتشرة بين الناس ومن أهم هذه الكتب كتاب «المصنوع في الحديث الموضوع» للحافظ على القاري.

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).

- ١ - ما معنى الحديث الموضوع؟
- ٢ - لماذا اهتم علماء الحديث الشريف بأسباب وضع الحديث؟
- ٣ - اذكر أربعة من أسباب وضع الحديث.
- ٤ - اذكر مثلاً على الوضع في الحديث للانتصار للمذهب.
- ٥ - بيّن أهمية كون الكذب على الرسول ﷺ من الكبائر.
- ٦ - بيّن علاقة الوضع في الحديث الطويل في فضل سور القرآن سورة سورة كما مر بك في الدرس السابق.
- ٧ - بيّن أهمية دراستنا لجهود العلماء في محاربة الوضع في الحديث وتتبع الوضّاعين.
- ٨ - بيّن معنى ركاكة الحديث في لفظه، وركاكته في معناه.
- ٩ - وضح أهمية جمع الأحاديث الموضوعية في كتب خاصة.
- ١٠ - ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
 - أ - حكم وضع حديث بقصد حث الناس على الخير هو:
 - ١- واجب
 - ٢- مستحب
 - ٣- مباح
 - ٤- حرام
 - ب - حكم التحذير من الوضّاعين هو:
 - ١- واجب
 - ٢- مستحب
 - ٣- مباح
 - ٤- حرام

نشاط

ارجع إلى المكتبة واستخرج منها بعض الكتب التي جمعت فيها الأحاديث الموضوعية.

أقسام الحديث حسب قائله

قسّم علماء الحديث الأحاديث النبوية الشريفة تقسيمات متعددة، وكل تقسيم ينظر إلى الأحاديث من زاوية معينة كتقسيمه من جهة صحته، أو عدد رواته، أو من جهة قائله.

والحديث ينقسم من حيث قائله إلى أربعة أقسام هي الحديث القدسي، والمرفوع، والموقوف، والمقطوع.

وسنعرض في هذا الدرس هذه الأقسام تباعاً.

أولاً : الحديث القدسي

- ١- تعريف الحديث القدسي: هو الحديث الذي يضيفه الرسول ﷺ إلى الله تعالى، وذلك كأن يقول: قال الله تعالى. أو يقول الله تعالى، أو كأن يقول الراوي قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل، وسمي هذا النوع بالقدسي نسبة إلى القدس وهو الطهارة والتنزيه، ويسمى أيضاً بالحديث الإلهي نسبة إلى الإله سبحانه.
- ٢- الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم: مع أن الحديث القدسي والقرآن الكريم من كلام الله لكنه يفترق عن القرآن الكريم فروقاً عدة أهمها:
 - أ - الإعجاز: إن القرآن الكريم معجز إعجازاً لفظياً بيانياً، وأما الحديث القدسي فهو غير معجز في اللفظ، لذلك فقد جاء التحدي بالإتيان بمثل القرآن الكريم أو بعضه، أما الحديث القدسي فلم يجز التحدي به.
 - ب - التواتر: القرآن الكريم متواتر كله، وأما الحديث القدسي فبعضه متواتر وبعضه غير متواتر.
 - ج- التعبد بالتلاوة: القرآن الكريم متعبد بتلاوته. فقراءته عبادة في الصلاة وخارج الصلاة ولو بغير فهم. أما الحديث القدسي فغير متعبد بتلاوته، أي لا يقرأ في الصلاة، ويقرأ خارج الصلاة، ولكن لا يثاب عليه.
 - د - القرآن الكريم لا تصح الصلاة إلا به أما الحديث القدسي فلا تصح الصلاة به.
 - هـ- اللمس: القرآن الكريم لا يجوز مسه ولا قراءته للجنب والحائض والنفساء، أما الحديث القدسي فإنه يجوز فيه ذلك.
 - و - التلاوة بالمعنى: القرآن الكريم تحرم تلاوته بالمعنى، والحديث القدسي تجوز روايته بالمعنى.
 - ز - القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله تعالى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله تعالى ولفظه من الرسول ﷺ.
 - ح- طريقة الوحي: القرآن الكريم لا يكون إلا بوحى جلي عن طريق جبريل، عليه السلام، أما الحديث القدسي فيجوز أن يكون بوحى أو رؤيا منامية، أو بالإلقاء في الروع.

٣- الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف

الفرق الرئيس بين الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف يتشمل في أمرين هما:

أ - إضافة النبي ﷺ للحديث القدسي إلى الله تعالى إما باللفظ "قال الله تعالى"، أو "يقول الله تعالى"، أو باللفظ "فيما يرويه عن ربه عز وجل".

ب - صيغة الحديث القدسي، فإذا نظرنا في أي حديث قدسي وجدنا صيغته عبارة عن مخاطبة من الله تعالى للناس. وذلك مثل: «يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(١) فهل يمكن أن يكون ذلك خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه. إنه قطعاً كلام الله. ولو كان الكلام صادراً من الرسول ﷺ لقال: يا عباد الله إن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرماً فلا تظالموا. ومثل: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»^(٢) وهكذا كل الأحاديث القدسية. أما الحديث النبوي فهو من كلام النبي. ويتبين ذلك من صيغة الحديث النبوي أيضاً، مع العلم بأن الحديث النبوي قد أوحى بمعناه إلى النبي ﷺ من الله تعالى.

والأحاديث القدسية قليلة وموضوعها الموعظة والرقائق، ومن أمثلة الحديث القدسي عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»^(٣)، بينما الأحاديث النبوية كثيرة جداً، وموضوعها أصول الدين وفروعه كلها.

ثانياً: الحديث المرفوع

١- تعريف الحديث المرفوع: هو الحديث الذي أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل أو تقرير، أو صفة، يستوي فيه أن يكون الصحابي الذي أضافه إلى النبي ﷺ، أو أن يكون غيره، فالمهم أن تكون الإضافة إلى النبي ﷺ، وليست إلى الله تعالى، كالحديث القدسي. فالمرفوع له صفة واحدة فقط هو أن يضاف إلى النبي ﷺ بغض النظر عن أي شروط أو صفات أخرى، فقد يكون مقبولاً أو غير مقبول.

٢- حكم الحديث المرفوع: إذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ وكان متصل المسند وتوافرت فيه شروط الحديث المقبول فهو نص شرعي يستدل به في العقيدة والعبادات، والمعاملات والأخلاق، وفي كل جوانب الحياة. والآيات القرآنية تذكر أن الحديث النبوي وحي من الله تعالى، وأنه تجب طاعته. ولذلك فإن الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ والمستكمل لشروط الصحة يعد دليلاً شرعياً، ووحياً من الله تعالى، ولا يستثنى من ذلك إلا ما جاء الدليل بأنه ليس وحياً، وإنما هو أمر فعله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل العادة، وليس على سبيل العبادة والتشريع.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تعريم الظلم.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

ثالثاً : الحديث الموقوف

- ١- تعريف الحديث الموقوف: هو الحديث الذي أضيف إلى الصحابي ولم يرفعه إلى النبي ﷺ. فما رواه الصحابي من قول أو فعل ولم يضفه إلى النبي ﷺ يسمى حديثاً موقوفاً سواء كان متصل السند أو غير متصل.
- ٢- حكم الحديث الموقوف: الأصل في الحديث الموقوف أنه ليس دليلاً شرعياً، فلا يؤخذ منه حكم شرعي، وذلك لأن الصحابي - مع جلالة قدره - لا يوحى إليه من الله تعالى، فلا يعد ما يقوله أو يفعله دليلاً شرعياً، بخلاف النبوي المرفوع فإنه وحي من الله تعالى إذا صحت نسبته إلى النبي ﷺ. ومع ذلك فإنه إذا دلت قرينة قوية، على أن قول الصحابي إنما سمعه من النبي ﷺ، أو أن فعله قد أقره عليه النبي ﷺ فإن حكمه يصبح كحكم الحديث المرفوع أي أنه يعدّ حينئذ دليلاً شرعياً.

رابعاً : الحديث المقطوع

- ١- تعريف الحديث المقطوع: هو الحديث الذي أضيف إلى التابعي من قوله أو فعله ولم يرفعه إلى الصحابي أو إلى الرسول ﷺ، فإن أضافه إلى الرسول ﷺ مباشرة فهو الحديث المرسل.
- ٢- حكم الحديث المقطوع: الحديث المقطوع ليس حديثاً نبوياً، وليس وحياً من الله تعالى، ومن أمثلته: قال ابن شهاب الزهري: «لو هلك عثمان وزيد لهلك علم الفرائض، لقد أتى على الناس زمان وما يعلمها غيرهما»^(١) وكذلك أفتى مسروق بن الأجدع في رجل توفي وليس له وارث إلا ابنة أخيه وخاله، فقال: للخال نصيب أخته ولابنة الأخ نصيب أبيها»^(٢).

(١) سنن الدارمي، كتاب الفرائض، باب في تعاليم الفرائض.

(٢) سنن الدارمي، كتاب الفرائض، باب ميراث ذوي الأرحام.

- ١ - ما مفهوم الحديث القدسي؟
- ٢ - ما المقصود بأن القرآن الكريم متعبد بتلاوته؟
- ٣ - يبين الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي من جهة اللفظ.
- ٤ - وضح ما يدل على أن الحديث القدسي من كلام الله تعالى.
- ٥ - قارن بين الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف.
- ٦ - اذكر الفرق بين الحديث القدسي والحديث المرفوع.
- ٧ - يبين حكم الحديث المرفوع مع الدليل.
- ٨ - هات حديثاً مرفوعاً من الأحاديث التي تحفظها.
- ٩ - يبين وجه الدلالة على الحديث المرفوع من قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ

اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا ﴾^(١)

- ١٠- اذكر الفرق بين الحديث المرفوع والحديث الموقوف.
 - ١١- هل يعد الحديث الموقوف دليلاً شرعياً؟ ولماذا؟
 - ١٢- ما الفرق بين الحديث الموقوف والمقطوع؟
 - ١٣- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
- أ - حكم مس الجنب للحديث القدسي هو:
- | | |
|---------|----------|
| ١- حرام | ٢- مكروه |
| ٣- مباح | ٤- مندوب |

ب- الذي يميز الحديث القدسي عن الحديث النبوي أن الحديث القدسي:

- ١- معناه من الله تعالى
 - ٢- معناه من الرسول ﷺ
 - ٣- معناه ولفظه من الله تعالى .
 - ٤- معناه ولفظه من الرسول ﷺ .
- ج- عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» هذا النص حديث:

- | | |
|------------|------------|
| ١- قدسي . | ٢- مرفوع . |
| ٣- موقوف . | ٤- مقطوع . |

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

د - الحديث الذي لا يعد دليلاً شرعياً هو الحديث:

- ١- القدسي.
- ٢- المرفوع.
- ٣- المقطوع.
- ٤- المرسل.

نشاط

اعقد مقارنة بين الحديث المرفوع والموقوف والمقطوع من حيث المفهوم والحكم.

أقسام الحديث حسب عدد الرواة

يزداد الخبر الذي تسمعه رسوخاً في نفسك، كلما زاد الذين روه وأخبروك به، حتى تصبح قناعتك تامة لا مزيد عليها.

ولقد درس علماء الحديث عدد رواة الحديث في كل طبقة من طبقات السند فدرسوا عدد من رواه عن الصحابة، وعدد من رواه عن التابعين وهكذا إلى آخر السند، وقد قَسَمُوا الحديث من حيث عدد رواه في كل طبقة من طبقات السند إلى قسمين رئيسين هما الحديث المتواتر، وحديث الآحاد وفيما يأتي تفصيل كل منهما.

أولاً : الحديث المتواتر

١- تعريف الحديث المتواتر: هو الحديث الذي رواه جمع كثير، يستحيل اتفاقهم على الكذب، في كل طبقة من طبقات السند.

وقد اشترط علماء الحديث في الحديث المتواتر شروطاً عدة أهمها :

أ - أن يروي الحديث جمع كثير في كل طبقة، وهذا ضمان لعدم الوقوع في الخطأ، فإنه يستحيل عادة أن يخطيء عشرة مثلاً الخطأ نفسه، في الكلمة نفسها، في الحديث نفسه، ولذلك فإن اشتراط وجود جمع كثير، يجعل الوقوع في الخطأ نفسه مستحيلاً عادة.

ب- أن يكون هذا الجمع الكثير ممن يستحيل اتفاقهم على الكذب. بأن يكون عددهم كثيراً، ومن بلدان مختلفة، وقد بلغوا من العدالة حدّاً يستحيل معه اتفاقهم على الكذب في الحديث.

ج- أن يكون هذا الجمع الكثير في كل طبقة من طبقات السند من الصحابة إلى الطبقة الثالثة من السند. وطبقات السند هي الصحابي والتابعي وتابع التابعي ولا يضر فيما عداه.

نشاط

وضح لماذا يشترط وجود شروط التواتر في كل طبقات السند.

٢- حكم العمل بالحديث المتواتر: إن وصول الحديث بطريق التواتر ينفي وجود أي احتمال للخطأ أو للكذب في روايته، ولذلك فإنه يجب الأخذ بالحديث المتواتر، ويكفر من ينكره، لأن إنكاره ليس شكاً في السند وإنما هو تكذيب للنبي ﷺ.

فالحديث المتواتر إذن كالقرآن الكريم، من حيث إنه قطعي الثبوت يجب الإيمان، والعمل به، ويكفر منكره.

٣- أقسام الحديث المتواتر: ينقسم الحديث المتواتر إلى قسمين:

- أ - المتواتر لفظاً: ومثال ذلك حديث: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١) فقد رواه أكثر من سبعين من الصحابة عن رسول الله ﷺ مرفوعاً.
- ب - المتواتر في المعنى: وهو أن يرد الحديث بالمعنى نفسه ولكن بألفاظ متعددة ومثال ذلك: أحاديث عذاب القبر فقد وردت عن أربعين صحابياً تقريباً، ولكنها ليست بلفظ واحد بل بألفاظ متعددة، ولكنها كلها تشترك في معنى واحد، وهو وجود عذاب أو نعيم في القبر.
- ومن الكتب التي ألفت لجمع الأحاديث المتواترة كتاب «إتحاف ذوي الفضائل» للمشيخ عبد العزيز الغماري.

ثانياً: حديث الآحاد

- ١- تعريف حديث الآحاد: هو كل حديث فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث المتواتر، وبعبارة أخرى هو كل حديث غير متواتر ولذلك فإن حديث الآحاد يمكن أن:
- أ - يرويه جمع عن جمع ولكن لا تنطبق على هذا الجمع شروط المتواتر في كل الطبقات أو في بعضها.
- ب - يرويه راو أو راويان أو ثلاثة أو أكثر ولم يصل عددهم إلى حد التواتر.
- ج - يكون متصل السند أو غير متصل السند.
- ٢- حكم حديث الآحاد: يمكن أن يكون حديث الآحاد مقبولاً أو غير مقبول. ولذلك فإن توافرت فيه كل شروط الحديث المقبول التي سبق أن درستها فهو حديث مقبول وإن فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول، فهو حديث غير مقبول. وقد استدلل المحدثون على قبول حديث الآحاد في العقيدة والأحكام - إذا توفرت فيه كل الشروط - بأدلة كثيرة منها:
- أ - قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَبَيِّنُوا﴾^(٢) ويفهم من هذه الآية أنه إن جاءكم ثقة بخبر فاقبلوه.
- ب - أن الرسول ﷺ كان يرسل الصحابي الواحد أو العدد القليل من الصحابة إلى منطقة كاملة، كاليمن أو إلى قبيلة كبيرة لتعليمهم الدين بما فيه من عقائد وأحكام. وقد كان كافياً لإقامة الحجة عليهم، ولو لم يكن كافياً لأرسل إليهم عدداً كبيراً من الصحابة في كل مرة.
- ومع أن حديث الآحاد المقبول يقبل في العقائد والأحكام إلا أن منكره آثم ولا يكفر، وذلك لوجود احتمال حدوث خطأ في الرواية، ولا يكفر مسلم إلا إذا أنكر شيئاً قطعي الثبوت.
- ولذلك فإن علماء الحديث جميعاً قد ضمنوا كتبهم أحاديث الآحاد في موضوع العقيدة، لأن هذه الأحاديث مصدر من مصادر العقيدة الإسلامية.

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) سورة الحجرات، الآية (٦).

وكذلك فإن كل المؤلفين من علماء العقيدة قد استشهدوا بأحاديث الأحاد المقبولة في العقيدة في كتبهم، وهم في ذلك يقتدون برسول الله ﷺ حينما كان يرسل أحاد الصحابة لتعليم الناس العقيدة والأحكام العملية معاً. ومن أمثلة حديث الأحاد حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...»^(١) فهذا الحديث لم يروه عن النبي ﷺ إلا عمر بن الخطاب، فهو حديث أحاد ولكنه حديث صحيح.

ثالثاً: الحديث المشهور

حديث الأحاد درجات، والحديث المشهور أعلى درجاته، وهو الذي يرويه ثلاثة أو أكثر في كل طبقة من طبقات السند ولم يصل حد التواتر، واشتهر بين الناس. وحكمه هو حكم حديث الأحاد تماماً. وهو أنه إذا اجتمعت فيه شروط قبول الحديث فإنه يقبل في العقيدة والأحكام ويأثم منكره ولا يكفر. ومن أمثلة الحديث المشهور حديث: «لا ضرر ولا ضرار»^(٢). فقد رواه عن النبي ﷺ صحابة عدة منهم، ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وعبادة بن الصامت، ولكنه لم يصل إلى حد التواتر.

(١) الجامع الصحيح، للإمام البخاري، كتاب الوحي، الباب الأول.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث حسن.

الأسئلة

- ١- بيّن علاقة كثرة الرواة بقوة الحديث «الخبر».
- ٢- لماذا لم يحدد المحدثون عدد الجمع الكثير؟
- ٣- كيف يعرف علماء الحديث استحالة اتفاق جمع من الرواة على الكذب؟
- ٤- بيّن الفروق بين الحديث المتواتر والآحاد.
- ٥- ما هي شروط الحديث المشهور؟
- ٦- اذكر أدلة قبول حديث الآحاد في العقيدة.
- ٧- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة بعد نقل العبارات الآتية إلى دفترك:
أ - اشترط المحدثون الجمع الكثير لضمان عدم:
١- الكذب
٢- الخطأ
٣- الكذب والخطأ
٤- الكذب أو الخطأ
ب - حكم الأخذ بالحديث الآحاد المقبول:
١- واجب في العقيدة والأحكام.
٢- واجب في العقيدة فقط.
٣- واجب في الأحكام فقط.
٤- مندوب في العقيدة والأحكام.

نشاط

ارجع إلى بعض كتب علوم الحديث مثل كتاب «الباعث الحثيث» لابن كثير، واستخرج أقسام حديث الآحاد.



أقسام الحديث حسب القبول والرد

الدرس
الحادي عشر

درست سابقاً أن للحديث المقبول شروطاً، فإن توافرت كلها قُبِلَ الحديث، وإلا فلا، وقد قسّم المحدثون الأحاديث بناءً على توافر تلك الشروط أو عدم توافرها إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي: الحديث الصحيح، والحديث الحسن، والحديث الضعيف، وفي هذا الدرس نتناولها بصورة إجمالية، فما مفهوم كل منها؟ وما حكمه؟

أولاً: الحديث الصحيح

١- تعريف الحديث الصحيح

هو الحديث الذي اتصل سنده بالثقات، ولم يكن شاذاً، ولذلك فإنه يجب أن يتوافر في الحديث حتى يكون صحيحاً ما يأتي:

أ - اتصال السند، أي أن يروي كل راوٍ الحديث عن قبله مباشرة، مشافهةً أو كتابةً بشرط التثبت من نسبة الحديث إلى راويه.

ب - أن يكون كل راوٍ من رواة الحديث ثقة، وأن تجتمع فيهم جميعاً كل أركان العدالة والضبط.

ج - أن لا يعارض الحديث شيئاً أقوى منه، فلا يعارض آية، ولا حديثاً رواه من هو أوثق منه، ولا يعارض الحقائق العقلية، أو العلمية، أو الحسية.

٢- حكم الحديث الصحيح

يقبل الحديث الصحيح في العقيدة والأحكام لأنه حديث اجتمعت فيه كل شروط الحديث المقبول. والحديث الصحيح ربما يكون متواتراً فيجب الأخذ به ويكفر منكره. وغالباً ما يكون أحاداً فيجب الأخذ به، ويأثم منكره ولا يكفر.

نشاط

بين العلاقة بين الحديث الصحيح والحديث المتواتر.

٣- مصادر الحديث الصحيح

الأحاديث الصحيحة كثيرة جداً، تبلغ عدة آلاف، وقد ألفت مصادر خاصة بالأحاديث الصحيحة، ولكن المحدثين بعد دراسة هذه المصادر، وجدوا أنه لا يوجد من هذه المصادر كتاب كل أحاديثه صحيحة إلا «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم».

وتوجد مصادر أخرى فيها كثير من الأحاديث الصحيحة، وليس كل ما فيها صحيح، مثل «الموطأ» للإمام مالك و«صحيح ابن خزيمة» و«صحيح ابن حبان».

ولذلك فإن الأحاديث الصحيحة ليست فقط هي الأحاديث الموجودة في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» بل إنه يوجد من الأحاديث الصحيحة في الكتب الأخرى، أكثر مما في الصحيحين، ومن أمثلة الحديث الصحيح الأحادي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه قال: حدثنا محمد بن المثنى قد حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(١).

٤- أقسام الحديث الصحيح: يرى بعض العلماء أن الحديث الصحيح يقسم إلى قسمين هما:

أ- الحديث الصحيح لذاته: وهو الحديث المتصل بسنده بنقل العدل الضابط عن مثله، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يكون شاذاً ولا معللاً بعلة قادحة، فإذا توفر مضمون هذا التعريف في الحديث يكون قد اشتمل على أعلى صفات القبول ويعد صحيحاً لذاته.

ب- الحديث الصحيح لغيره: وهو الحديث الذي استوفى الشروط السابقة في تعريف الحديث الصحيح، ولكن ضبط الراوي كان غير تام، وهذا ما يسميه العلماء الحديث الحسن، فإذا روى الحديث ذاته راو آخر تام الضبط، ارتقى الحديث من درجة الحسن ليكون في درجة الحديث الصحيح لكنه ليس صحيحاً لذاته بل صحيح لغيره وذلك لأن في سنده ثلثة، هي خفة الضبط عند الراوي، وقد جبرت بالوجه الآخر الذي روي منه الحديث، فكان صحيحاً لغيره، ومثال ذلك ما رواه محمد بن عمرو عن أبي سلامة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(٢) فمحمد بن عمرو من المشهورين بالصدق لكنه لم يكن من أهل الإتقان، فضعفه بعضهم من جهة حفظه ووثقه آخرون لصدقه، فحديثه هذا حسن لذاته، وصحيح لغيره لأنه روي من طريق آخر، فقد رواه الأعرج، وسعيد المقبري وأبوه وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثانياً: الحديث الحسن

١- تعريف الحديث الحسن

هو ما اتصل بسنده بنقل عدل خف ضبطه من غير شذوذ ولا علة، ويعرفه آخرون بأنه الحديث الذي نقله العدل الضابط ضبطاً أخف من ضبط الصحيح، وكان متصل السند غير معلل ولا شاذ.

ولذلك فإن الحديث الحسن قد اجتمعت فيه شروط الصحيح بشكل عام فهو حديث:

أ- متصل السند، قد رواه كل راوٍ عن مثله بطريقة مقبولة.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما جاء في السواك.

ب- كل روايته عدول (ثقات) ضابطون ضبطاً أقل من ضبط رجال الصحيح.

ج- ليس شاذاً، فلا يعارض رواية من هو أوثق منه.

والفرق الوحيد بين الحديث الحسن والحديث الصحيح، هو أن في سند الحديث الحسن راوياً أو أكثر من الدرجة الثانية في الضبط، بينما كل رواة الحديث الصحيح من الدرجة الأولى في الضبط.

فإذا كان كل رواة السند ممن وصفوا بـ: «أوثق الناس»، أو «ثقة»، وما شابه ذلك من المصطلحات، فالحديث

صحيح.

أما إذا كان بعض رواة الحديث أو كلهم ممن وصفوا بـ: «لا بأس به» أو ما شابه ذلك، فإن الحديث حسن.

٢- حكم الحديث الحسن

الحديث الحسن اجتمعت فيه كل الشروط المطلوبة ولذلك فهو حديث مقبول في العقيدة والأحكام، وهو في ذلك كالحديث الصحيح إلا أن الحديث الصحيح أقوى منه.

وقد يروي الحديث الحسن نفسه راو آخر من درجة: «لا بأس به». وفي هذه الحالة يتقوى الحديث الحسن، ويصبح حديثاً صحيحاً ويسمى «الصحيح لغيره». لأنه قد وصل إلى مرتبة الصحة بتقوية من غيره. أما الحديث الصحيح الذي سبق أن درسته فقد سُمِّي: الصحيح لذاته لأن قوة الضبط فيه ذاتية، وليست من حديث آخر. والحديث الحسن الذي ذكر في هذا الدرس هو الحديث الحسن لذاته.

أما إذا كان أصل الحديث فيه ضعف فتقوى بحديث آخر فإنه يسمى: الحسن لغيره، ومن الأمثلة على الأحاديث الحسنة، ما روى الترمذي قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن بهز بن حكيم حدثني أبي عن جدي قال: «قلت يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، قال: قلت ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: قلت ثم من؟ قال أمك، ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب»^(١).

ثالثاً: الحديث الضعيف

١- تعريف الحديث الضعيف

هو الحديث الذي فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول. فإذا فقد اتصال السند بين راويين أو أكثر من رواة الحديث فالحديث ضعيف، وإذا كان أحد الرواة أو أكثر غير عدل أو غير ضابط فالحديث ضعيف. كان ذلك إذا لم نجد حديثاً آخر يقويه. فإن وجدنا حديثاً آخر يقويه ويشهد له فإنه يصبح حسناً لغيره إذا كان الضعف يسيراً.

٢- حكم الحديث الضعيف

الحديث الضعيف حديث مردود، لا يقبل في العقيدة، ولا في الأحكام العملية كالصلاة، والبيوع، والحلال والحرام، وذلك لأن الحديث الضعيف فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث المقبول.

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، باب البر والصلة.

وقد رأى بعض العلماء أن الحديث الضعيف يستحب الأخذ به إذا اجتمعت فيه عدة أمور وهي:

أ - أن يكون ضعفه يسيراً، كوجود راوٍ في سند الحديث وصف بأنه ليس بالقوي، أو له ما ينكر، ولم نجد حديثاً يقويه فهو حديث ضعيف ضعفاً يسيراً. أما الحديث الضعيف ضعفاً شديداً فلا يقبل نهائياً.

ب - أن يكون الحديث مندرجاً تحت أصل عام أي أن يكون الحديث داخلياً تحت قاعدة واردة في نص من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة. أما إذا لم يكن الحديث داخلياً تحت قاعدة شرعية فلا يقبل أبداً.

ج - أن يكون الحديث في المستحبات أو المكروهات، أما إذا كان في الواجبات أو المحرمات فلا يقبل أبداً.

وقد ضرب بعض العلماء مثلاً للحديث الضعيف الذي اجتمعت فيه هذه الأمور، وهو الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه قال: حدثنا أبو أحمد المرار بم حموية، قال: حدثنا محمد بن المصفي، قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلتي العيدين يحتسب لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»^(١) فإن في سند هذا الحديث بقية بن الوليد وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، ففي روايته شيء من الضعف، لكنه ضعف غير شديد.

والحديث يحث على قيام ليلتي العيدين وهذا داخل تحت نصوص شرعية صحيحة تحث على قيام الليل بشكل عام، دون أن تذكر ليلة العيد بشكل خاص فهو إذن يندرج تحت أصل عام. والحديث في فضائل الأعمال فهو لا يجعل قيام ليلة العيد فرضاً بل فيه استحباب ذلك، وعده مندوباً. وهكذا فقد اجتمعت في الحديث الأمور الثلاثة فيستحب العمل به.

ولما كان الحديث الضعيف مردوداً فإنه لا تجوز روايته للناس إلا مع بيان أنه حديث ضعيف تحذيراً منه.

(١) سنن ابن ماجه.

- ١ - اذكر أقسام الحديث من حيث القبول والرد.
- ٢ - قارن بين الحديث الصحيح والحسن من حيث تعريف كل منهما.
- ٣ - اذكر حكم الحديث الحسن.
- ٤ - بيّن علاقة الحديث الحسن بالحديث الصحيح.
- ٥ - ما الفرق بين الحسن لذاته والحسن لغيره من حيث حقيقة كل منهما.
- ٦ - قارن بين الحديث الضعيف والحسن لغيره.
- ٧ - بيّن الشروط العامة التي إن فقد شرط واحد منها كان الحديث ضعيفاً.
- ٨ - ما معنى أن يكون الحديث الضعيف مندرجاً تحت أصل عام؟
- ٩ - ما معنى أن يكون الحديث الضعيف في فضائل الأعمال؟
- ١٠ - ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
 - أ - كل حديث موجود في صحيح البخاري وصحيح مسلم هو:
 ١. صحيح متواتر.
 ٢. صحيح آحاد.
 ٣. صحيح.
 ٤. كل ما ذكر.
 - ب - الحديث الذي لا يوجد في صحيح البخاري ومسلم هو:
 ١. غير صحيح.
 ٢. صحيح.
 ٣. آحاد.
 ٤. ربما كان صحيحاً وربما كان غير صحيح.
 - ج - الحديث المتصل غير الشاذ الذي رواه أقل ثقة يسمى:
 ١. صحيحاً لذاته.
 ٢. صحيحاً لغيره.
 ٣. حسناً لذاته.
 ٤. حسناً لغيره.
 - د - الحديث الذي أحد رواه غير ضابط ولم يأت حديث آخر يقويه يسمى:
 ١. صحيحاً لغيره.
 ٢. حسناً لذاته.
 ٣. حسناً لغيره.
 ٤. ضعيفاً.
 - هـ - حكم رواية الحديث الضعيف:
 ١. مباح.
 ٢. مكروه.
 ٣. حرام.
 ٤. مندوب.

الوحدة الثالثة عشرة

علم أصول الفقه

وتشتمل هذه الوحدة على:

- علم أصول الفقه .
- الحكم الشرعي التكليفي والوضعي (معناه وأقسامه).
- مصادر التشريع الإسلامي (١) (القرآن الكريم).
- مصادر التشريع الإسلامي (٢) (السنة النبوية).
- مصادر التشريع الإسلامي (٣) (الإجماع والقياس).
- الاجتهاد (١).
- الاجتهاد (٢).

عرفت سابقاً أن موضوع علم الفقه هو الأحكام الشرعية العملية التي يستنبطها الفقيه من أدلتها التفصيلية، معتمداً في ذلك على مجموعة من القواعد والضوابط، التي تعينه على استخراج الحكم الشرعي، مثل قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، والأمر يفيد الوجوب، والنهي يفيد التحريم، والأمر بعد الحظر إباحة، وغيرها من القواعد والضوابط التي يجمعها علم مستقل أطلق عليه اسم علم أصول الفقه، فما معنى علم أصول الفقه؟ وما موضوعه؟ وما غايته؟ وكيف نشأ؟ وما أهميته؟

أولاً: معنى علم أصول الفقه

يعرّف الأصوليون علم أصول الفقه بأنه: معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال الاستفادة. والمراد "بمعرفة دلائل الفقه إجمالاً" أن يعرف المجتهد الأدلة التي تستنبط منها الأحكام الشرعية وهي الكتاب، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، وأن يعرف القواعد الكلية مثل الأمر يفيد الوجوب والنهي يفيد التحريم، وأن تكون هذه المعرفة على وجه الإجمال لا التفصيل. والمراد "بكيفية الاستفادة منها" معرفة استنباط الأحكام من الأدلة وذلك عن طريق معرفة القواعد اللازمة لذلك كقاعدة الأمر يفيد الوجود والنهي يفيد التحريم، ومعرفة طرق الاستدلال، مثل تقديم القرآن الكريم على السنة. والمراد "بحال الاستفادة" معرفة حال المجتهد والشروط الواجب توافرها فيه، وغير ذلك من مباحث الاجتهاد.

ثانياً: موضوع علم أصول الفقه

إذا نظرت في معنى علم أصول الفقه، نجد أنه يبحث في مصادر التشريع، التي يرجع إليها الفقيه، لمعرفة حكم الله تعالى في القضايا التي يُسأل عنها، فهو يبحث في:

- القرآن الكريم، مجمله، ومفسره، ناسخه ومنسوخه، ألفاظه ودلالاتها.
- السُّنَّة النَّبَوِيَّة الشريفة وأقسامها من قولية، وفعلية، وتقريرية.
- الإجماع معناه وأنواعه.
- القياس، معناه وأركانه، وحجية هذه المصادر، ويبحث في طريقة الاستدلال بها فيقدم الكتاب على السنة وكتليهما على الإجماع والقياس، إلى آخر ذلك من القضايا، ويبحث أيضاً في الاجتهاد. معناه وغايته وأهميته، وشروط المجتهد، والحكم الشرعي، معناه وأقسامه، وحكم كل قسم من أقسامه على ما ستعرف فيما يلي.

ثالثاً : الغاية من علم الأصول

عرفت أن علم الأصول يبحث في الأدلة التي تعين الفقيه على استخراج الحكم الشرعي من الأدلة التفصيلية، وهو بذلك، وسيلة لمعرفة حكم الله تعالى في الوقائع والقضايا المراد معرفة الحكم الشرعي لها، وليس غاية بذاته، وإنما الغاية منه، الوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة، من الأدلة التفصيلية، ليلتزم المكلف حدود الله تعالى، ويبتغي مرضاته، ويؤدي الواجبات المطلوبة منه، وينتهي عن المحرمات المطلوب اجتنابها.

رابعاً : نشأة علم أصول الفقه

مر علم الفقه بمراحل عدة، حتى أصبح علماً مستقلاً، له أصوله وقواعده، التي يقوم عليها، وفيما يأتي بيان لهذه المراحل:

١- مصادر الأحكام في عصر النبي ﷺ

كان الوحي مصدر التشريع في عهد النبي ﷺ، سواء أكان الوحي قرآناً أو سنةً، فقد كانت الآيات الكريمة تنزل حسب مقتضيات الحاجة التشريعية للأمة الإسلامية، وحسب المناسبات التي تقتضي معرفة حكم الله تعالى فيها، أو تنزل لتثبيت العقيدة في النفوس، وبهذا يكون القرآن الكريم المصدر الأول للأحكام، وكان النبي ﷺ يبين الأحكام الشرعية، وقد كان النبي ﷺ يستشير أصحابه، رضي الله عنهم، في بعض الأمور مثلما حدث في موضوع أسرى بدر، فقد استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فأشار أبو بكر، رضي الله عنه، بأخذ الفدية، وأشار عمر، رضي الله عنه، بقتلهم فأخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر الصديق، كما كان النبي ﷺ يطلب إلى بعض الصحابة القضاء في بعض الأمور، ويصح قضاءهم إن لم يكن صواباً، أو يقرهم عليه، وهذا كله يبين بجلاء ووضوح أن الكتاب والسنة هما المصدران الأولان للتشريع في عهد النبي ﷺ.

٢- مصادر الأحكام في عصر الصحابة

التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى تاركاً بين يدي المسلمين كتاب الله تعالى، وسنته ﷺ، وحث المسلمين على التمسك بهما وعدم التفريط فيهما، لأنهما قوام الدين، وبعد وفاته ﷺ ظهرت وقائع جديدة لا بد من معرفة حكمها، فكان الصحابة، رضي الله عنهم، يبحثون عن حكم المسألة في الكتاب، فإن وجدوا الحكم أخذوا به، وإلا رجعوا إلى السنة يلتمسون فيها الحكم، فإن لم يجدوا سألوا سواهم من الصحابة إن كانوا يعلمون أن الرسول ﷺ قضى فيها بشيء فإذا وجدوا قضاءً أخذوا به، مثل ما فعل أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، عندما جاءته الجدة تسأله ميراثها، فقال لها، رضي الله عنه، ما لك في كتاب الله تعالى شيء، وما أعلم لك في سنة رسول الله ﷺ شيئاً، ولكني أسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبه إن الرسول ﷺ قضى لها بالسدس، وشهد معه محمد بن مسلمة، فأمضى أبو بكر رضي الله عنه ذلك.

وإن لم يجدوا في الكتاب والسنة شيئاً من ذلك استشاروا الصحابة فإن رأوا رأياً واحداً وأجمعوا عليه أخذوا به، وهذا هو المصدر الثالث للتشريع ويسمى الإجماع.

وكان الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون من بعدهم إذا ظهرت لهم وقائع جديدة ليس لها حكم في الكتاب والسنة، ولم يُجمع عليها، نظروا فيما يشابهها في الكتاب والسنة وأعطوها الحكم نفسه، مثلما فعل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، حين سُئل عن عقوبة شارب الخمر، قاسه على المفتري الذي يقذف المؤمنين بالفاحشة فقال: «إذا شرب هذى وإذا هذى افتري فحدّه حد المفتري».

وإذا أنعمنا النظر في عهد الصحابة نجد أن مصادر التشريع أصبحت أربعة هي القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس.

٣- أصول الفقه بعد عصر الصحابة

أدى تقدم الزمان، وتطور مفاهيم الناس، واختلاط المسلمين بغيرهم إلى وقوع معاملات، ووقائع جديدة، واحتاج الناس الى معرفة حكمها الشرعي، الأمر الذي أدى إلى بذل الجهد لمعرفة الحكم من مصادره الأساسية (القرآن والسنة)، أضف إلى ذلك ضعف اللغة العربية عند الناس، وانتشار اللحن بينهم، إلى وضع العلماء القواعد التي تمكن الناس من تعلّم اللغة وإدراك دلالات الألفاظ في القرآن والسنة. وقد تباينت طرق الاجتهاد، فمن المجتهدين من أكثر من الأخذ بالقياس معملاً للرأي والعقل، لقلة الحديث في بلده، كما في العراق، ومنهم من أكثر الاعتماد على الحديث لكثرتهم عندهم، كما في المدينة المنورة، وهناك طائفة مزجت بين الطريقتين، وصار لكل مجتهد منهج يسلكه في الاجتهاد، دون أن يدونه، حتى جاء الإمام الشافعي رحمه الله، ودوّن علم أصول الفقه، في كتابه «الرسالة» حيث بيّن فيه مصادر التشريع، وكيفية الاستدلال بها، وغيرها من مسائل علم الأصول، وتتابع التدوين في علم أصول الفقه حتى استقر على ما هو عليه.

خامساً: أهمية علم أصول الفقه

يقوم علم أصول الفقه على القواعد التي تعين المجتهد على استنباط الأحكام الشرعية، وقد ظهرت أهميته من هذا المنطلق، وبرز ذلك فيما يأتي:

- ١- ربط الأحكام الشرعية بمصادرها الرئيسية.
- ٢- فهم الأحكام التي استنبطها الفقهاء، والاطمئنان إليها، لأن علم الأصول يوضح المناهج التي سار عليها الفقهاء للوصول إلى هذه الأحكام، وأنهم لم يصدروها عن هوى، ورأي شخصي، بل عن قواعد وقوانين منضبطة، يسيرون عليها عند اجتهادهم.
- ٣- تمكين الفقيه من استخراج الحكم الشرعي، وذلك، في المسائل والحوادث التي لم يرد فيها نص، ولم يجتهد فيها الفقهاء السابقون.
- ٤- تكوين عقلية علمية، لدى طالب العلم، وضبط تفكيره، وتعبيد الطريق أمامه للاجتهاد، والاستنباط، والحكم على الأشياء، اعتماداً على الدليل الأقوى.
- ٥- حفظ الدين من التحريف، وسد الطريق على المنحرفين الذين يعملون على تشويه الإسلام ومقاصد الشريعة، وذلك بتعريف الناس بمصادر التشريع وكيفية الاستدلال بها، وحجّية كل منها وغير ذلك من موضوعات علم الأصول.

نشاط

يعين علم أصول الفقه على تكوين عقلية علمية لدى طالب العلم، ناقش ذلك مع زملائك في الصف.

الأسئلة

- ١- عرّف علم أصول الفقه.
 - ٢- ما موضوع علم أصول الفقه؟
 - ٣- وضح الغاية من علم أصول الفقه.
 - ٤- بين مصادر التشريع زمن النبي ﷺ.
 - ٥- بين تطور علم أصول الفقه زمن الصحابة، رضي الله عنهم.
 - ٦- كيف كان الصحابة يصدرون أحكامهم؟
 - ٧- وضح طرق الاجتهاد، التي ظهرت بعد عصر الصحابة، رضي الله عنهم.
 - ٨- عدد ثلاثاً من الأمور التي تظهر أهمية علم أصول الفقه.
 - ٩- انقل العبارات الآتية إلى دفترتك، وضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة.
 - أ- أول من دون علم الأصول هو الإمام.
 ١. أبو حنيفة «النعمان بن ثابت» رحمه الله تعالى.
 ٢. مالك بن أنس رحمه الله تعالى.
 ٣. محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى.
 ٤. أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.
- ب- أول كتاب في علم الأصول هو:
١. الرسالة.
 ٢. إبطال الاستحسان.
 ٣. المستصفى.
 ٤. علم أصول الفقه.

نشاط

ارجع إلى أحد كتب أصول الفقه واستخرج منها الفرق بين عمل الأصولي وعمل الفقيه.

الحكم الشرعي التكليفي والوضعي (معناه وأقسامه)

الدرس الثاني

عرفت سابقاً أن الفقيه هو الذي يبين الحكم الشرعي للمسائل والوقائع التي تعرض للناس، معتمداً في بيانه لهذه الأحكام على مصادر التشريع وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، فما معنى الحكم الشرعي؟ وما أقسامه؟

أولاً: تعريف الحكم الشرعي

الحكم الشرعي: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً أو وضعاً. فخطاب الله هو آياته القرآنية الكريمة والسنة النبوية والمكلفون هم المسلمون البالغون العاقلون، والطلب والتخيير والوضع هي أقسام للحكم الشرعي التي يبينها الفقيه من مصادر التشريع، ويندرج تحته قسمين أساسيين هما:

١- الحكم التكليفي

٢- الحكم الوضعي

ثانياً: الحكم التكليفي

وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً، ويقسم إلى خمسة أقسام هي:

١- الفرض

وهو ما طلب من المكلفين القيام به على سبيل الحتم والإلزام كقوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(١)

فكل من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فرض لأن الأمر في قوله تعالى: وأقيموا... وآتوا... يفيد الوجوب. وحكم الفرض أنه يثاب فاعله ويعاقب تاركه.

٢- المندوب

وهو ما طلب من المكلفين فعله من غير إلزام ولا يذمون على تركه، كالإفطار في رمضان للمرأة الحامل، وقصر الصلاة في السفر، ولم يرتب الشارع الحكيم عقوبة على تركه. ومثاله كذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ: «من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت، ومن اغتسل فالفصل أفضل»^(٢) إذ يندب للمسلم الغسل يوم الجمعة. وحكم المندوب أنه يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

(١) سورة البقرة، الآية: (٤٣).

(٢) صحيح الجامع، تحقيق الألباني، حديث رقم (٦١٨٠)، حديث حسن، سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الوضوء يوم الجمعة.

٣- الحرام

وهو ما طلب من المكلفين تركه على سبيل الحتم والإلزام كقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾^(١)

فشرب الخمر وتعاطي القمار والشرك أمور محرمة.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾^(٢)

فأكل أموال الناس بالطرق الباطلة حرام. لأن النهي هنا يفيد التحريم.

وحكم الحرام أنه يعاقب فاعله ويثاب تاركه.

نشاط

ارجع إلى تفسير ابن كثير واكتب في دفترك معنى، الأنصاب، والأزلام، والرجس. كما وردت في الآية (٩٠) من سورة المائدة.

٤- المكروه

وهو ما طلب من المكلفين تركه من غير إلزام، ومثاله المغالاة في المهور لقوله: ﴿ خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ ﴾^(٣) فكأمة خير تفيد كراهية المغالاة في المهور.

ومنه قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةُ السَّمَالِ وَكَشْرَةُ السُّؤَالِ»^(٤).

فهذا الحديث يدل على أن هناك أفعالاً تصدر من الإنسان وتكون مكروهة. وحكم المكروه، أن فاعله لا يعاقب في الدنيا إلا أنه يستحق اللوم والعتاب في الآخرة، وإن تركه تقرباً لله تعالى يثاب على تركه.

٥- المباح

وهو ما خير المكلف بين فعله وتركه كإباحة العمل بعد الانتهاء من صلاة الجمعة في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٥)

وفي إباحته للمصائم أن يأكل ويشرب حتى طلوع فجر اليوم التالي في قوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٦)

والمباح لا يستحق تاركه العقوبة ولا يثاب على فعله إلا إذا كان فعله بغية التقرب إلى الله تعالى وكسب رضاه.

إن هذه الأحكام الخمسة السابقة شرعت أصلاً لجميع المكلفين وفي كل الأحوال والالتزام به عزيمة، وأما إذا كانت هنالك أحوال خاصة لا يتمكن المكلفون معها من أداء ما فرض الله عليهم فقد شرع الله لهم أحكاماً

(١) سورة المائدة، الآية: (٩٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٨).

(٣) المصنوع، كتاب النكاح، باب خير الصداق أيسره، صحيح الجامع، تحقيق الألباني، حديث رقم (٣٢٧٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، وهو في صحيح الجامع تحقيق الألباني، حديث رقم (١٧٤٩).

(٥) سورة الجمعة، الآية: (١٠).

(٦) سورة البقرة، الآية: (١٨٧).

تخفف عنهم المشقة في هذه الأحوال الخاصة رحمة بهم، كإباحة قصر الصلاة للمسافر، والإفطار في رمضان للمريض. وإباحة أكل الميتة عند الخوف من الإشراف على الهالك حفظاً للنفس.

ثالثاً: تعريف الحكم الوضعي

الحكم الوضعي: هو جعل الشارع الشيء سبباً لشيء، أو شرطاً له، أو مانعاً منه.

رابعاً: أقسام الحكم الوضعي

ينقسم الحكم الوضعي إلى ثلاثة أقسام هي السبب، والشرط، والمانع، وفيما يأتي بيان معنى كل منها:

١- السبب

وهو ما جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم، وانتفائه علامة على انتفاء الحكم، ومثاله جعل الله

تعالى شهود شهر رمضان سبباً للصيام، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١) وجعل الله تعالى السفر سبباً للإفطار في رمضان قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٢)

٢- الشرط

وهو ما يتوقف وجود الحكم على وجوده، ولا يكون جزءاً منه، كالوضوء، فهو شرط لصحة الصلاة، فإن وجد صحت الصلاة وإن انتفى لم تصح، وكذلك حضور الشاهدين للزواج شرط لصحته، فلا يتم عقد الزواج إلا بحضورهما.

٣- المانع

وهو ما لزم من وجوده انتفاء الحكم. ومثاله حرمان الوارث من الإرث إذا قتل مورثه، فالقتل مانع من الميراث، وإن تحقق سبب الإرث وهو القرابة أو الزوجية، وكذلك الحيض فإنه مانع من الصلاة، وإن تحقق السبب بدخول وقتها.

تعلم:

العزيمة: العزيمة شرعاً هي الأحكام التي شرعها الله لجميع عباده من المسلمين وكلفهم بها في كل الأحوال، كوجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام، وكذلك الابتعاد عن كل ما حرم الله تعالى، فالالتزام بتطبيق كل حكم منها عزيمة.

الرخصة: الأحكام التي شرعها الله تعالى لعباده للتخفيف عنهم لما يلاقونه من مشقة عند أدائهم ما فرض عليهم ومن أمثلة الرخصة: إباحة قصر الصلاة في السفر، وإباحة رؤية الطبيب عورة الرجل للعلاج، وأكل الميتة عند الخوف من الإشراف على الهالك من الجوع مع أن أكل الميتة حرام.

(١) سورة البقرة، الآية: (١٨٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٤).

نشاط

اكتب في دفترك الفرق بين الرخصة والعزيمة.

الأسئلة

- ١- وضح المفاهيم الآتية: الحكم الشرعي، الحكم التكليفي، المكلف، الحرام، المباح، المندوب، العزيمة، الرخصة، الحكم الوضعي، السبب، الشرط، المانع.
- ٢- ما حكم الآتية: الفرض، الحرام، المندوب، المكروه؟
- ٣- علل ما يأتي:
 - أ - وجوب الأكل من الميتة عند الإشراف على الهلاك.
 - ب - إباحة الفطر للمريض في رمضان.
- ٤- بين الحكم الشرعي فيما يأتي:
 - أ - قصر الصلاة في الحج.
 - ب - رؤية الطيب عورة الرجل للعلاج.
- ٥- ما الحكم التكليفي المستفاد من النصوص الشرعية الآتية :
 - أ - قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَأْكُلُوا ءَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(١)
 - ب - قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَسْءَلُوا عَنْ ءَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوِكُمْ﴾^(٢)
 - ج- قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِءَمْوَالِكُمْ ءَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ءَللّٰهِ﴾^(٣)
 - د- قال ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه»^(٤).
- ٦- لِمَ سُمِّيَ الحكم الوضعي بذلك؟

نشاط

أعط مثلاً واحداً على غير ما ذكر من الأحكام الآتية: السبب، الشرط، المانع، واكتبه في دفترك.

(١) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: (١٠١).

(٣) سور التوبة، الآية: (٤١).

(٤) روه أحمد، ١٠٨/٢.

مصادر التشريع الإسلامي (١) (القرآن الكريم)

عرفت فيما سبق أن الفقيه لا يصدر حكمه إلا بعد الرجوع إلى مصادر التشريع وهي القرآن الكريم، والسنة، والإجماع، والقياس، ونظراً لما لهذه المصادر من أهمية فلا بد من دراستها بشيء من التفصيل، وسنتحدث في هذا الدرس عن القرآن الكريم، مفهومه، وخصائصه، والأحكام التي اشتمل عليها، ودلالة القرآن على الأحكام وحجية القرآن، فما معنى القرآن الكريم؟ وما خصائصه؟

أولاً : خصائص القرآن الكريم

القرآن الكريم : هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،باللفظ العربي، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس .
بالنظر إلى التعريف السابق نجد أن للقرآن الكريم الخصائص الآتية:

- ١- هو كلام الله تعالى: ويخرج بهذا الكلام البشر ولو كان نبياً، وعلى ذلك فالسنة النبوية لا تعد قرآناً.
- ٢- المعجز: يعجز المخلوقات عن الإتيان بمثله عجزاً مطلقاً.
- ٣- مُنزل على سيدنا محمد: ويخرج بذلك ما نزل على الأنبياء السابقين، إذ نزلت التوراة على سيدنا موسى عليه السلام، ونزل الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام، والزبور على سيدنا داود عليه السلام، وكلها لا تعد قرآناً.
- ٤- القرآن لفظه عربي: ويخرج بذلك كل الألفاظ غير العربية، فالقرآن الكريم عربي النظم والمعنى .
- ٥- منقول بالتواتر: والتواتر ما رواه جمع عن جمع يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة، والتواتر يفيد العلم اليقيني الذي لا يحتمل غيره، والقرآن الكريم نقل إلينا كذلك، فقد رواه الصحابة، رضي الله عنهم، ونقلوه إلى من بعدهم، وهكذا حتى وصل إلينا كما نزل، بطريق التواتر جيلاً بعد جيل كتابةً ومشافهةً.
- ٦- متعبد بتلاوته: والمعنى أن تلاوة القرآن الكريم عبادة، وأن الإنسان المؤمن يثاب على تلاوة القرآن الكريم، وللمتعبد صورتان هما:

أ - أن يتلى في الصلاة فلا تصح دون قراءة القرآن.

ب - أن يتلى خارج الصلاة سواءً في حالة القيام أو القعود، في السفر أو الحضر، في الليل أو النهار، قال ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف. ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(١).

(١) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر.

- ٧- مكتوب بالمصحف: والمصحف اسم لجميع الصحف التي كتب عليها القرآن الكريم، فقد كتب القرآن الكريم وُدُون في عصر النبي ﷺ، وجمع في عصر أبي بكر، رضي الله عنه، ثم كتب منه في عصر عثمان بن عفان، رضي الله عنه، سبع نسخ وزعت على الأمصار.
- ٨- المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

ثانياً : الأحكام التي اشتمل عليها القرآن الكريم

الأحكام الواردة في القرآن الكريم متعددة تدرج تحت القسمين الآتيين:

١- الأحكام الاعتقادية

هي المتعلقة بإيمان المسلم، كالإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وغيرها من أمور العقيدة، التي يجب الإيمان بها.

٢- الأحكام العملية المتعلقة بأعمال الناس وهي :

أ - أحكام العبادات: وهي الأحكام التي تنظم علاقة الإنسان بخالقه، وتبين ما يجب على الإنسان القيام به أمام خالقه، وهي الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، ومثل الكفارات، والندور، والأضاحي.

ب- الأحكام الخُلُقِيَّة: المتعلقة بالفضائل المهدبة للنفس، المُصْلِحَة للمفرد والجماعة، مثل الصدق والأمانة والتقوى والرحمة وغيرها من الفضائل الواجب على المسلم التمسك بها.

ج- أحكام المعاملات: وهي المنظمة لعلاقة الإنسان بغيره، وتبين ما يجب عليه القيام به نحو الآخرين، مثل أحكام البيع والشراء والهبة والزواج والطلاق والوصية والإرث وغيرها من المعاملات.

نشاط

اذكر اثنين من الأحكام المنظمة لعلاقة الإنسان بغيره.

وينبغي التنبيه إلى أن الفقهاء وضعوا الأحكام المنظمة لعلاقات الناس تحت موضوع المعاملات، ولم يصنفوها مثلما عليه أحكام المعاملات حديثاً، فقد جمع العلماء المحدثون الأحكام المتعلقة بكل موضوع ووضعوها في قالب واحد، وأطلقوا عليها اسماً خاصاً مرتبطاً بموضوعها، منها على سبيل المثال:

١- أحكام الأحوال الشخصية: التي تبحث في كيفية بناء الأسرة، وتنظيم علاقات أفرادها، والزواج والطلاق والوصية وغيرها.

٢- أحكام المعاملات المالية: وتبحث هذه الأحكام في تنظيم علاقات الأفراد المالية مثل عقود البيع، وعقود التوثيق، كالرهن، وعقود التعاون بين الأفراد، كالشركة والقرض.

٣- أحكام العقوبات: وتبحث هذه الأحكام في الأفعال المحرمة وعقوبتها، وتهدف هذه العقوبة إلى حماية

الناس وأعراضهم وأموالهم.

٤- أحكام العلاقات الدولية: وهي الأحكام التي تنظم علاقات الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول، والأسس التي تقوم عليها هذه العلاقات.

ثالثاً : دلالة القرآن الكريم على الأحكام

القرآن الكريم قطعي الثبوت، لأنه وصل إلينا بطريق التواتر، إلا أن دلالة القرآن الكريم على الأحكام قد تكون قطعية أو ظنية تبعاً للفظ، فإن كان اللفظ لا يحتمل إلا معنى واحداً، ولا مجال لمعنى آخر، كانت دلالة قطعية، كالألفاظ الواردة في المواريث والحدود المشتملة على أعداد ومقادير محددة، كالثمانين جلدة في عقوبة القاذف، والمائة جلدة للزاني غير المتزوج، ونصف التركة للزوج إن لم يكن للزوجة أولاد، وربع التركة للزوجة، إذا لم يكن للزوج أولاد وغير ذلك. فكل هذه الألفاظ لا تحتمل إلا معنى واحداً لا يقبل التعديل ولا التبديل ولا يجوز الخروج على هذه الألفاظ بأي حال من الأحوال لأنه خروج عن النص الدال عليها دلالة قطعية. وإن كان اللفظ يحتمل أكثر من معنى، وصالحاً لأن يراد منه أحد المعاني دون الآخر فدلالة اللفظ هنا ظنية، لعدم تعيين المراد منها، وأصبحت بذلك قابلة للاجتهاد ومثال ذلك لفظ (القرء) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(١) هل المراد به الطهر أو الحيض؟ ولأن هذا اللفظ في اللغة العربية يحتمل المعنيين فيصح أن يراد به الطهر وهذا ما ذهب إليه الشافعية، أو أن يراد به الحيض وهو ما ذهب إليه الحنفية. وقد يرد اللفظ قطعياً من جهة، وظنياً من جهة أخرى، ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾^(٢) فدلالة اللفظ على المسح قطعية، ولكن دلالة على المقدار الواجب مسحه ظنية.

رابعاً : حجّية القرآن الكريم

اتفقت كلمة المسلمين على أن القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع، وأنه حجة يجب العمل بما ورد به من أحكام، والرجوع إليه لمعرفة هذه الأحكام، ولا يجوز العدول عنه، إلى غيره من مصادر التشريع، إلا عندما لا يوجد فيه الحكم، لأنه كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ودليل حجّية الكتاب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَاكَ اللَّهُ﴾^(٣) ثم إن القرآن الكريم منقول بالتواتر، الذي يفيد العلم اليقيني القطعي، الذي لا يحتمل غيره، فلا مجال للمظن في القرآن الكريم، ولذلك يجب العمل به وعدم العدول عنه.

(١) سورة البقرة. الآية: (٢٢٨).

(٢) سورة المائدة. الآية: (٦).

(٣) سورة النساء، الآية: (١٠٥).

- ١- ما المقصود بالمصطلحات الآتية:
القرآن الكريم، التواتر، متعبد بتلاوته؟
- ٢- من خصائص القرآن الكريم أنه متعبد بتلاوته، وضح ذلك.
- ٣- الأحكام العملية المتعلقة بأعمال الناس من الأحكام التي اشتمل عليها القرآن الكريم، بين ثلاثة من هذه الأحكام.
- ٤- متى تُعد دلالة اللفظ ظنية؟ ومتى تعد قطعية؟ أيد إجابتك بمثال.
- ٥- تحدث عن حجية القرآن الكريم.
- ٦- في ضوء دراستك لدلالة القرآن الكريم على الأحكام اشرح العبارة الآتية: «لا اجتهاد في مورد النص».

عرفت في الدرس السابق المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي وهو القرآن الكريم، وفي هذا الدرس نتحدث عن المصدر الثاني من مصادر التشريع وهو السنة النبوية، فما معنى السنة النبوية؟ وما أقسامها؟ وما علاقتها بالقرآن الكريم؟

أولاً : معنى السنة

السنة لغة: الطريقة والعادة، حسنة كانت أو سيئة، قال النبي ﷺ: «من سنَّ سنةً حسنةً فعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً»^(١).
السنة اصطلاحاً: ما روي عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي.

ثانياً : أقسام السنة

قسم العلماء السنة إلى نوعين من التقسيم بحسب ذاتها وبحسب روايتها وإليك بيان ذلك:

١- أقسام السنة بالنظر إلى ذاتها

تقسم السنة بالنظر إلى ذاتها إلى ثلاثة أقسام هي:

أ - السنة القولية: وهي الأحاديث التي قالها الرسول ﷺ مثل قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢).

ب- السنة الفعلية: وهي الأفعال والتصرفات التي صدرت عن الرسول ﷺ في مجال العمل والتشريع كأفعاله ﷺ في الوضوء والصلاة والحج، ومعاملاته في البيوع والتقاضي وغير ذلك.

ج- السنة التقريرية: وهي ما أقره النبي ﷺ مما صدر عن الصحابة، من أقوال أو أفعال بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه ورضاه، مثل إقراره ﷺ لعب الأحباش بالحراب في المسجد، وإقراره ﷺ الصحابي الذي تيمم للصلاة وأداها، ثم وجد الماء فلم يعد الصلاة.

٢- أقسام السنة بالنظر إلى روايتها

تقسم السنة النبوية بالنظر إلى الرواة إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- السنة المتواترة: وهي التي رواها جمع عن جمع، يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة من أول السند إلى

(١) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب من سنة سنة حسنة أو سيئة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

منتهاه، والمعتبر في التواتر القرون الثلاثة الأولى، ويكثر المتواتر في السنة الفعلية. أما السنة القولية فالمتواتر منها قليل، ومثال السنة المتواترة الفعلية ما ورد من الأحاديث عن كيفية أداء الصلاة والصوم، والحج، والأذان، وغيرها، ومثال السنة المتواترة القولية «من كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

ب- السنة المشهورة: وهي التي يرويها واحد أو اثنان أو جمع من الصحابة لم يبلغ حد التواتر، ثم يرويه من بعدهم جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة، ويرويه عنهم جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة، وعليه فالسنة المشهورة تكون مروية بطرق الأحاد في الطبقة الأولى، ثم تتواتر في الطبقتين الثانية والثالثة، ومثال السنة المشهورة ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى^(٢). فهذا الحديث لم يروه عن النبي ﷺ إلا عمر بن الخطاب ثم اشتهر فيما بعد.

نشاط

اكتب في دفترك الفرق بين السنة المتواترة والسنة المشهورة.

ج- السنة الأحادية: وهي التي رواها عن النبي ﷺ واحد أو اثنان، أو عدد لم يبلغ حد التواتر، ثم رواها عنهم مثلهم، حتى وصل الحديث إلى عصر التدوين، وغالب السنة النبوية من هذا النوع.

ثالثاً: أفعال الرسول ﷺ

تقسم أفعال الرسول ﷺ إلى أربعة أقسام هي:

- ١- ما صدر عن النبي ﷺ بوصفه رسولاً، فهذا تشريع عام يجب العمل به، مثل قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(٣).
- ٢- ما صدر عن النبي ﷺ بمقتضى التجارب والخبرة البشرية في شؤون الحياة فهي ليست تشريعاً ملزماً، ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه رأى أهل المدينة المنورة يؤبرون النخل (يلقحونه)، فسألهم عن ذلك فقالوا شيئاً كنا نصنعه، فقال لهم لعلمكم لو لم تفعلوا لكان خيراً، فتركوا ذلك فخرج النخل ضعيفاً، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «أنتم أعلم بأمركم دنياكم»^(٤).
- ٣- ما صدر عن الرسول ﷺ بوصفه بشراً، كالقيام والقعود والأكل والنوم، فهذا ليس تشريعاً أيضاً.
- ٤- ما اختص به النبي ﷺ فهذا لا يعدّ تشريعاً لغيره، بل خاص به ﷺ مثل وجوب التهجد في حقه، وزواجه بأكثر من أربع زوجات، ومواصلة الصيام، وغير ذلك مما اختص به ﷺ.

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب نقايط الكذب على رسول الله.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الأذان للمسافر.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأي.

رابعاً : علاقة السنة النبوية بالقرآن الكريم

تظهر علاقة السنة النبوية بالقرآن بالنظر إلى الأحكام التي جاءت بها فهي إما:

١- أن تكون موافقة لما جاء في القرآن الكريم من الأحكام، وبذلك يكون للحكم الواحد دليلان، الأول مثبت والثاني

مؤكد، مثل قوله ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»^(١) فهو موافق لقول الله تعالى:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَأْكُلُوا ءَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ۗ اِلَّا اَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾^(٢)

٢- أن تكون شارحة للقرآن الكريم، ومبينة له، مثل الأحاديث الواردة في بيان كيفية الصلاة، وعدد ركعاتها،

وأصناف الأموال التي تجب فيها الزكاة، ومقدار النصاب، وغير ذلك، فكلها مبيّنة لقوله تعالى:

﴿ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ ﴾^(٣)

٣- أن تأتي بحكم لم يرد في القرآن الكريم، مثل تحريم النبي ﷺ الجمع بين المرأة وعمتها في الزواج، والتمحريم

من الرضاع لكل ما يحرم من النسب، قال ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(٤).

٤- أن تأتي مقيدة لما جاء مطلقاً في القرآن الكريم، مثل تحديد قطع يد السارق من الرسغ، أو مخصصة لعامه مثل

إباحة أكل لحم الميتة من السمك والجراد.

خامساً : حجية السنة النبوية

اتفق العلماء على أن السنة الصحيحة الثابتة التي صدرت عن الرسول ﷺ بوصفها تشريعاً حجة على

المسلمين، يجب عليهم الالتزام بها، واستدلوا بما يأتي:

١- طلب الله تعالى إلى المؤمنين الرجوع إلى السنة النبوية والتحاكم إليها، قال الله تعالى:

﴿ فَاِنْ تَنٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ﴾^(٥)

٢- أمر الله تعالى بطاعة الرسول ﷺ، والطاعة تفيد الالتزام بأمر المطاع، وتنفيذ ما طلبه قال الله تعالى:

﴿ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ وَاَطِيعُوا الرَّسُوْلَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ﴾^(٦)

٣- قوله ﷺ: «ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه»^(٧) والمراد بالمثل السنة النبوية.

٤- عمل الصحابة رضوان الله عليهم، إذ كانوا يرجعون إلى السنة النبوية لمعرفة الأحكام الشرعية عندما لا يجدون

الحكم في القرآن الكريم.

(١) السنن الكبرى، كتاب الغصب، باب من غصب لوجاً فأدخله في سفينة أو بنى عليه جداراً.

(٢) سورة النساء، الآية: (٢٩).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٤٣).

(٤) مسند أحمد، ١٠٢/٦.

(٥) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٦) سورة النور، الآية (٥٦).

(٧) سنن أبي داود، كتاب السنن، باب لزوم السنة.

اذكر دليلاً على حجية السنة النبوية، واكتبه في دفترك.

الأسئلة

- ١- ما المقصود بالسُّنة؟
- ٢- عدد أقسام السُّنة بالنظر إلى ذاتها.
- ٣- ما الفرق بين السُّنة المتواترة والمشهورة؟
- ٤- ما الفرق بين السُّنة المشهورة والأحادية؟
- ٥- تقسم أفعال الرسول ﷺ أربعة أقسام، بيّنها مع مثال لكل واحد منها.
- ٦- أمر الله تعالى المسلمين بالافتداء بالرسول ﷺ، فهل يلزم من ذلك الالتزام بكل ما صدر عن الرسول ﷺ من تشريعات وتصرفات؟ ولماذا؟
- ٧- بيّن علاقة السُّنة النبوية بالقرآن الكريم، مع مثال لما تقول.
- ٨- كيف تستدل من قوله ﷺ «ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه» على حجّية السُّنة النبويّة؟

يزعم بعض الناس أن لا حاجة بنا إلى السُّنة النبويّة بدعوى أن القرآن الكريم تبيان لكل شيء، ناقش هذا الزعم في ضوء دراستك لموضوع السُّنة النبويّة، ومكانتها في التشريع الإسلامي.

نسمع كثيراً أن الحكم الشرعي قد ثبت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ونسمع أيضاً أن هذا الحكم الشرعي قد ثبت بالإجماع، وبالقياس، فما معنى الإجماع؟ وما معنى القياس؟ وما شروط كل منهما؟

أولاً: الإجماع

١- معنى الإجماع

الإجماع لغة: الاتفاق على الأمر، يقال أجمع القوم على كذا إذا اتفقوا.

الإجماع اصطلاحاً: هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي. لتحقيق الإجماع يجب توافر الشروط الآتية:

أ - أن يكون الاتفاق من المجتهدين، فلا قيمة لإجماع من لم يصل درجة الاجتهاد، أو عامة الناس، لأنهم ليسوا أهلاً للمنظر في الأحكام الشرعية.

ب- أن يكون الاتفاق من جميع المجتهدين، فإذا اتفق أكثرهم أو خالف بعضهم الحكم المجتهد فيه، لم ينعقد الإجماع.

ج- أن يتم الإجماع بعد وفاة النبي ﷺ، لأنه لا وجود للإجماع في عصر النبي ﷺ لأن الأمر راجع إليه ﷺ. فإن وافق على اجتهاد الصحابة، كان الحكم ثابتاً بالسنة النبوية لا بالإجماع، وإن لم يوافق عليه ﷺ فلا عبرة باتفاقهم، ولا يثبت به الحكم.

٣- ركن الإجماع ومرتبته

ركن الإجماع هو الاتفاق على الحكم الشرعي من جميع المجتهدين في عصر على اختلاف أجناسهم وأوطانهم، ويأتي الإجماع في المرتبة الثالثة من مصادر التشريع، بعد القرآن الكريم والسنة النبوية، قال ابن مسعود: «إذا سئل أحدكم فليُنظر في كتاب الله، فإن لم يجد ففي سنة رسول الله، فإن لم يجد فليُنظر فيما اجتمع عليه المسلمون».

٤- أنواع الإجماع وحجيتها

الإجماع نوعان: صريح وسكوتي، أما الصريح فهو أن يُعبر كل واحد من المجتهدين عن رأيه في المسألة الواحدة صراحة، وتتفق آراؤهم على ذلك، وحكمه أنه حجة قطعية يجب الأخذ به. أما الإجماع السكوتي: فهو أن يعبر بعض المجتهدين عن رأيه في المسألة بينما يسكت بقية المجتهدين الآخرين، وحكمه أنه ظني. وذلك لأن السكوت يحتمل الموافقة ويحتمل غيرها، وهذا لا يوجب العمل بالإجماع السكوتي، ولا يفيد القطع في إثبات الحكم، ويمكن مخالفته.

٥- أمثلة على الإجماع

ومن الأمثلة على الإجماع ما يأتي:

- ١- الإجماع على تسيير الجيوش لمحاربة المرتدين، في عهد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه.
- ٢- الإجماع على جعل الأراضي المفتوحة من قبيل الفبي، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- ٣- الإجماع على وجوب تنصيب خلفية للمسلمين، لحراسة الدين وسياسة الدنيا، ومنع الظلم، والفصل بين الناس في التنازع والتخاصم.
- ٤- الإجماع على تضمين الصناع مع أنهم مؤتمنون على أموال الناس وأمتعتهم، لأنه وجد أن الصناع لو لم يضمّنوا لاستهانوا بالمحافظة على أموال الناس، والناس بحاجة إليهم، فكان لا بد من القول بتضمينهم ليحافظوا على أموال الناس وأمتعتهم.

ثانياً : القياس

١- معنى القياس

القياس لغة: التقدير

القياس اصطلاحاً: إلحاق أمر غير منصوص على حكمه، بأمر منصوص على حكمه لاتحادهما في العلة. وبيان ذلك، أنه اذا وجد أمر، لم يرد في حكمه نص من القرآن الكريم أو السنة النبوية، ووجد أمر سابق عليه له حكم منصوص عليه، وكانت العلة بينهما واحدة، أعطي الأمر الأخير حكم الأمر السابق. وسيتضح ذلك في المثل الآتي الذي يبين أركان القياس.

٢- أركان القياس

تأمل المثل الآتي لتعرف أركان القياس.

قال النبي ﷺ: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان»^(١) وعلة النهي عن الحكم في حالة الغضب ما يحصل بسببه من انشغال الذهن واختلال النظر في القضية المعروضة على الحاكم، فلا يهتم من بيان الحكم على الوجه المناسب، فهل ينطبق هذا الحكم على القاضي الجوعان، أو من غلبه النعاس، وغير ذلك، مما يشغل القاضي عن بيان الحكم على الوجه المناسب، مع العلم أن الحديث لم ينص على الجوع والنعاس. بالنظر إلى المثل السابق نجد أن للقياس أربعة أركان هي:

- أ - الأصل: وهو ما ثبت الحكم فيه ابتداءً، وهو في المثل السابق الغضب.
- ب - الفرع: وهو ما لم يرد فيه نص يبيّن حكمه، ويراد معرفة حكمه، وهو في المثل السابق الجوع المفرط، أو غلبة النعاس.
- ج- حكم الأصل: وهو الحكم الشرعي الثابت للأصل، وهو في المثل السابق حرمة قضاء القاضي وهو غضبان.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان.

د - العلة: وهي المعنى المشترك الذي شرع الحكم لأجله في الأصل، وهو في المثال السابق انشغال الذهن واختلال النظر فيما يعرض من قضايا.
 فإذا وُجِدَتْ أركان القياس، يُجرى الفقيه القياس، فيعطي الفرع حكم الأصل، لاتحاد العلة بينهما، وفي المثال السابق يكون قضاء القاضي في حالة الجوع المفرط أو غلبة النعاس حراماً، لانشغال الذهن واختلال النظر في القضايا المعروضة عليه.

٣- حجية القياس

القياس حجة شرعية وأصل من أصول الشريعة للأدلة الآتية:

أ - قال الله تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾^(١)

والاعتبار هو القياس، والقاعدة الأصولية أن الأمر يفيد الوجوب، فيكون القياس واجباً.

ب - قال النبي ﷺ للمرأة التي جاءتته تسأل عن الحج عن أمها: «أرأيت لو كان على أمك دين أكننت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء»^(٢) فقد استخدم النبي ﷺ القياس لإفهام المرأة، حيث قاس أداء الحج على أداة الدين.

الأسئلة

- ١- ما المقصود بالمصطلحات الآتية :
 الإجماع، القياس، الأصل، الفرع، العلة؟
- ٢- علل ما يأتي:
 أ - عدم جعل اتفاق عامة الناس على أمر ما إجماعاً.
 ب - عدم الاعتداد باتفاق الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم.
 ج- وجوب تضمين الصناعات.
 د- وجوب تنصيب خليفة للمسلمين.
- ٣- ما ركن الإجماع؟
- ٤- وضح حجية الإجماع؟
- ٥- هات مثلاً على الإجماع، وآخر على القياس؟
- ٦- عدّد أركان القياس.
- ٧- ما دلالة قوله ﷺ: «أرأيت لو كان على أمك دين أكننت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء» على كون القياس حجة شرعية؟

(١) سورة الحشر، الآية: (٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج والتذوق عن الهيت.

الاجتهاد (١)

امتازت الشريعة الإسلامية بقدرتها على تنظيم علاقات الناس، ومعالجة قضاياهم واستيعاب الحوادث المتجددة على مر العصور، وإعطاء الحلول لها، بما اشتملت عليه من قواعد كلية وتشريعية وأصولية تشكل معيناً لا ينضب للفقهاء، إذ يرجعون إليها لبيان الأحكام الشرعية للمسائل المعروضة عليهم عن طريق الاجتهاد، فما معنى الاجتهاد؟ وما شروط المجتهد؟ وما دليل مشروعية الاجتهاد؟

أولاً : مفهوم الاجتهاد

الاجتهاد لغة: بذل الجهد والطاقة في طلب الأمر الذي يسعى إليه المجتهد.
الاجتهاد اصطلاحاً: بذل الفقيه وسعه لاستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

ثانياً : شروط المجتهد

المراد بالفقيه هنا المجتهد الذي يبذل أقصى وسعه في فهم نصوص الشريعة ومقاصدها، ليصل - بعد البحث والنظر - إلى الحكم الشرعي الذي يتفق ومقاصد الشريعة، ولا يكون الشخص مجتهداً إلا إذا توافرت فيه الشروط الآتية:

- ١- أن يكون مسلماً تقياً عدلاً غير متساهل في أمور الدين، حتى تطمئن الأمة إلى الأحكام الشرعية التي بينها لها، ولا يتحقق هذا الاطمئنان عند الناس، إذا كانت الأحكام الشرعية صادرة عن فقيه لا يتصف بالتقوى والعدالة من المسلمين.
- ٢- أن يكون عالماً بالقرآن الكريم وخاصة آيات الأحكام، لأنه الأصل في التشريع، وذلك بمعرفة معانيه لغة وشرعاً، ومعرفة دلالة ألفاظه، وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه، وغير ذلك من الأمور المتعلقة به، ليتمكن من الرجوع إلى ما يحتاجه عند استنباط الأحكام.
- ٣- أن يكون عالماً بالسنة النبوية وبخاصة أحاديث الأحكام، وذلك بمعرفة معانيها لغة وشرعاً، ودلالة ألفاظها، وناسخها ومنسوخها، ومعرفة عامها وخاصها، وطرق وصولها إلينا، ورواتها، ليتمكن المجتهد من تمييز الصحيح منها عن غير الصحيح، والمقبول منها عن المردود، مما يسهل عليه استنباط الأحكام الشرعية.
- ٤- أن يكون على علم تام باللغة العربية، لأنها الطريق إلى فهم النصوص وتفسيرها، واستنباط الأحكام الشرعية، ولذلك يجب على المجتهد معرفة ما يتعلق بعلوم اللغة من نحو وصرف، وأدب وبلاغة، ودلالة ألفاظ، وغيرها من علوم العربية.

- ٥- أن يكون عالماً بأصول الفقه من الأمر والنهي، ودلالات الألفاظ، والنسخ، وغيرها من مباحث علم أصول الفقه، التي تعد أساس الاجتهاد، الذي ينهض عليه، وبدونه لا يصل الفقيه إلى استنباط الحكم الشرعي من الأدلة التفصيلية.
- ٦- أن يكون عالماً بمواطن الإجماع، حتى لا يجتهد في الوقائع المجمع عليها.
- ٧- أن يكون عالماً بمقاصد الشريعة، وأنها جاءت لتحقيق السعادة للناس، فيعطي الأحكام الشرعية التي تحقق هذه المقاصد.
- ٨- أن يكون ملماً بأحوال عصره، خبيراً بمصالح الناس وأحوالهم وأعرافهم، ليستطيع فهم الوقائع التي لا نص فيها، وبناء الأحكام وفق ذلك.

ثالثاً : مشروعية الاجتهاد

حثت الشريعة الإسلامية على الاجتهاد، ودعت إليه لأنه الطريق الذي تعرف به أحكام الشريعة، من أدلتها التفصيلية وقد ثبتت مشروعيته بما يأتي:

١- عموم الآيات الكريمة التي دعت الإنسان للتفكير والنظر والبحث للوصول إلى الحق، ومن ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (١)

فقد طلب الله تعالى إلى المؤمنين، رد ما لم يرد فيه نص إلى الله ورسوله، وذلك بأن ينظر المجتهدون فيما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، ليستنبطوا الأحكام على أساسها في المسائل التي لا نص فيها، وهذا هو الاجتهاد.

٢- قول الرسول ﷺ: «إذا حكم الحاكم، فاجتهد فأصاب، كان له أجران، وإذا اجتهد فأخطأ، كان له أجر واحد» (٢). والمراد هنا بالحاكم الفقيه المجتهد.

٣- إقراره ﷺ الصحابة على اجتهدهم، في غزوة بني قريظة حين صلى بعضهم العصر في الطريق إلى بني قريظة، وصلى الآخرون في بني قريظة، فلما بلغ النبي ﷺ أقر الطرفين على فعلهم، فكان إقراره ﷺ دليلاً على مشروعية الاجتهاد.

٤- والاجتهاد مشروع بفعل الصحابة أيضاً، فقد كان الصحابي يرجع إلى كتاب الله تعالى فإن لم يجد فيه بغيته رجع إلى السنة النبوية، فإن لم يجد اجتهد في المسألة، كما فعل أبو بكر الصديق في تسيير جيوش الردة، وعمر بن الخطاب في تقسيم البلاد المفتوحة.

(١) سورة النساء، الآية: (٨٢).

(٢) سنن الدراطيني، ٤/٢٠٤.

الأسئلة

- ١- ما الذي امتازت به الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع؟
- ٢- ما المقصود بالاجتهاد؟
- ٣- اكتب ثلاثة من شروط المجتهد.
- ٤- علّل ما يأتي:
 - أ - اشتراط الإسلام والتقوى في المجتهد.
 - ب - علم المجتهد بالوقائع المجمع عليها.
 - ج- إمام المجتهد بأحوال عصره.
- ٥- بيّن مشروعية الاجتهاد، مع ذكر الأدلة الشرعية لما تقول.
- ٦- ما دلالة قوله تعالى:
﴿وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَالِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(١) على مشروعية الاجتهاد؟

(١) سورة النساء: الآية (٨٣).

الاجتهاد (٢)

عرفت في الدرس السابق مفهوم الاجتهاد ومشروعيته وشروط المجتهد، وفي هذا الدرس بيان لأهمية الاجتهاد، فما أهميته؟

أولاً : أهمية الاجتهاد

يمكن القول إن الاجتهاد من أهم الوسائل التي تعين الأمة على مواجهة القضايا والوقائع الجديدة، بمعالجتها وفق أحكام الشريعة الإسلامية، وتظهر أهمية الاجتهاد في النواحي الآتية:

- ١- بيان الأحكام الشرعية في كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فالمجتهد يبذل أقصى وسعه للوصول إلى الحكم الشرعي للوقائع المعروضة عليه، ومن المعلوم أن قضايا الناس غير منحصرة، لتغير الزمان والمكان، والحاجة إلى معرفة الحكم الشرعي قائمة، ولا طريق لمعرفته إلا بالاجتهاد.
- ٢- بيان صلاحية الشريعة لإيجاد الحلول لكل المشكلات والوقائع، مما يؤكد صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان قولاً وعملاً، وليس أدل على ذلك من بيان الحكم الشرعي للقضايا التي استجدت في هذا الزمان مثل جراحة التجميل، وأطفال الأنابيب، والتبرع بالأعضاء.
- ٣- تمكين المجتهدين من القدرة على الموازنة بين الآراء الفقهية، وترجيح الأقوى منها بناء على قوة الدليل. وكذلك مراعاة الظروف التي تحيط بكل مسألة، وأثر هذه الظروف فيها، وإصدار الحكم الذي يتفق وعدالة التشريع الإسلامي.

ولأهمية الاجتهاد في حياة المسلمين، فإن من واجب الدولة أن تقوم بما يأتي:

- أ - تهيئة البيئة المناسبة لوجود المجتهدين المؤهلين لبيان أحكام الشريعة، والنظر في قضايا الأمة، وإعطاء الحلول الشرعية المناسبة لها، لأنه لا يجوز أن يخلو عصر من المجتهدين، ويمكن للدولة تحقيق ذلك بتشجيع دراسة العلوم الشرعية، وفتح المدارس والمعاهد الشرعية، وكليات الشريعة، وإعداد المناهج والخطط الدراسية التي ترتقي بالإنسان فتجعله مؤمناً بربه وبدينه، ويتجه إلى الاستزادة من العلوم الإسلامية حتى يصل إلى مرتبة الاجتهاد.

ب - عرض القضايا على المجتهدين أو المجامع الفقهية للنظر فيها، وبيان الحكم الشرعي لكل قضية منها بما يتفق وقواعد الشريعة الإسلامية، ويحقق مقاصدها، وبشجاعة وحرية بعيداً عن كل المؤثرات والضغط الاجتماعي كانت أم سياسية، ولا يعني هذا إغفال الاجتهاد الفردي، وعدم الحاجة إليه، لأن الاجتهاد الفردي ينير الطريق للاجتهاد الجماعي بما يقوم به من دراسات وبحوث حول القضايا المعروضة أمام المجامع العلمية.

ولعلك تسأل: هل يمكن الاجتهاد في كل مسألة من مسائل الشريعة؟
والجواب على ذلك أن المسائل الشرعية في الإسلام منها ما فيه مجال للاجتهاد، ومنها ما لا مجال فيه للاجتهاد
وإليك بيان ذلك:

١- المسائل التي لا مجال للاجتهاد فيها

- أ - ما ورد فيها أحكام نهائية، بأدلة قطعية، محددة مفصلة في القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة، مثل
العقيدة، ومقادير الحدود، والكفارات المقدره.
ب- الأحكام الأخلاقية مثل الصدق، والأمانة وغيرها.
ج- الأحكام التي دلت النصوص على أنها ليست قابلة للنقض مثل الجهاد.

٢- المسائل التي فيها مجال للاجتهاد

- أ - المسائل التي لم يرد في حكمها دليل قطعي الدلالة، بل كانت دلالة ظنية، سواء أكان ذلك في القرآن
الكريم أم السنة النبوية، ومثال ذلك لفظه (قروء) في قوله تعالى:
﴿وَأَمَّا طَلَّاتٌ يَتَّبِعُنَّ أَنْفُسَهُنَّ تَلَاحُثًا قُرُوءًا﴾^(١) فإنها تحتل أن تكون بمعنى الحيض أو الطهر، فمن
رجح من الفقهاء معنى الحيض، قال إن عدة المرأة المطلقة ثلاث حيضات، ومن رجح معنى الطهر قال
إن عدة المرأة المطلقة ثلاثة أطهار.
ب- المسائل التي لم يرد في حكمها دليل محدد من القرآن الكريم أو السنة النبوية، فهذه يعرف حكمها عن
طريق الاستنباط من النصوص الشرعية، مثل أطفال الأنابيب، وجراحة التجميل، وزكاة الأسهم
والسندات، وزرع الأعضاء وغيرها.

ثانياً: أمثلة على الاجتهاد

الأمثلة على الاجتهاد كثيرة جداً، نذكر منها بعض الاجتهادات القديمة، وبعضاً من الاجتهادات الحديثة، وفيما
يأتي بيان ذلك :

١- أمثلة على الاجتهادات القديمة

- أ- قراءة الفاتحة في الصلاة. ذهب الفقهاء في هذه المسألة مذهبين هما :
١. يرى المالكية والشافعية والحنابلة أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة، فمن ترك قراءة الفاتحة،
وهو قادر على قراءتها، فصلاته غير صحيحة، وقد استدلوا لما ذهبوا إليه بقوله ﷺ: « لا صلاة لمن
لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٢)
والنفي في الحديث، دلالة عدم صحة الصلاة، لعدم أداء ركن من أركانها، وهو قراءة الفاتحة.

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٢٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة للأمام.

٢. يرى الحنفية أن قراءة الفاتحة من واجبات الصلاة، فمن تركها عمداً أثم في ذلك، ومن تركها ناسياً فعليه سجود السهو، وفي الحالتين تصح الصلاة واستدلوا لذلك بقوله تعالى:

﴿ فَأَقْرَأْهُ وَأَمَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾^(١)

فالآية أوجبت قراءة ما تيسر من القرآن الكريم وهذا عام في كل الصلوات، واستدلوا أيضاً بتعليم النبي ﷺ الرجل الذي لم يحسن الصلاة إذ قال له: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»^(٢) وفي الحديث دلالة واضحة، على أن النبي ﷺ لم يقل له أن يقرأ الفاتحة، فدل على أن الصلاة صحيحة دون قراءة الفاتحة.

وأجاب الحنفية على ما استدل به المالكية والشافعية والحنابلة، بأن معنى الحديث: «لا صلاة كاملة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وليس المراد نفي الصحة كاملة.

ب- قراءة المأموم خلف الإمام: يكثر السؤال عن قراءة المأموم خلف الإمام، فما الحكم في هذه المسألة؟ اجتهد الفقهاء في هذه المسألة وكان نتيجة هذا الاجتهاد ثلاثة أقوال هي:

١. ذهب أبو حنيفة إلى أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام، لا في الصلاة السرية ولا الجهرية، مستدلاً بقول

الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٣)

وقوله ﷺ: «من كان له إمام فإن قراءة الإمام له قراءة»^(٤).

٢. ذهب الإمام مالك إلى أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام في الصلاة إذا كانت جهرية ويقرأ خلف الإمام، إذا كانت الصلاة سرية.

٣. ذهب الإمامان الشافعي وأحمد إلى أن المأموم يقرأ خلف الإمام وجوباً، سواء أكانت الصلاة جهرية أو سرية مستدلين بقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٥).

٢- الأمثلة على الاجتهادات الحديثة

أ- تشريح جسم الميت: السؤال الذي يدور على ألسنة الناس عن جواز تشريح جسم الميت اقتضى الاجتهاد في هذه القضية، فما الذي وصل إليه هذا الاجتهاد؟

قبل بيان حكم التشريح، لا بد من معرفة الغرض من التشريح، حتى يكون الحكم منسجماً مع الغرض، فقد بين العلماء أن للتشريح أغراضاً منها:

١. التشريح لأغراض التعليم، حتى يتعرف طلبة العلم تركيب جسم الإنسان، ووظائف أعضائه، وحتى يتدرب على استعمال أدوات الجراحة ليقوى على القيام بإجراء العمليات الجراحية للأحياء.

٢. التشريح لمعرفة الأسباب الحقيقية للوفاة في الحالات القضائية لمعرفة السبب الحقيقي للوفاة، وزمنها، والملابسات المحيطة بها، فقد يكون السبب الحقيقي للوفاة مخالفاً للسبب الظاهري فيتغير

(١) سورة المزمل، الآية: (٢٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من رد فقال عليك السلام.

(٣) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٤).

(٤) السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب من قال لا يقرأ خلف الإمام على الإطلاق.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام.

الحكم القضائي تباعاً لذلك.

٣. معرفة العلاقة بين الأعراض المرضية، التي ظهرت على المريض قبل الوفاة وبين الأسباب الحقيقية للوفاة، التي يكشف عنها التشريح، وبهذا يمكن أن يتقدم الطب باكتشافه الأمراض غير المعروفة. وقد أدى الاجتهاد وبعد معرفة غرض التشريح إلى القول بجواز التشريح، شريطة أن يتم عند الحاجة الشديدة إليه وأن يتم بطريقة تليق بالكرامة الإنسانية.

ب- زرع أعضاء الإنسان في جسم إنسان آخر: بين المجمع الفقهي الإسلامي^(١) أن أخذ عضو من جسم إنسان حي، وزرعه في جسم إنسان آخر محتاج إليه لإنقاذ حياته، أو استعادة وظيفة من وظائف أعضاء الجسم الأساسية، عمل جائز لا يتنافى مع الكرامة الإنسانية كما مر معك سابقاً في درس التبوع بالأعضاء.

ثالثاً : ضوابط الاجتهاد في العصر الحديث

قلنا إنه لا يجوز أن يخلو عصر من المجتهدين، لحاجة الأمة إلى الاجتهاد، إلا أنه يجب عند الاجتهاد مراعاة الضوابط الآتية إضافة إلى ما عرفت من الشروط الواجب توافرها في المجتهد:

- ١- الالتزام بالنصوص الشرعية وعدم إغفالها، لأنها الفيصل في الأحكام، فإذا ثبت الحكم بنص من القرآن الكريم أو السنة النبوية، فلا يجوز مخالفته أو تركه، لأنه لا اجتهاد في مورد النص.
- ٢- الدقة في التزام النصوص وعدم إساءة فهمها، أو تحريفها عن موضعها بعدم التأمل الكامل فيها، والموازنة بينها، واستفراغ الوسع في البحث والطلب، لئلا يؤدي ذلك إلى التسرع، والتعجل بإصدار الأحكام.
- ٣- عدم الغلو في اعتبار المصلحة ولو كان الأمر مخالفاً للنصوص الشرعية، فلا يقبل أن يقال إن الربا مباح، لأنه عصب البنوك، والبنوك عصب الاقتصاد، لمخالفة ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المحرمة للربا.
- ٤- الحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع.
- ٥- مراعاة روح العصر وحاجاته.
- ٦- الانتقال إلى الاجتهاد الجماعي - دون إغفال الاجتهاد الفردي - لأن رأي الجماعة أقرب إلى الصواب من رأي الفرد.

(١) الدورة الثامنة، من ٢٨ ربيع الآخرة ١٤٠٥هـ - ٧ جمادى الأولى ١٤٨٥هـ، الموافق ٢٨-٢٩ يناير، ١٩٨٥م.

الأسئلة

- ١- للاجتهاد أهمية كبيرة، بيّن ذلك.
- ٢- ما واجب الدولة نحو الاجتهاد؟
- ٣- ما المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد؟ أعط مثلاً على ذلك.
- ٤- بيّن آراء الفقهاء في قراءة الفاتحة في الصلاة.
- ٥- بيّن آراء الفقهاء في قراءة المأموم خلف الإمام.
- ٦- ما الغرض من تشريح الجسم؟
- ٧- ما شروط جواز تشريح الجسم؟
- ٨- عدد ثلاثة من ضوابط الاجتهاد في العصر الحديث؟

الوحدة الرابعة عشرة

كلر السيرة النبوية

- السيرة النبوية (معناها، وأهميتها، وفوائدها، وخصائصها).
- مصادر السيرة النبوية.
- تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (١).
(رابطة الإسلام هي الأساس في بناء المجتمع).
- تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٢).
(التكافل والتعاون من سمات المجتمع المسلم).
- تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٣).
(المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق العامة والواجبات).
- تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٤).
(وجوب التعاون في حماية الدولة من العدو الخارجي).
- تحليل خطبة النبي ﷺ في خطبة الوداع (١).
(من مقاصد الإسلام حماية الأنفس والأعراض والأموال).
- تحليل خطبة النبي ﷺ في خطبة الوداع (٢).
(تحريم الربا).
- تحليل خطبة النبي ﷺ في خطبة الوداع (٣).
(التوصية بالنساء خيراً وبيان حقوقهن وواجباتهن).
- تحليل خطبة النبي ﷺ في خطبة الوداع (٤).
(طاعة ولاة الأمور وقيودها).
- تحليل كتاب النبي ﷺ الى هرقل ملك الروم.
- طبيعة العلاقة بين اليهود والمسلمين زمن النبي ﷺ.
- التعريف بأبرز كتب السيرة النبوية.

الدرس الأول

السيرة النبوية (معناها، وأهميتها، وفوائدها، وخصائصها)

عرفت أن علوم الشريعة متعددة ومنها: السيرة النبوية الشريفة، وقد سمي العلماء السيرة بهذا الاسم، لأنها اختصت بحياة الرسول محمد ﷺ ورواية أحداثها، فما معنى السيرة في لغة العرب، وفي اصطلاح العلماء؟

أولاً: معنى السيرة

تُطلق السيرة في اللغة على السُّنة، والحالة التي يكون عليها الإنسان، سواء أكانت حسنة أو سيئة، نقول: فلان سيرته حسنة، وفلان سيرته سيئة.

وفي الاصطلاح: هي ما نقل إلينا من حياة النبي ﷺ منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى التحاقه بالرفيق الأعلى.

فالسيرة تشتمل على وقائع ميلاده ﷺ ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته وشبابه، ووقائع بعثته، ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته التي أجراها الله تعالى على يديه، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده وسلمه، وأحداث حياته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى.

وقد أطلق العلماء على الجزء الخاص بعلاقته ﷺ مع أعدائه المشتمل على غزواته، وسراياه ومعاهداته، وعلى الأحكام والمبادئ الشرعية المنظمة لتلك العلاقات وآثارها اسم «المغازي» أو «السَّير».

نشاط

اكتب مثلاً خاصاً بالسُّنة، وآخر خاصاً بالسيرة.

ثانياً: أهمية السيرة

تتضح أهمية السيرة النبوية فيما يأتي:

١- إن السيرة النبوية ليست وصفاً لحياة خليفة من الخلفاء أو حاكم من الحكام أدى دوره ثم انتهى، ولكنها وصف لطريقة حياة خاتم الرسل ﷺ، صاحب الرسالة العالمية، الذي جعله الله قدوة للمؤمنين، في شؤون الحياة صغيرها وكبيرها، وما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، وما يتصف به من صفات خلقية، وما أثر عنه من سيرة بعد البعثة يعد مصدراً من مصادر التشريع.

٢- إن السيرة النبوية تعد البداية الأولى، لتاريخ الأمة المسلمة، الذي بدأ مع بداية الإسلام؛ أي مع بداية بعثته ﷺ. لذلك تعد السيرة النبوية أهم حقبة في تاريخ أمتنا، لأنها الفترة التي تشكل بداية الإشعاع الحضاري في تاريخ البشرية قاطبة.

٣- إن سيرته ﷺ تقدم لنا الإسلام في صيغ عملية بعد أن نقرأ مبادئه وقواعده وأحكامه ونفهمها فقد نقرأ عن عقيدة التوكل على الله سبحانه وتعالى، وقد نسيء فهمها، فنخلط بين التوكل والتواكل، ونهمل الأخذ بالأسباب، فإذا درسنا السيرة النبوية، فإننا نجد الصورة العملية للتوكل، فالنبي ﷺ أعظم من توكل على الله، ومع ذلك نجده يأخذ بالأسباب في هجرته، إذ اختار صاحباً في الطريق هو أبو بكر رضي الله عنه، واستأجر من يده على الطريق، واشترى الراحلة، وتزود بالطعام، ورصد الطريق وموه على كفار قريش، واختار أفضل الأوقات للخروج من مكة، وهكذا فإن مثل هذا الجانب من سيرته ﷺ، يقدم لنا عقيدة التوكل في صورتها العملية، وكذلك كان ﷺ يعمد في غزواته، إلى التدريب على القتال، وإعداد الفرسان، وجمع الأموال، وتعبئة الرجال، والتخطيط للمعركة، والتمويه على الأعداء...، تطبيقاً عملياً لعقيدة التوكل على الله عز وجل، من هنا كانت دراسة السيرة مهمة لعالم الشريعة، وطالب العلم، والداعية، والقائد والتاجر، وسائر فئات المجتمع، ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، كي يقفوا على مظاهر الاقتداء به ﷺ، ويكون لهم شرف التأسي به، وبذلك يحوزون القبول والرضا من الله عز وجل، ويكتب لهم شرف الخلود مع رسول الله ﷺ في جنات النعيم، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١)

ثالثاً : فوائد دراسة السيرة النبوية

للسيرة النبوية فوائد جمّة من أهمها :

١- تعميق الإيمان برسالته ﷺ من خلال فهم شخصيته والتعرف على ظروف حياته التي عاش فيها، وأنه لم يكن مجرد إنسان عبقرى ارتفع شأنه بين قومه بسبب عبقريته، أو مجرد مصلح ثار على فساد مجتمعه، ولكنه كان رسول الله ﷺ، يتلقى الوحي، ويبلغ أمر ربه بتوفيقه سبحانه وتأييده.

٢- تقديم النموذج الصالح والمثل الأعلى في كل شؤون الحياة، وتسهيل سبل الاقتداء به، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢)

ومن الأمثلة على ذلك حين جاء قومه يعرضون عليه أن يجعلوه رئيساً عليهم، أو يعطوه مالاً وفيراً، أو يزوجوه أجمل نساءهم مقابل أن يترك دعوته، ثم رفضه ﷺ لكل هذه الإغراءات المادية، وموقفه الحاسم الذي عبر عنه بقوله: «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الدين ما تركته حتى يظهره الله أو أموت دونه» يعد نموذجاً، ومثلاً أعلى للداعية في ثباته على المبدأ، وعدم مساومته عليه.

(١) ،سورة النساء، الآية: (١٢).

(٢) ،سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

إن السيرة النبوية كلها نماذج رائعة، ينتفع بها المسلمون في كل زمان ومكان على اختلاف شؤونهم والمسلم هو الذي يجمع بين العبادة والقيام بالواجبات الدنيوية، في توازن دون إفراط أو تفريط.

٣- تسهيل تفسير كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والإعانة على فهمها؛ لأن كثيراً من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تجلّيتها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ وموقفه منها، ومن أمثلة ذلك :

قال ابن اسحق: كان خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ «قينا»^(١) بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع إلى العاص بن وائل سيوفاً عملها له، حتى كان عليه مال، فجاءه يتقاضاه فقال له: يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه، أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب، أو فضة، أو ثياب، أو خدم؟ قال خباب: بلى، قال العاص فأنظرنني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هناك حقك، فو الله لا تكون أنت وصاحبكم يا خباب أثر عند الله مني، ولا أعظم حظاً في ذلك، فأنزل الله تعالى فيه :

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ آوُلِدْ وَأَنْتَ بِالْغَيْبِ أَمْ أَعْطَاهُ الْغَيْبَ أَمْ أَلْمَحَدَّ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾^(٢)

٤- تزويد الدارس بقدر كبير من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، في العقيدة والعبادات، والمعاملات، والعبادات، والأخلاق، والعلاقات الدولية، والقيم والمبادئ، والأحداث التاريخية.

رابعاً : خصائص السيرة النبوية

تمتاز السيرة النبوية بعدة مزايا تبعث الثقة والطمأنينة بأحداثها ووقائعها، وتجعل دراستها ضرورية للعلماء والدعاة، وفيما يأتي تبين لعدد من هذه الخصائص :

١- صحتها

تعدّ السيرة النبوية أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل عرفته البشرية حتى يومنا هذا حيث وصلت إلينا أحداثها الثابتة من أصح الطرق، وأقواها ثبوتاً، وذلك :

أ- لأن القرآن الكريم ذكر جانباً كبيراً ومهماً من أحداثها، ووقائعها، كسيرته ﷺ في بعض غزواته، مثل غزوة بدر وأحد، وسيرته في صراعه مع اليهود، وسيرته في علاقاته مع بعض زوجاته، وبعض أصحابه. ومعلوم أن القرآن الكريم اكتمل نزوله في حياة الرسول ﷺ، ومعنى هذا أن تدوين بعض أحداث السيرة قد حصل في حياة صاحبها، وحياة معاصريه الذين كانوا شهوداً عليها ولم تتعرض للتغيير والتحريف، لأن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٣) ومنقول بالتواتر لا يتطرق إليه شك.

(١) قيناً: حداداً.

(٢) سورة مريم، الآيتان: (٧٧-٧٨).

(٣) سورة الحجر، الآية: (٩).

ب- لأن السنة النبوية نقلت جزءاً كبيراً من أحداث السيرة التي حصلت بعد بعثته ﷺ، باعتبارها جزءاً منها، وقد حظيت السنة بعناية فائقة من العلماء، وتمحيص دقيق لروايتها، ووضعوا المناهج والقواعد العلمية، لتمييز صحيحها من سقيمها، ونصوا على ذلك بعبارات واضحة.

ج- إن كُتِّبَت السيرة والمؤلفين فيها اعتمدوا في تدوين أحداث السيرة الطريقة الموضوعية، وهي الطريقة العلمية في نقل الأخبار القائمة على دراسة الأسانيد والمتون ونقدها، لتثبيت ما هو صحيح منها، وأفادوا من مناهج علماء الحديث بخاصة الجرح والتعديل، ولم يقحموا تصوراتهم الفكرية، أو انطباعاتهم الشخصية، أو مآلوفاتهم البيئية في شيء من وقائع السيرة. وعلى أساس هذه القواعد العلمية الموضوعية، لأحداث التاريخ، وصلت إلينا سيرة النبي ﷺ بدءاً من ولادته، إلى تاريخ وفاته.

٢- وضوحها

عرضت سيرته ﷺ في جميع مراحلها، منذ زواج أبيه بأمه إلى وفاته ﷺ، بشكل مفصّل ودقيق مقرونة بسنوات حدوثها، دون انقطاع أو غموض، فهو كما قال بعض النقاد الغربيين: «إن محمداً ﷺ هو الوحيد الذي ولد في ضوء الشمس».

إن هذا الوضوح لم يتيسر مثله، ولا قريب منه لأحد من الرسل عليهم السلام، أو أحد من البشر، فلم نجد شيئاً عن طفولة الأنبياء السابقين، وشبابهم، ومعيشتهم قبل النبوة وكذلك فإننا لا نعرف إلا القليل عن حياتهم بعد النبوة، مما ورد في الكتاب والسنة، وأما المصادر الأخرى، غير الإسلامية، فهي موضع شك. إن ميزة وضوح السيرة بتفاصيلها، يعطينا صورة مكتملة لشخصية الرسول ﷺ في كل جوانبها، وللظروف والأحوال التي مر بها، وصورة مكتملة للحياة الاجتماعية التي رافقت سيرة حياته الكريمة.

٣- العملية والواقعية

السيرة النبوية تحكي حياة إنسان أكرمه الله بالرسالة، وأجرى على يديه كثيراً من المعجزات، وحقق من الانتصارات والنجاحات، ما لم يحققه بشر على وجه الأرض، ومع ذلك لم تخرجه السيرة عن بشريته وإنسانيته، أو تجعل حياته كالأساطير، ولم يحط بهالة من التقديس، تضيء عليه أوصاف الألوهية، كما فعل كتاب سيرة بعض الأنبياء، أو روايات البوذيين عن بوذا، ولهذا ذكرت السيرة مواطن الثناء عليه، كما ذكرت المواطن التي عاتبه الله فيها، مثل قوله تعالى في الثناء عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١)

وقوله تعالى في عتابه له: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَذًى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّىٰ ۚ﴾ (٢) فالسيرة، تقدم النبي ﷺ نموذجاً ترقى في درجات الكمال الإنساني، لكل من أراد أن يعيش سعيداً كريماً، في نفسه، وأسرته، ومجتمعه.

وقد قدم الرسول ﷺ من حياته تطبيقاً مثالياً للدعوة التي حمل، والرسالة التي بلغ، مما جعل حياته ﷺ النموذج والقدوة للمسلمين جميعاً، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٣)

(١) سورة القلم، الآية: (٤)

(٢) سورة عبس، الآيات: (١-٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

تشمل سيرة النبي ﷺ كل النواحي الإنسانية، الفردية والجماعية، فهي تحكي الجوانب الاجتماعية من حياته، كزواجه، وعلاقته بزوجاته وأهله، كما تتحدث عن الجوانب الشخصية، كيثمه، وشبابه، واستقامته وتجارته، وتتحدث عن جوانب دعوته وما كابده في سبيل تبليغها، وتتحدث عن الجوانب السياسية والإدارية، في سياسة أمته ورعاية مصالحها، وعن الجوانب العسكرية، وسيرته في أعدائه وعلاقاته بهم. إنها سيرة شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، مما يجعل حياته كلها موطن قدوة لكل فئات المجتمع، وأفراده على اختلاف وظائفهم وأعمالهم.

الأسئلة

- ١- عرف السيرة النبوية في اللغة والاصطلاح.
- ٢- ما الاسم الخاص الذي يطلق على جهاد النبي ﷺ ومعاهداته؟
- ٣- حين ندرس السيرة، فإننا ندرس أهم حقبة في تاريخ أمتنا، وضح ذلك.
- ٤- أعط مثلاً من السيرة النبوية، توضح فيه كيف تعيننا دراستها على فهم بعض آيات القرآن الكريم.
- ٥- هات مثلاً من السيرة النبوية يبين موطن القدوة للداعية في الثبات على المبدأ.
- ٦- بين كيف فهم الرسول ﷺ عقيدة التوكل بصورتها العملية.
- ٧- برأيك، ما مخاطر أن نعد الرسول ﷺ إنساناً عبقرياً فذ زمانه؟
- ٨- اذكر فائدة لصحة سيرة النبي ﷺ.
- ٩- من عوامل صحة سيرة النبي ﷺ كون القرآن الكريم من مصادرها، وضح ذلك.
- ١٠- ما الطريقة التي اعتمدها كتاب السيرة في تدوين أحداثها؟
- ١١- قال أحد النقاد الغربيين: «إن محمداً ﷺ هو الوحيد الذي ولد في ضوء الشمس»:
 - أ - ماذا يعني له هذا القول؟
 - ب - ما أهمية ذلك في الدعوة إلى الله تعالى؟
 - ج- ما أهمية ذلك في حياة المسلمين؟
- ١٢- ما أثر تقديم السيرة لشخص رسول الله ﷺ على أنه بشر؟
- ١٣- ما معنى كون السيرة النبوية عملية؟
- ١٤- أعط أمثلة تبين أن السيرة النبوية شاملة للنواحي الشخصية والاجتماعية والسياسية.

مصادر السيرة النبوية

تستمد السيرة النبوية أحداثها ووقائعها من جملة مصادر، نذكرها مرتبة حسب أهميتها:

أولاً: القرآن الكريم

القرآن الكريم المصدر الأساس للسيرة النبوية، وهو وإن لم يكن كتاب سيرة، فقد عرض لأحداث متعددة من سيرته ﷺ كمنشأته ويتمه قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الَّذِي يَتِمُّ بِكَ بِرَحْمَتِهِ وَأَنْتَ عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) وتحدث عن أخلاقه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) وبداية نبوته وبعثته، فقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٣) ثم ذكر القرآن إرساله إلى قومه فقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٤) وإلى الناس كافة، وبين مواقف قومه منه، وما وصفه به المشركون ظمناً من السحر والجنون، وأنه شاعر ليصدوا الناس عن الإيمان بالله وما جاء به رسوله من الهدى.

كما عرض القرآن الكريم لهجرة النبي ﷺ، وأهم الغزوات التي خاضها مع قريش كبدر وأحد، ومع الأحزاب، كغزوة الخندق، ومع اليهود كغزوة خيبر، ومع الروم كمؤتة وتبوك. وذكر القرآن الكريم بعض معجزاته كمعجزة الإسراء والمعراج، قال تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٥)

وتعرض إلى بعض مواقفه ﷺ مع بعض أصحابه كموقفه من ابن أم مكتوم رضي الله عنه في سورة عبس، وغير ذلك من المواقف والأحداث.

ويلاحظ أن القرآن الكريم حين يعرض لبعض وقائع السيرة وأحداثها يعرض لها بصورة إجمالية ولا يدخل في تفاصيل الحدث ويحرص على التركيز على موطن العظة والعبرة في هذه الأحداث.

(١) سورة الضحى، الآيات: (٦-٨).

(٢) سورة القلم، الآية: (٤).

(٣) سورة العلق، الآية: (١).

(٤) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

(٥) سورة الإسراء، الآية: (١).

ثانياً : السنة النبوية الشريفة

اشتملت كتب الحديث على كثير من أحداث السيرة بصورة أكثر تفصيلاً وشمولاً مما ورد في القرآن الكريم. فقد بينت كتب الصحاح، كصحيح البخاري وصحيح مسلم، وكتب السنة الأخرى القسم الأكبر من سيرته ﷺ، فذكرت الأحداث التي مرت به، والأعمال والتصرفات التي صدرت عنه. فلو رجعنا إلى كتاب صحيح البخاري مثلاً فإننا نجد فيه كثيراً من أحداث سيرته ووقائعها ﷺ، مثل بدء الوحي، وكيف كانت حاله معه. وسيرته في الجهاد، ومناقبه ﷺ، وعمما جاء في أسمائه وصفاته، وعلامات النبوة، وزواجه ﷺ، وبناء الكعبة وما لقيه وأصحابه من عنت المشركين في مكة، وهجرة أصحابه إلى الحبشة وهجرته ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة، وعن غزواته وأخلاقه ﷺ.

نشاط

فسر لماذا تعد أخبار السيرة المرورية في كتب السنة من حيث الثقة بها في المرتبة الثانية بعد الأخبار التي عرضها القرآن الكريم واكتب تفسير ذلك في دفترك.

ثالثاً : كتب المغازي والسير

تعد كتب المغازي والسير المصدر الثالث لاستمداد سيرة النبي ﷺ، والوقوف على أحداثها، والاطمئنان إليها. فقد كانت وقائع السيرة النبوية روايات يرويها الصحابة، رضي الله عنهم، إلى من بعدهم، وقد اختص بعضهم بتتبع دقائق السيرة، وتفصيلها، ثم تناقل التابعون هذه الأخبار ودونوها في صحائف عندهم، فاعتنوا بها عناية تامة، مثل: أبان بن عثمان بن عفان، رضي الله عنه (٣٢هـ-١٥٠هـ) ومن التابعين وهب بن منبه المتوفى سنة (١١٠هـ). ثم انتقلت العناية بالسيرة إلى من بعدهم، فأفردوها بالتصنيف، ومن أوائل المصنفين ابن إسحاق الذي ألف كتابه (المغازي).

وقد تطور التأليف في السيرة، فاختص بعض الباحثين بذكر بعض نواحيها مثل (دلائل النبوة) للأصبهاني، ولم تنقطع العناية بالتأليف في السيرة إلى يومنا هذا، ولا يزال العلماء يؤلفون في سيرة الرسول ﷺ بأسلوب حديث يتقبله ذوق أبناء العصر، مثل كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) للخضري، وكتاب «فقه السيرة» للمشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وغيرها الكثير.

رابعاً : كتب التاريخ

ولما بعث الله محمداً ﷺ، وظهرت دعوته، ظهر مورد جديد للرواية التاريخية، كانت مادتها أحاديث الصحابة والتابعين، عن ولادته ﷺ وحياته، وما رافق هذه الحياة من جهاد، وصراع مع المشركين. ولأن بعثة النبي ﷺ ودعوته كانت أعظم حدث برز في ذلك الزمن، فقد شكل هذا مادة للتاريخ أولاً، ثم للسيرة ثانياً. ولم يدون في تاريخ العرب أو السيرة شيء إلى أن مضت أيام الخلفاء الراشدين، فلما كانت أيام معاوية، رضي الله عنه، أحب أن يدون في التاريخ كتاباً، فاستقدم عبيد الله بن شرية الجرهمي من صنعاء، فكتب له كتاب «الملوك وأخبار الماضين»، بعد هذا اتجه أكثر من واحد إلى كتابة سيرة النبي ﷺ، فدونوا أحداثها، وتتبعوا أخبارها، وأصبحت السيرة جزءاً مهماً من مادة كتب التاريخ الإسلامي، ولا يخلو كتاب من الموسوعة التاريخية الإسلامية القديمة، كتاريخ الطبري، وتاريخ البداية والنهاية لابن كثير، والكامل لابن الأثير، وغيرها، من جزء من سيرة النبي ﷺ، والباحث فيها يجد أموراً مفصلة، من أحداث السيرة ووقائعها، ابتداءً من ميلاده ﷺ حتى وفاته. لذلك تعد كتب التاريخ أحد المصادر الرئيسة للسيرة النبوية الواردة في كتب الحديث الشريف، لذلك جاءت كتب التاريخ تحمل الأخبار الصحيحة والأخبار الضعيفة والموضوعة، ولذلك لا تؤخذ منها أحداث السيرة النبوية إلا إذا خضعت لمقاييس الجرح والتعديل، التي وضعها علماء الحديث الشريف.

خامساً : كتب التراجم

وهي الكتب التي اختصت بتدوين تاريخ الرجال وسيرهم، خاصة تلك التي اهتمت بتاريخ الصحابة والتابعين، ومن أهمها: كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد، وهو موسوعة تاريخية عظيمة ومصدر مهم في سيرة الرسول ﷺ.

سادساً : الشعر العربي المعاصر لعهد الرسالة

استخدم الشعراء المعادون لدعوة الرسول ﷺ الشعر وسيلة لمهاجمته، ومهاجمة دعوته، مما دعى الشعراء المسلمين للرد عليهم كحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهما، وغيرهما. كما استخدم الشعر بين الطرفين للمتشفى والافتخار بالنصر، ومن أمثلة ذلك شعر هند بنت عتبة في وصفها لفعالها بحمزة عم رسول ﷺ بعد استشهاده في أحد، حيث قالت:

شفيت من حمزة نفسي بأحد	حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذلك ما كنت أجد	من لذعة الحزن الشديد المعتمد
السحب تعلوكم بشؤبوب برد	تقدم إقداماً عليكم كالأسد

وهذه الأبيات تصور حادثة من أحداث السيرة، وقد تضمنت كتب الأدب والسيرة التي صنفت فيما بعد كثيراً من هذه الأشعار، التي يمكن أن يستنتج منها حقائق كثيرة، عن البيئة التي كان يعيش فيها النبي ﷺ، وترعرعت فيها دعوة الإسلام أول قيامها.

تعلم:

الشوئوب: دفقة المطر الشديدة.

برد: أي ذو برد، شبهت الحرب بدفقة المطر الشديدة.

نشاط

ارجع إلى سيرة ابن هشام الجزء الثالث، واستخرج أربعة أبيات من الشعر لحسان بن ثابت يذكر فيها حادثة قتلى بئر معونة.

- ١ - سمّ حدثين من أحداث السيرة تعرض لهما القرآن الكريم بالذكر، ثم اذكر النص الذي يشير إلى ذلك.
- ٢ - علل ما يأتي:
 - أ - ذكر القرآن الكريم أحداث السيرة بشكل إجمالي.
 - ب - عدم إمكانية الاعتماد على القرآن الكريم مصدراً وحيداً للسيرة.
- ٣ - تُعد كتب الحديث النبوي الشريف من مصادر السيرة النبوية، وضح ذلك.
- ٤ - ما الفرق بين تناول القرآن الكريم والحديث الشريف لأحداث السيرة النبوية؟
- ٥ - كيف تعد كتب المغازي والسير من مصادر السيرة النبوية؟
- ٦ - تُعد كتب التاريخ أحد المصادر الرئيسة للسيرة النبوية، بين ذلك.
- ٧ - لِمَ سميت كتب التراجم بهذا الاسم؟
- ٨ - بيّن كيف أن الشعر العربي المعاصر في عهد الرسالة من مصادر السيرة النبوية.
- ٩ - انقل العبارات الآتية إلى دفترتك، وضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
 - أ - أول كتاب في تاريخ العرب دون في عصر:
 - ١ . معاوية بن أبي سفيان.
 - ٢ . مروان بن الحكم.
 - ٣ . عبد الملك بن مروان.
 - ٤ - عمر بن عبد العزيز.
 - ب - صاحب كتاب الطبقات الكبرى هو:
 - ١ . الواقدي.
 - ٢ . ابن سعد.
 - ٣ . الطبري.
 - ٤ . ابن كثير.

تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (١) (رابطة الإسلام هي الأساس في بناء المجتمع)

واجه النبي ﷺ بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة مجتمعاً مكوناً من فئات متعددة هي:

- ١- فئة المهاجرين من قريش، وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، وصاروا بسبب ذلك فقراء، وكانوا من بطون متعددة من قريش.
 - ٢- فئة الأنصار من أهل المدينة، وهم بطون مختلفة أيضاً، وأكثرهم من الأوس والخزرج.
 - ٣- اليهود، وهؤلاء كانوا قبائل متعددة هم بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة.
 - ٤- سكان المدينة المنورة من العرب غير المسلمين.
- ولكي يتمكن النبي ﷺ من بناء مجتمع متماسك له كيان سياسي متميز كتب وثيقة ضمنها القواعد الأساسية اللازمة لبناء هذا المجتمع، ووضع فيها جملة من الحقوق والواجبات الضرورية لحفظ كيانه الداخلي، وأمنه الخارجي، ومن هذه القواعد ما يأتي:

رابطة الإسلام أساس توحيد المجتمع

نصت الوثيقة على أن الإسلام أساس بناء المجتمع الإسلامي الواحد، والأمة الإسلامية الواحدة، وحلت هذه الرابطة الجديدة محل الرابطة القبليّة، ومما جاء فيها:

«هذا كتاب من محمد النبي رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يشرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس»^(١).

إن هذا النص يجعل من المسلمين أمة واحدة يجمع أفرادها الإيمان بالله تعالى، والدين الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ، دون نظر إلى أصولهم القبليّة، أو النسبيّة، وهذا الإعلان يمثل تطوراً كبيراً حسب مفاهيم الاجتماع والسياسة، لأنه يهدف إلى تحويل المجتمع، من جماعات إنسانية مبعثرة، إلى مجتمع سياسي له كيان واحد وغاية مشتركة، يلتقون على أساس شعوري وفكري واحد، التقاء يدخل به المجتمع مرحلة التأسيس والوجود والتميز. وهذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة، وهي ظاهرة يعرفها العرب في تاريخهم لأول مرة. إذ انصهرت بطون قريش في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون، ومن تبع هؤلاء وهؤلاء من القبائل الأخرى، في جماعة المسلمين، وتشكلت من هذا الجمع أمة واحدة هي أمة الإسلام.

ولم تحصر الوثيقة المواطنة في الدولة الإسلامية الناشئة في المسلمين وحدهم، بل نصت على أن اليهود المقيمين في المدينة من مواطني هذه الدولة، فقالت: «يهود بني عوف أمة مع المؤمنين» وقد قررت الوثيقة لبقية طوائف اليهود ما قررته ليهود بني عوف.

(١) السيرة النبوية لابن هشام.

وتبيّن لنا من قراءة نصوص الوثيقة فيما يتعلق باليهود، أن عنصر الإقليم والإقامة المرتبطة به، وخضوعهم لأحكام الوثيقة العامة، هو الذي أعطاهم حق المواطنة، وضمن لهم التمتع بالحقوق التي كفلتها الوثيقة لهم. وقد نظمت الأحكام الشرعية - فيما بعد - أوضاع المسلمين في الدولة الإسلامية، وفصلت ذلك كتب الفقه المختلفة تحت عنوان «أهل الذمة».

وبهذا تكون الوثيقة قد أرست القاعدة الأولى، لبناء المجتمع في الدولة الإسلامية على أساس رابطة العقيدة الإسلامية لدى المسلمين بغض النظر عن أقاليمهم، أو قبائلهم أو لغاتهم أو أصولهم، ورابطة الذمة بالنسبة لغير المسلمين على اختلاف عقائدهم.

١- خصائص الرابطة الإسلامية

تمتاز الرابطة الإسلامية بخصائص عدة منها:

أ- رابطة ربانية: أي أنها من عند الله تعالى، لذلك جاءت منسجمة مع الفطرة الإنسانية قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾^(١)

ب- رابطة إنسانية: لا تضيق بالمخالفين لها في المعتقد، بل تفسح لهم المجال أن يعيشوا مع المسلمين، على أرض الدولة الإسلامية على أساس العدل.

ج- تتسم بالسعة: بحيث تفسح المجال للبشر كلهم أن يعيشوا في ظلها مواطنين، مهما كانت أجناسهم وألوانهم.

نشاط

اذكر خاصية أخرى للإسلام كونه الرابطة الأساسية في بناء المجتمع.

د - قاعدة التقوى هي أساس التفاضل بين أفراد المجتمع الإسلامي.

ولأجل تأكيد شمولية الرابطة الدينية، لم يجعل الإسلام للمعرب ميزة اختصاص بهذا الدين، في مقام انتساب

الناس إليه، بل جعل ميزان المفاضلة قاعدة التقوى، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾^(٢).

كما حارب الإسلام كل ما يضعف هذه الرابطة، أو يعارضها من الدعوات العنصرية أو الإقليمية قال تعالى:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ

أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾^(٣).

وقال عليه السلام: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة»^(٤) وفي حديث آخر قال: «ليس منا...

ومن دعا بدعوى الجاهلية»^(٥).

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٩٢).

(٢) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

(٣) سورة المجادلة، الآية: (٢٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله إذا جاءك المنافقون.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ليس منا شق الجيوب.

٢ - آثار الرابطة الإسلامية

ظهر للرابطة الإسلامية آثار إيجابية عبر التاريخ الإسلامي منها:

- أ - الحفاظ على وحدة الأمة، ووحدة الدولة في فترات طويلة من تاريخ الدولة الإسلامية.
- ب - أنتجت الأمة المسلمة حضارة إنسانية رائعة، أسهمت في تقدم البشرية آنذاك، وكانت أساساً لنهضتها اللاحقة، بسبب دخول شعوب وأمم مختلفة لكل منها خصائص ومميزات وابتكارات في مجالات الحياة المختلفة.

٣- أثر التخلي عن رابطة العقيدة الإسلامية

تسبب التخلي عن رابطة العقيدة الإسلامية والتعصب إلى الروابط القومية والإقليمية والقبلية في تقسيم الدولة الواحدة إلى دويلات، ونفتيت وحدة الأمة إلى شعوب تفتخر بأعراقها، مما أدى إلى ضعف قدرات أمتنا العلمية، والاقتصادية والعسكرية. وضياح أوطانها وحقوقها. وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ وَلَا تَنزَعُوا عَنِ الْأَيِّمِ الَّذِي يَتَّبِعُكُمْ وَلَا تَنزَعُوا عَنِ الْأَيِّمِ الَّذِي يَتَّبِعُكُمْ ﴾ (١)

نشاط

دون في دفترك أثراً إيجابياً آخر للرابطة الإسلامية، وأثراً سلبياً آخر لفقدانها.

الأسئلة

- ١- ما الفئات التي كانت تشكل مجتمع المدينة عند هجرة النبي ﷺ إليها؟
- ٢- كيف تمكن النبي ﷺ من بناء مجتمع متماسك، ذي كيان سياسي متميز في المدينة المنورة؟
- ٣- الإسلام أساس توحيد المجتمع ورابطته التي يقوم عليها، وضح ذلك.
- ٤- ما الذي أعطى اليهود حق المواطنة في الدولة الإسلامية؟
- ٥- بيّن خصائص الرابطة الإسلامية.
- ٦- هات أثرين يترتبان على كون الرابطة الإسلامية هي الأساس في العلاقات الاجتماعية.

(١) سورة الأنفال، الآية: (٤٦).

تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٢) (التكافل والتعاون من سمات المجتمع المسلم)

درست فيما سبق، أن الوثيقة التي وضعها النبي ﷺ قررت وحدة الأمة الإسلامية، على أساس رابطة الإسلام، وأنها بذلك، وحدت الشعور الجماعي عند الأفراد، فأصبح كل فرد يحس أنه عضو في المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا الشعور يدفع الفرد للتفاعل مع الجماعة والأمة التي ينتمي إليها، والإسهام في تحقيق آمالها ومصالحها، ولا يرى لنفسه كياناً دونها، ولا امتداداً إلا بها.

لكن الشعور وحده غير كاف، لأنه لا يسد جوع الفقير، ولا يعين محتاجاً، لذلك تضمنت الوثيقة جملة من الإجراءات العملية، التي تسهم في علاج المشكلات التي تقع بين أفراد المجتمع، ومن تلك الإجراءات التكافل والتعاون، وفي هذا الصدد تقول الوثيقة:

«المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين» وقد كررت الوثيقة الأحكام نفسها مع القبائل التي ذكرتها واحدة واحدة. ومن هذه الأحكام:

١- أقرت الوثيقة بعض الأعراف القديمة، التي كان يتعامل على أساسها العرب قبل الإسلام وربطتها بالقيم الإسلامية إذ نصت على أن المهاجرين من قريش على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، ومعنى هذه العبارة أن المهاجرين وبنو عوف يبقون على الحال التي جاء الإسلام وهم عليها من أعطاء الديات وأخذها.

نشاط

على أي شيء يدللك إبقاء الإسلام على عادة دفع الديات وأخذها كما كانت سائدة في الجاهلية.

- ٢- وتظهر لنا سمة التعاون والتكافل حسب نصوص الوثيقة في دائرتين هما:
- الأولى: دائرة العشيرة: إذ ألزمت الوثيقة كل عشيرة أن تحمي ضعيفها، وتعينه، وأن تفك أسر أسيرها، وتتعاون في دفع ديات قتلاها. والنص السابق ألزم العاقلة بأمرين هما:
- أ- التعاون في دفع ديات القتلى، وذلك لأن نظام الأسرة والقبيلة يقوم بطبيعته على التضامن والتعاون، ومن واجب الفرد في كل قبيلة أن يناصر باقي أفراد قبيلته، ويتعاون معهم على البر دون الإثم.
- وتحميل العاقلة نتيجة خطأ الجاني، يحقق معنى التضامن، والتعاون تحقيقاً تاماً. فكلما وقعت جريمة من جرائم الخطأ، اتصل الجاني بعاقلته، وتعاونوا جميعاً على جمع الدية وإخراجها من أموالهم، وذلك لا يكون إلا في جرائم القتل الخطأ فقط.

أما حكمة مشروعية نظام العاقلة فمردها أن الخطأ في الجريمة غالباً ما يكون سببه الإهمال وعدم الاحتياط، وقد يكون ذلك ناتجاً عن الشعور بالقوة بسبب اتصال الفرد بأسرته وعشيرته، ومن لا عشيرة له يكون في الغالب أكثر احتياطاً ممن له عشيرة، لذلك أوجب الإسلام على العاقلة المساهمة في دفع دية الخطأ في الغالب لعل ذلك يكون دافعاً لها على منع ابنها من التهور، ودفعه إلى مزيد من الحيطة والحذر.

نشاط

اذكر حكمة أخرى لنظام العاقلة.

ب- التعاون في فكك الأسرى: وهذا مظهر آخر من مظاهر التعاون والتناصر. فقد يقع فرد أو أفراد من أبناء قبيلة معينة أسرى حرب، لدى أعداء المسلمين، ولا يطلقون سراحهم إلا في مقابل مال يدفع إليهم، وقد يعجز الأسير أو أولياؤه عن دفع هذا المال، لذلك أوجبت الوثيقة على أفراد القبيلة أن تتعاون في فكك ابنها المأسور، وهذا مقتضى التناصر بينها، لذلك نصت الوثيقة: «وهم يفتدون عانيهم بالمعروف والقسط... وكل طائفة تفدي عانيها».

وقد كان هذا الإجراء ضرورياً في بداية نشوء الدولة الإسلامية، لقلة مواردها المالية، ولأنها في طور نشوئها، وتحتاج إلى كل جهد مالي، حتى تتمكن من مواجهة أعبائها المالية. لكن هذا الأمر لم يعد له وجود بعد أن قويت الدولة وصارت قادرة على التعامل مع حالات الأسر بأساليب متعددة، وأصبح فكك الأسرى من واجباتها ومهماتها الأساسية. ثانياً: دائرة المجتمع: ذكرت الوثيقة صوراً عدة للتعاون بين أفراد العشيرة لا تلغي التعاون العام بل تؤكد وتقويه، وهو أوسع مجالاً، وأشمل لفئات المجتمع، وفي ذلك تقول الوثيقة. «وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل».

والمفرح: هو الشخص الذي يتحمل ديوناً كثيرة بسبب قتل خطأ تلزمه بسببه الدية، أو بسبب فداء أسير أو أسرى له، أو لأي سبب مشروع غير ذلك.

٣- الأولويات في التكافل: لم تذكر الوثيقة التعاون في فكك الأسير، أو دفع دية، بين أفراد المجتمع إلا بعد أن قررت ذلك على أفراد العشيرة أولاً، لأن الواجب لا ينتقل إلى المجتمع إلا بعد عجز عشيرة المثقل بالدين عن الوفاء به، والدولة هي التي تمثل المجتمع، وتنفذ التكافل فيه على نحو يحقق العدل بين أفرادها ولذلك نصت الوثيقة أن يكون ذلك بالمعروف.

تعلم:

ربعتهم: ما استقر لديهم من أعراف حسنة.

العاقلة: من يحمل العقل، أي الدية، وسميت، الدية عقلاً لأنها كانت تدفع عند العرب من الإبل، وكان الجاني يكلف أن يسوق الإبل إلى بيت أولياء المقتول، وهي معقولة: أي مربوطة الأيدي. والعاقلة: هم عصابات الرجل، كابنه وأبيه وإخوانه وأعمامه...

العاني: الأسير.

دوّن في دفترك ثلاث صور للتعاون أو التكافل السائدة بين فئات المجتمع الأردني حالياً.

الأسئلة

- ١- وَصَّح العبارة الآتية: «المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم».
- ٢- كيف حقّق الإسلام التكافل في مجال الأسرة؟
- ٣- كيف حقّق الإسلام التعاون في دائرة المجتمع؟
- ٤- مِنْ أسس التكافل في الإسلام توزيع المسؤوليات، وَصَّح ذلك.

تحليل الوثيقة التي نظرت بها النبي مجتمع المدينة (٣) (المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق العامة والواجبات)

يشكل المسلمون غالبية السكان في الدولة الإسلامية، ويشاركهم الإقامة فيها غير المسلمين، من أهل الذمة، لأن من سمات هذا الدين أن لا يمنع التعايش مع غير المسلمين على أساس من الحق والعدل، وقد أكدت الصحيفة هذا المعنى، فلم تحصر حق المواطنة في المدينة المنورة التي قامت فيها أول دولة للإسلام بالمسلمين وحدهم، بل نصت صراحة على أن اليهود والمقيمين في المدينة المنورة أمة مع المؤمنين، وحددت لهم من الحقوق والواجبات، ما قرّره للمسلمين بصفة عامة فقد جاء فيها:

«وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته». ومعنى يوتغ: يهلك.
وما قرّره الوثيقة لليهود بني عوف قرّره كذلك لكل قبائل اليهود فقالت: «وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف...»
وهكذا حتى شملت جميع قبائل اليهود في المدينة المنورة.

فما الحقوق والواجبات التي أكدتها الوثيقة لتغير المسلمين، ورتبت تبعاتها على جميع أطرافها؟ هذا ما سنجيب عليه في النقاط الآتية:

١- ضمنت الوثيقة لليهود حق التدين حسب شعائر دينهم :

«لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم» فهم أحرار في البقاء على عقيدتهم، وأن الدولة مكلفة بحماية هذا الحق لهم، ومنع التعرض لهم بالإكراه على ترك دينهم ما داموا مقيمين على أرض الإسلام، ويعيشون مع المسلمين في إطار حكم الإسلام وسيادة شرعه.
وهذا الحق كفله القرآن الكريم، ونص عليه في أكثر من آية كقوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١)

وهو ثابت أبداً لكل من يقيم مع المسلمين على أرض الدولة الإسلامية، من غير أهل ملتهم، يهوداً كانوا، أو نصارى أو مجوساً، أو غيرهم. فقد جاء في عهده ﷺ لأهل اليمن: «إنه من كان على يهوديته أو نصرانيته لا يفتن عنها».

وكما أثبتت الوثيقة لليهود، ولكل من يقيم مع المسلمين في الدولة الإسلامية حق الاعتقاد، فإنها أوجبت عليهم في مقابل ذلك أن يحترموا عقيدة المسلمين وأن لا يتعرضوا لها بسوء.

وقد قرّر الإسلام هذا الحق منذ ظهوره، وأقامه على أساس من التسامح والعدل، ورتّب على من ينتهك حرمة عقوبة، فقالت الوثيقة مقررة هذا المبدأ: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٦).

وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته» فمن انتهك حرمة عقائد الآخرين، فإنه يعرض نفسه للهلاك، ويضيع بهلاكه أهل بيته.

إن الإسلام يوم قرّر هذا المبدأ، كان يسود العالم آنذاك موجات من التعصب والاضطهاد للمخالفين في المذهب، حتى ضمن الدين الواحد، أما المخالفون للمعتقد فقد كانوا يتعرضون لموجات من القتل والهلاك، لقد خيّرت الدولة الرومانية رعاياها في فترة من الفترات بين الدخول في النصرانية أو القتل، ولما تبنت المذهب «الملكاني» أقامت المذابح لكل من لا يدين به من المسيحيين اليعاقبة وغيرهم. وما زالت موجات التعصب الديني والمذهبي تسود بقاعاً شتى في العالم ويذهب ضحيتها الآلاف من البشر، لا لشيء إلا لمخالفتهم لهم في الدين.

٢- أرست الوثيقة قاعدة المساواة في الأمن الداخلي

الأمن الداخلي يعني شعور أفراد المجتمع بالأمان على أنفسهم، وأعراضهم وأموالهم، وهذا الحق يثبت لجميع أفراد المجتمع المقيمين على أرض الدولة الإسلامية، مسلمين وغير مسلمين، وحتى يتحقق في الحياة العامة لا بد أن تتعاون فئات المجتمع وطوائفه مع الدولة التي ترعى مصالحهم في إرساء قواعد الأمن. ولذلك نصت الوثيقة على جملة من الواجبات التي ينبغي على أفراد المجتمع القيام بها، والتعاون في تحقيقها ومن أهمها:

أ - التعاون في منع الظلم، والفساد، والعدوان الواقع من الأفراد، وفي هذا تقول الوثيقة: «وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً، أو عدواناً، أو فساداً بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم».

هذا النص يوجب على المؤمنين، أن يتعاونوا كلهم في منع الظلم، وأن يمنعوا الظالم من ظلمه، وأن يقفوا في وجه من يسعى بين أفراد المجتمع بالفساد والعدوان، كائناً من كان، ولو كان ولد أحدهم. كما أن النص لا يحابي أحداً باستثناء خاص، بل يوجب على الجميع حكماً واحداً يرسي مبدأ المساواة، وهو أحد عوامل تحقيق الأمن لجميع أفراد المجتمع.

ب - التكافؤ في الدماء، أثبتت الوثيقة لأطرافها أماناً على أنفسهم، وأموالهم وأعراضهم، ما داموا مقيمين لأحكامها، مراعين للحق والعدل في تصرفاتهم فقالت: «وإنه من خرج آمن، ومن قعدا آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم».

فالنص يثبت عصمة الدماء لكل أطرافها، وحمايتها من العدوان فهم سواء في ثبوت العصمة. وقد قرّرت الوثيقة هذه المساواة في الدماء من وجه آخر فقالت: «وإن المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله» أي يتعادلون في الدماء، إذ النفس البشرية واحدة في منظار الشرع، لها نفس الحرمة والحماية، من غير فرق بين غني وفقير، أو شريف وحقير، أو بين صغير وكبير، أو بين ذكر وأنثى. ج- وجوب القصاص على القاتل في القتل العمد: بعد أن قررت الوثيقة المساواة في العصمة والدماء. ذكرت وجوب القصاص على من قتل غيره عمداً من غير حق فقالت: «وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة، فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه».

وكما أوجبت القصاص في القتل العمد، فقد أوجبت الوثيقة على المؤمنين التعاون في تسليم الجاني للمعداة، وتمكين ولي المقتول من حقه، فإن شاء اقتص منه، وإن شاء عفا عنه.

د - التعاون على منع مثيري الفتن، أكدت الوثيقة على أطرافها التعاون على منع من يثير اضطراباً، أو يثير العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع وأنه لا يحل لأي فرد أن يحمي شخصاً صاحب فتنة فقالت: «وإنه لا يحل لمؤمن أقرب بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً، ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، فمن خالف هذا الحكم، فأوى صاحب الفتنة فإنه مستحق لغضب الله في الآخرة، ولا يقبل الله تعالى منه جزاء جريمته هذه، فداء أو توبة»، وهذا يدل على شناعة هذا الفعل وعظيم جرمه.

هـ - السيادة للمشرع والمساواة أمامه، وحددت الوثيقة أن المرجع في بيان الحق والفصل في الخصومات، هو رسول الله ﷺ، بوصفه أعلم الناس بالشرع، وأعدل الناس في القضاء، كما حددت كذلك القانون الذي يسري على كل نزاع، وأنه شرع الله الثابت بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن حكم الشرع نافذ في كل من يخالف مسلماً أو يهودياً. وما ذكرته الوثيقة في هذا المجال: «وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد» وفي موطن آخر: «وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره».

فهي دولة يحكمها الشرع، وتسري أحكامه على كل مخالف مقيم على أرض الإسلام، وعلى كل من كان طرفاً في هذه الوثيقة، من غير استثناءات، هذا وقد ساوت الوثيقة بين المسلمين واليهود المقيمين معهم في مجتمع المدينة آنذاك فنصت على: «أنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم».

وبهذه المبادئ الراقية تتحقق المساواة بين أفراد المجتمع، وتستقر أمور الجماعة، ويأمن أفرادها.

الأسئلة

- ١- حق المواطنة في الدولة الإسلامية لا يقتصر على المسلمين وحدهم، بيّن ذلك.
- ٢- الحرية الدينية من الحقوق التي منحت لليهود في الدولة الإسلامية، وضح ذلك.
- ٣- ما الأساس الذي قام عليه مبدأ حق الاعتقاد في الإسلام؟
- ٤- عدد ثلاثة من الواجبات التي ينبغي القيام بها لتحقيق الأمن الداخلي في المجتمع؟
- ٥- من مظاهر قاعدة المساواة في الأمن الداخلي المساواة أمام القانون، وضح ذلك.
- ٦- ما مخاطر مثيري الفتن على المجتمع من وجهة نظرك؟
- ٧- ما أهمية التكافؤ في تشريع القصاص من وجهة نظرك؟

تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي
مجتمع المدينة (٤)
(وجوب التعاون في حماية الدولة من العدو الخارجي)

تبين لك في الدرس السابق، كيف أن الوثيقة اهتمت بالأمن الداخلي، فبيّنت الحقوق والواجبات لأطرافها، وفي هذا الدرس نبين ما أوجبه على أطرافها من التعاون على حماية الدولة والمجتمع، من العدو الخارجي، ومما جاء فيها في هذا الموضوع.

«وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم». وهذا النص يقرر أموراً عدة منها:

١- أن أمن المجتمع واحد، وأنه لا يجوز لأحد من أفراد هذا الأمن للمخطر، وبناء على ذلك، فقد حظرت الوثيقة على أي فرد من المؤمنين، أن يسالم عدواً في أثناء القتال في سبيل الله دون علم المقاتلين معه، إذا لزم عن هذه المسالمة تعريض أمن إخوانه للمخطر، أو تضييع مصالحهم، أما إذا كان سلمه لا يؤدي إلي تعريض المقاتلين للمخطر أو تضييع مصالحهم، وأقروه على ذلك فإن عقده مع هذا العدو يعد صحيحاً نافذاً عليهم جميعاً، وهذا يدل عليه قول الصحيفة: «إلا على سواء وعدل بينهم».

٢- أجازت الصحيفة أمان الأفراد، ومعناه: أن يمنح المسلم فرداً من المحاربين غير المسلمين أو أفراداً محصورين منهم أماناً على أنفسهم وبه تثبت عصمتهم ويمتنع قتلهم أو التعرض لهم بسوء، فقالت: «وأن ذمة الله واحدة يجبر عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس».

فإذا أعطى فرد من المسلمين، أماناً لفرد من المحاربين، فإنه يصبح بذلك آمناً، لا يجوز لأي فرد من أفراد المجتمع أو أفراد الجيش أن يقتله، أو يتعرض له بسوء، غير أن ذلك مقيد بعدم الإضرار بالمسلمين، ويفهم هذا القيد من النص السابق «إلا على سواء وعدل بينهم».

٣- منعت الصحيفة إجارة المشرك لقريش وأموالها وأبطلتها فقالت: «وأنه لا يجبر مشرك مالا ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن» ومعنى لا يجبر، أي لا يحمي، بقوله: هو في جوار، أي في حمايتي.

وقد كانت العرب، ولا زالت تستخدم كلمة «هو في جوار» لتأمين الحماية للمستجير فأبطل النبي ﷺ جوار المشرك، في حق قريش خاصة، لأنه لا يتوخي في أمانه هذا مصلحة المسلمين، وبالتالي فلو أجاز فرداً من قريش، أو مالا لها، فإنه باطل، لا يترتب عليه أثر، ولا يحول ذلك دون المؤمنين في مقاومة المعتدين من قريش، أو الاستيلاء على أموالهم، وهم الذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم.

٤- أوجبت الوثيقة على اليهود، أن يكون عدو النبي ﷺ والمسلمين عدواً لهم، خاصة قريش، فليس لهم أن يجيروا قريشاً، ولا من نصر قريشاً.

وقالت الوثيقة «فلا تجار قريش» ولا من نصر قريشاً لأنها حاربت دعوة الله وأذت المؤمنين، وتمنع من أمن بالله أن يمارس حريته الدينية.

- ٥- أوجبت الوثيقة على المسلمين واليهود، أن يتعاونوا في حماية المدينة، والدفاع عنها، ضد كل عدو يحاول دخولها، أو الاعتداء عليهم. وفي هذا تقول الوثيقة: «وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإنّ بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم» وفي موطن آخر «وإنّ بينهم النصر على من دهم يشرب».
- ٦- قررت الوثيقة، أن المسلمين إذا عقدوا صلحاً مع عدو لهم، وكان فيه مصلحة، أو كان فيه دفع مفسدة راجحة، فإن أحكام هذا الصلح وشروطه تسري على اليهود بوصفهم جزءاً من المجتمع في المدينة المنورة، وكذلك فإن اليهود إذا عقدوا صلحاً مع عدو لهم وكان فيه مصلحة ظاهرة لهم، فإن آثاره تسري على المسلمين كما تسري عليهم، وقد نصت الوثيقة على هذا فقالت: «وإذا دعوا إلى صلح يصلحون ويلبسونه^(١) فإنهم يصلحون ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنّه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين». وقول الصحيفة "إلا من حارب في الدين"، قيد على الصلح، وأنه لا ينبغي أن يتم مع من حارب الدين، ومنع دعوة الله من الظهور.
- وهكذا فإنّ الوثيقة قد ساوت بين المسلمين واليهود في الحقوق والواجبات العامة، وجعلت الفريقين أهل ولاء واحد، وعدوهم واحد، ويلزمهم جميعاً التناصر والتعاون حتى يتحقق الأمن والأمان للجميع، فمن حارب فريقاً من أهل المدينة، فقد حارب المدينة كلها.
- وهذه الأحكام قد جرى الاتفاق عليها بين المسلمين واليهود، وعُدّت بمثابة العقد الذي تسري أحكامه على كل من أطرافه، ومن خالفه فقد نقضه واستحق العقوبة.

نشاط

اكتب في دفترك ثلاثة أضرار على المجتمع تنتج من نقض أحد طرفي الوثيقة العقد.

الأسئلة

- ١- اهتمت الوثيقة التي نظمت المجتمع الإسلامي بأمنه الخارجي، هات شاهدين من الوثيقة يدلان على ذلك.
- ٢- قررت الوثيقة أن الأمن الخارجي للمجتمع يجب الحفاظ عليه، وضح ذلك.
- ٣- ما المقصود بالأمان، وما الذي يترتب عليه؟
- ٤- لم منعت الوثيقة إجارة المشركين؟
- ٥- ساوت الوثيقة بين المسلمين واليهود في الحقوق والواجبات، اذكر ثلاثة منها.

(١) أي يشتركون فيه (وهم اليهود).

تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (١)
(من مقاصد الإسلام حماية الأنفس والأعراض والأموال)

حجَّ رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة، وكانت الحجة الأولى والأخيرة في حياته، وحجَّ معه في تلك السنة خلق كثير من المسلمين، بلغ مائة ألف أو يزيدون قدموا من أنحاء الجزيرة العربية ليتعلموا من نبيهم مناسك الحج، ويأتوا به، وخطب فيهم في يوم عرفة خطبة عظيمة، ضمَّنها أهم مبادئ الإسلام التي تحفظ كيان الأمة، وشخصيتها، وتحقق مصالح المجتمع والأفراد، كما هدم فيها أهم قواعد الجاهلية. ومما جاء فيها التأكيد على حماية الأنفس، والأعراض والأموال وصيانتها، وهي أمور لا يقوم كيان مجتمع أو دولة إلا على أساس رعايتها، وصيانتها من الهدم والإفساد، وفي ذلك قال ﷺ: «أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا». وذكر البخاري أن النبي ﷺ خطب الناس يوم النحر في منى وذكر مثل مقالته وزاد فيها «وأعراضكم»^(١). وقد تضمنت هذه الوصية التأكيد على حرمة ثلاثة أمور:

١ - حرمة الأنفس

إن حفظ الأنفس من أهداف الإسلام، ومقاصده الكبرى التي توخاها في تشريعاته، فالحياة الإنسانية لا تتحقق إلا بالحفاظ على النفوس، وقد اتفقت جميع الشرائع الإلهية، والقوانين الوضعية على وجوب صيانتها وحمايتها من الهلاك، وسنت التشريعات التي تحرم قتل الإنسان بغير حق وتعاقب عليه، وتحرم العدوان على أي عضو من أعضاء جسم الانسان. ويظهر ذلك من خلال الأمور الآتية:

أ- جعل الإسلام قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً، وإحياء نفس واحدة كإحياء الناس جميعاً، قال تعالى:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢)

إن هذه الآية الكريمة تبين حرمة النفس الإنسانية، وبشاعة الجريمة في العدوان عليها، ونظراً لهذه الحرمة أراد النبي ﷺ في حجة الوداع أن يؤكد على ملاءمة هذه الجموع الغفيرة فربطها بحرمة شهر ذي الحجة، وحرمة يوم عرفة، وحرمة الكعبة، إذ قال: «أيها الناس أتندرون في أي شهر أنتم، وفي أي يوم أنتم، وفي أي بلد أنتم؟ قالوا في يوم حرام، وشهر حرام، وبلد حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، إلى أن تلقوه».

لقد ربط ﷺ تحريم النفس بأمر معظمة في نفوس المؤمنين، ولقد بين أن حرمتها أعظم منها جميعاً، لأن الزمان والمكان مسخران للإنسان، وخلقاً لأجله.

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.

(٢) سور المائدة، الآية: (٣٢).

إن في تأكيد حرمة النفس على هذا النحو تحريماً للاستهتار بالحياة الإنسانية بالعبث والطيش الذي قد يظهر في حوادث السير المرّوعة، وفي إطلاق النار في المناسبات والأعراس.

ب - جعل الإسلام العدوان على النفس جريمة، ورتب على ذلك عقوبات زاجرة، فقال تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

لذلك أبطل النبي ﷺ عادات الجاهلية كالثأر من غير القاتل، أو قتل أشخاص آخرين مع القاتل مع أفراد قبيلته، أو أقربائه، فقال: «ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا، دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب...».

وبذلك أبطل ﷺ إحدى العادات الجاهلية التي كان يذهب ضحيتها أنفس بريئة ظلماً وعدواناً. وجعل مكان تلك العادة تحت موطئ الأقدام. لأنها أعمال تستنزف طاقات المجتمع وتقوض أمنه وتبعده عن مسارات التقدم الحضاري والإنساني الذي جاء به الإسلام. ونادى به نبيه ﷺ.

نشاط

ماذا تفهم من قوله ﷺ: «وإن أول دم أضع من دمائنا، دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب».

٢ - حرمة الأموال

فقد أكد النبي ﷺ أن للمال حرمة كحرمة الأنفس، إذ جمعها في سياق واحد فقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم».

وقد قرّر القرآن الكريم هذا المبدأ فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ (٢)

فقد نهانا أن ندفع أموالنا للمذين يتصرفون بها خلاف مقتضى العقل السليم، وخلاف مقتضى الشرع لأنها تقوم بها حياتنا. ونهى القرآن الكريم كذلك أولياء الأيتام، أن يدفعوا لهم أموالهم، قبل بلوغهم سن الرشد، لأنهم سيضيعونها، لعدم قدرتهم على التصرف بها، ومن ناحية أخرى فقد أضاف الله تعالى الأموال إلى الأولياء للدلالة على أن هذه الأموال هي من أموال الأمة التي يجب المحافظة عليها.

وهذا المعنى يمكن إدراكه من خلال النظر. فالطعام والشراب، والكساء والسكن كلها أموال، وكلها ضروري للحفاظ على النفس البشرية، والنقود وسيلة لشراء السلع والخدمات وهي ضرورية كذلك، والأموال في خزينة الدولة ضرورية، حتى تتمكن الدولة من القيام بمصالح الناس، والدفاع عنها وحمايتها، لذلك أثبت النبي ﷺ للمال، ما أثبته للنفس من حرمة، وجعل الإسلام حفظه من مقاصده الضرورية، وشرع لذلك وسائل منها:

أ - تنميته وتكثيره بكل الوسائل المشروعة كالتيجارة، والزراعة، والصناعة.

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٩).

(٢) سورة النساء، الآية: (٥).

ب - تحريم إتلافه، أو التسبب في ضياعه، أو الإسراف فيه أو العدوان عليه بالسرقة أو الغصب أو الرشوة أو غير ذلك.

ج- رتب الشارع على كل مخالف لأحكام الشرع، في حفظ المال جزاءات دنيوية كالحجر على السفهاء، وقطع يد السارق، ومعاقبة الغاصب والمرتشى، ومعاقبة قطاع الطرق الذين ينهبون أموال الناس بالقوة.

٣- حرمة الأعراض

عرض الإنسان سمعته وشرفه، وسمعة الإنسان جزء من شخصيته وكيانه، ولذلك أكد النبي ﷺ حرمة الأعراض في سياق خطبته وجعل لها في الحرمة مثل ما جعل للنفس والمال فقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام.....».

وقد جعل الإسلام حفظ العرض من الضروريات، لأن به تحفظ الأنساب، ويحفظ النسل الذي هو سبب استمرار الوجود الإنساني كله. وشرع لذلك من الأساليب التي تكفل بقاء الجيل واستمرار وجوده معافى، سليماً من العلل والأمراض ومن الأساليب التي اتخذها الإسلام لتحقيق ذلك ما يأتي:

- أ - شرع الزواج وسهل السبل إليه، وحث عليه، وهو الطريق الطبيعي لبناء الأسر والمجتمعات.
- ب - شرع جملة من الأساليب الوقائية، التي تمنع الوقوع في جريمة الزنا أو تقلل منها إلى الحد الأدنى، فأمر بستر العورة، وغطس البصر، وحرّم الخلوة، ومنع المرأة من السفر وحدها إلا مع محرم، وحرّم عليها كل عوامل الإثارة كالتبرج وغيره.
- ج- منع الإسلام الوقوع في أعراض الناس بالكلام، كالقذف والغيبة، وجعلها من الكبائر، كما حرّم الزنا.

د - سن العقوبات الرادعة الكفيلة، بمنع الاعتداء على أعراض الناس فقال تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾^(١)

وقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ آَرَأَيْتُمْ بِرَبْعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾^(٢)

فالنبي ﷺ حين حرّم الدماء والأموال والأعراض، إنما أكد على حماية أركان الحياة الإنسانية، والإبقاء عليها سليمة من كل ما يكدرها أو يسيء إليها ليعيش الناس آمنين يحققون وجودهم الحضاري في الحياة.

نشاط

هناك عادات لها آثار سلبية على حياة الأفراد والمجتمعات، اكتب ثلاثة منها، وبين آثارها السلبية على الفرد والجماعة.

(١) سورة النور، الآية: (٢).

(٢) سورة النور، الآية (٤).

- ١- لماذا بدأ النبي ﷺ بالنص على حرمة الأنفس والأموال والأعراض؟
- ٢- ما الأمور التي ضمّنها النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع؟
- ٣- على ماذا يدل اتفاق الشرائع والقوانين كافة على حرمة الأنفس؟
- ٤- اتخذت الشريعة الإسلامية أساليب لحماية الأنفس، بين ثلاثة من هذه الأساليب.
- ٥- حَفِظُ المال من مقاصد الشريعة، وَضَحَّ كيف عملت الشريعة على تحقيق هذا المقصد.
- ٦- لِمَ جعل الإسلام حفظ العرض من الضروريات؟
- ٧- شرع الإسلام من الأساليب ما يكفل بقاء الجيل واستمرار وجوده معافى سليماً، عدّد ثلاثة من هذه الأساليب.
- ٨- لماذا منع القرآن الكريم إعطاء اليتامى أموالهم قبل سن الرشد؟

الدرس الثامن

تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٢) (تحريم الربا)

من الأمور التي تناولها النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع تحريم الربا، وقد عرفت معنى الربا بأنه الزيادة لأحد العاقدين، في عقد المبادلات المالية، من غير أن يكون لها مقابل.
وقد ذكّر النبي ﷺ المسلمين أن الربا من أعمال الجاهلية، التي لا بد لهم من الإقلاع عنها، ولذلك قال ﷺ في خطبة الوداع:

«وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع، ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله».
وبذلك أسقط النبي ﷺ بوصفه نبي هذه الأمة وقائدها ربا الجاهلية، أي كل زيادة شرطت على أصل الدين، ولذلك فلا يكون للمدائن إلا رأس ماله، من غير زيادة، وهذا المعنى هو الذي جاء القرآن الكريم بتقريره فقال تعالى:

﴿ وَإِنْ تَبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾^(١)

وابتداءً ﷺ بإسقاط ربا أقرب الناس إليه عمه العباس بن عبد المطلب، ليكون قدوة في ذلك، وليؤكد أن حكم الشرع يجب أن ينفذ على الجميع، من غير تفریق.

وقد أسقط النبي ﷺ بهذا الإعلان جميع صور الربا، سواء أكان ربا فضل، أم ربا نسيئة.
وهذا النوع من الربا- ربا النسيئة- هو الذي يشيع التعامل به في زماننا هذا من خلال المؤسسات الربوية «كالبنوك»، وهو الذي جاء النص بتحريمه، وخصه النبي ﷺ بالوضع تحت قدميه، وقد شن القرآن الكريم حملة على المتعاملين بالربا، وصورهم بأبشع صورة، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾^(٢)

وهدهم بالحرب إن لم ينتهوا فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴿^(٣)

حرم الإسلام الربا حماية للمجتمع من ظلم المرابين، لأن المستقرض بالربا إما أن يكون فقيراً، أو محتاجاً يريد المال لسد حاجاته، وإما أن يكون غنياً يريد المال لدعم مشروعاته الاقتصادية وتنمية ثروته.
فإن كان فقيراً أو محتاجاً، فإن إقراضه بالربا يضاعف مشكلته، بعد مرور الزمن، وحلول موعد السداد، وإن كان في ظاهره يسد حاجة الفقير العاجلة، لأن الفقير إن عجز عن السداد في الموعد المحدد، وأعطى مهلة

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٧٥).

(٣) سورة البقرة، الآيتان: (٢٧٨ - ٢٧٩).

أخرى، فسيضعف عليه المبلغ، بفرض زيادة أخرى مقابل التأجيل، وهكذا حتى يستسلم في النهاية ويبيع بيته، أو أرضه، أو يسجن.

وهذا الوضع ظلم يأباه الإسلام، ويتنافى مع قيمه وأخلاقه، لذلك حرّم الله الربا وأباح القرض الحسن، وندب إليه، لأنه الحلّ الأعدل والأنسب للمفقر، كما ندب الدائنين إلى إنظار المعسرين من غير زيادة بل ندبهم إلى إسقاط ديونهم، فقال تعالى:

﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۗ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وإن كان الذي يقترض بالربا غنياً، يأخذ المال لاستغلاله في تجارة، أو صناعة أو زراعة فبأي حق يستحق المقرض الزيادة على رأس المال الذي دفعه إلى المقرض؟ إنها مقابل الزمن فقط والزمن لا قيمة له في ذاته، وإنما تقاس قيمته بمقدار الجهد الذي يبذل فيه.

والتاجر حين يبذل جهده في المال يتعرض للربح والخسارة، بينما المرابي لا يتعرض للخسارة أبداً، لأنه يأخذ الزيادة دائماً خسر المقرض أو ربح، وليس في ذلك عدل بل هو ظلم، لذلك منعه الإسلام، وحل المشكلة عن طريق إباحتهم المضاربة.

نشاط

بين المقصود بشركة المضاربة في الإسلام، واذكر صوراً عملية من المجتمع.

لقد أذل الاقتراض بالربا شعوباً ودولاً، حتى فقدت إرادتها السياسية ودفعت قوت شعوبها ثمناً لفوائد القروض، من خلال الضرائب وغلاء الأسعار، وما زال الربا أحد العوامل الرئيسية، في اضطراب الاقتصاد العالمي، من كساد، وتضخم، وبطالة، وهو أحد العوامل التي تؤدي إلى انتزاع الثروة، من أيدي أكثر الناس، وحصرها في أيدي فئة قليلة، هم المرابون، فأبي عدل يمكن تصوره مع وجود هذه الاختلالات. لذلك استحق الربا أن يوضع تحت الأقدام كما فعل به النبي ﷺ.

نشاط

ارجع إلى كتاب الربا لأبي الأعلى المودودي أو غيره، واستخرج ثلاثة أضرار اجتماعية للربا.

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٨٠).

الأسئلة

- ١- عرّف الربا لغة وشرعاً.
- ٢- لِمَ ابتداء النبي ﷺ ياسقاط ربا عمه العباس رضي الله عنه؟
- ٣- الربا في الجاهلية على صورتين، بينهما.
- ٤- أيُّ صورة من صور الربا أكثر شيوعاً في زمننا هذا؟
- ٥- عدد ثلاث من حكم تحريم الربا.
- ٦- كيف عالج الإسلام مشكلة المدين المنسّر؟

تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٣) التوصية بالنساء خيراً وبيان حقوقهن وواجباتهن

كانت تقاليد الجاهلية تقتضي إهمال شأن المرأة، وعدم الاعتراف بحقوقها، ولما جاء الإسلام أعلن إنسانيتها، وقرّر أهليتها الحقوقية كاملة، ودفعها لتكون عنصراً فعالاً في بناء المجتمع ونهوض أبنائه، من غير أن تطالب هي بحقوقها، أو تعقد المؤتمرات لذلك، فعندما ألقى النبي ﷺ خطبته في حجة الوداع، خصص جزءاً منها للحديث عن المرأة الزوجة، فأوصى بها خيراً. وبيّن ما لها من حقوق على زوجها وما عليها من واجبات تجاهه، وكان مما قال في خطبته تلك:

«أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نساءكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن، فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس قولِي...».

والحكمة من تخصيص النبي ﷺ المرأة بالذكر، راجع إلى كون المسلمين لا يزالون قريبي عهد بالجاهلية وتقاليدها، التي لا تعترف للمرأة بحق، وخوفاً من تأثير تلك التقاليد على معاملة الأزواج لزوجاتهم أكد النبي ﷺ ما لها من حقوق، وما عليها من واجبات، وأوصى بها خيراً، نبذاً للجاهلية وتقاليدها العائرة، وتذكيراً بأهمية اتباع تعاليم الشرع.

نشاط

اذكر حكمة أخرى لهذا التخصيص.

ومن أهم المبادئ التي تضمنتها وصية النبي ﷺ بالنساء في خطبة الوداع.

١- لكل من الزوجين على الآخر حقوق وعليه واجبات له، إذ أكد النبي ﷺ في قوله: «فإن لكم على نساءكم حقاً، ولهن عليكم حقاً» أن للأزواج على زوجاتهم حقوقاً، ولهن كذلك عليهم حقوقاً، فالحق لا يستأثر به الزوج دون زوجته، ولا الزوجة دون زوجها، وكل حق ثابت لأحدهما يعد واجباً على الآخر، والحياة الزوجية السليمة لا يقوم بنيانها إلا على أساس من بيان هذه الحقوق، ومعرفة أداؤها، ومتى قامت الحياة الزوجية على أساس احترام كل طرف لآخر، فإن أوضاع الأسرة تستقر، وتصبح الحياة في ظلها أكثر سعادة واطمئناناً لكل أفرادها.

٢- الشرع وحده هو صاحب الاختصاص، في بيان الحقوق الزوجية، لذلك تكفل النبي ﷺ بوصفه مبلغاً عن ربه ببيان أهم هذه الحقوق، وهي كما يأتي:

أ - حق الزوج على زوجته: ذكر النبي ﷺ للزوج حقين على زوجته، وهما واجبان عليها من جانب آخر هما: الحق الأول: أن لا تأذن لأحد بدخول بيت الزوجية، والجلوس فيه، إذا كان الزوج يكره دخوله، أو صارحها بكرهيته لدخوله إلى منزله، سواء أكان المأذون له رجلاً أجنبياً، أم أحد أقارب الزوجة، أو كانت امرأة، فإن عرفت أن زوجها لا يكره دخوله إلى بيته، فإن لها أن تأذن شريطة الالتزام بالضوابط الشرعية. وهذا الحق أثبته النبي ﷺ بقوله: «ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه» إن هذا التوجيه النبوي الكريم يتناسب مع حق الرجل في حمايته لبيته، فقد يرى في إدخال الأشخاص إلى منزله عاملاً من عوامل الخلاف بينه وبين زوجته، أو من عوامل إفساد تربية أبنائه، أو سبباً للريبة والشك، لذلك جعل الإسلام له هذا الحق، حماية للعلاقة الزوجية من كل ما يكدرها.

الحق الثاني: للزوج على زوجته حفظ نفسها، من كل فعل سيء، أو قول سيء، وهذا يتطلب منها المحافظة على طهارتها، وعفتها، وعرضها وسمعتها.

وهذا يقرره قول النبي ﷺ: «وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة» والفاحشة كل فعل أو قول سيء. ومن الأفعال السيئة المقبوحة شرعاً وعقلاً عادة الزنا، أو خروج الزوجة مع الرجال غير المحارم، والخلوة بهم، أو السفر معهم.

ومن الأقوال السيئة: البذاءة في مخاطبة زوجها، أو تحقيره، أو التقليل من شأنه. فالمرأة مأمورة أن لا تأتي بفاحشة طاعة الله تعالى وحفظاً لحقوق زوجها، ولا نتصور أن تقوم حياة زوجية كريمة يهدر فيها هذا الحق، أو يهمل من قبل الزوجة.

ب - حق الزوجة على زوجها: قرّر النبي ﷺ في وصيته بالنساء حقين للزوجة على زوجها هما:

الحق الأول: حق النفقة، فالنفقة واجبة على الزوج للزوجة، سواء أكانت للطعام، أو الكسوة أو السكنى أو غير ذلك، مما تكفلت الشريعة ببيانه، وهذا واضح في قوله ﷺ: «فلهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

وقوله ﷺ: «بالمعروف» يعني أن حقها بالنفقة يكون حسب حال الزوج من فقر أو غنى، وفي تقرير هذا القيد حماية للزوج من طلبات الزوجة المرهقة، وحماية للزوجة من شح الزوج وبخله. وقد قرر القرآن الكريم هذه القاعدة بقول الله تعالى:

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَتْهَا ﴿٣﴾

نشاط

اقرأ نص وصيته ﷺ بالنساء ثم استخرج الحكمة في تكليف الزوج بالنفقة على زوجته، دون أن يكاف الزوجة بالإففاق على نفسها.

(١) سورة الطلاق، الآية: (٧).

الحق الثاني: المعاشرة بالمعروف. والمقصود بها المعاملة وهذا يفهم من قوله ﷺ «استوصوا بالنساء خيراً» والمعاشرة الحسنة حق مشترك بين الزوج وزوجته، غير أن الشرع خاطب الأزواج به، وجعله حقاً للنساء، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) لأنهم القوامون على شؤون زوجاتهم، ولأن سوء العشرة يقع غالباً من الأزواج.

٣- وقد جعل الشرع قيادة الأسرة في يد الزوج، ليتمكن من رعايتها، والمحافظة على استمرارها، ولذلك فقد جعل للزوج صلاحية تأديب الزوجة إذا قصرت في حقوقه وأصرت على التقصير، ولكن الشرع جعل هذا الحق مقيداً إذ يبدأ بالنصيحة وينتقل إلى الهجر في المضاجع، فإن لم تستقم أمورها فقد سمح له الشرع بضربها ضرباً غير مضر بها، من الناحية الجسمية والنفسية، قال تعالى:

﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُسُوزَهُنَّ فِعْظُوهُنَّ وَأَجْرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾^(٢)

٤- بين النبي ﷺ أن مصدر هذه الحقوق والواجبات هو العقد الذي أصبح بموجبه كل منهما حلالاً للآخر، وفي إثبات هذه القاعدة جاء قوله ﷺ: «وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله». ومقصوده أن الزوجة تحل لزوجها بإباحة الشرع، وتشريعه للزواج، وبناء الحياة الزوجية من خلال رابطة العقد، فعقد الزواج هو مصدر الحقوق التي تثبت للزوج على زوجته، وللزوجة على زوجها. وبسببه يثبت نسب الأولاد والتوارث بينهما.

ومعنى ذلك أن كل علاقة تنشأ بين رجل وامرأة أجنبية لا تقوم على أساس عقد الزواج تعد باطلة، ولا يثبت بها حق لأي طرف على الآخر، لأنها علاقة محرمة يستحق فاعلها العقوبة.

نشاط

ضع جدولاً في دفترك ثم بين فيه الآثار الإيجابية لرعاية الأزواج لحقوق بعضهم بعضاً، والآثار السلبية لعدم رعايتها.

الأسئلة

- ١- ما الحكمة من تخصيص النبي ﷺ جزءاً من خطبته للنساء؟
- ٢- ما المبادئ التي تضمنتها وصية النبي ﷺ بالنساء في خطبة الوداع؟
- ٣- أعطى الإسلام الزوج الحق في عدم إدخال بيته من يكره، بين ذلك.
- ٤- من حقوق الزوجة على الزوج حق النفقة، وضح ذلك.
- ٥- قيد النبي ﷺ النفقة على الزوجة بالمعروف، ما فائدة هذا التقييد؟
- ٦- العقد مصدر الحقوق بين الزوجين، وضح ذلك.

(١) سورة النساء: الآية: (١٩).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٤).

تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٤) (طاعة ولاة الأمور وقيودها)

أكد النبي ﷺ في خطبة الوداع مبدأً أساسياً، من مبادئ النظام السياسي في الإسلام وهو وجوب طاعة من له ولاية عامة على المسلمين، كالخليفة، أو رئيس الدولة، أو الأمير، أو الوالي أو القاضي، فقال في عبارة جامعة: «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى».

أولاً : معنى الطاعة المأمور بها

إن معنى قوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا»، الانتباه والمعرفة الواعية للأوامر والنواهي الصادرة عن ولاة الأمر، وتنفيذها على أحسن الوجوه، في السر والعلن، والعسر واليسر، أحبها الناس أم كرهوها، ما لم تكن معصية الله. ومن لوازم الطاعة، عدم الخروج على ولاة الأمر الشرعيين، أو التمرد والعصيان، ما أقاموا شرع الله في الناس، وحكموا بالعدل.

وقد تكون هذه الأوامر أو النواهي الصادرة عن ولاة الأمر، قوانين تحفظ الحقوق العامة، والخاصة للأفراد، أو تعليمات، وسياسات لتدبير مصالح المجتمع، وتحقيق أهدافه، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية أم عسكرية، أم غير ذلك مما فيه خير الناس.

ثانياً : أهمية الطاعة

طاعة ولاة الأمور دعامة من دعائم الحكم في الإسلام، وقاعدة من قواعد نظامه السياسي، وهي ضرورية ليتمكن الإمام وهو رأس الدولة من القيام بواجباته، ولا يتسنى له ذلك إلا بإعانتته من خلال تنفيذ أوامره، كما أنها ضرورية لكي تتمكن الدولة من تحقيق أهدافها، والمحافظة على مصالح أفرادها وحقوقهم، وضمان أمنها الداخلي والخارجي، وما أحسن قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: «لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة» فعدم الطاعة يعرض أمن المجتمع، ومصالحه، وتشريعاته للخطر.

ثالثاً : وجوب الطاعة وأدلة ذلك

نظراً لأهمية طاعة ولاة الأمر، وأثرها في حماية مصالح المجتمع، فقد جاء النداء بها في خطبة الوداع، بصيغة أمر «اسمعوا وأطيعوا» وهذه الصيغة تفيد وجوب الطاعة على الناس، حقاً لولاية الأمور، وأنه لا خيار لهم فيها ما دام ولاة الأمر يقودونهم بالشرع لا بالهوى، وبالعدل لا بالظلم.

وقد أوجب القرآن الكريم والسنة النبوية ذلك في أكثر من موضع ، من ذلك قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٢)

فقد أمر الله تعالى الرعية، على اختلاف فئاتها طاعة أولي الأمر، في أوامرهم ونواهيهم، ما لم يأمروا بمعصية، وأولو الأمر في هذه الآية كل من له ولاية شرعية عامة كالخلفية أو رئيس الدولة، والولاية والأمراء والقضاة. وأما دليل الطاعة من السنة، فبالإضافة إلى ما ورد في خطبة الوداع، من الأمر بالسمع والطاعة، فقد جاءت أحاديث كثيرة بوجوبها، منها: قوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي»^(٢)، وقوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصا أميري فقد عصاني»^(٣).

نشاط

إنتِ بآية كريمة أو حديث نبوي شريف يدلان على وجوب الطاعة للإمام.

رابعاً : سلطة ولاية الأمور ليست مطلقة

حينما أوجب الله عز وجل على الرعية أن تطيع ولاية الأمور لم يجعل هذه الطاعة مطلقة من كل قيد، وذلك لأن الحاكم والمحكوم تجب عليهم طاعة الله في أوامره ونواهيها، وأن السيادة العامة لأحكام الشرع. لذلك قيّد النبي ﷺ وجوب السمع والطاعة لمن يلي أمراً من أمور المسلمين، بإقامة كتاب الله عز وجل فيهم، فقال: «اسمعوا وأطيعوا... ما أقام فيكم كتاب الله» وإقامة كتاب الله في الناس تكون على النحو الآتي:

١- تطبيق أحكامه على الناس في كل شؤون حياتهم، وإلزامهم بها، ومنع الخروج عليها أو مخالفتها، سواء أكانت أوامراً أم نواهي، ومعاينة الخارجين عليها.

٢- استمداد الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ يرجع إليهما العلماء المجتهدون لاستخراج التشريعات المناسبة في مواجهة مشكلات الحياة ومستجداتها، وجعلهما مصدرين يستهدي بتوجيهاتهما ولاية الأمور في رسم السياسات وإصدار التعليمات الزمانية.

وعلى هذا فإن إقامة كتاب الله تعالى في المجتمع واجب على الحاكم، وحق للأمة، لأنها ما أعطته السمع والطاعة إلا ليقوم فيها أمر الله تعالى، فإن أخذها بتشريعات ليست من كتاب الله أو سنة نبيه، ولا تقرها الأصول الشرعية العامة، أو كانت تلك التشريعات تخالف كتاب الله وسنة نبيه، ولا تقرها الأصول الشرعية العامة، أو كانت تلك التشريعات تخالف كتاب الله وسنة نبيه، لم يكن لولي الأمر حق السمع والطاعة، في اتباع تلك التشريعات.

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم يأمر به معصية.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.

ومما يؤكد هذا أن النبي ﷺ قال: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»^(١).

وقد دل الحديث على حكمين شرعيين:

أحدهما: سقوط حق ولي الأمر في الطاعة بما أمر به من معصية.

والثاني: إن من يطع ولي الأمر فيما أمر به من معصية يعد عاصياً، ولو كان ولي الأمر فيما سوى ذلك عادلاً. فلو أمر الحاكم، بإقامة الصلاة في أوقاتها، أو بأداء الزكاة، أو بالعدل، أو بالجهاد في سبيل الله، أو بإتقان الأعمال، وأداء الحقوق، ونحو ذلك من الطاعات، والواجبات وكل ما فيه مصلحة عامة للناس، فإنها تجب طاعته وتعد قربة إلى الله، وتحرم مخالفته.

أما إذا أمر بمعصية، كقتل بريء، أو أكل ربا، أو شرب خمر، أو بطاعة تشريع مخالف لشرع الله، أو نهى عن واجب فرضه الله ورسوله، فلا تجوز طاعته فيما أمر به، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

الأسئلة

- ١- ما المقصود بطاعة أولي الأمر؟
- ٢- ما أهمية طاعة أولي الأمر في استقامة حياة الأمة؟
- ٣- ما حكم طاعة أولي الأمر؟ وما الدليل من القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك؟
- ٤- بم قيّد النبي ﷺ طاعة ولاة الأمور؟
- ٥- كيف تكون إقامة كتاب الله تعالى؟
- ٦- ما الذي تفيد من قوله ﷺ: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»؟

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.

تحليل كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم

استجابة لأمر الله تعالى في تبليغ الدعوة الإسلامية للعالمين، كتب الرسول ﷺ كتباً إلى مختلف الملوك والزعماء في عصره، يدعوهم فيها إلى الإسلام، ونبذ ما هم عليه من العقائد الباطلة، وكان ذلك بعد صلح الحديبية، سنة ست للهجرة. وكان من هذه الكتب كتاب أرسله النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم.

أولاً : نص الكتاب

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ اللهُ أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْعًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١)

ثانياً : موقف هرقل من الكتاب

حمل الكتاب الكريم دحية بن خليفة الكلبي، فانطلق به حتى وصل بلاد الشام، ووافق ذلك أن هرقل كان يهجر إلى بيت المقدس، شكراً لله على ما منحه إياه من نصر على أعدائه الفرس، وهنا تسلم الإمبراطور الكتاب الكريم، فقرأه، ثم عرض على حاشيته اعتناق الإسلام الذي دعاه إليه نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ، ولكنهم هاجوا وماجوا لهذه الدعوة مستنكرين لها فسكتهم، واعتذر عن ذلك بأنه أراد اختبارهم في صلابتهم على دينهم. ثم استدعى هرقل دحية وحاول إيهامه أنه أسلم، وأعطاه قدراً من الدنانير وصرفه، وعاد دحية إلى النبي ﷺ بالنبأ فقال عليه السلام: «كذب عدو الله ليس بمسلم» وأمر بالدنانير فوزعت على المحتاجين.

ثالثاً : الدلالات العامة في كتابه ﷺ

١- في إرساله ﷺ الكتاب إلى هرقل وغيره من الملوك والزعماء في عصره، تأكيد لعموم الدعوة الإسلامية، وأنها ليست خاصة بالعرب وأن تبليغها للرؤساء هو واجب رئيس الدولة وحاكمها، مع كونه واجب الأفراد أيضاً، لأن ما يقبله الرؤساء من بعضهم لا يقبلونه من آحاد الرعية.

(١) سورة آل عمران، الآية: (٦٤).

- ٢- إن تخصيص الزعماء في إبلاغ الدعوة دليل على عدم وجوب تبليغ كل فرد في رعاياهم، لتعذر ذلك من جهة، ولأن كل زعيم مسؤول عن دعوة قومه إلى ما دعي هو إليه، وأخذ رأيهم فيه.
- ٣- يدلنا موقف هرقل مع أتباعه على مدى الاستكبار على الحق والتعننت في الباطل، عند كثير من أهل الكتاب، وأن الدين قد تحوّل في نظرهم إلى عصبية وتقاليد، وأن تمسكهم به لا يعدو عن كونه جزءاً من موروثاتهم. ويدلنا موقف هرقل على أنه أثر ملكه على كل شيء، ولو كان هذا الشيء حقاً يجب اتباعه.

رابعاً : تحليل محتوى الكتاب النبوي

يمكن تحليل محتوى كتاب النبي ﷺ إلى هرقل فيما يأتي:

- ١- تصدير الكتاب بالبسملة، يدلنا على سنة من سنن الإسلام، وهي أن يبدأ المسلم رسائله دائماً بالبسملة، سواء أكان مرسلها إلى أفراد أسرته وأقاربه، أم إلى جهة رسمية، وكذلك أن يبدأ المسلم كل أعماله بالبسملة.
- ٢- ذكر النبي ﷺ لاسمه وصفته، هو من باب التعريف لشخصه وأنه رسول من عند الله وأن مهمته تبليغ ما كلف به من ربه.
- ٣- بيان أدب الإسلام في مخاطبة غير المسلم من جهة، ومراعاة مكانته السياسية والاجتماعية من جهة أخرى، خاصة إذا كان زعيماً، أو ملكاً على قومه، ففي قوله: «إلى هرقل عظيم الروم». إنزال للرجل منزلته التي تليق به، حيث اختاره قومه ليكون عليهم ملكاً وعظيماً، ولم يصفه بالطاغية، ولا بالكافر، بالرغم من أنه على دين دخله التحريف، حتى لا يدفعه ذلك إلى العناد، والاستكبار على الحق.
- وفي قوله ﷺ: «السلام على من اتبع الهدى» تأليف لقلبه واستدراج له حتى يستجيب لدعوته، ولم يقل السلام عليك، حتى يرى منه موقفاً يستحق فيه أن يكون من أهل السلام.
- وفي هذا إرشاد للدعاة في كيفية مخاطبة الزعماء، وكيفية مخاطبة المخالفين لهم في العقيدة.
- ٤- تحديد لمضمون مقصود الكتاب في قوله ﷺ: «أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم»، وهو أنه يدعوه إلى الإسلام، هو الدين الذي جاء به من عند الله، وبيّن في قوله: «أسلم تسلم» أنه يشفق عليه ويرغب فيما فيه مصلحته، فإن نتيجة الإسلام تحقيق السلامة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ثم بيّن أن أجر الحاكم إذا أسلم يضاعف أجره على أجر غيره، لأن يأسلامه تسلم رعيته، لذلك قال في الكتاب: «يؤتلك الله أجرك مرتين». وبالمقابل فإن استكبار الزعيم أو الحاكم عن اتباع الحق يؤثر في رعيته فلا يسلمون، لذلك قال في الكتاب: «وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين».
- ٥- وفي ذكره ﷺ للآية الكريمة في صلب الرسالة: «قل يا أهل الكتاب... الآية»، إشارة إلى مناسبتها لموضوع الكتاب، لأنها تصدرت بخطاب «يا أهل الكتاب» ومن عنده كتاب من الله يعرف حقيقة النبوة، وما تشتمل عليه دعوتهم من الحقائق، فيعرفون من ذلك صدقه من كذبه.
- والحقيقة التي أشارت إليها الآية الكريمة لا يختلف فيها المؤمنون، لأنها مشتركة بين الأنبياء جميعاً، إذ فيها الدعوة إلى عبادة الله، وحمجة لنبذ الشرك، وأن لا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، وبهذا جاء موسى وعيسى، وإخوانهم من الأنبياء قبلهم عليهم الصلاة والسلام.

- ١- لِمَ أرسل النبي ﷺ الكتب إلى زعماء الأرض؟
- ٢- بين موقف هرقل من كتاب النبي ﷺ.
- ٣- ما الدلالات العامة المستفادة من كتابه ﷺ إلى هرقل؟
- ٤- تضمنت رسالة النبي ﷺ إلى هرقل أدباً من آداب الإسلام في مخاطبة الآخرين، بين ذلك.
- ٥- اشرح قوله ﷺ: «أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين».
- ٦- ما الحقيقة التي أشارت إليها الآية الكريمة:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١)؟

(١) سورة آل عمران، الآية: (٦٤).

طبيعة العلاقة بين اليهود والمسلمين زمن النبي ﷺ

مر بك أن النبي ﷺ وضع وثيقة لتنظيم العلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها، بين فيها الحقوق والواجبات على الطرفين فكيف صارت العلاقة بينهم بعد ذلك؟ هذا ما سنجيب عنه في الدروس الآتية: تخبرنا كتب السيرة أن علاقة اليهود بالمسلمين مرت في ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الهدنة المشوبة بالحذر.

الثانية: مرحلة الحرب المعنوية والنفسية.

الثالثة: مرحلة الصراع المسلح.

أولاً: مرحلة الهدنة المشوبة بالحذر

لقد ساد العلاقة بين المسلمين واليهود نوع من السلم المؤقت، في أعقاب هجرة النبي ﷺ، وبعد كتابة الوثيقة التي نظمت العلاقة بين المؤمنين واليهود. فقد اتصل النبي ﷺ باليهود ودعاهم إلى الإسلام استجابة لأمر الله في وجوب تبليغ دعوته للناس كافة: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(١) ولم يستجب له منهم إلا نفر قليل، منهم عبد الله بن سلام، رضي الله عنه، بالرغم من أنهم أهل دين إلهي له امتداد تاريخي، ويعرفون معنى النبوة، وخصائصها وصفاتها، ويدركون الحقائق الاعتقادية المشتركة بين أهل كل الديانات، ويستطيعون من خلال ذلك كله أن يتبينوا صدق النبي ﷺ من كذبه، ولكنهم أصموا أذانهم دون دعوته ﷺ، فلماذا لم يؤمنوا مع توفر دواعي الإيمان بهذا النبي؟ ولماذا أنكروا الحقائق الناطقة بها كتبهم؟ ويمكن رد ذلك إلى عاملين:

- ١- حبههم للدنيا وحرصهم على متاعها، والتشبث بالمركز التجاري والسياسي الذي كان لهم في المدينة المنورة، وللضرر الذي أصابهم بذهاب سيادتهم على المدينة، إذ كانت سياستهم التفريق بين الأوس والخزرج لتبقى السيادة لهم على المدينة المنورة من الناحية السياسية.
- وكانوا يبيحون لأنفسهم الحصول على المال، بشتى الطرق، بأكل الربا والسحت، وصنع الخمر والاحتكار، ولذا رأوا في الإسلام عدواً لهم، لأنه سيحرمهم هذه الامتيازات التي حازوها بالمنكر والخديعة لتثبت لهم السياسة الاقتصادية.
- ٢- طبيعة اليهود وتكوينهم الفكري والثقافي والسلوكي، فهم مثلاً أصحاب طبيعة منغلقة على ذاتها، يشعرون بالتفوق على سائر أجناس البشر، وهذا يتناقض مع سمة الإسلام الذي يدعو إلى الإخاء والمحبة والمساواة.

(١) سورة الاعراف، الآية: (١٥٨).

وفي اليهود صفات أخرى متأصلة فيهم تتناقض مع مبادئ الإسلام وقيمه العليا، مما يشكل أحد العوامل التي منعتهم من الاستجابة لدعوة النبي ﷺ.

لكن مع عدم استجابتهم لنداء الإيمان فقد مالوا في أول أمرهم إلى مسالمة النبي ﷺ لأن من مصلحتهم أن لا يتولوا بأنفسهم مقاومة المسلمين، لأن قريشاً ما زالت على قوتها، قادرة على حرب المسلمين فألقوا تبعه الصراع عليها، وظلوا هم يرقبون الأوضاع، ويخططون في ضوء نتائجه.

ولكن هذه الفترة الزمنية لم تطل حيث أظهر اليهود العدواة للنبي ﷺ، ووقفوا إلى جانب الوثنية، وامتدحوا أصنامها، ونأوا عن التوحيد الذي دعاهم إليه، وقالوا: ﴿ هَذَا مَا أَدْعَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلاً ﴾ (١)

نشاط

ابحث في سورة البقرة، واستخرج أربع آيات تذكر أربع صفات لليهود، ودونها في دفترك.

ثانياً : مرحلة الحرب النفسية والمعنوية

بدأ اليهود بعد فترة السكون والترقب الأولى ينشرون الشكوك حول نبوة النبي ﷺ وحول الإسلام الذي جاء به، واستخدموا في سبيل ذلك أساليب متعددة نذكر منها ما يأتي:

١- إلقاء الأسئلة على الرسول ﷺ لإحراجة: فقد كان أحبار اليهود يوجهون الأسئلة التعجيزية إلى رسول الله ﷺ ويظنون أنهم يصلون إلى حد إظهار عجزه عن الإجابة، يقصدون من وراء ذلك تكذيب نبوته أمام الناس، ولكن الله تعالى كان يكتبهم بما يوحي إلى رسوله ﷺ من الإجابة عن كل سؤال يسألونه. فقد سألوا رسول الله ﷺ وقالوا له: يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل الله يكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله تعالى في ذلك:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِلُنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ نَشَبِهَتْ قُلُوبَهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢)

٢- استخدام الجدل: من المعروف عن اليهود أنهم أهل جدل، فقد أتعبوا أنبياءهم بمجادلتهم، ومواقفهم في ذلك مع نبي الله موسى عليه السلام مشهورة معروفة.

وقد بدأوا حرب الجدل مع النبي ﷺ لإضعاف موقفه، والتشكيك في دعوته ومن الأمثلة على ذلك جدالهم في مسألة النسخ، واستنكارهم أن يبدل الله آية مكان آية، أو حكماً بحكم، وقالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر، ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، ما هذا من شأن الأنبياء، وما هذا القرآن إلا من كلام محمد، فأنزل الله تعالى يرد عليهم فريتهم بقوله:

(١) سورة النساء، الآية: (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١١٨).

﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْمِئَتْهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

٣- الخداع والتلبيس: استخدم اليهود أسلوب الخداع والتلبيس بقصد التشكيك في الإسلام ونبوة محمد ﷺ، فكانوا يظهرون إسلامهم لفترة من الوقت، ثم يرجعون عنه بعد ذلك، إلى الكفر، لتشجيع المسلمين على الارتداد عن دينهم، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الصفة منهم فقال الله تعالى:

﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢)

٤- استهزاءهم بالدين وشعائره: اتبع اليهود طريقة الاستهزاء بالإسلام والسخرية من شعائره وعباداته، وقد فضح الله مسلكهم في كتابه، ونهى المؤمنين عن موالاتهم ومصادقتهم، فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

نشاط

ارجع إلى سيرة ابن هشام واستخرج منها أسلوبيين آخرين من أساليب اليهود في التشكيك بالإسلام.

ثالثاً : مرحلة الصراع المسلح

١- نقض اليهود للعهد

لم يحدث المسلمون أنفسهم بنقض عهودهم مع اليهود، ولا فكروا في طردهم من أرض الجزيرة العربية بل على العكس، توقع المسلمون منهم أن يكونوا عوناً لهم في حرب الوثنية، وتدعيم عقيدة التوحيد، وهذه المشاعر الحسنة تتماشى مع القرآن النازل يومئذ، يؤسسها ويؤكد لها، قول الله تعالى:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (٤)

بيد أن اليهود كانوا أسوأ ظناً، فلم تمض أيام على انتصار المسلمين في بدر حتى راحت قبائلهم تنقض عهودها، وتخون موثيقها، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد مع النبي ﷺ ثم بنو النضير، وكان آخرهم بنو قريظة في غزوة الأحزاب.

(١) سورة البقرة، الآية: (١٠٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٧٢).

(٣) سورة المائدة، الآيتان: (٥٧-٥٨).

(٤) سورة الرعد، الآية: (٤٣).

ويلاحظ أن نقض المعاهدات هو أحد سمات اليهود، وقد نبه القرآن الكريم الى هذه الخصلة فيهم، فقال سبحانه .

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾^(١)

وقال عز وجل : ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَاهِدًا نَبَذُوا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢)

٢- تعاون اليهود مع أعداء المسلمين وتحريضهم على قتالهم

لم يكتف اليهود بنقض عهودهم مع المسلمين ولكنهم تعاونوا مع الأعداء من قريش وغيرها من القبائل العربية ضد المسلمين، وحرّضوهم على قتالهم، ومما يدل على ذلك الأمثلة الآتية:

أ - أن أبا سفيان ومعه رجال من قريش قدموا المدينة بعد هزيمة قريش في بدر لينتقموا من المسلمين ووصلوها ليلاً، فاستقبلهم سلام بن مشكم وهو أحد زعماء بني النضير في بيته، وأعلمهم أخبار المسلمين، وأرشدهم إلى نقاط الضعف في حراسة المدينة، فأغار أبو سفيان ورجاله على ناحية من نواحيها فتبعهم المسلمون ففروا هاربين.

ب - ومن ذلك أيضاً، أن نفرًا من زعماء يهود بني النضير خرجوا حتى أتوا مكة فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا سنكون معكم حتى نستأصله، واتفقوا معهم على حرب المسلمين، وتواعدوا لذلك.

ثم خرج أولئك النفر حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشاً إليه، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم على ذلك، ثم التقوا بني فزارة وبني مرة، وتمّ لهم مع هؤلاء مثل ما تمّ لهم مع قريش، وتواعدوا في الزمان والمكان لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين، وجمعوا أحزاب الشرك، والكفر لقتال النبي ﷺ في المدينة المنورة، فكانت غزوة الأحزاب التي انتصر فيها المسلمون بإذن الله تعالى .

وقد يتساءل المرء لماذا تظاهرت اليهودية والوثنية ضد الإسلام وأهله؟ ولمصلحة من يقع هذا؟ إن اليهود ينظرون إلى الدنيا والدين من خلال منافعهم الخاصة، وذلك ما حدا بهم إلى مقاومة الإسلام بعنف، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾^(٣)

(١) سورة الأنفال، الآيتان : (٥٦، ٥٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٠٠).

(٣) سورة هود، الآية: (١٠٢).

- ١- هناك عاملان دفعا اليهود إلى عدم الإيمان برسالة الإسلام، وضحهما.
- ٢- ما الذي ترتب على فضح القرآن مواقف اليهود؟
- ٣- تُعدُّ طبيعة اليهود سبباً رئيساً لعدم الإيمان برسالة الإسلام، وضح ذلك.
- ٤- لماذا مال اليهود في بداية الأمر إلى مسالمة النبي ﷺ؟
- ٥- استخدم اليهود أساليب متعددة لإثارة الشكوك في الإسلام ونبوة الرسول ﷺ، عدّد ثلاثة منها.
- ٦- لِمَ كان اليهود يطرحون أسئلة يريدون بها إحراج النبي ﷺ؟ أعط مثلاً على ذلك.
- ٧- علام يدل استخدام اليهود طريقة التشكيك في الإسلام؟
- ٨- الاستهزاء بالدين وشعائره من أساليب الحرب النفسية التي اتبعها اليهود مع المسلمين، بيّن ذلك.
- ٩- من المسائل التي جادل فيها اليهود النبي ﷺ مسألة النسخ:
 - أ - اشرح هذه المسألة.
 - ب - بيّن رد القرآن الكريم فيها.
- ١٠- استنتج أثرين في نفس الإنسان ينتجان من التشكيك بقناعاته.
- ١١- كيف وظّف اليهود أسلوب الخداع للتشكيك بالإسلام؟
- ١٢- ما الذي ترتب على مرحلة الصدام العسكري بين المسلمين واليهود؟
- ١٣- قام اليهود بأعمال خالفت الاتفاق الذي أبرموه مع النبي ﷺ، اذكر اثنين من هذه الأعمال.
- ١٤- اذكر حادثة تبين فيها تعاون اليهود مع أعداء المسلمين.
- ١٥- اذكر حادثة تبين فيها تحريض اليهود أعداء المسلمين على المسلمين.



التحريف بأبرز كتب السيرة النبوية

الدرس
الثالث عشر

أولاً : السيرة النبوية لابن هشام

١- تعريف بالمؤلف ابن هشام

أ - نسبه: هو أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري، ولد في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .
ب- نشأته وعصره: نشأ ابن هشام في البصرة، ثم نزل مصر، وعاش في منتصف القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث الهجري، في بداية قيام الدولة العباسية .

وقد اتسم هذا العصر بمميزات عدة من أهمها :

١- شيوع كتابة العلم وتدوينه بعد أن كان ينقل بالرواية .

٢- تفرّق العلماء في الافاق لتعليم الأمة وتهذيبها، وتبع ذلك الرحلة في طلب العلم من مكان إلى آخر تبعاً لوجود العلماء، فانتشر التعليم وعمّ، وكثر العلماء كثرة واضحة .

٣- ظهور التخصصات في العلوم المختلفة مثل الفقه والحديث والسيرة والتاريخ .

٢- منزلة ابن هشام وآثاره العلمية

لقد كان لعصر ابن هشام وبيئته، أثر واضح في تكوينه وبنائه العلمي، فقد كان إماماً في النحو واللغة العربية، وله أكثر من مؤلف منها: «التيجان لمعرفة ملوك الزمان» وهو كتاب مطبوع، ومنها كتاب السيرة المنسوب إليه «سيرة ابن هشام» .

٣- محتوى كتاب سيرة ابن هشام

تناول ابن هشام في كتابه ثلاثة أمور:

١ . المبتدأ: وقد تحدث عن التاريخ الجاهلي . فذكر نسب الرسول ﷺ وتاريخ اليمن في الجاهلية، وتاريخ

القبائل العربية وعباداتها، وتاريخ مكة وأجداد النبي ﷺ .

٢ . المبعث : ويشمل حياة النبي ﷺ، في مكة والهجرة، وترى المؤلف فيه يصدر الأخبار الفردية بإيجاز،

ويدون مجموعات كاملة من القوائم، فقائمة لمن أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر، وأخرى بالمهاجرين

إلى الحبشة، وثالثة لمن عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة وغيرها، ويعنى بالترتيب الزمني

للحوادث وتزداد عنايته بأسانيد الأخبار .

٣ . المغازي: وفي هذا تناول المصنف حياة النبي ﷺ في المدينة، وكان يبدأ الخبر بموجز حاوٍ لمحتوياته،

ثم يتبعه بخبر من جميع الأقوال التي أخذها من رواته، ثم يكمله بما جمعه هو نفسه من المصادر المختلفة،

وتكثر القوائم في هذا القسم من السيرة أيضاً من الغزوات، المختلفة، ويلتزم إيراد الأسانيد والترتيب الزمني.

٤ - قيمة كتاب سيرة ابن هشام

يُعد كتاب سيرة ابن هشام من المصادر الأساسية في سيرة النبي ﷺ، ولا يستغني عنها باحث أو مؤرخ في السيرة، وقد تلقت الأمة هذا الكتاب بالقبول ولا تكاد تخلو منه مكتبة عربية أو إسلامية.

ثانياً : زاد المعاد في هدي خير العباد

١ - التعريف بمؤلف هذا الكتاب

هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اشتهر بابن قيم الجوزية لأن أباه كان في دمشق قيماً على مدرسة الجوزية.

أ - نشأته وعلمه: ولد ابن القيم سنة (٦٩١هـ) في بيت علم وفضل، وقد تلقى العلم على أبيه، ودرس العلوم الشرعية المختلفة، كالفقه والأصول، والعربية والحديث وغيرها.

تتلمذ ابن القيم على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولازمه زهاء أربعين سنة، وأخذ عنه معظم علمه، وترك في نفسه أكبر الأثر، وتتلمذ على يديه خلق كثير، منهم الحافظ ابن كثير، وغيره، وكانت وفاته عام (٧٥١هـ).

ب - عصر ابن القيم وبيئته العلمية: عاش ابن القيم في بيئة علمية كان لها أثر كبير في توجيهه، وبناء شخصيته العلمية، فقد كانت مصر والشام تعجان بدور العلم التي تدرس علوم الشريعة المختلفة، وكان لتحفيظ القرآن وقراءته معاهد، وللحديث وعلومه مدارس، وللمذاهب الفقهية صروحها ورجالها، واشتهرت المساجد بحلقات العلم كمسجد عمرو بن العاص، والجامع الأزهر، وجامع ابن طولون في مصر.

وشهد له العلماء بالفضل، والمعرفة والحكمة، له مؤلفات عدة في أكثر من موضوع، فله في الفقه «أعلام الموقعين عن رب العالمين»، و«الطرق الحكمية» وله في السيرة «زاد المعاد في هدي خير العباد».

٢ - وصف كتاب زاد المعاد في هدي خير المعاد

يقع زاد المعاد في أربعة أجزاء، أما الجزء الأول فقد بين فيه ابن قيم الجوزية نسب النبي ﷺ، وأحواله الخاصة وعبادته.

أما الجزء الثاني والثالث فقد خصصهما ابن القيم لـ:

أ - العبادات والعبادات وسيرته ﷺ مع الكفار، والجهاد، والغزوات.

ب - الوفود التي قدمت إلى النبي ﷺ في المدينة المنورة وكيفية استقباله لهم، والكتب التي وجهها إلى الملوك والزعماء المعاصرين له يدعوهم فيها إلى الإسلام.

ج - في أمراض القلوب والأبدان، وأساليب الوقاية من الأمراض، وطرق علاجها، والعبادات الصحية، في المطعم والمشرب، والملبس والمسكن، والنوم والمقظة والرياضة، ومعاشرة الزوجة.

د - أفضيته ﷺ وأحكامه، في الجنائيات، والغنائم، والحزبية.

أما الجزء الرابع فقد أكمل فيه حديثه عن أحكامه ﷺ وقضائه في النكاح وتوابعه، والطلاق وآثاره ومتعلقاته، والبيوع ما يجوز فيها وما لا يجوز.

٣- غرض ابن القيم من تأليف كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد»

هذا العنوان يشير بوضوح إلى أن ابن القيم رحمه الله قصد من تأليفه الكتاب هداية النفوس، ودعوتها للخير، من خلال التأسّي بسيد الخلق محمد ﷺ ولم يقصد الأحداث التاريخية لذاتها، لذلك جاءت عناوين الكتاب في فصوله وأبوابه مشيرة إلى هذا المعنى.

٤- منهج ابن القيم في كتابه زاد المعاد

يعكس الكتاب ملامح ابن القيم في كل كتبه فهو يذكر الحادثة أو الواقعة من هديه ﷺ ثم يستشهد عليها بالنصوص، ويحشد لها من الروايات الواردة فيها ويمحصها قبل الأخذ بها، ويعرض آراء الفقهاء ثم يرجح ما يؤيده الدليل الصحيح.

ويشير عند اختلاف الروايات إلى أن ذلك من أسباب اختلافهم، ويذكر معتمد كل فقيه من تلك الروايات. وحين يذكر هدي النبي ﷺ في عباداته، وعاداته، ومعاملاته، وغزواته، وسيرته في المشركين وأهل الكتاب، وفي الطب والرقي يذكر الجزئيات، ويفصّل فيها، ويستطرد بذكرها، ويستنبط الأحكام الشرعية منها والفوائد والحكم والغايات المحمودة من غير تكلف، أو تحميل للكلام أكثر مما يحتمل.

ثالثاً : السيرة النبوية لابن كثير

١- محتوى السيرة

شغلت السيرة نحو ثلاثة أجزاء من كتاب البداية والنهاية، من أواخر الجزء الثاني حتى أواخر الجزء الخامس، فهي بذلك موزعة بين أربعة أجزاء وقد أفردتها المحقق د. مصطفى عبد الواحد في أربعة أجزاء. تناول الجزء الأول أخبار العرب وأنسابهم في الجاهلية، وبعض الأحداث التي وقعت في زمنهم، وذكر فيه نسب النبي ﷺ، ومولده ونشأته، وذكر شيئاً من البشارات ببعثته وكيفية بدء الوحي، والدعوة في بداية أمرها. وتناول الجزء الثاني هجرة النبي ﷺ، إلى المدينة وما قام به من أعمال بعد قدومه إليها، وغزواته، والأحوال التي مر بها المسلمون خلال ذلك.

والجزء الثالث: تناول بقية غزواته ومراسلاته للملوك والأمراء، وعن الوفود التي قدمت عليه، ﷺ. والجزء الرابع: تحدث فيه عن حجة الوداع، ومرضه ووفاته، وذكر أزواجه وكتّاب الوحي، وشمائل النبي ﷺ، ودلائل نبوته، فجاءت السيرة شاملة لحياة النبي ﷺ العامة والخاصة.

٢- منهج ابن كثير في سيرته وخصائصها

إن أول ما تلمسه في السيرة لابن كثير، أنه اهتم بالرواية وبالأسانيد، وهو يحرص على جمع كل ما كتب في الموضوع الذي يتناوله، ولكنه لا يدمج الأحاديث والأخبار بعضها في بعض. وفي مجال الأخذ عن غيره، نجد ابن كثير ينقل عن بعض كتب السيرة المفقودة مثل كتاب ابن إسحاق، وابن

عقبة، ويضيف إليه ما رواه عن أهل الحديث في الموضوع، كما أنه ينقل أيضاً عن بعض شروح السيرة مثل «الروض الأنف» للمسهلي، و«الشفاء» للقاضي عياض، ويستشهد بالشعر الذي يذكره ابن هشام في سيرته لكنه يختصر كثيراً منه ويهمل بعضه.

وبالرغم من إهمال ابن كثير وتركه للكثير من الأخبار الضعيفة، إلا أن سيرته لم تخل من بعض المرويات الضعيفة وإن كان يذكر الأسانيد ويعلق على بعضها، بما يضعف جانب الخبر كقوله «غريب جداً».

إن سيرة ابن كثير جهد مميز قام به ابن كثير، رحمه الله، مازجاً بين أخبار السيرة ومرويات الأحاديث، فسن بذلك نهجاً جديداً، لم يكن أحد من قبله قد اهتم به، وجمع كل ما أمكنه في هذا المجال، فوضع أمام طلبة العلم مادة وافية تمكنهم من الدراسة والإحاطة بسيرة الرسول ﷺ.

الأسئلة

- ١ - عرّف بابن هشام من حيث، واسمه، ونشأته، ومنزلته العلمية.
- ٢ - وضح مميزات عصر ابن هشام.
- ٣ - بين قيمة سيرة ابن هشام بين كتب السيرة الأخرى.
- ٤ - عرّف بابن قيم الجوزية من حيث مولده، ووفاته، وتعلمه، وسبب تسميته بهذا الاسم.
- ٥ - تحدث عن البيئة العلمية في عصر ابن القيم وأثرها عليه.
- ٦ - وضح غرض ابن القيم من تأليف كتاب زاد المعاد.
- ٧ - بين منهج ابن قيم الجوزية في تأليف كتابه زاد المعاد.
- ٨ - وضح أربعة من الأمور التي تناولها ابن القيم في كتابه زاد المعاد.
- ٩ - اذكر ثلاث ميزات لسيرة ابن كثير.
- ١٠ - بين مدى تأثر ابن كثير بطابع عصره من خلال منهجه في سيرته.
- ١١ - سمّ كتابين مهمين من كتب ابن كثير.

قائمة المراجع والمصادر

- ١ - أحمد بن حنبل، المسند، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٢ - أحمد سالم ملحم، بيع المرابحة، مكتبة الرسالة، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.
- ٣ - أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م.
- ٤ - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الجيل، بيروت.
- ٥ - بدران أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، نشر مؤسسة شباب الجامعة.
- ٦ - بكر أبو زيد، التقنين والإلزام - ضمن فقه النوازل - مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
- ٧ - الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- ٨ - ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار المعارف، مصر.
- ٩ - حسين حامد حسان، حكم الشريعة في عقود التأمين، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦ م.
- ١٠ - حسين محمد الشرقاوي، المسلمون علماء وحكماء، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- ١١ - أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت.
- ١٢ - الدمرداش سرحان، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة مؤسسة الحق، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- ١٣ - زكي الدين شعبان، أصول الفقه الإسلامي، طباعة دار القلم، بيروت، منشورات جامعة بنغازي، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤ م.
- ١٤ - سعيد حوى، الله جل جلاله، دار الدعوة، بيروت، ١٩٦٩ م.
- ١٥ - سعيد حوى، الرسول ﷺ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ / ١٩٨٧ م.
- ١٦ - سيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٧ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٣٩١هـ / ١٩٨٧ م.
- ١٨ - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٨٩هـ / ١٩٨٧ م.
- ١٩ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م.
- ٢٠ - صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢ م.
- ٢١ - صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٧٣ م.
- ٢٢ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن الكريم، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.

- ٢٣ - عبد الحميد السائح، عقيدة المسلم وما يتصل بها، وزارة الأوقاف، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م.
- ٢٤ - عبد الرحمن حَبَنَكَة، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م.
- ٢٥ - عبد الرزاق نوفل، الله والعلم الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ٢٦ - عبد الستار أبو غدة، بحوث في الفقه الطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ٢٧ - عبد السلام العبادي، الإيمان بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، عمان.
- ٢٨ - عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٧٦ م.
- ٢٩ - عبد الله العمري، تاريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.
- ٣٠ - عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الإسلامية.
- ٣١ - عدنان زرزور، مقالة في المعرفة، مكتبة دار الفتح، دمشق.
- ٣٢ - عدنان زرزور، علوم القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.
- ٣٣ - ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.
- ٣٤ - علي الحسيني الندوي، السيرة النبوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة.
- ٣٥ - علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، مطبعة أحمد مخيمر، مصر، نشر دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧ م.
- ٣٦ - عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٣ م.
- ٣٧ - عمر سليمان الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢ م.
- ٣٨ - عمر يوسف حمزة، دراسات في أصول التفسير ومناهجه، الدوحة، قطر، شركة سعيد رأفت للطباعة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.
- ٣٩ - غازي حسين عناية، مناهج البحث العلمي في الإسلام، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.
- ٤٠ - فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، دون سنة طبع.
- ٤١ - القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ٤٢ - ابن قيم الجوزية، محمد بن بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية، القاهرة.
- ٤٣ - ابن كثير، إسماعيل بن عمرو القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ٤٤ - ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩ م.
- ٤٥ - ابن كثير، السيرة لنبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٦ - ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح، مصر.
- ٤٧ - ماجد أبو رحية، حكم التسعير في الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
- ٤٨ - ماجد أبو رحية، الاحتكار، مكتبة الأقصى، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.
- ٤٩ - ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، المكتبة العلمية، بيروت.

- ٥٠ - مالك بن أنس، الموطأ.
- ٥١ - محمد أديب صالح، لمحات في أصول الحديث، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.
- ٥٢ - محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، دار المنار، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٥٣ - محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٥٤ - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، طباعة ونشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
- ٥٥ - محمد الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٧٦م.
- ٥٦ - محمد أبو زهرة، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر.
- ٥٧ - محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الفقهية، مطبعة المدين، القاهرة.
- ٥٨ - محمد أبو زهرة، أبو حنيفة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٥٩ - محمد أبو زهرة، أحمد بن حنبل، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٦٠ - محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ٦١ - محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينات الكونية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٦٩م.
- ٦٢ - محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، الطبعة الثانية.
- ٦٣ - محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، نشر المؤلف نفسه، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- ٦٤ - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر.
- ٦٥ - محمد عبد القادر أبو فارس، في ظلال السيرة النبوية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ٦٦ - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار النصر الحديثة، الرياض.
- ٦٧ - محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن.
- ٦٨ - محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث: علومه ومصطلحاته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.
- ٦٩ - محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ٧٠ - محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ٧١ - محمد المبارك، نظام الرسال، العقيدة والعبادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٧٢ - محمد نعيم ياسين، الإيمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٧م.
- ٧٣ - محمد نعيم ياسين، أبحاث في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٧٤ - محمد يوسف موسى، تاريخ الفقه الإسلامي، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.
- ٧٥ - محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٥م.
- ٧٦ - مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٧٧ - مصطفى أحمد الزرقاء، نظام التأمين، حقيقته والرأي الشرعي فيه، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.
- ٧٨ - النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- ٧٩ - نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ م.
- ٨٠ - ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٥٢ م.
- ٨١ - وهبة الزحيلي، مباحث الحكم الشرعي والأدلة المتفق عليها عند الأصوليين، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٧٩ م.
- ٨٢ - وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.
- ٨٣ - وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م.
- ٨٤ - يوسف السويدي، الإسلام والعلم التجريبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م.
- ٨٥ - يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ٨٦ - يوسف القرضاوي، بيع المرابحة للأمر بالشراء، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٥٩ م.

تم بحمد الله تعالى

